ترتيب المدارك

وتقريب المسالك

لمعرفة أعلام مذهب مالك

للقاضي عياض

القاضي أبو الفضل عياض بن موسى
بن عياض اليحصبي السبتي
المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ١١٤٩ م

تحقيق

الدكتور أحمد بكير محمود

الجزء الأول

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت
دار مكتبة الفكر طرابلس - ليبيا

١٣٨٧ هـ

١٩٦٧ م

ترتيب المدارك وتقريب المسالك
لمعرفة اعلام مذهب مالك

الاهداء

الى العالم الفاضل الاستاذ

حسن حسني عبد الوهاب

هدية اعتراف لرجل عاش خادماً للعلم والمعرفة .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعتقد بعض المؤرخين أن أصل سكان افريقيا كنعانيون أجلاهم نبي الله موسى عن فلسطين . ويقول آخرون : انهم من عنصرين سامي وحامي ، امتزجا ونشأت منهما أمة وشعوب ، لا حامية ولا سامية ، بل وسط بينهما او مزيج . وقد تتصل وتتفاعل هـذه الشعوب بشعوب اخرى قريبة لها في أصولها . إذ يروي السلاوي أنّ حمير أبو القبائل اليمنية قد ملك المغرب مائة سنة ، وكذلك القرطاجنيون عاشوا ثمانية قرون كاملة على السواحل الإفريقية ، وهم ساميون من الشام قريبون في ساميتهم من العرب ، هذه المجموعة من الأجناس تكوّن منها شعب شمال افريقيا ، وما جاء الفتح الاسلامي حتى وجد أمماً تَمُتُّ إليه بنسب ، وليست غريبة عنه غرابة الرومان أو الاغريق ، وإن كانوا قد صمدوا في أول أمرهم للفتح العربي ، إلاّ أنهم ما انفكوا ان اعتنقوا الدين الاسلامي وتكلموا العربية وصهروا في الجنس العربي ، وكانوا أول الأمر موالي وجنوداً ، وأخرى عرباً يستنكفون ان ينتسبوا لغير العرب الى يومنا هذا .

في خلافة معاوية كان الفتح النهائي لإفريقيا على يد عقبة بن نافع الفهري في عشرة آلاف فارس عربي ، وتأسست القيروان ، وخرج عقبة منها ، ثم

رجع إليها في عشرة آلاف أخرى أكثرهم من الأنصار ، وتوالى المدد على افريقيا من المشرق ، وكثر عدد العرب النازحين اليها من اليمانيين والشاميين والأنصار ، لاسيما في العهد الأموي من الناقمين على الدولة ، او من يحمل مبدأ يخالف مبادىء بني أُمية ، فكانت الصفرية والإباضية والأزارقة وبعض الأشراف من آل البيت ، لاسيما بعد واقعة فخ ، ينزحون إليها ويرون فيها مأمناً حصيناً يختفون فيه بعيدين عن خصومهم ، ويحاول كل منهم نشر مباديه .

ومن عهد عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، صارت إفريقيا إقليماً عربياً خالصاً ، على اتصال متين بدمشق أكثر من أقاليم كثيرة أخرى كخراسان او شرق الجزيرة العربية مثلاً ، لاسيما بعد إحداث الطريق البحري الذي أنشأه عبد الملك بين تونس والاسكندرية وطرطوس ، وهو نفس الخط الذي كان مستعملاً عند القرطاجنيين ... بهذه الروابط التاريخية والدينية والسياسية ، صارت القيروان ولاية عربية صرفة ومركز انطلاق الفتوحات العربية للمغرب والأندلس ، وجاء العصر العباسي واستقرت الدولة العربية ، وانصرف الناس الى النشاط العقلي ، وكان هذا الوسط الاسلامي العربي بالقيروان وافريقيا ؛ إما عربي او متعرب ، وبما ان جلهم من اليمانيين او الأنصار او من السامين ، فلا غرابة ان يفتحوا صدورهم لمبادىء ناشئة من وسط عربي صميم تربطهم واياه أواصر عدة . فكانوا في أول أمرهم أوزاعيين مع أهل الشام النازحين في العهد الأموي ، وحنفيين مع الأغالبة . ولكن سرعان ما سمعوا ان إماماً من أصل يمني من ذي أصبح ، نزل أجداده المدينة قديماً وأخذ عن التابعين ، واشتهر بعلمه وتقواه وذكائه وورعه يعمل على إحياء السنة ويجلس الخلفاء والأمراء في حلقته ولا يمشي إليهم إلا مكرهاً ، يرى أن أموال المسلمين ليست بحل للأمراء ، ويجلس المهدي في حلقته ليقرأ عليه الموطأ وكذلك ابنه الرشيد وحفيداه الأمين والمأمون يهرعون إليه ليأخذوا عنه علم رسول الله ﷺ تبركاً وفخراً . هذا الإمام هو : مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، فيسرع الناس اليه من افريقية

والأندلس للأخذ عنه ويعودون معجبين بعلم مالك ونقده للرجال وتحريه في الفتوى وذكائه في استنباط الأحكام من الأحاديث الشريفة وتقواه وخوفه من الله ، مع ابتعاده عن ذوي السلطان ، فيأخذ عنه علي بن زياد والبهلول ابن راشد والحارث بن أسد القفصي ، وعبدالله بن فروخ ، وعبدالله بن غانم وغيرهم من أندلسيين وإفريقيين آخرين ، ثم يعودون ناشرين ما أخذوه عنه من فقه وحديث ، وينتشر مذهبه ويكثر معجبوه وتشد له الرحال من الأندلس وإفريقيا للأخذ عنه ، فينتشر مذهب مالك بالمغرب كله بما فيه الأندلس ، ويتعصب تلاميذه لرأيه ، ويقلدونه لا في آرائه فقط ، بل في ملبسه ومأكله ومشربه . وصار الذي يسعفه الحظ بعد أن يأخذ عن تلاميذ مالك يلتحق به ليأخذ عنه مباشرة ، فيعلو نجمه ويصير في عداد من رأى الإمام وأخذ عنه مباشرة . ومن كان على غير رأي الإمام فهو صاحب رأي أو هوى ، ضعيف العلم رقيق الدين ، وربما لمز بانتسابه لمذهب آخر كان يقال عنه العراقي مثلاً ، أي من أصحاب الرأي والحيل ، العاملين في ركاب الملوك ، المقربين لذوي السلطان ، ولم يكن مالك ولا أصحابه في هذا من شيء . فيزداد إعجاب المنتسبين إلى آرائه ويصير في نظرهم أن المسلم لا يكون مسلماً حقاً إلا إذا كان مذهبه مذهب أهل المدينة ، معدن الاسلام ومرقد الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وقد أدرك بعض الأذكياء من فقهاء القيروان وهو أسد بن الفرات هذا الميل الكلي الى مذهب مالك عند الناس ، فأراد ان يوفق بين الرأيين ويجمع بين المذهبين ، فسافر الى مالك وأخذ عنه ، ثم الى بغداد وأخذ عن كبار أصحاب أبي حنيفة ، وعاد وفي كتابه الأسدية شيء من المذهبين ، لكن فقهاء القيروان رأوا أن الفقه المالكي الأصيل أعلق بنفوسهم ، فلم يأخذوا عن أسد إلا القليل الموافق لمذهب مالك وتركوا ما سواه . ولما جاءهم سحنون بمدونته نبذوا الأسدية وتعلقوا بالمدونة واعتبروها القانون الشامل لمدرسة مالك بن أنس الأصيلة . وعندها كثرت الرحلات الى المشرق

بحثاً عن آثار مالك في مصر والمدينة والعراق والشام . وكان الولاة من عرب المشرق يعتمدون على فقهاء الحنفية في إدارتهم وأحكامهم ، والمالكية يرون في اصحاب أبي حنيفة أنهم صنائع سلطان أكثر منهم فقهاء دين . فتصدوا لهم بالنقد اللاذع والاستنقاص في العلم والمروءة والدين . إلا أن رد الفعل عند الحنفية والولاة كان كبيراً فكثيراً ما تعرض أصحاب مالك في إفريقيـة إلى اضطهادات الأمراء ، ولا شك ان ذلك كان برضا إن لم يكن بايعاز فقهائهم ، وأدرك الرشيد أن المالكية تمكنت من نفوس الناس ، وأنه لا قرار لإدارتهم ما لم يحظوا برضاهم ، فأوصى الرشيد – وأظنه بإشارة من أبي يوسف القاضي – إبراهيم بن الأغلب عامـله ، أن يتخذ قاضيه من الفقهاء أصحاب مالك ، بل عينه له تسمية ، وكان عبدالله بن غانم القاضي تلميذ مالك وأحد كبار فقهاء القيروان . وكان من هذا أن اشترط في قبوله لمنصب القضاء أن لا يراعي في أحـكامه اعتبارات القضاة السالفين ، وأن الرعية عنـده سواء أمام الشرع لا فرق في ذلك بين أميرها وخادمه وبين راعيها ، فقبل الوالي شروطه على مضض وكان يحتمل منه هذه المثالية مكرهاً ، نظراً الى أن القاضي كانت تسميته من بغداد . ويوم مات ابن غانم وكان خال الوالي يبكيه ، التفت ابن الأغلب الى خاله الذي كان صديقاً للقاضي وقال له ما معناه : انه لم يكن لنا معه دولة وما صارت لنا إلا اليوم . وكذلك كان سحنون فان من شرائط توليه القضاء أن الأمير محمد بن الأغلب أعطاه كل ما طلب وأطلق يده في كل ما رغب حتى أهل بيته وقرابته وأعوانهم ، الذين كانت للناس قِبَلهم ظلامات وأموال منذ زمان طويل ، ولم يجرؤ عليهم من كان قبله . ولم يكن أتباع مالك من فقهاء القيروان يتمسحون بأعتـاب الأمراء أو يقبلون هداياهم ولا ليلبوا رغباتهم إن أبدوها في رخصة أو فتوى ولا ليحضروا مجالسهم ولا أسمارهم أو أعيادهم . هذا السلوك المثالي من هؤلاء العلماء جعلهم في أعين الناس أقواماً صالحين وعلماء زهاداً ومعارضين باسم الدين لكل متجبر وجائر . وقد استمرت هذه

المثالية في النفوس زمناً طويلاً، وصارت عند بعض الصوفية من مالكية المغرب، فان الصوفي عندهم هو ذاك الذي امتاز عن غيره في تعلقه بالله جسماً وروحاً مع معرفة بالسنّة واعتزاز بها، غير ناس لنصيبه من الدنيا أو داع لطريقة من الطرق أو مدرسة من المدارس. وحتى من تفلسف من علماء المالكية فانه لا يشذ عن قاعدة السنية فضلاً عمن تصوف، كما نجده في سير البهلول بن راشد والحارث بن أسد القفصي وأبي عثمان سعيد بن سلام المغربي، وأبي يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني فيما بعد، وابن رشد في الفلاسفة. فكلهم سني مالكي لم يشذ بآرائه الصوفية شذوذ الحلاج وابن سبعين وابن عربي وابن الفارض وأضرابهم. ولما جاءت محنة القول بخلق القرآن لم يجار المالكية بني الأغلب في قالتهم المملاة عليهم من خلفاء بغداد، فقال بقولهم أكثر الحنفية هنا ورفض المالكية رأيهم هذا، فنال بعضهم ما نال إخوانهم في المشرق من الضرب والتعذيب والسجن، وتجاهر المالكية بالعداء لبني الأغلب من جهة، وللحنفية من جهة أخرى، حتى صار من تحضره الوفاة من المالكية يوصي بأن يكتب على قبره: هذا قبر فلان بن فلان كان يشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، معتبراً بوصيته هذه متحدياً للاعتزال جهاراً في حياته وبعد موته. وموقف بني الأغلب من المالكية، هو الذي جعلهم يتقاعسون عن نصرتهم عندما أخذت دعوة بني عبيد تظهر بالمغرب، وقد أخطأ أتباع مالك هنا، إذ بعملهم هذا ساعدوا على إنشاء دولة من عقيدتها اعتبارهم كفاراً، وقتل أهل السنة مما يتعبد به عندها. فعندما جاء العبيديون ونصبوا أنفسهم خلفاء وأخذوا يدرسون أصول مذهبهم الباطني بالقيروان، كان علماء المالكية ينظرون اليهم شزراً أول الأمر، ثم تطورت البغضاء بين الطائفتين، فكانت طائفة الشيعة يساندها السلطان والسيف، والمالكية ومعها الشعب بأسره. ولما استقر الأمر لعبيد الله منع المالكية من الإفتاء والتدريس وحمل الناس على العمل ليلاً والنوم نهاراً في شهر رمضان، كما فعل الحاكم من بعده في

مصر ، وأمر بسب أبي بكر وعمر وعثمان وأم المؤمنين عائشة وأبي هريرة وكثير من أصحاب الرسول ﷺ ، وعمد الى حماقات لا تليق بعامل فضلاً عمن يدعي الخلافة . وذلك بأن أمر جنوده بتعليق رؤوس حيوانات من خرفان وماعز وبقر الخ ... على دكاكين القيروانيين ليلاً وكتب تحت كل رأس ، اسم صحابي . بهذا التصرف الأهوج أنشأ عبيد الله خصوماً ألداء كانوا سبب فوضى دولته وعدم استقرارها وطردها الى المشرق ثم القضاء عليها فيما بعد ، ففي أول صلاة جمعة بجامع عقبة حسب المذهب الباطني قام أحد الشيوخ وترك الجامع عندما سمع الامام يلعن بعض الصحابة ، وبخروجه من الجامع حدثت فوضى وسط المصلّين فغادر كثيرون معه المسجد ، وصار من يشهد الجمعة وراء إمام الباطنية يعتبر كافراً ... وقد اعتمد الباطنية أول أمرهم على فقهاء حنفية ولكنهم لم يركنوا البتة الى أصحاب مالك ، كما أن هؤلاء رفضوا حتى السلام عليهم ومقابلتهم ، وبهذا قام عبيد الله بحملات اضطهادية واسعة في صفوف علماء المالكية من قتل وتعذيب واستصفاء أملاك . وحدثت حادثة اخرى ، هي ان عبيد الله طلب من مؤذن مالكي أن يؤذن حسب مذهبه الذي هو مذهب الدولة الرسمي ، وذلك بأن يزيد بعد الشهادتين شهادة ثالثة بولاية علي رضي الله عنه ، فرفض المؤذن طلبه ، فقطع لسانه وطيف به في القيروان ثم قتله . ازاء هذا التصرف من العبيديين كان المالكية علماء وشعباً يصبون لعناتهم صباً على عبيد الله ، ولفقوا له شجرة توصله لا الى فاطمة عليها السلام كما يدعي هو ، بل الى أمة أعجمية وأب يهودي من بغـــداد . وطال الصراع بين الباطنية والمالكية ، وكانت السلطة كلما عثرت على من يقول بما لا يرضي الحاكمين صلبته وأنزلت به أنواع العذاب والتنكيل ، فكان الشعب يروي كرامات عن هؤلاء الشهداء أثناء موتهم وبعده ، ويقال أن صليباً لأحد الشهداء أشعّ نوراً كامل ليلته .

إزاء هذا الظلم النازل بأهل القيروان وهذه الإهانة النازلة بالدولة ، كانت الشقة تتسع يوماً بعد يوم ، فكر العبيدي إذاك في مغادرة القيروان وبناء

مدينة خاصة له ولأتباعه . وكانت المهدية ، ففر إليها تاركاً القيروان لخصومه المالكية . وإن كان أتباع مالك معارضين في العهد الأغلبي إلا أنهم في هذا العهد أصبحوا مجاهدين صامدين لدخلاء العقيدة هؤلاء .

يقول علماء التربية : كل حركة تقاوم تزداد عنفاً ، وكانت المالكية ، في أعنف مظاهرها وأشد صمودها مع بني عبيد بافريقيا رغم ما نال أتباعها من قتل وتعذيب ، وإذا كان أهل القيروان ينظرون الى من يدين بالاعتزال على أنه كافر ، ويقولون : فلان تمعزل ، فما بالك بمن يقسم بحق عالم الغيب والشهادة مولانا الذي برقادة . فهو في نظرهم ولا شك « ألعن من أن يذكر » .

ولما جاءت ثورة أبي يزيد الخارجي ، انضم إليها فقهاء القيروان أول الأمر ، على قاعدة الخوارج أنفسهم : (لا حباً في علي ، بل بغضاً في معاوية) . وكانوا يفتون بوجوب الجهاد تحت رايته ، ولم يكونوا واثقين تمام الوثوق من (صاحب الحمار) في مباديه ولكن البغض لبني عبيد الله هو الذي حملهم على اختياره عليهم ...

وما أظن أن مساندة عبد الرحمن الناصر خليفة قرطبة وهو مالكي لأبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي ، إلا مجاراة منه للمالكية بافريقيا . وكاد الثائر ان يظفر ببغيته لولا الفوضى التي سادت في جيشه اللانظامي النهاب ، ولقد حاصر المهدية وأطال حصارها ، ولكن النجاح كان حليف بني عبيد ، ورأى المالكية ان لا خير ينتظر من هذا الثائر الفوضوي ، فانصرفوا عنه وفر بعدها هائماً على وجهه هو ومن معه من بقية أنصاره الى ان مات من جراء جروح أصابته في بعض معاركه العديدة .

ولما انتقل بنو عبيد الى مصر والمشرق وتركوا على افريقيا عمالهم من أبناء زيرى بن مناد الصنهاجي ، الذين أقاموا ولايتهم بالمهدية ، عمل فقهاء المالكية بافريقيا على استقلال بلادهم عن مركز الخلافة العبيدية ، وما ان جاء المعز الصنهاجي حتى اقنعوه باعلان استقلاله عن هذا الخليفة الوهمي ،

واصبحت الدولة مالكية صرفة ، وانتقم اصحابها من بقية من كان يتهم بالتشيع للباطنية وقتل بكل سني باطني . حاول العبيديون أول أمرهم بالمشرق ان يغضوا طرفهم عن أتباع مالك ، وتركوهم وشأنهم أول الامر الى ان جاء الحاكم بأمره فتتبع المالكية وقتل منهم قاضيين ودخلوا في أزمة جديدة مع بني عبيد ، حتى جاء الطرطوشي الذي لاقى منهم مضايقات أول أمره ، ثم فرج عنه ، فعمل بجد على احياء المذهب ثانية ، وبمجيء السلاجقة كان انتصار المذاهب السنية بالمشرق عاماً على الباطنية ، ولم يسجل التاريخ مقاومة للبدع مثل ما سجل للمذهب المالكي مع الخوارج والشيعة الباطنية والمعتزلة ، اللهم إلا ما قام به بعض الحنابلة في محنة القول بخلق القرآن وما كابده شيخ الاسلام ابن تيمية في مقاومته لبدع الطرقية في عصره .

ولما استقرت الدولة الصنهاجية او دولة بني زيرى ، متحالفة مع المالكية ازدهرت الحياة الفكرية واتسع نفوذ المذهب وكثرت حلقات العلم والمعرفة في شتى الفنون ، وجددت القيروان عصرها في ربط صلتها بالمشرق والمغرب ، وخرج طلاب العلم منها الى المشرق والمغرب معلمين ومتعلمين كما كانوا قبل . وكان ابن أبي زيد قد جدد وأحيا مدرسة سحنون وكثر طلابه والمعجبون به . واشتهر علماء كثيرون في هذا العهد منهم الفقهاء والمتكلمون ، كابن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وأبي عثمان سعيد بن محمد الحداد . ولم يكن الوسط الافريقي مقصوراً على الفقهاء بل كان الأدب في أوجه ، وكانت حياة عملية مزدهرة بالأوساط الافريقية ، من أدب ولغة وصناعة ومجالس لهو وطرب ووجوه الحياة البشرية بجانب الوعظ ودراسة الشريعة ، أو قل بالجانب الروحي من الحياة اليومية ، فهو عصر محمد بن عبدالله الأموي وعبد الرزاق بن علي النحويين وابن الزنجي الكاتب الشاعر ، وعلي بن عبد الغني الحصري ، وأبي إسحاق الحصري الشاعرين ، وإسحاق بن سليمان الاسرائيلي الطبيب ، وتلميذه احمد بن ابراهيم ابن الجزار ، والمازري وعلي بن احمد بن الماعز في آخرين .

وفي هذا العصر جاءت الأشعرية الى المغرب عن طريق القيروان طبعاً .

وكثرت الرحلات العلمية الى بغـــداد والشام ومكة والمدينة من المغرب والاندلس ، كما نزح بعض أهل المشرق الى القيروان والاندلس بعد ما قرفوا من ضعف الخلافة العباسية وتقسيمها الى دويلات وكثرة الانتفاضات المذهبية . أقول ، نزحوا باحثين عن الاستقرار في بلد اسلامي ليس فيه إلا دين واحد ، ومذهب واحد ، وعقيدة واحدة . فكان من كبار الأشاعرة النازحين الى المغرب ابو عبدالله الحسين بن حاتم الأزدي ، تلميـــذ القاضي الباقلاني ، وعبد الوهاب بن نصر البغدادي الذي كان عازماً على الالتحاق بالأندلس ومات في طريقه بالقاهرة . والتحق الكثيرون بصقلية من أدباء وأطباء ورياضيين .

وكانت المراسلات بين علماء طرفي العـالم الاسلامي بغداد والقيروان توضح أنّ كلا البلدين كان على علم بما يجد عند الآخر في ميدان الفكر ، من ذلك ما رواه ابن عساكر في تبيين كذب الفتوى ، أن علي بن أحمد ابن إسماعيل المعتزلي البغدادي كتب إلى ابن أبي زيد القيرواني يدعوه الى اتباع آرائه ، ورد ابن أبي زيد على طلبه هذا ، برد يعتبر خلاصة للعقيدة الأشعرية بالمغرب ، والذي صار مقدمة لكتابه الرسالة ، وانتشرت العقيدة الأشعرية بافريقيا بسرعة انتشار المذهب المالكي ... بقي أن نتساءل لماذا انتشرت العقيدة الاشعرية بهذه السرعة وفي حيـــاة صاحبها كما وقع ذلك بالنسبة لمذهب مالك وفي حياته ؟

يبدو أن الأصل العربي اليمني قد لعب دوراً مهماً في انتشار المذهب والعقيدة الأشعرية . اذ كلاهما من أصل عربي يمني ، وأن الغالب على سكان إفريقيا الأول هم من ذلك الأصل ، ثم ان مالكية الباقلاني ، هي التي جعلت الأشعرية تجد هذا القبول في هذا الوسط المالكي ، ولئن اختلف في مذهب الأشعري ، وإن كان لا يبعد أن يكون مالكياً في فروعه فإن الاتفاق مجمع على أنّ الباقلاني مالكي مع خلاف بسيط لا يعتد به عند المالكية . وكذلك كره المالكية للعبيديين جعلهم يتقبلون كل علم جديد يأتيهم من

المشرق ، لاسيا اذا كان من وسط مالكي ... ولما وصل الحسين بن حاتم الأزدي تلميذ الباقلاني الى القيروان ، وجد أهل القيروان على اطلاع ومعرفة بعقيدة الأشعري ، فقد سافر أبو الحسن القابسي الى المشرق وعاش به خمس سنوات بعد موت الأشعري بثلاثين سنة ، ولما كان الحامل للعقيدة الأشعرية أحد كبار مالكية القيروان ، أعني القابسي وكان كبير مُعلّميها الباقلاني ، انتشرت الأشعرية بكامل المغرب والاندلس وصقلية ، على أيدي القابسي والبغدادي وأبي ميمونه دراس بن إسماعيل الفاسي ، وبالاندلس على يد العالم المشهور الأصيلي ، واشتهر بعض علماء المغرب بها في المشرق ، من ذلك ما رواه السبكي في طبقاته (ج ٥ — ٢٤٥) أن أبا عبيد الله محمد بن أبي بكر عتيق السوسي الأصل القيرواني المولد سافر الى بغداد وكان علامة زمانه في فن الكلام ، واسندت له وظيفة التدريس بنظامية بغداد ، وهناك لمع نجمه ونال احترام علماء مدينة الرشيد حيث أدى رسالته كأشعري ، ودفن بجانب أبي الحسن الأشعري . (ياقوت ، بلدان . قيروان - وابن تغرى بردى ، نجوم ، ط القاهرة ج ٥ ، ص ٢١٧) ... هكذا كانت المالكية جزءاً لا يتجزأ من شخصية الفرد المغربي في كامل عصوره ، وكان كذلك أشعرياً (إذ لا تجد مالكياً غير أشعري) وكان خلاصة هذه التجربة الطويلة أن أنشئت دولة المرابطين العريقة في مالكيتها ؛ إلا أن التطرق في مذهبيتها جعل حركتها ثقيلة بعض الشيء ، الأمر الذي سبب رد فعل عند أحد مجددي العصر ، إلى القيام بحركة تجديدية سرت الى أعماق نفوس كثيرة ، وبنيت على أسسها دولة الموحدين التي لم تكن مالكية ولم تناصب العداء جهاراً لأتباع مذهب مالك ، بل كانت حركة تجديدية عملت في تكوينها عناصر سنية متعددة ، ففيها من التصوف وفيها من الأشعرية مع ميل الى الشافعية والظاهرية ، وكان الموطأ عمدة فقهائها ، وان كانوا لا يميلون الى اتباعه . في هذه التجربة التي عاشها المذهب المالكي في نفوس أتباعه نُلاحظ أن من تصوف من المالكية أو من تفلسف فانه لا يشذ عن قاعدة السنية

كما قلنا ، فلا نكاد نعثر على متصوف مالكي دان بوحدة الوجود مثلاً أو سجلت عليه شطحات يشتم منها رائحة الزيغ أو الحلول ، فكانت متانة الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية تبعدان معتنقيهما عن الوقوع في الخطإ الذي وقع فيه كثير من المتصوفة أو الفلاسفة . ولا غرو إن وجد من يعتز بهذا المذهب من المغاربة ويكتب فيه المجلدات الضخمة باحثاً عن حياة الإمام في نشأته وتكوينه ومأكله وملبسه وجميع نواحي حياته ، ثم عن أتباعه وانتشار مذهبه شرقاً وغرباً ، وكان في الواقع خلاصة التاريخ المالكي في المغرب والمشرق ، وهذه الشخصية المالكية الفذة ، هي شخصية القاضي عياض .

القاضي عياض

حياته ، آثاره ...

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون ، بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، واليحصبي ، نسبة الى يحصب بن مدرك بن حمير ، نزح أجداده إلى إفريقيا ونزلوا القيروان ، وذهب بعضهم إلى الأندلس ، واستقروا بجهة بسطة ثم نزلوا الى فاس وسبتة بالمغرب . ولد عياض بسبتة سنة ٤٧٦ وتوفي سنة ٥٤٤ — ١١٤٩ . تعلم في صباه بسبتة على القاضي أبي عبدالله بن عيسى ، والفقيه أبي إسحاق بن الفاسي ، ثم رحل الى الأندلس سنة ٥٠٧ وأخذ عن أعلامها كابن عتاب وابن الحاج وأبي الوليد بن رشد ، وأبي الحسين بن سرّاج وأبي القاسم بن النحاس ، وابن السيد عبدالله بن محمد البطليوسي . وبالمشرق عن أبي علي الصدفي ، وكان لما رحل إليه عياض وجده قد اختفى لنبذه خطة القضاء من غير أن يعفى ، ووجد الرحالين إليه قد نفذت نفقات بعضهم ، ومنهم من ابتدأ كتاباً لم يتمه ، فأخذ أكثرهم في الرجوع الى مواطنهم وتربص بعضهم ، فمكث عياض شهرين لا يقع له على خبر سوى الظن بكونه هناك . وقابل أثناء انتظاره هذا ، ما كان قد بلغه من كتبه بأصولها ، وكتب منها ما أراد على يد خاصة من أهله ، ولا يبعد أن يكون ذلك بأمره . ولقد شافهه بعد خروجه بما معناه : إنه لو طال تغيبه لأشعره بالترحال إلى موضع لا يوجد به ، لكونه الاختيار عليه

فيجد ما يرغب فيه من سماعاته حتى يبلغ غرضه لما وقع في نفسه من اخفاق رغبته وتعطيل رحلته فشكره على ذلك ، وسمع عليه الصحيحين والمؤتلف والمختلف ، ومشتبه النسبة لعبد الغني بن سعيد الأزدي القدسي المتوفى سنة ٤٠٩ وكتاب الشهاب في المواعظ والآداب في علم الحديث للقضاعي المصري المتوفى سنة ٤٥٤ ، وأجاز له جميع مروياته ، ولقي في رحلته هذه أعلام الأندلس المهاجرين إلى المشرق فاجازوا له تآليفهم ومروياتهم ، وكذلك علماء المشرق فكان منهم : أبو علي الغساني ، وأبو عبدالله الخولاني ، وأبو بكر الطرطوشي وأبو الطاهر السلفي . ثم عاد الى سبتة وجلس للتدريس ، وكتب إليه أثناءها من المشرق أبو نصر النهاوندي يستجيزه ، وأبو عبدالله المازري من المهدية أيضاً ، وكتب هو يستجيز الزمخشري وقد انقطع الى العبادة وترك الدنيا فرفض ان يجيزه ، فقال الحمد لله الذي لم يجعل لصاحب بدعة علي يداً . وفي سنة ٥١٥ وليَ قضاء سبتة ، فسار فيها أحسن سيرة ، محمود الطريقة ، مشكور الحالة ، أقام الحدود على ضروبها واختلاف أنواعها ، وأنشأ رباطاً للعباد في جبل المنْيا ، كما زاد في بناء جامع سبتة ، وطار صيته فاستدعاه تاشفين الى غرناطة واسند له قضاءها ، فسار فيها أحسن سيرة لا تأخذه في الحكم بالعدل لومة لائم ، وضرب على أيدي العابثين من المقربين الى السلطان ، فاشتكوا منه الى تاشفين ، وكثر المتذمرون عنده ممن أصيبوا في نفوذهم من أهل الباطل ، فضاق به ذرعاً وأقاله من منصبه ، فرجع الى سبتة وتولى قضاءها ثانية ، وذلك سنة ٥٣٩ ، فسار سيرته المعهودة ، وفرح به أهل بلده وبعد صيته ، وقصده كثير من طلبة العلم يأخذون عنه سواء عندما كان بالأندلس أو عندما رجع إلى سبتة ، ومن أشهر تلاميذه الاندلسيين أبو جعفر احمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي . قال ابن بشكوال في الصلة : قدم الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبدالله محمد بن علي بن حمدين وأبي الحسين بن سراج بن عبد الملك ابن سراج ، وعن شيخنا أبي محمد بن عتاب وغيرهم ، واجاز له أبو علي

الغساني ما رواه ، وأخذ عن القاضي أبي علي حسين بن محمد الصدفي وعن غيره ، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث كثيراً ، وله عناية كبيرة به ، واهتام بجمعه وتقييده ، وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم . واستقضي ببلده مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل عنها الى قضاء غرناطه فلم يطل أمده بها ، وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فأخذنا عنه بعض ما عنده .

ثم كتب إليَّ القاضي أبو الفضل بخطه ، يذكر أنه وُلِدَ في منتصف شعبان من سنة ست وسبعين وأربعمائة ، وتوفى رحمه الله بمراكش مغرباً عن وطنه وسط سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ[1] : الحافظ عالم المغرب ، صنف التصانيف التي سارت بها الركبان .

وقال ابن الآبار في معجم أصحاب الصدفي : وكان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه الى اضطلاعه بالأدب وتحققه بالنظم والنثر ومهارته بالفقه ، وبالجملة فكان جمال العصر ومعجز الافق وينبوع المعرفة ومعدن الافادة ، واذا عدت رجالات المغرب فضلاً عن الاندلس حسن فيهم صدراً .

وقال أبو عبد الله محمد الأمين الصحراوي نزيل مراكش في كتابه المجد الطارف والتالد : مقام عياض مثل مقام البخاري والأئمة الأربعة ، فهم حملة الشريعة وعلومهم التي يبثونها في صدور الرجال بالتلقين والتأليف ... ذبُّوا عن الشريعة بسيوف علومهم فبقيت علومهم خالدة تالدة الى الأبد ، وكم من ولي لله كان معهم وبعدهم بكثير ، كان لهم تلاميذ وأوراد وانقطعت تلك الأوراد وباد المريدون بمرور الازمان ، وأئمة العلم لا زالوا بعلومهم كأنهم أحياء ، وكل من استفاد مسألة علمية فهم أشياخه الى يوم القيامة ...

---

(١) النشرة الثالثة ج ٤ ، ١٣٠٤ .

وانظروا الى عياض، فلا تأليف معتبراً من تواليف أهل الحديث ولا أصحاب السير والفقهاء إلا وجدته مشحوناً بكلامه ... ولا يضر منصبه كون صاحب التشوف[1] لم يذكره في رجال التصوف مع أنه أقدم وفاة من جميع من ذكر فيه، ووجه العذر أنه التزم فيه ذكر الزهاد دون العباد، أي الذين انقطعوا لذلك. وقال ابن صعد في النجم الثاقب: كان عمدة أولياء الله في البلاد المغربية، وممن أجمع على فضله وعلمه علماء الفقه وأكابر الصوفية. وقال ابن العماد[2] فيه: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى ابن عياض العلامة اليحصبي السبتي المالكي الحافظ، أحد الاعلام، ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة وأجاز له أبو علي الغساني وأبو محمد بن عتاب وطبقتهما، ولي قضاء سبتة مدة ثم قضاء غرناطه وصنف التصانيف البديعة وسمع من أبي علي بن سكرة وغيره، ومن مصنفاته الشفاء الذي لم يسبق الى مثله، ومنها مشارق الانوار في غريب الصحيحين والموطأ، وكان امام وقته في علوم شتى مفرطاً في الذكاء.

وبالجملة فانه كان عديم النظير حسنة من حسنات الايام، شديد التعصب للسنة والتمسك بها، حتى أمر باحراق كتب الغزالي لأمر توهمه منها.

وقد ترجم له الشيخ قاسم النواوري في سمط اللآلىء[3]: ترجمة جامعة وافية نختصر منها ما يلي: هو ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض ... استقر اجداده في القديم بالاندلس جهة بسطة. ثم انتقلوا الى مدينة فاس ثم الى سبتة، نقلته من خط ابنه الفقيه ابوعبدالله محمد بن عياض. توفى عياض رحمه الله ليلة الجمعة نصف الليل التاسعة من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ودفن بمراكش في باب ايلان من داخل السور رحمة الله

---

(١) الكلاباذي.
(٢) شذرات الذهب ج ٤ ص ١٣٨ ط القاهرة ١٣٥٠.
(٣) ورقة ١٠ وما بعدها مخطوط الأحمدية تونس.

ومغفرته عليه . قال في بديعة البيان للبحصبي ، بعد ذكر نسبه : كان حافظاً علامة مفيداً للطلاب متفنناً للعلوم كالحديث والفقه والنحو واللغة والآداب وأيام العرب والمعاني والبيان والتواريخ والانساب . ومن مصنفاته : كتاب الشفا ، وترتيب المدارك في أربع مجلدات كبار وكتاب جامع التواريخ وكتاب مشارق الانوار . والاكمال في شرح كتاب مسلم .

ويذكر صاحب السمط ان عبد الوهاب الشعراني ترجم للقاضي عياض في كتابه لواقح الانوار في طبقات الاخيار ، قال واحرقوا كتاب الاحياء بالاندلس . ثم نصره الله عليهم وكتبوه بماء الذهب ... وكان من جملة من انكر على الغزالي وافتى بتحريق كتابه : القاضي عياض ، فمات فجأة في الحمام يوم الدعاء عليه .

وقيل ، ان المهدي هو الذي أمر بقتله في الحمام بعد ان ادعى عليه أهل بلده انه لا يخرج يوم السبت . وقيل قتله لأجل دعوة الغزالي .

ويرد على هذا الرأي الشيخ مرتضى في شرحه على الإحياء[١] بقوله : وعندي في قوله (أي الشعراني) توقف . فان القاضي مات في رمضان او في جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ . مع ان الإمام الغزالي توفى سنة ٥٠٥ .

وفي كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابي محمد صالح بن عبد الحليم في وقائع ثلاث واربعين وخمسمائة . فثار أهل سبتة على الموحدين بعد ان بايعوهم ومكنوهم من المدينة ، وكان قيامهم عليهم ، بدأ في قاضيهم عياض بن موسى فقاتلوا من بها من الموحدين وعمالهم ، وحرقوهم بالنار ، وركب عياض البحر الى ابن غانية بالبيعة وطلب منه والياً ، فأرسل معه الصحراوي فدخلها وأقام بها والياً ، فلما سمعت بنو غواطة بخروج عبد المؤمن إليهم كتبوا الى الصحراوي والي

---

(١) شرح الاحياء لمرتضى ١ — ص ٢٧ مصر ط حجرية بدون تاريخ . ثم يزيد : إن الذي كان يقع في كتاب الاحياء انما هو الشيخ الصوفي ابن حرزهم .

سبتة ينتصرون بــه ، فأتاهم فبايعوه واجتمعوا عليه ، وقاتلوا عبد المؤمن وهزموه ، ثم كانت له الكرة عليهم ، وهرب الصحراوي ثم أرسل يطلب الأمان من عبد المؤمن ، فأمّنه ، فأتاه وبايعه وحسنت طاعته . فلما رأى ذلك أهـل سبتة سقط في أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا ببيعتهم الى عبد المؤمن فأتاه بها أشياخ المدينة وطلبتها تائبين فعفا عنهم ، وأمر القاضي عياض بسكنى مراكش وأمر بهدم سور مدينة سبتة ، فهدم . واجتمع القاضي ليلة بعبد المؤمن فوجده قـد تغير عليه فاستعطفه بالمنظوم والمنثور حتى رق له ، وعفا عنه ، فلازم مجلسه الى ان رده الى حضرة مراكش بعد انصرافه عن القضاء (أي بمراكش) واحتال عبد المؤمن لقتله بعد ان ادعى عليه باليهودية ، وأنه لا يخرج للناس يوم السبت لاشتغاله باعداد كتاب الشفاء وقد قتله خنقاً في الحمام يوم الجمعة السابـع من جمادى الآخرة سنة أربـع وأربعين وخمسمائة ، ورمى به في مكان ينزه قدره عنه ، واستخرجه ابن البنا بعد أربعين سنة فوجده لم يتغير كفنه ولا جسده ودفنه في المكان المعروف بباب إيلان داخل السور بمراكش .

ولكن القاضي كان معروفاً بميله للدولة المرابطية وهو الذي قاد الثورة على الموحدين في سبتة كما مر ، فلا يبعد ان يكون هذان العاملان هما اللذان سببا قتله . وما ادعي عليه باليهودية فهي أقوال الغوغاء العاملة في ركاب الموحدين إذاك ، وكما قالوا : ان الملوك إذا حقدن فان غوائلهم لا تؤمن .

وقد خلف القاضي عائلة علمية من أبنائه وأحفاده منهم : ابنه محمد وابنه عياض بن محمد وابنه محمد بن عياض بن محمد ابن القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي . ترجم لهم ابن فرحون وكانت لهم مكانة علمية مرموقة إلا ان سمعة أبيهم عياض قد أحجبتهم ولم يصلوا في الواقع الى ما وصل إليه أبوهم[١].

---

(١) الديباج ١٧٢ ، ٢٨٩ والشجرة الزكية للقاضي مخلوف ص ١٥٩ – ١٧٩ .

مؤلفات عياض : كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى . وهو كتاب جليل في سيرة الرسول ﷺ والتنويه بشخصه الكريم وخلقه العالية وسيرته المثلى . جمع فيه أخباره الشريفة مقارناً بين شخصيته الكريمة وشخصيات اخوانه الأنبياء، صلى الله عليهم جميعاً وسلم . مستقصياً أخبارهم مظهراً ميزته بين ولد آدم كما ورد ذلك في الكتاب والسنة والأخبار .

عليه شروح كثيرة منها : شرح عبد الباقي بن عبد المجيد القرشي اليمني المتوفى سنة ٧٤٣ وشمس الدين الحجازي المتوفى سنة ٨٥٠ – ١٤٤٦ والشمني القاهري المتوفى سنة ٨٧٢ – ١٤٦٧ ومحمد بن أبي الشريف الحسني التلمساني، والقاري الهروي المتوفى سنة ١٠١٤ – ١٦٠٥ ، وعبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ – ١٦٢٢ وخليل السبكي المتوفى سنة ١٠٣٧ – ١٦٢٧ والخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ – ١٦٥٨ وابن حسين بن رسلان الروميلي . طبع بمصر سنة ١٢٧٦ هـ مطبعة حجرية وبهامشه المدد الفياض وهو شرح عليه للشيخ حسن العدوي الحمزاوي ، وفي أوله مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا لجلال الدين السيوطي . طبع بالآستانة ، حجرية بمطبعة خليل أفندي سنة ١٢٩٠ في جزء واحد ، بالمطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ في جزأين ، وبفاس سنة ١٣٠٥ و ١٣١٣ .

ومن كتب عياض المشهورة كتاب مشارق الأنوار على صحيح الاثار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم . التزم فيه ضبط الالفاظ والتنبيه على مواضع الاوهام والتصحيفات وضبط أسماء الرجال طبع الجزء الاول منه بفاس سنة ١٣٢٨ . بعناية المرحوم السلطان عبد الحفيظ ، وبمطبعة السعادة سنة ١٣٣٢ في ٣٦٠ صفحة وطبع الجزء الثاني سنة ١٣٣٣ .

وكتاب بغية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد توجد منه نسخة ببرلين تحت رقم ١٥٦٧/٨ حسب بروكلمان . وكتاب الإعلام في حدود الاحكام .

وكتاب الإلماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع – سماه حاجي

خليفة : الإلماع في ضبط الرواية توجد منه نسخة بالأسكوريال تحت عدد ١٥٦٧ وبالظاهرية تحت رقم 433 bis AS. .

وله ايضاً ، كتاب الغنية في شيوخه(١) وكتاب المعجم في شيوخ ابن سكرة . وكتاب نظم البرهان على حجة جزم الاذان . وكتاب مسألة الأهل بينهم التزاور وكتاب العيون الستة في أخبار سبتة . وهذا الكتاب كثيراً ما يذكره أبو العباس الحلبي الفاسي في كتابه الدر النفيس في مناقب إدريس .

وكتاب : غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسل .

وكتاب : الاجوبة المحبرة على الاسئلة المتخيرة .

وكتاب : أجوبة القرطبيين .

وكتاب أجوبته عما نزل في ايام قضائه من نوازل الأحكام ، في سفر .

وكتاب : سر السراة في ادب القضاة .

وله كذلك كتاب مجموعة خطبه الجمعية .

وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك وهو هذا .

وله مجموعة أشعار . فمن شعره قوله :

الله يعلم أني منذ لم أركم كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم فان بعدكم عني جنا حيني

وله أيضاً :

انظر الى الزرع وخاماته تحكي وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

---

(١) ديباج ١٧٠ .

كتاب المدارك والدافع على تأليفه :

كما كانت المالكية بالمغرب والاندلس السد المانع ضد النحل والزيغ ، مع الاعتزال والخوارج والباطنية ، والظاهرية والموحدين ، ففي المشرق لم يكن نصيبها من الكفاح أقل : ففي حياة الامام رضي الله عنه ، كان الليث بن سعد رحمه الله زميلا وصديقاً للامام مالك ، جمع بين آراء أهل المدينة والعراق أو الكوفة على الاصح . وكانت مصر في عهده منطقة تغلب عليها آراء اهل المدينة . فما أن رجع الليث الى مصر حتى أخذ يعلم ويفتي بما يخالف عمل أهل المدينة مجتهداً ومقتنعاً في ذلك بصحة رأيه ، وما أن بلغ الخبر الى مالك حتى أرسل يلومه على ذلك مبيناً له فضل المدينة وأنها بلد الوحي ، بها أحل الحلال وحرم الحرام وأكثر اصحاب رسول الله ﷺ إنما عاشوا وماتوا بها ، وأن عمل المدينة هو عمل الرسول وأصحابه ، ولا يجوز لأحد مخالفتهم فهم السابقون الاولون من مهاجرين وأنصار ، وقول من خالفهم لا يعتد به ولو كان معتمداً على صحابي او عشرة من الصحابة ، فأكثر هؤلاء الوارثين للسنة العاملين بها إنما عاشوا بالمدينة وعلموها لاهلها حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم ، ولا قول لمن خالفهم في هذا . وكان رد الليث رداً رصيناً يدافع عن رأيه دفاع العلماء ، مع مروءة وفضل ومجاملة . إلا أن مخالفته لعمل اهل المدينة قد فتحت باباً جديداً في الجدل حول هذا الموضوع[١] فما ان انتقل مالك الى جوار ربه ، حتى سلت السيوف على آرائه ، فكان السابق الى هذه المعارك محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ، الذي أخذ الموطأ عن مالك بعدما تعلم على أبي حنيفة ، وكان في أول رجوعه من المدينة معجباً بمالك[٢] ولكن بعد توليته القضاء للرشيد

---

(١) انظر رسالة مالك الى الليث من هذا الجزء ورد الليث في اعلام الموقعين ج٣ ص٢٢٧ .

(٢) انظر ابن حجر تعجيل المنفعة ج ٢ ص ٣٦١ ابن أبي الوفاء ج ٢ ص ٤٢ وما بعدها وكذلك الانتقاء لابن عبد البر ص ٢٦ في الرد على مالك .

أخذ معوله ضد المالكية : وقد فتح الباب على مصراعيه للقول في مذهب مالك . ثم جاء دور الشافعي الذي كان تلميذاً لمالك وجاب الآفاق باحثاً عن تربة صالحة لمذهب جديد فسافر الى اليمن والعراق ومصر حيث استقر أخيراً ... وكان يعتبر في اول امره في عداد المالكية ولكنه سرعان ما وجد بعض أنصار الليث متعصبين على مالك ، فكتب هنالك رسالته التي طرق فيها نفس الموضوع الذي طرقه الليث ، اي إجماع اهل المدينة ، الذي هو احد الاسس المتينة لمذهب مالك[١] ، اخذ الشافعي هذا الموضوع وأنكر صحته ، كما حاول تفنيده بنفس الطرق المستعملة عند محمد بن الحسن ، والليث بن سعد ، ورد ردوداً على المالكية يستبعد ان تصدر من خصم فضلاً عن تلميذ لمالك .

استقبل أتباع مالك الشافعي لما نزل مصر وعدوه واحداً منهم حتى انه كان في ضيافة بني عبد الحكم . ولما رأوه قد تغير عليهم وجاءهم بالرأي كما يقولون . تغيروا عليه ... وكانت المعركة في الاول تتجاوز حد الكلام اللاذع أحياناً ، من ذلك ما رواه الكندي في قضاة مصر[٢] ان ابن وهب أحد كبار المالكية في مصر قال : سمعت ابن المنكدر يقول للشافعي : كان أمرنا واحداً ورأينا واحداً عندما جئنا الى هنا ، ففرقت بيننا ، فرق الله بين روحك وجسدك .

وتحرك اصحاب مالك للرد على الشافعي ، فكان أول من كتب في الرد عليه ، احمد بن مروان بن محمد المعروف بابي بكر المالكي المصري المتوفي سنة ٢٩٠ كتب كتاباً سماه فضائل مالك والرد على الشافعي[٣] كذلك إسماعيل بن إسحاق قاضي قضاة بغداد . كتب : الرد على الشافعي[٤] وتلميذه

---

(١) الرسالة ص ١٤٢ .
(٢) ط جوتهيل ص ١١٦ .
(٣) الديباج ٣٢ .
(٤) الديباج ٩٤ ، ٣٥٢ .

الأندلسي يحيي بن عمر الكناني دفين سوسه ، كتب : الرد على الشافعي[١] ومحمد بن سحنون أيضاً كتب كتاباً بنفس العنوان ، ومعه أبو عثمان سعيد الحداد ، الرد على الشافعي . وكتب ابن المواز الإسكندري كتاب : الرد على الشافعي وعلى أهل العراق . وتقدم كل هؤلاء محمد بن عبدالله ابن عبد الحكم بكتابه : الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة[٢] واشتدت الازمة بين أتباع الإمامين شرقاً وغرباً ، وكان العامل الاول بعد الشافعي في ايقاد النار هو احد تلامذة الشافعي نفسه ، وهو الربيع بن سليمان المرادي ، كاتب الأم وواضع الردود القارصة على المالكية[٣] ويصعب جداً أن تكون تلك الأقوال صادرة من الشافعي رضي الله عنه . وجاء في آخر هذا العصر ابن حزم الأندلسي ، الذي وان كان ظاهرياً إلا أن مذهبه ما هو إلا إغراق في الشافعية ، وجرد قلمه ولسانه على مالك كما جرده على أبي حنيفة ، وأخذ في ثلب المذهب وأتباعه لاسيما قاعدتهم الكبرى : العمل بعمل أهل المدينة ، فأخذ يعد مثالبها وأنها بلد أكابر المنافقين والكفرة الفجرة وأن لا فضل لها على اية مدينة اخرى من مدن الدنيا . ناسياً أو متناسياً الأحاديث الصحيحة الواردة في فضلها والايات القرانية الكريمة[٤] وتأزمت الحالة على المالكية بالمشرق ، وحتى نفي أحد أعلامها وهو القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي ، نفاه أبو حامد الإسفراييني الشافعي ، الذي قاومه كما قاوم بعنف كبير ، أبا بكر الباقلاني . وكان الفاطميون بمصر يشدون عليهم الخناق والموحدون ينظرون اليهم شزراً . فقام عياض بن موسى اليحصبي كرد فعل لكل هذا متحدياً بكتابه المدارك خصوم المالكية شرقاً وغرباً ... ويعتبر كتابه كما يقول أستاذنا (Brunshvig) بناية ضخمة

---

(١) الديباج ١٢٨ .
(٢) الديباج ٢٣٦ .
(٣) انظر الأم ج ٧ صفحات ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢١٤ ، ١٥ وهنا وهناك .
(٤) الاحكام لابن حزم ج ٣ ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ . وج ٧ ص ١٧٠ ، ٧١ .

أقيمت على شرف ومجد المالكية(١) في عصورها المختلفة .

يبتدىء المؤلف كتابه الضخم بعد المقدمة بإظهار فضل علم أهل المدينة وترجيحه على غيرهم ، بمنطق وحجج مع اطلاع واسع على الفقه والحديث واختلاف الناس ، مدافعاً عن نظرية المالكية في العمل بعمل أهل المدينة هذا الموضوع الذي أثار نقمة الخصم والجميع فيه إلب عليهم :

« اعلموا اكرمكم الله ، أن جميع أرباب المذاهب من الفقهاء والمتكلمين وأصحاب الأثر والنظر إلب واحد على أصحابنا ، على هذه المسألة مخطّئون لنا فيها بزعمهم محتجون علينا بما سنح لهم ، حتى تجاوز بعضهم حد التعصيب والتشنيع إلى الطعن في المدينة وعد مثالبها(٢) ، وهم يتكلمون في غير موضع خلاف . فمنهم من لم يتصور المسألة ولا تحقق مذهبنا فتكلموا فيها على تخمين وحدس ، ومنهم من أخذ الكلام فيها ممن لم يتحققه عنا ، ومنهم من أحالها وأضاف إلينا ما لا نقوله فيها ، كما فعل الصيرفي والمحاملي والغزالي ، فأوردوا عنا في المسألة ما لا نقوله ، واحتجوا علينا بما يحتج به على الطاعنين على الإجماع » .

ويأخذ عياض في الرد عليهم بمنطق أرسطاطاليس ، ضارباً في ذلك الأمثلة ، موضحاً رأي المالكية ومستنداتهم الشرعية ، وأن عمل أهل المدينة لم يعمل به مالك وحده ، بل عمل به الصحابة والتابعون وتابعوهم ، ومالك أحدهم . فهو في عمله هذا متبع لسنة مضت لا مبتدع في دين الله . ثم يأتي بما دار بين المالكية وبين خصومهم في هذا الموضوع لاسيا الشافعية ويرد على أقوالهم قولاً قولاً . ثم يأتي بباب في ترجيح مذهب مالك على المذاهب الأخرى مستعملاً الحجج المنطقية المسكتة كأن يقول :

« أبو حنيفة ترك نصوص الأصول وتمسك بالمعقول ، وآثر الرأي والقياس

---

(١) وما بعدها .Polemiques, autour du rite de Malik, in Revue al Andaluss pp. 377

(٢) يعني بذلك ابن حزم .

والإستحسان ثم قدم الإستحسان على القياس بأبعد ما شاء . وحدّ بعضهم استحسانه : إنه الميل الى القول بغير حجة ، وهذا هو الهوى المذموم والشهوة والحدث في الدين والبدعة .

وأما أحمد وداود فإنهما سلكا اتباع الاثار ونكبا عن طريق الإعتبار ، ولكن داود غلا في ذلك فترك القياس جملة ، فأحدث هو وأصحابه من القول بالظاهر ما خالف فيه أئمة الأمة فخانه التمسك برفع أدلة الشريعة ، وأعرض ما حضت عليه من الإجتهاد والإعتبار . وسمى ما لم يجد فيه نصاً ظاهراً ، عفواً . وأطلق على بعضه الإباحة ، واضطربت أقوال أصحابه في ذلك لضيق المسلك فيه فتهافت مذهبه ، واختل نظره ، وجـــاء من اتباع الظاهر بمقالات يمجّ الكثير منها السمع وينكره .

وقال احمد : الخبر الضعيف عندي ، خير من القياس . وبديهة العقل تنكر هذا . فلا خير في بناء على غير أساس » .

ثم شرع في سرد نقط الضعف في الفروع عند المذاهب الثلاثة ، جامعاً من كل مذهب أكثر مما جمع أحدهم على المالكية . وهو يقيم الحجة بهذا على وجوب تقليد مذهب مالك وتقديمه على غيره ، ولا يعتبر الشافعي من أئمة الفقه ، بل مالكياً مخالفاً لبعض أصول مذهب مالك لا عن دراية بل عناداً . ثم يشرع عياض في ترجمة الإمام مالك ، في نسبه وصباه وتعلمه وجلوسه للتدريس والفتوى ومأكله وملبسه ومجلسه ، والرواة عنه . ثم أتباعه مترجماً لهم واحداً واحـــداً ، وانتشار المذهب شرقاً وغرباً حتى في بعض أصقاع نائية انقرض اليوم منها ، ثم تأليف كل واحد وتلاميذه مع ما يمس من الحوادث بحياته . وبالجملة فكتاب المدارك ، لا يعتبر معجماً لأتبـــاع مالك فقط ، بل كتاب من أهم كتب تاريخ الحضارة الإسلامية .

الكتب التي اعتمد عليها القاضي :

تقدم عياضاً جماعة من العلماء ، كتبوا في فضل المدينة ، كأبي عبدالله التستري . وفضائل مالك لأبي الحسن بن فهر المصري . وفي طبقات فقهاء المالكية كمحمد بن حارث الخشني القيرواني[١] . ولابن حارث ايضاً كتاب : طبقات من روى عن مالك[٢] وكتب عبد الملك بن حبيب الاندلسي المتوفي سنة ٢٣٩ طبقات فقهاء المالكية[٣] ولعبدالله بن أبي دُليم القرطبي طبقات من روى عن مالك ولأبي العرب محمد بن احمد بن تميم المتوفى سنة ٣٣٣ طبقات علماء افريقيا[٤] .

وكتب ابو بكر عتيق بن خلف التجيبي القيرواني ، المتوفى سنة ٤٢٣ كتاب الطبقات .

والشيرازي العلامة المشهور المتوفى سنة ٤٧٦ كتاب طبقات الفقهاء[٥] ترجم فيه لفقهـــاء كثيرين على اختلاف مذاهبهم . وعياض كثير الاستشهاد برواياته . وكذلك ابن النديم ترجم لبعض فقهاء المالكية في الفهرست .

ولجماعة اخرى كثيرين ذكرهم القاضي في مقدمة الكتاب ممن كتبوا في هذا الموضوع كأبي محمد الحسن بن اسماعيل الضراب وأبي بكر الفريابي، وأبي بشر الدولابي ، وأبي الحسن بن المنتاب وأبي بكر المالكي صاحب رياض النفوس وغيرهم .

---

(١) طبقات علماء افريقيا الموجود بين ايدينا لا بد وأن يكون اختصاراً لطبقات فقهاء المالكية اذ كثيراً ما يذكر القاضي اخباراً لابن حارث ليست في المطبوع الذي بين أيدينا .

(٢) ديباج ٢٥٩ تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٠١ شجرة النور الزكية ٩٤٠ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٣٧ .

(٤) ديباج ٢٥٠ .

(٥) طبعة الأعظمي بغداد ١٣٦٠ .

وكتب قاضينا عياض ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك مستعيناً بالكتب المتقدمة كما يقول هو .

وكتب بعده متأثراً بطريقته يوسف بن عباد الأندلسي ، المتوفى سنة ٥٧٥ كتاب طبقات الفقهاء من زمن عبد البر سنة ٤٦٣ الى وقته .

ثم كتب ابن فرحون الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب (توفى ابن فرحون سنة ٧٩٩ وتبعه أحمد بابا التنبكتي فاختصر الديباج وذيله بدر الدين محمد القرافي) .

وكتب متأثراً بهؤلاء جميعاً وبآثارهم الباقية الشيخ مخلوف كتابه شجرة النور الزكية .

اختصارات المدارك :

من الذين اختصروا كتاب المدارك للقاضي عياض : احمد بن محمد بن علوان التونسي الأصل ، الشهير بالمصري المتوفى سنة ٧٨٧ بالإسكندرية . قال احمد بابا التنبكتي وقفت له على اختصار المدارك بخطه[١] .

وكذلك ابن حماد أو حمادة السبتي له مختصر المدارك ، وهو من أصحاب القاضي أو تلاميذه[٢] . وذكر الشيخ محمد ظافر في كتابه اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة (ص ٨) انه وقف على اختصار للمدارك ولم يسم صاحبه ، وقال انه يوجد في المكتبة الأزهرية ، والشائع أنه بدار

(١) نيل الابتهاج ص ٧٤ .
(٢) عن الدر النفيس في مناقب إدريس لأبي العباس الحلبي الفاسي ط حجرية فاس ١٢٩٨ ص ١٦ .

العلوم . ويعتبر الديباج اختصاراً للمدارك ، اذ كثيراً ما يأتي بأقوال القاضي بحذافيرها وان كان قد زاد بعض تراجم الفقهاء الذين جاءوا بعد عياض . ويخيل لي أحياناً انه لم ير المدارك ولكنه اعتمد على بعض مختصراتها ، اذ لم يترجم لفقهاء كثيرين ترجم لهم عياض . ولابن رشيق المصري اختصار المدارك . ذكره الشيخ الظافر المتقدم . والشيخ محمد بن مخلوف قاضي المنستير في المتأخرين يعتبر كتابه شجرة النور الزكية اختصاراً للمدارك من ناحية ، ومن أخرى زيادات واستدراكات عليها ، اذ ترجم لكثير من المتأخرين والمعاصرين من فقهاء المالكية واعتنى خاصة بتراجم تونسية من أصحاب المذهب المالكي . ولم يقيض القدر للمدارك أن تطبع على قيمتها العلمية ، اللهم إلا ما قام به المرحوم الشيخ ابن أبي شنب من إلفات نظر الناس الى هذا الكتاب القيم ، إذ نشر منه المقدمة مع تجريد للمواضيع التي يضمها الجزء الأول منه[١] مثل : باب ما ورد من الاثر في فضل المدينة ، باب الاثار في اختصاص المدينة بفضل العلم والإيمان والسنة والقرآن ، باب فضل علم أهل المدينة وترجيحه على علم غيرهم واقتداء السلف الخ ... ثم يشرع في ذكر الطبقات من المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي الى عجنس بن أسباط . عن نسخة تونسية مؤرخة بعام ثمانين وتسعمائة الموافق لاثنين وستين وستمائة والف . ناسخها علي بن علي الجبي الأندلسي الأصل التونسي المنشأ . وكذلك ما نشره أستاذنا (Brunshvig) استاذ الحضارة الإسلامية بالسوربون . في مجلة الأندلس مع دراسة مفيدة للكتاب واراء القاضي عياض في دفاعه عن المالكية ونشر بابين من مقدمة الكتاب في فضل المدينة ، وعلم أهل المدينة . كما تقدم .

(١) بمكتبة استاذنا الكبير حسن حسني عبد الوهاب in Centenario di Amari, T, T, p. 24 L. Palermo 1910.

النسخ التي اعتمدناها في نشر هذا النص :

– نسخة شيخ الإسلام العلامة محمد الطاهر بن عاشور مؤرخة سنة ١٢٣٠ – ١٨١٥ بخط الباش كاتب للحكومة التونسية إذ ّاك الحاج محمد بن احمد الأصرم . تبتدىء من الديباجة وتنتهي بترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه . وهي نسخة جميلة الخط والورق واضحة قليلة الأخطاء في اربعة اجزاء . وهي النسخة الفريدة الكاملة إذ كلُّ النسخ الأخرى ينقصها جزء او جزءان وقد اعتمدناها أصلًا لنشرتنا هذه . ويبدو أن نسخة الكتانية وهي الثانية التي قابل عليها الأستاذ (Brunshvig) النص المنشور بمجلة الأندلس مأخوذة عن أصل واحد ونسخة آل عاشور ، إن لم تكن مأخوذة عنها ، وهي مؤرخة كما قال الأستاذ بسنة ١٢٣٧ – ٢٢ – ١٨٢١ حجمها ١٨/٢١ أشرنا إليها بالأصل ، وأحياناً . ب : ع.

– نسخة ثانية وقف على المكتبة الصادقية . توجد بقسم المخطوطات بالجامعة التونسية رقمها ٥١٣٢ في ثلاثة أجزاء ينقصها الثاني . أي أن الأجزاء الموجودة هي : الاول والثالث والرابع تبتدىء من الديباجة وتنتهي بترجمة يحيي بن بكير – حجمها ١٧/٢٠ أوراقها ١٥٥ ورقة . سطورها ٢٣ – كتبت بخط تونسي واضح جميل ، في اخرها كتبها حموده بن احمد الطرابلسي سنة ١٢٥٥ هـ تختلف قليلًا عن الأصل ، وتسقط منها بعض الجمل أو الكلمات احياناً وما ذلك الا من سهو الناسخ كما يبدو . وقد أشرنا إليها . ب : ص.

– نسخة ثالثة في جزأين ليس منها الا جزء واحد بمكتبة الجامعة التونسية أيضاً ، وهي من مكتبة المرحوم بلحسن النجار – تبتدىء من الديباجة وتنتهي بترجمة عون بن يوسف الخزاعي ابو محمد من أهل القيروان – ليس عليها تاريخ الا انها تبدو من القرن الثاني عشر . رقمها بمخطوطات الجامعة ١٠٤٥٢ بخط تونسي اوراقها ١٥٣ سطورها ٣٠ حجمها ٢٢/٢٩ – رغم

وضوح وجمال خطها كثيرة الأغلاط والسقط ، فلم نعتمد عليها كثيراً ورمزنا اليها بحرف . ن.

– نسخة رابعة – بكلية الشريعة في جزأين كاملة بخط حموده بن احمد الطرابلسي ناسخ ص. بحيث تكون معاصرة لها ، لا تاريخ بها ، تبتدىء من الديباجة وتنتهي بترجمة عون بن يوسف الخزاعي . وهي أثبت النسخ بعد الاصل . حجمها ١٨/١٧ تتراوح سطورها بين ٢١ و٢٣ . هذا وسنكون مجبورين الى وصف النسخ التي سنعتمدها في نشر الكتاب كاملًا كل ما نشرنا جزءاً من أجزائه نظراً الى أن النسخ ليست كلها كاملة ... الف عياض كتابه المدارك وجعله في اثني عشر جزءاً ، وأكثر النسخ الكاملة هي : إما في اربعة اجزاء او في جزأين . ونحن نتوخى التقسيم الأوسط اي جعل الكتاب في اجزاء أربعة ، كما أن فهارس الأعلام ستكون في الجزء الأخير ان لم نجعل لها جزءاً مستقلًا .

ونلاحظ إلى أن الأجزاء التي استعملناها في هذا الجزء الأول ليس بينها كبير اختلاف بخلاف الجزء الثاني والثالث فالاختلاف أكثر . مما يدل على أن عناية الناس والوراقين قديماً كانت ترتكز على الجزء الاول وعلى دفاع القاضي عن المذهب واظهار خاصيته وميزته بين المذاهب ، والتي هي في هذا الجزء ، فكثيراً ما تختلف الخطوط في الاجزاء الثانية والثالثة والاخيرة في النسخ التي بين ايدينا ما عدا نسخة الأصل .

وختاماً اشكر من تفضل بمساعدتي على نشر هذا الكتاب القيم من اصدقائي وأساتذتي لاسيما صاحب الفضيلة الاستاذ محمد الفاضل ابن عاشور عميد كلية الشريعة وأصول الدين ، والاستاذ العلامة محمد العربي الماجري والاستاذ الكبير حسن حسني عبد الوهاب، وصديقي الفاضل الاستاذ أبا القاسم محمد كرو ، وتلاميذي الذين تكبدوا عناء النسخ الشاق . كما أشكر لـ « دار مكتبة الحياة ، ببيروت » اعتناءها بنشره وإخراجه في ثوبه الجميل .

والله أسأل أن ينفع به ويرحم مؤلفه ، والحمد لله اولاً وآخراً وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى .

تونس ، في ذي الحجة الحرام ١٣٨٤
اڤريل ١٩٦٥

احمد بكير محمود

مراجع ومصادر

استعملت في المقدمة عدا ما ذكر اثناء البحث

عربية :

ابو العرب : محمد بن احمد بن تميم .
طبقات علماء افريقية – ط – بن الشنب .
ابن خلدون : عبد الرحمان – المقدمة – ط – القاهرة ، بدون تاريخ .
حسن حسني عبد الوهاب :
الامام المازري – ط – تونس ، بدون تاريخ .
حسن حسني عبد الوهاب :
خلاصة تاريخ تونس – تونس ١٣٤٤ .
حسين مؤنس – مقدمة الرياض .
عبد الحي الكتاني – فهرس الفهارس والأعلام .
الخولي : أمين .
مالك بن أنس ٣ اجزاء .
القاهرة ١٣٧٠ – ١٩٥٣ .
سركيس : معجم المطبوعات .
السلاوي : احمد بن خالد .
الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى .
القاهرة ١٣١٠ .
المقري : ازهار الرياض في اخبار عياض ، الاجزاء الثلاثة .

ابن النديم : كتاب الفهرست . ط – لايبزيج ١٨٨١ .
المالكي : ابو بكر .
رياض النفوس – ط – القاهرة ١٩٥١ ج ١ .
الدباغ عبد الرحمن بن محمد الانصاري :
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان – ط – تونس ١٣٢٢ .
النووي : ابو زكريا محي الدين بن شرف – كتاب تهذيب الاسماء واللغات
ط – القاهرة المنيرية .
روزنتال فرانز : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي .
ترجمة انيس فريحة وعرفات .
بيروت ١٩٦١ .
ياغي : عبد الرحمن .
حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها . بيروت ١٩٦١ .

مراجع افرنجية :

Ahmed Bekir.
Histoire de l'École Mâlikite jusqu'à la fin du Moyen âge. Tunis 1962.
Brunshvig Robert.
La Berberie Orientale sous les Hafsides. Paris 1940 - 7 - 2 vol.
Laoust Henri.
Contribution à une étude de la Méthodologie canonique de Taquî àd-Dîn, i, Taymiya, Caire, 1939, I.F.A.O.
Le Tourneau Roger.
La Révolte d'Abrè Yazîd au Xe S. in cahiers de Tunisie, Tunis, 1953, 2e T.
H. R. Idris.
Diffusion de l'Ascarisme en Ifriqiya, in cahiers de Tunisie.
Brockelman Karl, G. A. L.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسبغ على عباده بفضله نعماً لا تحصى ، وقدّر على ما شاء بعدله أن يطاع ويعصى ، وعين بين أهل الجنة والنار بقضيتي القضاء ، وميز في ظهر آدم بين طائفتي السعادة والشقاء ، ثم انتقى منهم ليتمم عدله خواص[١] وأصفياء ، وجعل فيهم رسلاً وأنبياء ، ليوضّح بهم لمن أراد هداية منهاجه ، ويقيم على من صدّ عنه وصرف عن آياته حِجاجه ، فبذلوا في ذاته جدهم ، ونصحوا العباد جهدهم ، الى أن اختار الله (تعالى)[٢] لهم ما عنده وقضى كلّ واحد منهم ما كتب له من أثر ومدة ، عليهم من صلوات الله ما لا يحيط به حصر ولا عِدّة ، ثم تمّم الله على المؤمنين بفضله[٣] ؛ وختم أنبياءه ورسله ؛ بأرجحهم ميزاناً ، وأرفعهم مكاناً ، وأكرمهم أخلاقاً ، وأطيبهم اعراقاً ، وأطولهم في الفضائل باعاً ، وأكثرهم أمّةً وأتباعاً ، أبي القاسم ، سيد ولد آدم ، صلى (الله)[٤] عليه وسلم ، كما شرف وكرم ، فجاهد في الله حق

---

(١) في – ع – خواص وفي – ص – خواصاً وليس صواباً لأن « خواص » ممنوع من الصرف اذ هو على صيغة منتهى الجموع .

(٢) ساقطة من ص. و. ن.

(٣) هكذا في النسخة والأظهر انها فضله (بدون باء) كما يقتضيه قانون السجع وفي – ر – بفضله لا تستقيم السجعة .

(٤) زيادة من – ر –

جهاده ؛ وزايل الجلايل الصعبة في إرشاد عباده ، حتى أقامهم على سواء محجته ، وأخذهم طوعاً وكرهاً ببالغ حجته ، وساقهم في السلاسل الى جنته ، ودخلوا في دين الله أفواجاً بدعوته، فأنجز الله به وعده، وعُبد تعالى وحده، وخصه بخير أمّةٍ أخرجت للناس ؛ وآزروه[١] في إقامة شرعه في حياته ، وخلفوه في حياطته[٢] وحمايته[٣] بعد وفاته، نص في غير موطن على تفضيلهم، وأمر بالاقتداء بهم ، وتوعد على اتباع غير سبيلهم ، بوّأهم دارَ وَحيه ، ومأوى دينه ، ومتبوى[٤] شرعه ، ومهبط ملائكته ، ومهاجَر نبيه ، ومنزِل كتابه ، ومختتم مثوى[٥] رسله ؛ ومجثم الخير كله ، كهف الإيمان والحكمة ، ومعدن الشريعة والسنة ، وسراج الهدى الذي بنوره ضاء أقطار المشارق والمغارب ، وينبوع العلم الذي استمدت منه سائر الأودية والمذائب[٦] ثم خلفهم[٧] في كل قرن باتباع صدق وعدل، واخلاف هدى وفضل، واكناف معرفة وعلم ، ومعادن خير وحلم ، اختار منهم أئمة المسلمين ، ونصب منهم أعلاماً للدنيا والدين ، فبينوا للناس ما نزل اليهم ، وشرحوا لهم ما أشكل عليهم ، وانقادوا لما ثبت من السنن لديهم ، واعتبروا باستنباطهم ، وصحيح اجتهادهم ، حكم ما لم ينص على عينه ، وقاسوا ـ بما فهموا من الشرع ـ حكمه في غيره، ولم يزيغوا عن سنن التحقيق، ولا أخذوا بُنَيّاتِ الطريق،

---

(١) هكذا في النسخة والأصلح سقوط الهمزة ليكون الفعل وازر مسنداً الى ضمير الغائبين جملة وصفة لكلمة أمة .

(٢ ـ ٣) الضمير في حياطته وحمايته يعود على كلمة شرعه في الفقرة السابقة .

(٤) هكذا في الأصل والأصوب أن تكتب بهمزة على ألف كما في ـ ن ـ .

(٥) في ـ ص ـ ومثوى مختتم رسله وهو الصواب .

(٦) في ـ ع ـ والنسخ الاخرى مذايب . وفي ـ ر ـ مزائب .

(٧) في ـ ع ـ خافهم وفي ـ ر ـ خلفهم وهو أوضح وعليه كل النسخ التي بأيدينا ما عدا الاصل .

ولا حكّموا الآراء المضلة في الدين ، ولا انهملوا انهمال الملحدين ، ولا تنطّعوا تنطع المعتدين، بل تبعوا آثار من مضى قبلهم ، واقتفَوْا في التمسك بأصول الشريعة سبلهم ، ولم يضرهم خلاف من خالفهم من الفرق ، ولا شَغَبُ من لجّ[1] في هواه ومرق ، فالموفق من اقتفى آثارهم ، وغاير شرود من شرد واتباعَهم ، وعَلِم أن الحق مع هذا النّمط الذي هدى الله واقتدى بهداه[2] ، ولم يعرج على ناعق نعق وان اختدع العقول بلهجة صداه ، جعلنا الله ممن اتبع فعَلِم ، واقتفى ما مرّ عليه السواد الأعظم .

وبعد فلما تكررت رغبات الأصحاب، شملنا الله وإياهم بسعادته، لامضاء ما كانت النية اعتقدته ، وتبييض ما غدت الهمة قد سودته : من كتاب حاو لأسماء أعيان المالكية وأعلامهم ، وتبيين طبقاتهم وأزمانهم ، وجمع عيون فضائلهم وآثارهم ، ونظم نثر[3] فنون سيرهم وأخبارهم، تشمَل منفعته، وتجمُل معرفته، وتُستغرب فوائده ، وتُستعذب مصادره وموارده، إذ هو فنّ لم يتقدم فيه تأليف جامع ، ولا اختص به تصنيف رائع ، يوصل الطالب[4] الى الغرض ، ويقف بالراغب على البغية[5] ؛ مع شدة حاجة المجتهد[6] والمقلد اليه ، وضرورة الفقيه والمتفقه الى ما ينطوي عليه ، الا ما جمعه عبدالله بن محمد بن أبي دليم القرطبي[7] ، من ذلك ، ومحمد بن حارث القروي[8] ، مع

---

(١) في – ر – سبح ، عوض لجّ . والتصحيح من – ع و ص – وفي – ن – نحّ .
(٢) يعود على النمط .
(٣) في – ر – لا وجود لها وفي – ص – نشر .
(٤) في النسخة الطلب والصواب . الطالب كما في – ن .
(٥) في – ر – على البقية ولا معنى لها . وهي في – ص و ن والأصل – البغية .
(٦) في – ر – مع شدة حاجة المحتاج والأصوب ما أثبتناه من – ع – لمقابلة المجتهد بالمقلد وهي كذلك في – ص .
(٧) توفى سنة ٣٥١ هـ – ٩٦٢ م . انظر عنه الديباج ١٤٠ .
(٨) ترجمته في الديباج ٢٥٩ .

تقدم زمنها؛ وما اقتضبه الشيخ أبو اسحاق الفيروزابادي في موضع ذكرهم[١] من مختصره؛ وكل الكتب فما شفت غليلاً، ولا تضمنت من الكثير الا قليلاً، على أن ابن أبي دليم اتسع اتساعاً حسناً، فيمن ذكره من المغاربة، من أتباع رواة مالك: من المصريين والاندلسيين، وطائفة من القرويين، واقتصر على ذكر طبقاتهم[٢]، دون شيء من أخبارهم، وبيان أحوالهم، ولم يُجْرِ لأحد من الحجازيين والمشرقيين ذكراً؛ على جلالة مكانهم، وكثرة أعلامهم، قال القاضي: ولم أزل، منذ سمت همتي لمعرفة هذا الفن، وتحركت نيتي[٣] للاطلاع عليه، أستقرىء سبل مسالكه، وأفحص عن وجوه مداركه وأقيد أثناء مطالعتي شوارده، وأُجَوِّد، مدة بحثي، جوائدَه، الى أن اجتمع لي من ذلك، بعد طول المباحثة الشديدة، والعناية التامة، والمطالعة المتواترة، ما وجدته بُغْيَةً وغُنْيَة، وبُسط[٤] لي في تحريره أملاً[٥] ونية، ولم ألقَ أحداً ممن يُعتنى بقوله، ويُلتفَت الى حسن رأيه، ممن وقف على نبذ من أمره[٦]، وانتهى اليه رشٌّ من ذكره[٦]، إلا[٦] قلقاً الى تمامه[٧]، شديد التعطش الى كماله[٧]، محرِّضاً على صرف العناية الى تحريره[٧] وتهذيبه[٧]، راغباً في تقريب الفائدة بنظمه[٧] وتبويبه[٧]، والنفس تَمْطُل بذلك وتسوِّف، وتَوالي القواطِع والشواغِل تَصْدِف[٨] عن ذلك وتَصرِف[٨] الى أن

(١) في النسخ الثلاثة ذكره والأظهر ما أثبتناه من – ن .
(٢) ن. تطبيقهم وهو خطأ .
(٣) ن. بنيتي .
(٤) معطوف على صدر الفقرة المتقدمة : قوله اجتمع لي .
(٥) كذا في الشرح والأظهر انها بالرفع نائب فاعل لبسط .
(٦) استثناء من قوله لم ألقِ أحداً .
(٧) هذه الضمائر كلها تعود الى المتحدث عنه في قوله ما وجدته... وبسط لي في تحريره الخ يعني التغييرات التي أعدها .
(٨) الصواب بالياء لأنها راجعة الى توالي .

انبعثت الآن عزمة مصممة للتفرغ، وترتيب مضمنه[١] وتصنيفه[١] . فاستخرت الله تعالى على ذلك، واستعنته، جل اسمه، لتوطئة هذه المسالك، وجمعت قراطيس فقبضتها[٢]، عما استودعتها، وطالعت تآليفي فوقفت على خفي أسرارها، واستثبتُّ[٣] محفوظاتي فأنجدتني اذّكارها، فنظمت منثورها[٤]، وفصلت شذورها[٥]، ورتبت أعجازها وصدورها، وأبرزت تأليفاً مفرداً في مضمونه، بالغاً فيما قُصِر عليه من أنواع هذا العلم وفنونه، واقتضى النظر بين يدي الغرض تقديم مقدمات تمس الحاجة اليها، وتتمم الفائدة بالوقوف عليها، تشتمل على أبواب في ذكر المدينة وفضائلها، وتقديم علمائها وعملها، ووجوب الحجة باجماع أهلها، وترجيح مذهب مالك بن أنس، امامها، وتقصيت هذه الأبواب تقصياً يشفي الغليل، ونعمتها[٦] نظراً يقف بالمنصب على سواء السبيل، ثم قفيته باقتداء الأئمة وثناء العلماء عليه، ونشر فضائله وما أضيف من السر اليه، الى سائر ما يُحتاج اليه، من معرفة تاريخه ونسبه، ويتطلع اليه من مجاري أحواله في معاشرته وأدبه، واستوعبت[٧] في هذه الجملة باختصار فنونها، والاقتصار على عيونها، ما طالت به تواليف جمة، وشحنت به مجلدات عدة . إذ ألّفَ فضائلَ مالك وأخبارَه جماعةٌ من الأئمة[٨]، والسلف والخلف من فرق هذه الأمة، فمن ألف في ذلك

(١) اي ترتيب مضمن ما كان جمعه وتصنيف ذلك المضمن .
(٢) في – ر – بيّضتها .. وهي أحسن وفي – ن – فنظّمتها .
(٣) في – ر – استثنيت .
(٤) في – ر – منشورها .
(٥) في النسخة بالدال المهملة والصواب بالذال المعجمة وفي – ن – شرورها وهو خطأ من الناسخ .
(٦) في – ر – وأنعمتها وكذلك في – ن .
(٧) في – ر – واستوعبتها مفعول استوعبت ما في قوله ما طالت .
(٨) في – ر – أمة ، عوض أئمة .

وأطال القاضي أبو عبدالله التستري[١] المالكي له في ذلك ثلاث مجلدات ومثل ذلك لأبي الحسن بن فهر المصري[٢] ولأبي محمد الحسن بن اسماعيل الضراب[٣] وألف في ذلك القاضي أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي[٤]، وأبو بشر الدولابي[٥]، وأبو العرب التميمي[٦] ، والقاضي أبو الحسن بن المنتاب[٧] وابو علاثة محمد بن أبي غسان[٨] وأبو اسحاق بن شعبان[٩] والزبير بن بكار القاضي الزبيري[١٠] ، وأبو بكر محمد بن محمد اليقطيني ، وأبو نصر بن الحباب الحافظ[١١]، وأبو بكر ابن أبي دراوية الدمشقي، والقاضي أبو عبدالله البرنكاني[١٢] وأبو محمد الجارود[١٣]، والحسن بن عبيدالله الزبيري، وأحمد بن مروان المالكي[١٤]، والقاضي أبو الفضل القشيدي ، وأبو عمر المقاصي ، وأحمد بن رشد بن جعفر ، وأبو بكر محمد بن

---

(١) محمد بن أحمد أبو عبدالله التستري ، كتابه فضائل المدينة . عن الديباج ٢٤٧ .

(٢) كتابه فضائل مالك . ديباج ٢٠٢ ترجمته في الفهرست – ط – الرحمانية ص ٢٦٣ وشذرات الذهب ج ٢ – ٢٤٧ .

(٣) شذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٠ .

(٤) نسبة الى فرياب – من ضواحي بلخ – انظر عنه ، تذكرة الحفاظ ، ج ٢،٣٦٢ – خطيب ج ١٩٩،٧ – ديباج ١٠٢ .

(٥) محمد بن أحمد بن حماد ... أبو بشر . ابن كثير ، البداية ج ١٤٥،١١ ، اللباب لابن الأثير ج ٤٣١،١ ، وفيات ج ٦٤٢،١ ، شذرات ٢٧٨،٢٦٠ – G. A. L. S,١ .

(٦) توفى سنة ٣٣٣ هـ – ٩٤٥ م ، أعلام الزركلي ٨٤٦ .

(٧) ستأتي ترجمته في ج ٣ من المدارك .

(٨) لم نعثر له على ترجمة ، إلا أن ابن عساكر ذكر أنه أحد من يروي عنهم الدارقطني تاريخ دمشق ج ٧ ص ٦

(٩) ديباج ٢٤٨ .

(١٠) تذكرة الحفاظ ج ٢ – ٩٩ والمالكية بالمشرق للناشر بالفرنسية ٧٨ .

(١١) توفى سنة ٣٣٥ – شجرة النوت .

(١٢) ديباج ٢٤٢ .

(١٣) أعلام الزركلي ١٤١١٦ .

(١٤) ديباج ٣٢،٣ .

صالح الأبهري(١) ، وأبو بكر بن اللباد(٢) ، وأبو محمد عبدالله بن أبي زيد ، وأبو عمر بن عبد البر الحافظ(٣) والقاضي أبو محمد بن نصر ، وأبو عبدالله الحاكم النيسابوري(٤) ، وأبو ذر الهروي(٥) وأبو عمر الطلمنكي ، وأبو عمر بن حزم الصدفي ، وابن الامام التطيلي ، وابن الحارث القروي ، وابن حبيب ، والقاضي أبو الوليد الباجي ، وابو مروان بن الاصبغ القرشي النقيب .

وأكثر تعويلي فعلى كتابي التستري والضراب وتتبعت من غيرهما ما فيه زيادة فائدة أو نادرة لم تقع فيهما، وحذفت كثيراً مما أطالوا به من كلامه في التفسير والجوامع والرجال ، اذ ليس من الغرض وله مظان أخر هي به أليق ، ثم أثبت بعد ذلك جريدة في أسماء مشاهير الرواة عن مالك وحملة الفقه والعلم عنه ، مختصة بالتعريف بهم معدّات من تواريخهم وأخبارهم اذ قد اتسعنا في اخبار الفقهاء منهم بعد هذا ، ومن عداهم فليس من غرضنا ذكرهم، ولم أقصد في هذه الورقات لاستيعاب كلّ من ذكرت له عنه رواية أو مجالسة أو سؤال اذ قد أودعنا ذلك كتاباً آخر في جمهرة رواة مالك انطوى على أزيد من ألف وثلاثمائة راو تقصّيتها من الكتب المؤلفة في ذلك اذ أُلفت في ذلك كتباً عدة ككتاب أبي الحسن الدّارقطني الحافظ، وكتاب اسماعيل الضراب المصري، وأبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، وأبي اسحاق بن شعبان القرطبي، وأبي الحسن بن أبي عمر البلخي، وأبي عبدالله بن حارث القروي، وأبي نعيم الأصبهاني . ومنهم من بلغ الألف ومنهم من قصر

---

(١) ابن حزم ، الجمهرة ٢٠٦ ، ديباج ٢٢٥ ، المالكية بالمشرق ١١٢ .
(٢) ديباج ٢٥٠ .
(٣) I. G, A, L — ٣٦٧ — ٨ .
(٤) محمد بن عبدالله النيسابوري ، تذكرة الحفاظ ج ٣—٢٢٧، طبقات الشافعية ٣—٦٤
(٥) ديباج ١٩٩ .

دونها . ومن الأندلسيين أبو عبدالله محمد بن مفرج ، وعبدالله بن أبي دليم وهما أقل عدداً وأبو محمد عبد الرحمان بن محمد البكري وفي كلّ واحدٍ من هذه الكتب ما لم يذكر الآخر ، فتتبّعت ذلك جهدي وأضفت اليه ما شذ عنها وندر ، فيما طالعته من كتب أهل الحديث وغيرهم .

اقتصرنا في هذه الورقات على ذكر ألف اسم ممن عرف اسمه وصحت روايته وشهرت صحبته، ورأينا أن لا نخلي هذا الديوان من هذا القدر لتتم به فوائده وتكمل في فنه معارفه .

وبعد هذا ، اطردت أغراض التأليف واتسقت طبقات التصنيف ، فابتدأنا بذكر الفقهاء من أصحابه خاصة ، ثم باتباعهم طبقة طبقة واخلافهم أمة بعد أمة ، إلى شيوخنا الذين أدركناهم وأئمة زمننا الذين عاصرناهم ممن شهرت إمامته، وعرفت معرفته، أو ظهرت تواليفه[١] ونقلت أقواله وامتثلت فتاويه وآراؤه ، على حسب تقدم أزمانهم وتعاقب أوقاتهم ، فأنبأنا بأسمائهم وأعربنا عن ألقابهم وأنسابهم وقيدنا مهملها لئلا يقع فيها تصحيف ، وأزحنا علة مشكلها ليأمن من أطلع عليها من التحريف . فقد قال أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالله النجرسي : أولى الأشياء بالضبط أسماء الناس . لأنه لا يداخله قياس لا قبله ولا بعده شيء يدل عليه ، وقال علي بن المديني : أشد التصحيف التصحيف في أسماء الرجال . وقد قال ابن جريج طلبت اسم جندع بن ضمرة ثماني سنين حتى عرفته وكثيراً ما شاهدت وسمعت في بعضها من التصحيف الشنيع ما يقبح ذكره ويشهد على الجاهل بها نقصه ، وقد غلب على ألسنة الفقهاء أحمد بن ميسَرة بكسر السين وصوابه بفتحها . كذا قيده

(١) في – ر – تآليفه .

عبد الغني وغيره . وكذلك أحمد بن المعذل[١] كثير من يقوله بدال مهملة وصوابه بمعجمة ، ومن ذكر الشيخ أبو اسحاق الشيرازي في رواة سحنون من الأندلسيين : ابراهيم بن محمد بن زيان ولا يعرف ذلك في الأندلس وقد رده عليه أهل الصنعة ، والأشبه أنه ابن بَلِز وهو من جلة[٢] تلك الطبقة وكذلك صنع في أسماء كثيرة منهم في أنسابهم وذكرهم في غير طبقاتهم فأما تمييز المشتبه منها فمما لا يقف عليه إلا النحرير ، ولا يعرفه إلا الفطن بهذا الباب البصير .

ولقد بعث لسحنون[٣] في محمد بن رزين وقد بلغه أنه يروي عن عبدالله ابن نافع فقال له أنت سمعت ابن نافع ؟ فقال : أصلحك الله انما هو الزبيري وليس بالصائغ . فقال له : ولم دلست ؟ ثم قال سحنون : ماذا يخرج بعدي من العقارب . فقد رأى سحنون وجوب بيانها ، وان كانا ثقتين إمامين . حتى لا تختلط رواياتهما وأقوالها فان الصائغ أكبر وأقدم وأثبت في مالك ، لطول صحبته له . وهو الذي خلفه في مجلسه بعد ابن كنانة ، وهو الذي يحكي عنه سحنون ويحيي بن يحيي[٤] ويرويان عنه ولم يسمع سحنون منه سماعاً وإنمـــا سمعه من أشهب كما نذكره بعد ، ووفاته سنة ست وثمانين ومائة . والزبيري من متأخري أصحاب مالك وهو شيخ ابن حبيب وسعيد بن حسان ووفاته سنـة ست عشرة ومائتين وكثيراً ما تختلط رواياتهم عند الفقهاء ، حتى لا علم عند أكثرهم بأنهما رجلان ، وربما جاءت رواية أحدهما مخالفة

---

(١) أحمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم البصري ترجمته في الفهرست ط ، لايبزيج ١٩٩ ، والديباج ٣٠ وابن حزم ، الاحكام ج ٥ — ٨٩ .

(٢) — ر — أجلّة .

(٣) بالنسخ ولقد بعث سحنون . وفي — ر — لسحنون .

(٤) الليثي المصمودي صاحب الرواية المشهورة للموطأ .

لرواية الآخر ، فيقولون في ذلك اختلاف من رواية ابن نافع عن مالك وقد وهم فيهما عظيم من شيوخ الأندلسيين بعد أن فرق بينهما ، لكنه زعم أن صاحب السماع هو الزبيري وأنه المذكور في العتبية ، ومثل ذلك علي ابن زياد التونسي وعلي بن زياد الاسكندراني كلاهما من أصحاب مالك فاضل مشهور . فالأول الفقيه شيخ سحنون وغيره ، والآخر صالح يعرف بالمحتسب . وقد جرى ذكر ابن زياد مرة بحضرة من يفهم هذا الباب ، فلم يكن عنده شك أن الفقيه المذكور اسكندراني فقلت له هما اثنان وأوقفته على من قال ذلك بمعرفة ، هذا مما يضطر اليه ، لا سيما إذا كان بينهما فرق في العلم ومزية في العدالة والفضل . ثم ذكرنا من مولدهم ووفاتهم وذكر مشايخهم ورواتهم وتصنيف أزمانهم وطبقاتهم ما انتهى الينا علمه ، وصح عندنا نقله ، لتعرف بذلك أوقاتهم وليتبين[1] في التقدم والتأخر درجاتهم ، ويتميز بذلك المتصل من المنقطع من رواياتهم . وكثيراً ما يخلط الفقهاء هذا الباب ، وربما حكوا الرواية وأسندوها عن المتقدم عن المتأخر اذا اشتبهت عليهم طبقاتهم ولم تتميز لهم أوقاتهم وقد شاهدت معظماً منهم ذكر عن ابن حارث الفقيه مسألة ، قال فيها ابن حارث : وقد شاهدت احمد بن نصر يفتي بذلك . فحمل هذا الشيخ انه ابن نصر الداودي المتأخر وطبقته بعد ابن حارث توفى ابن حارث سنة اثنين وستين وثلاثماية ، وتوفى الداودي سنة اثنين وأربعماية . وإنما أراد ابن حارث احمد بن نصر بن زياد الهواري من أصحاب ابن سحنون، وابن عبدوس كاتب القاضي همام ووفاته سنة سبع عشرة وثلاثماية . فلو عرف الشيخ، والله أعلم، أنهما اثنان وميز طبقتهما لما سقط[2] هذا السقوط ولعدم

---

(١) وليستبين في – ص – وأظنها أولى .
(٢) في – ع – أسقط والتصحيح من – ص .

المعرفة بهذا وهم جماعة فعدوا في الرواة عن مالك وأصحابه من لا تصح عنه رواية ولا جمعه معه[1] زمن والله أعلم . فلقد ذكر الشيخ أبو اسحاق الشيرازي أن أبا يحيي الوقار ممن سمع من مالك ، وعده في طبقة أصحابه ولم يذكر هذا أحد ممن جمع رواة مالك وإنما عدوه في أتباع أصحابه وهو الصحيح والله أعلم . وكذلك ذكر أبو اسحاق في اتباع أصحابه من بعد ، على ما ذكر يحيي في أصحابه . وكذلك ذكر أبو اسحاق ابن شعبان ابراهيم بن محمد بن باز الأندلسي في رواة مالك، وهو من أصحاب سحنون مولده بعد وفاة مالك بمدة وتوفى سنة أربع وسبعين ومايتين وكذلك ذكر أبو بكر الخطيب، على تقدمه وحفظه، عبد الملك بن حبيب في الرواة عن مالك وأدخل له حديثاً عن المغيرة عنه ، وهو غلط عظيم ، لا سيا من مثله . وعبد الملك ابن حبيب إنما رحل سنة ثمان ومايتين بعد موت مالك بنحو ثلاثين سنة وإنما ولد بعد موت مالك بسنتين على ما تراه في أخباره إن شاء الله تعالى . وكذلك ما ذكره الشيرازي أيضاً أن عبد الملك بن حبيب تفقه أولاً بيحيي وعيسى وحسين بن عاصم هو وَهْم . هؤلاء نظراؤه، وإنما تفقه أولاً بشيوخ هؤلاء بالأندلس زياد وصعصعة والغازي بن قيس ونظرائهم ، وكذلك ذكره عبدالله بن غافق في طبقة سحنون ، وزعم أنه سمع من علي بن زياد باطل ، هو من أصحاب سحنون وليس من ذوي الأسنان منهم ، ومولده بعد موت علي بن زياد بأزيد من عشرين سنة كما سنذكره ، وكذلك ذكر الرازي في استيعابه وأحمد بن عبد البر أن عيسى بن دينار سمع من مالك ورحل مع زياد وأقام بعده ، وهذا كله وَهْم . وسنبين ذلك كله في مكانه إن شاء الله تعالى مع أمثاله . ثم ذكرنا بعد هذا من فضائلهم ومناقبهم وثناء

---

(١) الزيادة من — ر .

الأجلاء عليهم وتوثيق المزكي ومنازلهم من الذكاء والعدالة ومراتبهم في العلم والرواية ومن تكلم فيه منهم على قلتهم أو عد[١] منهم في أول التقدم والامامة ، مع ما يحتاج اليه الناظر المجتهد فيمن يعتمد بخلافه واجماعه ، ويضطر اليه المتفقه والمقلد في معرفة من يدين بامامته واتباعه . ودحضنا الدلس عن قوم منهم تحامل المتعصبون عليهم، أو تجمل أهل الريب بإضافتهم اليهم. وقد صح وعرف خلاف ذلك بما سنجلبه إن شاء الله تعالى ، اذ نزه الله تعالى أهل هذا المذهب عما خالط من الهوى سواهم من أهل المذاهب ، وعصمهم من علة الافتراق والتدابر فليس في أيمتهم بحمد الله من صحت عنه بدعة ، ولا من اتفق أهل التزكية على تركه لكذب أو جرحة ، وإن كان أبو خيثمة زهير بن حرب تكلم في أبي مصعب الزهري ، ويحيى بن معين في اسماعيل بن أبي أويس ويحيى بن بكير . فما ضرهم ذلك . قد خرج عنهم إمام المعدّلين صاحب الصحيح محمد بن اسماعيل البخاري، اذ لم ينسبهم الى كذب ولا ريبة ، وإن كان الباجي تعسف فيما نقله على عبد الملك بن الماجشون في علله ، فالصحيح عنه ضد ذلك وهو المشهور من مذهبه حسبما نبينه عند ذكر كل واحد منهم في موضعه . وكذلك صنع يحيى بعبد الله ابن عبد الحكم فلم يقلد في قوله ، وقد خالفه أبو حاتم الرازي في ذلك وغيره كما أن قول القاضي أبي الوليد[٢] رحمه الله في القزويني أنه مجهول غير ملتفت اليه وكذلك قال في الصالحي فلو اعتنى رحمه الله بهذا الباب لعلم أن

---

(١) في — ر — عرّفهم لعله عرَفهم والجملة عندي مشكلة .

(٢) سليمان بن خلف بن سعيد أبو الوليد الباجي مات سنة ٤٧٤—١٠٨١ ، بروكلمان ج١ ص ٣٤١ ، أندلسي أخذ ببغداد على مشايخ كثرة ووافق عصره انتصار الشافعية وتعصبهم على المالكية واضطهادهم ببغداد كما وقع للقاضي عبد الوهاب ، وقد تأثر أبو الوليد بوسطه هذا ، فكان فيه هوى شافعي رغم مالكيته .

الصالحي هو أبو بكر محمد بن صالح الأبهري ، ولما قال فيه هذا ولنفى حال أبي سعيد القزويني وجلالته وإمامته في العلم ، وحسن تصانيفه فصحح روايته ولم يرتب في نقله وكذلك ذكر في ابن خويز منداد[١] وهو في شهرته وكثرة تصانيفه حيث لا يذكر أنه مجهول ، وقال أن أحداً من أيمّتنا البغداديين لم يذكروه ، وهذا الشيرازي قد ذكره في كتابه وهذا أبو محمد عبد الوهاب يحكي عنه ويقول فيه ، وقال أبو عبدالله البصري وأنت أيها المنصف[٢] متى اعتبرتهم مع غيرهم وجدتهم أصح يقيناً وأمتن ديناً وأكثر اتباعاً وأزكى صحابة وأتباعاً حتى أن سيئاتهم حسنات سواهم ، وما ينتقد بعضهم على بعض لا يلتفت اليه من عداهم ، ولهذا قال سحنون رحمه الله : المدني إذا لم يكن هكذا . يريد في الدين وشديده أيسر[٣] شيئاً أو كما قال ، وفي كتاب الحكم المستنصر[٤] الى الفقيه أبي ابراهيم ، وكان الحكم ممن طالع الكتب ونقّر عن أخبار الرجال تنقيراً لم يبلغ فيه شأوه كثير من أهل العلم ، فقال في كتابه وكل من زاغ عن مذهب مالك فانه ممن رين على قلبه وزين له سوء عمله وقد نظرنا طويلًا في أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف في أخبارهم الى يومنا هذا فلم نرَ مذهباً من المذاهب غيره أسلم منه فان فيهم الجهمية والرافضية والخوارج والمرجئة والشيعة إلا مذهب مالك رحمه الله تعالى فانّا ما سمعنا أحداً ممن تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع ، فالاستمساك به نجاة إن شاء الله تعالى . وقد مزّق[٥] القرويون أسمعتهم من

(١) محمد بن أحمد أبو بكر بن خويز منداد ، تلميذ الأبهري ترجمته في الديباج ٢٦٨ والمالكية بالمشرق ص ٨٦ .
(٢) – ر – المصنف .
(٣) – ر – المدني كذا اذا لم يكن هكذا . يريد في الدين وشديده لم يَسْوَ شيئاً .
(٤) – ر – المتنصّر وهو خطأ .
(٥) في – ع – فرّق والتصحيح من – ر .

ابن أبي حسان[1] وطرحوها على بابه لكلمة برزت منه لأمير افريقية حرّضه بها على العصاة لا يبعد صوابها في بعض الأحوال كان الأولى بمثله غيرها ، لامامته وفضله وتقدمه ستأتي مستوعبة إن شاء الله ، ولهذا ما تركوا الحمل عن محمد بن رشيد ، وكان ثقة من نمط سحنون واليه كانت الرحلة معه لتساهل رئي منه في المعاملة ، وترخص في العينة والأخذ برأي من لم ير الذريعة فتركوه حتى لما مات لم ينظر سحنون في تركته ، وأسندها الى حبيب صاحب مظالمه[2] ، قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه : ثم جمعت من أخبارهم وقصصهم وفقر من سير حكامهم وقضاتهم ونوادر من فتاوى فقهائهم وأيمتهم ما يحتاج اليه ولا غنى بالعلماء عنه وأثبتنا من حكم حكمائهم ورقائق وعّاظهم ومناهج صلحائهم وزهادهم ، ما ترجى بركته ولا تخيب إن شاء الله تعالى منفعته ، وقد قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : عند[3] ذكر الصالحين تنزل الرحمة . وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبّ إلي من الفقه[4] ، لأنها آداب القوم ، وقال بعض المشايخ : الحكايات جند من جنود الله يثبت[5] بها قلوب أوليائه . قال وشاهده قوله تعالى « وكلّا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » . وذكرنا من محَن ممتحنيهم وبلايا مبتليهم ما فيه مسلاة للممتحنين وأدلّة[6] على ثبات قدمهم في الصالحين . قال النبي ﷺ : أشدّهم — يعني الناس — بلاء ، الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، وإنما يبتلى المرء على قدر إيمانه ، فان كان إيمانه شديداً

---

(١) أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي . ترجمته في رياض النفوس ص ١٩٩ .
(٢) ترجمته في طبقات علماء افريقية ص ١٤١ — ٣ .
(٣) في — ع — عن الصالحين والتصحيح من — ر .
(٤) في — ر — أحبّ الي من كثير من الفقه وفي — ص — بكثير .
(٥) في — ر — لتثبت .
(٦) في — ع — وأدلتهم ولا معنى لها والتصحيح من — ر .

كان البلاء عليه أشد ، حتى أن العبد يمشي على الأرض ما عليه خطيئة ، وقال : إذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه . وذكرنا من بلدانهم وأوطانهم ورجالهم وقضاتهم إذ كان ينبوع هذا المذهب بالمدينة فيها تفجر ومنها انتشر ، فكانت المدينة كلها على ذلك الرأي وخرج منها الى جهات من الحجاز واليمن فانتشر هنالك بأبي قرة[1] القاضي ومحمد بن صدقة الفركي وأمثالهم، واستقر ببلاد العراق بالبصرة فغلب عليها بابن مهدي[2] والقعنبي[3] وغيرهما ثم باتباعهم من ابن المعذل ، ويعقوب بن شيبة آل حماد بن زيد الى أن دخلها بعض الشافعية فتشارك المذهبان جميعاً الى وقتنا هذا وكان آخر الأيمة بها من المالكية في زمننا ومرتبة شيوخنا أبا يعلى العبدي ، وأبا منصور بن باخي ، وأبا عبدالله بن صالح ، فدخل هذا المذهب بغداد وغيرها من بلاد العراق فانتشر بها مع غيرها من المذاهب ولكنه غلب وفشي أيام قضاء آل حماد بن زيد وانقطع ببغداد فلم يبق له بها إمام من نحو الخمسين والاربعمائة عند وفاة أبي الفضل بن عبدوس، ثم سكنها ابن صالح[4] بعد التسعين، وأما خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولاً بيحيى بن يحيى التميمي ، وعبدالله بن المبارك ، وقتيبة بن سعيد ، فكان له هنالك أيمة على مر الأزمان . وفشى بقزوين وما والاها من بلاد الجبل ، وكان آخر من درس منه بنيسابور أبو اسحاق بن القطان وغلب على تلك البلاد مذهبا أبي حنيفة والشافعي ودخل أيضاً من أيمة هذا المذهب

---

(١) أبو قرة موسى بن قرة بن طارق السكسكي ، انظر عنه الديباج ٣٤١ ، وابن سمرة طبقات فقهاء اليمن ، ٧٠ .

(٢) انظر عنه المالكية بالمشرق ص ٧٦ .

(٣) عبدالله بن مسلمة القعنبي أحد رواة الموطأ توفى سنة ٢٢١ انظر عنه الديباج ج ١ ص ١٣٠

(٤) هو الأبهري .

الى بلاد فارس القاضي أبو عبدالله البركاني ولي قضاء الأسوار[١] وانتشر عنه هذا المذهب وغلب على بلاد فارس مذهب داوود. وأما الشام فكان بها من أصحاب مالك الوليد بن مسلم وأبو مسهر ومروان بن محمد الططوي وغيرهم وغلب عليها أولاً مذهب الأوزاعي ثم دخلتها المذاهب. وأما أرض مصر فأول أرض انتشر بها مذهب مالك بعد المدينة وغلب عليها وأطبق أهلها على الاقتداء به الى أن قدم عليهم الشافعي فكان واحداً منهم[٢] فيهم الى أن كثر عليه فتيان ابن أبي السمح من فقهائهم وجرت بينه وبينهم خطوب اقتضت تحيزه مع أصحابه كما سنذكره في موضع ذكره، فنبع بها حينئذ مذهب الشافعي وكثر أصحابه والمتعصبون له ومنها انتشر في الآفاق، ومذهب مالك في كل ذلك ظاهر بها غالب عليها الى وقتنا هذا. ودخلها أيمة من أصحاب أبي حنيفة، وأما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، الى أن دخل علي بن زياد وابن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو الى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حِلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار الى وقتنا هذا، وكان بالقيروان قوم قلة في القديم أخذوا بمذهب الشافعي ودخلها شيء من مذهب داوود، ولكن الغالب إذ ذاك مذهب المدينة والكوفة، وكان الظهور في دولة بني عبيد لمذهب الكوفيين لموافقتهم إياهم في مسألة التفضيل، فكان فيهم القضاء والرئاسة وتشرق قوم منهم لمسرتهم واصطياداً

---

(١) الأموار.

(٢) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ويبدو أن كلمة سقطت من الاصل الذي أخذت عنه النسخ ولعلها: فكان واحداً منهم معدوداً فيهم.

لدنياهم وأخرجوا أضغاثهم[١] عن المدنيين فجرت على المالكية في تلك المدة محن ، ولكنهم مع ذلك كثير . والعامة تقتدي بهم والناشىء فيهم ظاهر الى أن ضعفت دولة بني عبيد بها، من لدن فتنة أبي يزيد الخارجي[٢] فظفروا وأفشوا علمهم وصنفوا المصنفات الجليلة وقدم[٣] منهم جلة[٤] طار ذكرهم بأقطار الأرض ولم يزل الأمر على ذلك الى أن خربت القيروان . وأهلها وجهاتها وسائر بلاد المغرب مطبقة على هذا المذهب ، مجمعة عليه ، لا يعرف لغيره قائم . وأما أهل الأندلس فكان رأيها مذ فتحت على رأي الأوزاعي ، الى أن رحل الى مالك زياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغازي ابن قيس ومن بعدهم فجاءوا بعلمه وأبانوا للناس فضله واقتداء الأيمة به ، فعرف حقه ودرس مذهبه الى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الناس جميعاً بالتزامهم مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه وذلك في عشرة السبعين ومائة من الهجرة في حياة مالك رحمه الله تعالى ، وشيخ المفتيين يومئذ صعصعة بن سلام إمام الاوزاعية وراويته ، وقد لحق به من أصحاب مالك عدة فالتزم الناس بها هذا المذهب وحموا بالسيف عن[٥] غيره جملة ، وأدخل بها قوم من الرحالين والغرباء شيئاً من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداوود فلم يمكنوا من نشره فمات لموتهم على اختلاف أزمانهم إلا من تدين به في نفسه ممن لا يؤبه لقوله . على ذلك مضى أمر الأندلس الى وقتنا هذا ، فبدأنا

(١) في – ر – أضغانهم .
(٢) أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي صاحب الحمار .
(٣) في – ر – وقام .
(٤) أي المالكية .
(٥) في – ر – وحموا بالسيف كان غيره .

في كل طبقة بأهل المدينة ثم بمن والاها من جزيرة العرب ثم بأهل المشرق ثم كررنا على المصريين ومن ورائهم من المغاربة وختمنا بأهل الأندلس إلا من لم نجد له من أهل تلك البلاد في تلك الطبقة اسم منتقد[١] الى ما بعده على الرسم وانتقينا أثناء ذلك من نوادر ظرفائهم وملح آدابهم ومحاسن شعرائهم ما ينشط النفس عن كسلها ويصقل عنها ريق صدائها[٢] فقد قال علي رضي الله عنه : سلّوا النفوس ساعة فانها تصدأ كما يصدأ الحديد . وذكرنا ما ينتحله كل واحد منهم من المعارف وما أضيف من الخصال اليه ونبهنا على الغالب مِنْ أنواع العلوم عليه ، وسمينا[٣] من تواليف مؤلفيهم وإملاءات مصنفيهم ما لا غنى عنه ، وما ينبه المتفقه على الاقتباس منه ولم نغال فيما جمعنا من ذلك تحرياً للاختصار لفنونه ، وتحرياً للاقتصار على فصوصه وعيونه وحذفاً للطرق والأسانيد وضماً للتفاريق والأبادير ، واستصفيناه من كبار تصانيف المحدثين وأمهات تآليف المؤرخين ، ككتاب أبي عبد الله البخاري وعبد الله بن أبي حاتم وأبي الحسن الدارقطني والزبير بن بكار وأبي بكر بن حيان القاضي ووكيع في تاريخ القضاة ، وكتب أبي جعفر الطبري والصولي وأبي كامل وكتاب أبي عمر الكندي ، وأحمد بن يونس المصري في المصريين ومن تاريخ أبي عمر الصدفي القرطبي ، ومن كتب أبي عبد الله بن حارث في القرويين والأندلسيين ومن كتب أبي العرب التميمي ، وأبي اسحاق الرقيق الكاتب ، وأبي علي بن البصري في القرويين وتعاليق وجدتها بخط الشيخ أبي عمران الفاسي[٤] في ذلك، وما وقع إلي من تاريخ أبي بكر بن أبي عبدالله

---

(١) لعله ننتقل .

(٢) في – ر – صدرها والتصحيح من – ع .

(٣) وسعينا في – ر – وهو خطأ .

(٤) في – ر – وجدتها في ذلك ، وهي ساقطة من – ع .

المالكي في القرويين ومن تواريخ الأندلس ككتاب أبي عبدالملك بن عبدالبر وكتاب الاحتفال لأبي عمر بن عفيف، والانتخاب لأبي القاسم بن مفرج وكتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي وتاريخ أبي مروان بن حيان، والرازي، وكتاب أحمد بن عبد الرحمن بن مظاهر الطليطلي، وسوى هذه الكتب، ككتاب ابن أبي دليم المتقدم ذكره، ومما وقع إلي من كتاب أبي بكر الخطيب في البغداديين، وأوراقاً جمعت للحاكم المستنصر بالله وجدت عليها خطه في كتاب في العراقيين، وما وقع من ذلك في كتاب الأمير أبي نصر وفي كتاب الشيخ أبي اسحق، وكتاب أبي عمر بن عبد البر في ذكر الايمة الثلاثة ورواتهم وغير هذه الكتب مما عسى أن يكون وقع من غرضنا فيها التافه اليسير الى ما تلقيناه من أفواه الرجال والتقطناه بفرط الاعتناء والاهتبال وأنا أضرع الى ذي العزة والجلال أن لا يجعل حظي من هذا الكتاب مجرد[1] التعب والسهر والنصب، وأن يحسن فيه النية ويكمل بعفوه عن زللنا المنة، وجدير لمطالعه أن يحسن الظن ولا يبادر الى الطعن حتى يجيل النظر ويحقق ما أنكر؛ فان تيقن بعدُ زلة أصلحها أو وجد مبهمة أوضحها وأن يشكر ما كفيناه في جمعه من شغل الخاطر والفراغ للبحث والطلب المتواتر، ويُعذِر فيما عساه يعثر عليه من زلل خفي، أو ظاهر؛ فالغالب على المرء التقصير والأمر الذي ارتكبته خطير، ويفتقر القليل للكثير وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير .

---

(١) صورته مجرد التعب .

باب

ما ورد من الآثار
في فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم (لها)[١]

روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم ، يعني أهل المدينة ، وعن أبي هريرة عنه ﷺ : اللهم بارك لنا في ثمارنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا ومدنا ، اللهم إن ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك واني عبدك ونبيك وانه دعاك واني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه . وقال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عياش : أنت القائل لمكة خير من المدينة ؟ قال عبد الله : فقلت حرم الله وأمنه وفيها بيته . فقال عمر : لا أقول في حرم الله ولا في بيته وأمنه شيئاً ، ثم قال له عمر كما قال أولاً ، فأجابه عبد الله بجوابه وأجابه عمر بمثل الأول ، ثلاث مرات ثم انصرف . أنا اختصرته .

وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال : لا يصبر أحد على لأواء المدينة وشدتها إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً[٢] يوم القيامة ، وفي رواية وشفيعاً . وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها . وفي حديث أبي هريرة : تنقّي الناس[٣] كما ينقي الكير

---

(١) زيادة من – ر .

(٢) في – ع و ص – إلا كتب له أجر شهيد . والتصحيح من – ر – رواه مالك في الموطأ – كتاب المدينة . وأحمد في المسند ج ١ ص ١٨١ .

(٣) وفي – ر – الرجال .

خبث الحديد . وفي حديث زيد بن ثابت أنها تنقي الرجال كما تنقي النار الفضة . وروى سفيان بن أبي زهير قال : قال رسول الله ﷺ : تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وذكر في فتح العراق والشام مثله ، أنا اختصرته . وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عنه ﷺ بمعناه . وقال : والذي نفسي بيده لا يخرج منها أحد رغبة عنها إلا خلف الله فيها من هو خير منه . وعن أبي هريرة عنه ﷺ : على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال[1]. قال مالك بن أنس : المدينة . وعلى أنقابها ملائكة يحرسونها لا يدخلها الدجال ولا الطاعون وهي دار الهجرة والسنة وبها خيار الناس بعد النبي ﷺ وهجرة النبي ﷺ وأصحابه ، واختارها الله بعد وفاته فجعل بها قبره وبها روضة من رياض الجنة ومنبر رسول الله ﷺ وليس ذلك في البلاد غيرها . وفي رواية ، ومنها تبعث أشراف هذه الأمة يوم القيامة . وهذا كلام لا يقوله مالك عن نفسه ، إذ لا يدرك بالقياس . وقال حماد بن واقد الصفار[2] لمالك : يا أبا عبد الله أيما أحب اليك المقام هاهنا أو بمكة ؟ فقال : هاهنا . وذلك أن الله تعالى اختارها لنبيه ﷺ من جميع بقاع الارض . ثم ذكر حديث أبي هريرة في فضلها . وقال جعفر بن محمد[3] : قيل لمالك اخترت مقامك بالمدينة وتركت الريف والخصب : فقال : وكيف لا أختاره وما بالمدينة طريق إلا سلك عليها رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة . قال أبو مصعب الزهري قيل لمالك

---

(١) رواه البخاري باب فضل المدينة ومسلم في صحيحه كذلك .

(٢) قال الامام أحمد بن حنبل لا أعرفه . انظر كتاب العلل – ط – أنقرة ص ٢٤٨ رقم ١٥٩٣ .

(٣) الصادق عليه السلام .

لمَ صار لأهل المدينة لين القلب[١] وفي أهل مكة قساوة القلب[١] فقال لأن أهل مكة أخرجوا نبيهم وأهل المدينة آووه . قال محمد بن مسلمة : سمعت مالكاً يقول : دخلت على المهدي فقال أوصني فقلت أوصيك بتقوى الله وحده والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه، فانه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : المدينة مهاجري ومنها مبعثي وبها قبري وأهلها جيراني وحقيق على أمتي حفظي في جيراني فمن حفظهم بي كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال[٢] .

باب

الآثار

في اختصاص المدينة بفضل العلم والسنة والقرآن

روت عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال : فتحت المدائن بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن . وعن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قبة الاسلام ودار الايمان وأرض الهجرة ومبدأ الحلال والحرام . وروى كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : إن الدين ليأرز الى المدينة – وفي رواية الى الحجاز – كما تأرز الحية الى جحرها . وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل . إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد

---

(١) في – ر – القلوب .
(٢) في – ع – الجنال .

الناس بعدي من سنتي[١] . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ أنه قال : ليحاز الاسلام الى المدينة كما يحاز السيل الدمن[٢] . وعن أبي هريرة عنه ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يأرز الايمان الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها . قال أبو مصعب الزهري : في هذا الحديث والله ما يأرز إلا الى أهله الذين يقومون به، ويشرعون شرائعه ويعرفون تأويله ويقومون بأحكامه، وما ذلك[٣] من رسول الله ﷺ مدحاً للأرض والدور ، وما ذلك إلا مدحاً لأهلها وتنبيهاً على أن ذلك باق فيهم زائل عن غيرهم حين يرفع العلم فيتخذ الناس رؤساء جهالاً فيسألون فيقولون بغير علم فيضلون ويضلون . قال ابن أبي أويس: سمعت مالكاً يقول في معنى الحديث بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ أي يعود الى المدينة كما بدأ منها .

باب

فضل علم أهل المدينة
وترجيحه على علم غيرهم واقتداء السلف بهم

قال زيد بن ثابت : إذا رأيت أهل المدينة على شيء فاعلم أنه السنة . قال ابن عمر : لو أن الناس اذا وقعت فتنة ردوا الأمر فيه الى أهل المدينة فاذا اجتمعوا على شيء – يعني فعلوه – صلح الأمر، ولكنه اذا نعق ناعق تبعه

---

(١) رواه الترمذي في الكتاب الثامن والثلاثين ، الباب الثالث عشر .
(٢) في – ر – يجاز .
(٣) في – ر – ذاك .

الناس . قال مالك كان ابن مسعود يسأل بالعراق عن شيء فيقول فيه ثم يقدم المدينة فيجد الامر على غير ما قال[١] ، فاذا رجع لم يحط راحلته ولم يدخل الى بيته حتى يرجع الى ذلك الرجل فيخبره بذلك . قال : وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ويكتب الى المدينة يسألهم عما مضى ويعلمون بما عندهم ، وكتب الى أبي بكر بن حزم أن يجمع له السنن ويكتب بها اليه ، فتوفى وقد كتب له ابن حزم كتباً قبل أن يبعث بها اليه . قال مالك : والله ما استوحش سعيد بن المسيب ولا غيره من أهل المدينة لقول قائل من الناس، لولا أن عمر بن عبد العزيز أخذ هذا العلم بالمدينة لشككه كثير من الناس . وقال عبدالله بن عمر بن الخطاب كتب إلي عبد الله – يعني ابن الزبير – وعبد الملك بن مروان ، كلاهما يدعوني الى المشورة ، فكتبت اليهما إن كنتما تريدان المشورة فعليكما بدار الهجرة والسنة . وقال رجل لأبي بكر بن عمر بن حزم في أمر : والله ما أدري كيف أصنع في كذا . فقال أبو بكر : يا ابن أخي إذا وجدت أهل هذا البلد قد أجمعوا على شيء فلا يكن في قلبك منه شيء[٢] . وقال الشافعي أيضاً : أما أصول أهل المدينة فليس فيها حيلة من صحتها . قال ابن نافع كان مالك يرى أن أهل الحرمين إذا بايعوا لزمت البيعة أهل الاسلام . قال مالك كان ابن سيرين أشبه الناس بأهل المدينة في ناحية ما يأخذ به . قال أبو نعيم : سألت مالكاً عن شيء فقال لي إن أردت العلم فأقم – يعني بالمدينة – فان القرآن لم ينزل على الفرات . قال الشافعي : رحلت الى المدينة فكتبت اختلافهم ، زاد في رواية ، في الحد . قال مسعر قلت لحبيب بن

(١) في – ر – على غير ما قال ، قال : فاذا رجع الخ ...
(٢) في – ر – فلا تشكنّ فيه انه الحق .

أبي ثابت : أيما أعلم بالسنة أو بالفقه أهل الحجاز أم أهل العراق ؟ قال : أهل الحجاز . وقال الشافعي كل حديث ليس له أصل بالمدينة وإن كان منقطعاً ففيه ضعف . وقال مالك في أثر ذكر التشهد في الوصية : هو الذي أدركت عليه الناس بهذه البلدة فلا يشك فيه فهو الحق . قال عبد الله بن عمر : بعث عمر نافعاً الى مصر يعلمهم السنن . قال مجاهد وعمر بن دينار وغيرهما من أهل مكة : لم يزل شأننا متشابهاً فتناظرا حتى خرج عطاء بن ابي رباح الى المدينة فلما رجع علينا استبان فضله علينا .

رسالة مالك

الى الليث بن سعد[1]

في هذا

من مالك بن أنس الى الليث بن سعد . سلام عليكم ، فاني أحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية وعافانا وإياك من كل مكروه . اعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة مَنْ قبلك اليك واعتمادهم على ما جاءهم منك ، حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه ، فان الله تعالى يقول في كتابه : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار . الآية . وقال تعالى : فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... الآية . فانما الناس تبع لأهل المدينة ، اليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن وأُحلّ الحلال وحرّم الحرام إذ رسول الله بين أظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل ويأمرهم فيطيعونه ويسن لهم فيتبعونه ، حتى توفاه الله واختار له ما عنده صلوات الله عليه ورحمته وبركاته . ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ممن ولي الأمر من بعده فما نزل بهم مما علموا أنفذوه ، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه ، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في

---

(١) الليث صديق مالك ومعاصره توفى سنة ١٧٥ ﻫ (٧٩١ م) انظر عنه ابن حجر الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية . وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣ وما بعدها .

اجتهادهم وحداثة[١] عهدهم ، وإن خالفهم مخالف أو قال امرؤٌ غيره أقوى منه وأولى ترك قوله وعمل بغيره، ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل ويتبعون تلك السنن ، فاذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أرَ لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا ادعاؤها ، ولو ذهب أهل الأمصار يقولون هذا العمل ببلدنا وهذا الذي مضى عليه من مضى منا ، لم يكونوا من ذلك على ثقة ، ولم يكن لهم من ذلك الذي جاز لهم . فانظر رحمك الله فيما كتبت اليك فيه لنفسك واعلم اني أرجو أن لا يكون دعائي الى ما كتبت به اليك الا النصيحة لله تعالى وحده ، والنظر لك والظن بك، فانزل كتابي منك منزلته، فانك إن فعلت تعلم اني لم آلك نصحاً . وفقنا الله وإياك لطاعته وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال . والسلام عليك ورحمة الله ، وكتب يوم الأحد لتسع مضين من صفر . أتينا بها على وجهها بسرد فوائدها وهي صحيحة مروية . وكان من جواب الليث عن هذه الرسالة : وانه بلغك عني أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم وانه يحق علي الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي فيما أفتيهم به ، وأن الناس تبع لأهل المدينة التي اليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن ، وقد أصبت بالذي كتبت من ذلك ان شاء الله ، ووقع مني بالموقع الذي لا أكره ولا أشد تفضيلاً مني لعلم أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذ بفتواهم مني والحمد لله ، وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة ونزول القرآن عليه بين ظهراني أصحابه وما علمهم الله منه ، وان الناس صاروا تبعاً لهم فكما ذكرت . أنا اختصرت هذا وأتيت منها بموضع الحاجة وبالله التوفيق[٢] .

(١) في ـ ع ـ وحادثة والتصحيح من ـ ر .
(٢) انظر رد الليث بكامله في أعلام الموقعين ج ٣ ص ٧٢ ـ ٧٧ .

باب

ما جاء عن السلف والعلماء
في وجوب الرجوع الى عمل أهل المدينة وكونه حجة عندهم وإن خالف الأكثر

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال على المنبر: احرج بالله على رجل روى حديثاً العمل على خلافه. قال ابن القاسم وابن وهب رأيت العمل عند مالك أقوى من الحديث، قال مالك: وقد كان رجال من أهل العلم من التابعين يحدثون بالأحاديث وتبلغهم عن غيرهم فيقولون ما نجهل هذا ولكن مضى العمل على غيره، قال مالك: رأيت محمد بن أبي بكر ابن عمر بن حزم وكان قاضياً، وكان أخوه عبدالله كثير الحديث رجل صدق، فسمعت عبدالله إذا قضى محمد بالقضية قد جاء فيها الحديث مخالفاً للقضاء يعاتبه، ويقول له: ألم يأت في هذا حديث كذا؟ فيقول بلى. فيقول أخوه فما لك لا تقضي به؟ فيقول فأين الناس عنه، يعني ما أجمع عليه من العلماء بالمدينة، يريد أن العمل بها أقوى من الحديث، قال ابن المعذل سمعت إنساناً سأل ابن الماجشون لمَ رويتم الحديث ثم تركتموه؟ قال: ليعلم أنا على علم تركناه. قال ابن مهدي: السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خير من الحديث. وقال أيضاً انه ليكون عندي أو نحوه. وقال ربيعة ألف عن ألف أحبّ الي من واحد عن واحد لأن واحداً واحد ينتزع السنة من أيديكم، قال ابن أبي حازم كان أبو الدرداء يسأل فيجيب فيقال أنه بلغنا كذا وكذا بخلاف ما قال. فيقول: وأنا قد سمعته ولكني[1] أدركت

---

(١) في - ع - و - ر - ولكنه. والتصحيح من - ص.

العمل على غير ذلك ، قال ابن أبي الزناد كان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء ويسألهم عن السنن والأقضية التي يعمل بها فيثبتها وما كان منه لا يعمل به الناس ألغاه، وإن كان مخرجه من ثقة ، وقال مالك : انصرف رسول الله ﷺ من غزوة كذا في نحو كذا ، وكذا الفاً من الصحابة ، مات بالمدينة منهم نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرق بالبلدان فأيهما أحرى أن يتبع ويؤخذ بقولهم؟ من مات عندهم النبي ﷺ وأصحابه الذين ذكرت ؟ أو مات عندهم واحد أو اثنان من أصحاب النبي ﷺ ؟ قال عبيد الله بن عبد الكريم : قبض رسول الله ﷺ عن عشرين الف عين تطرف .

باب

بيان الحجة
باجماع أهل المدينة فيما هو وتحقيق مذهب مالك

اعلموا أكرمكم الله أن جميع أرباب المذاهب من الفقهاء والمتكلمين وأصحاب الأثر والنظر إلبٌ واحد على أصحابنا على هذه المسألة مخطئون لنا فيها بزعمهم ، محتجون علينا بما سنح لهم حتى تجاوز بعضهم حدّ التعصب[1] والتشنيع الى الطعن في المدينة وعدّ مثالبها وهم يتكلمون في غير موضع خلاف ، فمنهم من لم يتصور المسألة ولا تحقق مذهبنا فتكلموا فيها على تخمين وحدس، ومنهم من أخذ الكلام فيها ممن لم يحققه عنا ، ومنهم من أطالها وأضاف الينا ما لا نقوله فيها ، كما فعل الصيرفي والمحاملي والغزالي ، فأوردوا

---

(١) في ـ ر ـ التعصيب .

عنا في المسألة ما لا نقوله واحتجوا علينا بما يحتج به على الطاعنين على الاجماع وها أنا أفصل الكلام فيها تفصيلًا لا يجد المنصف الى جحده بعد تحقيقه سبيلًا وأبين موضع الاتفاق فيه والخلاف إن شاء الله تعالى . فاعلموا أن إجماع أهل المدينة على ضربين، ضرب من طريق النقل والحكاية الذي تؤثره[1] الكافة عن الكافة وعملت به عملًا لا يخفى ونقله الجمهور عن الجمهور عن زمن النبي ﷺ ، وهذا الضرب منقسم على أربعة أنواع ، أولها ما نقل شرعاً من جهة النبي ﷺ من قول أو فعل كالصاع والمد ، وانه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ منهم بذلك صدقاتهم وفطرتهم ، وكالأذان والاقامة وترك الجهر بسم الله الرحمان الرحيم في الصلاة وكالوقوف (والأحباس[2]) فنقلهم لهذه الأمور من قوله وفعله كنقلهم موضع قبره ومسجده ومنبره ومدينته وغير ذلك مما علم ضرورة من أحواله وسيره وصفة صلاته من عدد ركعاتها وسجداتها وأشباه هذا، أو نقل إقراره عليه السلام لما شاهده منهم ولم ينقل عنه انكاره كنقل عهدة الرقيق وشبه ذلك ، أو نقل تركه لأمور وأحكام لم يلزمهم إياها مع شهرتها لديهم وظهورها فيهم كتركه أخذ الزكاة من الخضروات مع علمه عليه السلام بكونها عندهم كثيرة ، فهذا النوع من اجماعهم في هذه الوجوه حجة يلزم المصير اليه ويترك ما خالفه من خبر واحد أو قياس ، فان هذا النقل محقق معلوم موجب للعلم القطعي فلا يترك لما توجبه غلبة الظنون ، والى هذا رجع أبو يوسف وغيره من المخالفين ممن ناظر مالكاً وغيره من أهل المدينة في مسألة الأوقاف والمد والصاع حين شاهد هذا النقل وتحققه ، ولا يجب لمنصف[3] أن ينكر الحجة هذا ، وهذا الذي

---

(١) في - ر - تؤثره وبالأصل تأثره .
(٢) الزيادة من - ر .
(٣) - ر - لمصنف .

تكلم عليه مالك عن أكثر شيوخنا ولا خلاف في صحة هذا الطريق، وكونه حجة عند العقلاء وتبليغه العلم يدرك ضرورة ، وإنما خالف في تلك المسائل من غير أهل المدينة من لم يبلغه النقل الذي بها .

قال القاضي أبو محمد عبدالوهاب[1] ولا خلاف بين أصحابنا في هذا ووافق عليه الصيرفي وغيره من أصحاب الشافعي كما حكاه الآمدي ، وقد خالف بعض الشافعية عناداً ، ولا راحة للمخالف في قوله أن ما هذا سبيله فهم وغيرهم من أهل الآفاق من البصرة والكوفة ومكة سواء اذ قد نزل هذه البلاد وكان بها جماعة من الصحابة ونقلت السنن عنهم والخبر المتواتر من أي وجه ورد لزم المصير اليه ووقع العلم به، فصارت الحجة في النقل فلم تختص المدينة بذلك وسقطت المسألة وهذه من أقوى عمدهم ، فنقول لهم كذلك نقول لو تصورت المسألة في حق غيرهم لكن لا يوجد مثل هذا النقل كذلك عند غيرهم فان شرط نقل التواتر تساوي طرفيه ووسطه وهذا موجود في أهل المدينة ونقلهم الجماعة عن الجماعة عن النبي ﷺ أو العمل في عصره وإنما ينقل أهل البلاد غيرها عن جماعتهم حتى يرجعوا الى الواحد أو الاثنين من الصحابة فرجعت المسألة الى خبر الآحاد وبالحري أن تفرض المسألة في عمل أهل مكة في الاذان ونقلهم المتواتر عن الأذان بين يدي النبي عليه السلام بها ، لكن يعارض هذا آخر من رسول الله ﷺ والذي مات عليه بالمدينة ، ولهذا قال مالك لمن ناظره في المسألة ما أدري أذان يوم ولا ليلة هذا مسجد رسول الله ﷺ يؤذن فيه من عهده ولم يحفظ عن أحد إنكار على مؤذن فيه .

النوع الثاني : إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال ، فهذا

---

(١) ابن نصر البغدادي .

النوع اختلف فيه أصحابنا فذهب معظمهم الى أنه ليس بحجة ولا فيه ترجيح وهـذا قول كبراء[1] البغداديين منهم ابن بكير وأبو يعقوب الرازي وأبو الحسن بن المنتاب، وأبو العباس الطيالسي، وأبو الفرج، والقاضي أبو بكر الأبهري وأبو التمام ، وأبو الحسن بن القصار . قالوا لأنهم بعض الأمة والحجة إنما هي لمجموعها ، وهو قول المخالفين أجمع . ولهذا ذهب القاضي أبو بكر ابن الخطيب وغيره، وأنكر هؤلاء أن يكون مالك يقول هذا أو[2] أن يكون مذهبه ، ولا الأئمة أصحابه ، وذهب بعضهم الى أنه ليس بحجة ، ولكن يرجح به على اجتهاد غيرهم، وهو قول جماعة من متفقهيهم وبه قال بعض الشافعية ولم يرتضه القاضي أبو بكر ولا محققو أئمتنا وغيرهم ، وذهب بعض المالكية الى ان هذا النوع حجة كالنوع الأول وحكوه عن مالك .

قال القاضي أبو نصر : وعليه يدل كلام أحمد بن المعذل وأبي معصب وإليه ذهب القاضي أبو الحسين بن أبي عمر من البغداديين ، وجماعة من المغاربة من أصحابنا ورآه مقدّماً على خبر الواحد والقياس ، وأطبق المخالفون أنه مذهب مالك ولا يصح عنه كذا مطلقاً .

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى : ولا يخلو عمل أهل المدينـة مع أخبار الآحاد من ثلاثة وجوه : اما أن يكون مطابقاً لها ، فهذا آكد في صحتها ان كان من طريق النقل، وترجيحه ان كان من طريق الاجتهاد بلا خلاف في هذا إذ لا يعارضه هنا إلا اجتهاد آخرين وقياسهم، عند من يقدم القياس على خبر الواحد، وإن كان مطابقاً لخبر يعارضه خبر آخر كان عملهم مرجحاً لخبرهم وهو أقوى ما ترجح به الأخبـار اذا تعارضت ، واليه ذهب

---

(١) في ـ ر ـ فقهاء البغداديين .
(٢) في ـ ر ـ بدون همزة .

الاستاذ أبو اسحاق الاسفراييني ومن تابعه من المحققين من الأصوليين والفقهاء من المالكية وغيرهم، وإن كان مخالفاً للأخبار جملة فإن كان إجماعهم من طريق النقل ترك له[١] الخبر بغير خلاف عندنا في ذلك، وعند المحققين من غيرنا على ما تقدم، ولا يجب عند التحقيق تصور خلاف في هذا ولا التفات اليه، إذ لا يترك القطع واليقين لغلبات الظنون، وما عليه الاتفاق لما فيه الخلاف كما ظهر هذا للمخالف المنصف فرجع، وهذه نكتة مسألة الصاع والمد والوقوف وزكاة الخضروات وغيرها، وإن كان إجماعهم اجتهاداً أقدّم خبر الواحد عليه عند الجمهور، وفيه خلاف كما تقدم من أصحابنا، فاما ان لم يكن لهم عمل بخلافه ولا وفاق فقد سقطت المسألة ووجب الرجوع الى خبر الواحد كان من نقلهم او من نقل غيرهم اذا صحّ ولم يعارض، فان عارض هذا الخبر الذي نقلوه خبر آخر نقله غيرهم من أهل الآفاق كان ما نقلوه مرجحاً عند الاستاذ أبي اسحاق وغيره من المحققين لزيادة قرب مشاهدتهم قرائن الأحوال وتعدّدهم لنقل آثار الرسول عليه السلام وانهم الجم الغفير عن الجم الغفير عنه. وكثر تحريف المخالف فيما نقل عن مالك من ذلك سوى ما قدمناه فحكى أبو بكر الصيرفي وأبو حامد الغزالي أن مالكاً يقول لا يعتبر إلا باجماع أهل المدينة دون غيره[٢] وهذا ما لا يقوله هو ولا أحد من أصحابه، وحكى بعض الأصوليين أن مالكاً يرى إجماع الفقهاء السبعة بالمدينة إجماعاً، ووجه قوله بأنه لعله كانوا عنده أهل الاجتهاد في ذلك الوقت دون غيرهم وهذا ما لم يقله مالك ولا روي عنه، وحكى بعضهم عنا انا لا نقبل من الأخبار إلا ما صححه عمل أهل المدينة وهذا جهل أو كذب لم يفرّقوا بين قولنا بِرَدّ الخبر الذي في مقابله عملهم وبين من لا يُقبل منه

---

(١) في ـ ر ـ به .

(٢) في ـ ر ـ غيرهم .

إلا ما وافقه عملهم . فان احتجوا علينا في هـذا الفصل برد مالـك حديث البيعين بالخيار الذي رواه هو وأهل المدينة بأصح أسانيدهم ، وقول مالك في هذا الحديث بعد ذكره له في موطئه ، وليس لهذا عندنا حد محدود ولا أمر معمول به ، وهذه المعارضة أعظم تهاويلهم وأشنع تشانيعهم قالوا هـذا رد للخبر الصحيح إذ لم يجد عليه عمل أهل المدينة حتى قد أنكره عليه اهل المدينة وقال ابن أبي ذئب فيه كلاماً شديداً معروفاً فالجواب أنه إنما أوتيت بسوء التأويـل . فان قول مالك هذا ليس مراده به رد البيعين بالخيـار ، وإنما أراد بقوله ما قال في بقية الحديث وهذا قوله الا بيـع الخيار ، فأخبر أن بيـع الخيار ليس له حد عندهم، لا يتعدى إلا قدر ما تختبر فيه السلعة وذلك يختلف باختلاف المبيعات ، فيرجع فيه الى الاجتهاد والعوائد في البلاد وأحوال المبيـع . وما يراد بهذا فسر قوله[١] أيمتنا رحمهم الله وإنما ترك العمل بالحديث لغير هذا بل تأول التفرق فيه بالقول وعقد البيـع[٢] وان الخيار لهما ما داما متراوضين ، ومتساويين . وهذا هو المعنى المفهوم من المتفاعلين وهما المتكلفان للأمر، الساعيان فيه . وهذا يدل أنه قبل تمامه، ويعضده قوله لا يبيـع أحدكم على بيـع أخيه ، وهذا أيضاً في المتساويين . فقد سماه بيعاً قبل تمامه وانعقاده ، وقال بعض أصحابنا : الحديث منسوخ بقوله في الحديث الآخر اذا اختلف المتبايعان ، فالقول ما قـال البائع . ويترادان ولو كان لهما الخيار لما احتاجا الى تحالف وتخاصم ، وقد يكون قول مالك على طريق الترجيـح لأحد الخبرين بمساعدة عمل أهل المدينة . لما خالفه كما تقدم وقـد قال بحديث البيعان بالخيار والعمل به كثير ، من أصحابنا : ابن حبيب . ومما ذكره المخالفون عن مالك أنه يقول ان المؤمنين الذين أمر الله تعـالى

---

(١) في ـ ر ـ بعد قوله فحققوا أئمتنا .

(٢) في ـ ر ـ المبيـع .

باتباعهم هم أهل المدينة ومالك لا يقول هذا . وكيف يقوله وهو يرى ان الاجماع حجة ومما عارض به المخالف أن قالوا اذا سلمنا باب النقل الذي ذكرتم فما فائدة الاجماع والعمل ؟ ومتى حصل النقل عن جماعة يحصل العلم بخبرهم وجب الرجوع اليه وإن خالفهم غيرهم فما فائدة ذكرهم الاجماع مع الاتفاق على هذا ؟ فالجواب أنا نقول : إذا نقل البعض فلا يخلو الباقون أن يؤثر عنهم خلاف او لا يؤثر ، فان لم يؤثر فهو ما أردناه ، وان علم الخلاف فان كان من القليل لم يلتفت اليه ولم يقدح مخالفة القليل في الاجماع النقلي ، وقد اختلف في مخالفة القليل فالاجماع الاجماع على ما قرره أرباب الاصول الذي شرطه في التحقيق اطباقُ مَلأِ المجتهدين . وأما النقل فانما يحتاج فيه عدد يوجب لنا العلم فاذا خالف فيه القليل نسب اليه الغلط والوهم اذ القطع نقل[1] ، التواتر وصحته يبطل خلافه ، وأما ان كان الخلاف من جماعة آخرين وجمهور ثان متواتر أيضاً فقد قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب هذا نقل متعارض لا يكون حجة وليست مسألتنا .

قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه : وعندي ان تصور هذه النازلة يستحيل إذ النقل المتواتر موجب للعلم الضروري إذا جاء على شروطه ولا يصح ان يعارضه تواتر آخر لأنه يقضي ان أحدهما باطل محال ، وهذا مما لا يصححه العقل ولا يصح كونهما جميعاً حقاً ، ولا كونهما جميعاً باطلاً ، فسقط السؤال كرّةً . إلا ان يكون النقل المتواتر المتعارض في نازلتين معينتين او حالين مختلفين او وقتين متغايرين فيحكم فيهما بحكم الدليلين الصحيحين المتعارضين ، وينظر الى الجمع بينهما إن أمكن، وقصر كلّ واحد على نازلته وبابه او الرجوع الى التاريخ والحكم بالنسخ وغير ذلك من الحكم في

---

(١) في ـ ر ـ بنقل .

التعارض والترجيح ، وموضع بسطه أصول الفقـــه ؛ قالوا فاذا تقرر ما بسطتموه رجع[١] الى نقلهم وتواتر خبرهم وعملهم، وبه الحجة، فما معنى تسميتهم اجماعاً ؟ قلنا : معناه اضافة النقل والعمل الى الجميع من حيث لم ينقل احد منهم ولا عمل بما يخالفه، فان قيل فقد حلتم المسألة وصرتم من اجماع الى اجماع على نقل بقول او عمل ، فالجواب : ان موجب الكلام لنا في هذه المسألة مخالفة العراقيين وغيرهم لنا في مسائل طريقها النقل والعمل المستفيض اعتمدوا فيها على اخبار آحاد واحتج اصحابنا بنقل اهل المدينة وعملهم المجمع عليه المتواتر على تلك الاخبار لما قدمناه . فان قالوا فقد قال الله تعالى «فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول» وهذا ردّ الى غير الرسول بل الى عمل قوم من أمته، قلنا بل ما رددناه إلاّ الى الرسول إذ تقرر عندنا بالنقل المتواتر ان ذلك العمل هو سنة رسول الله ﷺ وعمله وإقراره .

قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه فأما قول من قال من اصحابنا ان اجماعهم من طريق الاجتهاد حجة فحجته، ما لهم من فضل الصحبة والمخالطة والملابسة والمساءلة ومشاهدة الاسباب والقرائن، ولكلّ هذا فضل ومزيّةٌ في قوة الاجتهاد ، وقد قال اصحابنا ومخالفونا : إن تفسير الصحابي الراوي لاحد محتملي الخبر أولى من تفسير غيره وحجة يترك لها تفسير من خالفه لمشاهدة الرسول وسماعه ذلك الحديث منه وفهمه من حاله ومخرج ألفاظه وأسباب قضيته ما يكون له[٢] به من العلم بمراده ما ليس عند غيره فرجح تفسيره لذلك فكذلك اجماع أهل المدينة بهذا السبيل واجتهادهم مقدم على غيرهم فمن نأت داره ولم يبلغه إلا مجرد خبر معرّى من قرائنـــه سليب من أسباب

---

(١) في ـ ر ـ رجع الحكم .
(٢) ساقطة من ـ ر .

مخارجه . وهذا ما رجح الشافعي أحاديث شيوخ الصحابة على حديث أُسامة في الدماء، قال لأن ابن عمر وعبادة والمشيخة أعلم برسول الله ﷺ من أُسامة ، ولهذا رجح بعض الأصوليين والفقهاء قياس الصحابي على قياس غيره ولذلك رجّح كثير منهم لعمل الصحابي بل للحديث[1] إذا رواه على غيره من حديث لم يعمل به راويه ، وقد قال الشافعي مرة : اجماع أهل المدينة أحبّ إلي من القياس ، وهذا قول بأنّ إجماعهم حجة في وجه بخلاف اجماع غيرهم الذي لا خلاف بين احد انه لا تأثير له في الاحكام، إلا ما حكي عن بعض الأصوليين ان اجماع اهل الحرمين والمصرين حجة كما قدمناه وما رجح به اهل الأصول في تعارض الأخبار بعمل اهل مكة والمدينة . وهذا ـ أكرمكم الله تعالى ـ منتهى الكلام في هذا الباب، ولباب العقول والألباب ومترع في المسألة من التحقيق والتدقيق يشهد له كلّ منصف بالصواب .

باب

ترجيح مذهب مالك
والحجة في وجوب تقليده وتقديمه على غيره من الأئمة

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه : رأينا البداية قبل الخوض في هذا ماسة[2] الى تقديم مقدمة وتمهيد قاعدة لموجب التقليد عليها ينبني الكلام فيما قصدناه فأقول : اعلموا وفقنا الله تعالى وإياكم ان حكم المتعبد[3] بأوامر

---

(١) في ـ ر ـ بالحديث .
(٢) هكذا .
(٣) في ـ ر ـ التقيد .

الله تعالى ونواهيه المتشرع بشريعة نبيه عليه السلام طلب معرفة ذلك وما يتعبد به ، وما يأتيه ويذره ، ويجب عليه ويحرم ، ويباح له ويرغب فيه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام ، فهما الأصلان اللذان لا تعرف الشريعة إلا من قبلهما ولا يعبد الله تعالى إلا بعلمهما ثم إجماع المسلمين مرتب عليهما ومسند اليهما فلا يصح ان يوجد وينعقد إلا عنهما ، إما من نص عرفوه ثم تركوا نقله ، ومن اجتهاد مبني عليهما على القول بصحة الاجماع من طريق الاجتهاد ، وهذا كله لا يتم إلا بعد تحقيق العلم بذلك الطريق والآلات الموصلة اليه من نقل ونظر وطلب قبله[1] وجمع وحفظ وعلم وما صح من السنن واشتهر ، ومعرفة كيف يتفهم وما به يتفهم من علم ظواهر الألفاظ وهو علم العربية واللغة وعلم معانيها وعلم موارد الشرع ومقاصده ونص الكلام وظاهره وفحواه وسائر نواحيه[2] وهو المعبر عنه[3] بعلم أصول الفقه وأكثره يتعلق بعلم العربية ومقاصد الكلام والخطاب، ثم يأخذ قياس ما لم ينص عليه على ما نص بالتنبيه على علته أو شبيهاً له . وهذا كله يحتاج الى مهلة والتعبد لازم لحينه، ثم ان الواصل الى هذا الطريق وهو طريق الاجتهاد والحكم به في الشرع قليل وأقل من القليل بعد الصدر الأول والسلف الصالح والقرون المحمودة الثلاثة وإذا كان هذا فلا بد لمن لم يبلغ هذه المنزلة من المكلفين ان يتلقى ما تعبد به وكلف به من وظائف شريعته ممن ينقله له ويعرفه به ويثبته عليه في نقله وعلمه وحكمه وهو التقليد ودرجة عوام الناس بل أكبرهم هذا ، واذا كان هذا فالواجب تقليد العالم الموثوق بذلك، فاذا كثر العلماء فالأعلم وهذا حظ المقلد من الاجتهاد لدينه ولا يترك المقلد الأعلم

---

(١) هكذا .
(٢) في ـ ر ـ مناحيه .
(٣) في ـ ر ـ عليه .

ويعدل الى غيره وإن كان يشتغل بالعلم فيسأل[١] حينئذ عما لا يعلم حتى يعلمه . قال الله تعالى «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ[٢]» وأمر النبي ﷺ بالاقتداء بالخلفاء بعده وأصحابه ، وقد بعث النبي ﷺ أصحابه في الناس ليفقهوهم في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم وإذا كان هذا الأمر لازماً لا بد منه فكان أولى من قلده العامي الجاهل (والمبتدىء[٣]) المتعبد والطالب المسترشد والمتفقه في دين الله تعالى وأحق بذلك فقهاء اصحاب رسول الله ﷺ الذين أخذوا عنه العلم وعلموا أسباب نزول الأوامر والنواهي ووظائف الشرائع ومخارج كلامه عليه السلام . وشاهدوا قرائن ذلك وثاقبوا في أكثرها النبي عليه السلام واستفسروه عنها مع ما كانوا عليه من سعة العلم ومعرفة معاني الكلام وتنوير القلوب وانشراح الصدور ، فكانوا أعلم الأمة بلا مرية وأولاهم بالتقليد لكنهم لم يتكلموا من النوازل الا في اليسير مما وقع ، ولا تفرعت عنهم المسائل ولا تكلموا من الشرع الا في قواعد ووقائع ، وكان اكثر اشتغالهم بالعمل بما علموا والذبّ عن حوزة الدين وتوكيد شريعة المسلمين ثم بينهم من الاختلاف في بعض ما تكلموا فيه ما يبقي المقلد في حيرة ويحوجه الى نظر وتوقف ، وإنما جاء التفريع والتنتيج وبسط الكلام فيما يتوقع وقوعه بعدهم ، فجاء التابعون فنظروا في اختلافهم وبنوا على اصولهم ثم جاء من بعدهم من العلماء من أتباع التابعين ، والوقائع قد كثرت والنوازل قد حدثت ، والفتاوى في ذلك قد تشعبت فجمعوا أقاويل الجميع وحفظوا فقههم وبحثوا عن اختلافهم واتفاقهم وحذروا انتشار الأمر وخروج الخلاف عن الضبط فاجتهدوا في جمع السنن وضبط الأصول

---

(١) في – ر – وإن كان مستقلاً بالعلم فيسند .
(٢) سورة النحل ٤٣ .
(٣) ساقطة من – ر .

وسئلوا فأجابوا وبنوا القواعد ومهدوا الأصول وفرعوا عليها النوازل ووضعوا في ذلك للناس التصانيف وبوّبوها، وعمل كل واحد منهم بحسب ما فتح عليه ووفق له . فانتهى اليهم علم الأصول والفروع والاختلاف والاتفاق وقاسوا على ما بلغهم ما يدل عليه ويشبه، رضي الله عن جميعهم ووفاهم أجر اجتهادهم فالمتعين على المقلد العامي وطالب العلم المبتدىء أن يرجع في التقليد لهؤلاء[1] لنصوص نوازله والرجوع فيما أشكل من ذلك اليهم، ولاستغراق علم الشريعة ودورها عليهم واحكامهم النظر في مذاهب من تقدمهم وكفايتهم ذلك لمن جاء بعدهم، لكن تقليد جميعهم لا يتفق في أكثر النوازل وجمهور المسائل لاختلافهم باختلاف الأصول التي بنوا عليها ولا يصلح أن يقلد المقلد من شاء منهم على الشهوة والبحث او على ما وجد عليه اهل قطره وآله، فحظه هنا من الاجتهاد النظر في أعلمهم ويعرف الأَولى بالتقليد من جملتهم حتى يركن العامي في أعماله الى فتواه ويجتهد في تعبداته على ما رآه وينصب العامي الأعلم من ملتزمي مذاهب هؤلاء منصبه، ولا يحل له ان يعدو في استفتائه من لا يرى مذهبه، فقد قال بعض المشائخ : ان الامام لمن التزم تقليد مذهبه كالنبي عليه السلام مع أمته، لا يحل له مخالفته . وهذا صحيح في الاعتبار مما بسطناه وشرطناه يظهر صوابه لأولي البصائر والأبصار وكذلك يلزم هذا طالب العلم في بدايته في درس ما أصّله الأعلم من هؤلاء وفرعه وحفظ ما ألفه وجمعه والاهتداء بنظره في ذلك والميل حيث مال معه إذ لو ابتدأ الطالب في كل مسألة فطلب الوقاف على الحق منها بطريق الاجتهاد عسر عليه ذلك إذ لا يتفق له إلا بعد جمع خصاله وتناهي كماله، واذا كان بهذا السبيل استغنى عن تقليد أرباب المذاهب وكان من المجتهدين لنفسه

---

(١) في - ر - الى .

فسبيله ان يقلد من يعرفه ان هذا هو الحق ، حتى اذا ادرك من العلم ما قيض له وحصل منه ما قسم الله تعالى له وأفلح وكان فيه عمل للنظر والاجتهاد انتقل الى ذلك وأدركه ، فاذا تقررت هذه المقدمة فنقول : قد وقع إجماع المسلمين في اقطار الأرض على تقليد هذا النمط واتباعهم ودرس مذاهبهم دون من قبلهم ومع الاعتراف بفضل من قبلهم وسبقه ومزيد علمه، لكن للعلل التي ذكرنا وكفاية ما نحلوه وانتقوه من ذلك كما قدمنا . ثم اختلفت الآراء والهمم في تعيين المقلد منهم بحسب ما اعتقدوه فيه انه هو الأعلم والأولى بالاتباع ، اما من اعتقاد اعتقدوه او انتشار ذكر وثناء سمعوه او من اتباع له اعتمدوه او من تقليد لآبائهم او اهل بلادهم نشأوا عليه وألفوه ، فكان المقلدون المقتدى بمذاهبهم اصحاب الأتباع في سائر الأقطار والبقاع كثرة[1] قبل مالك بن انس بالمدينة وأبو حنيفة والثوري بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة على تقدم منه ، والاوزاعي بالشام ، والشافعي بمصر ، واحمد بن حنبل (بعده[2]) ببغداد وكان لأبي ثور هناك ايضاً اتباع . ثم نشأ ببغداد ابو جعفر الطبري وداود الاصبهاني فألفا الكتب واختارا في المذاهب على آراء اهل الحديث واطرح داود منها القياس وكان لكل واحد منهما أتباع، وسرت جميع هذه المذاهب في الآفاق فغلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر وما والاها من بلاد افريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى الى بلاد من أسلم من السودان الى وقتنا هذا وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً وضعف بها بعد اربعمائة سنة وضعف بالبصرة بعد خمسمائة سنة وغلب من بلاد خراسان على قزوين وأبهر وظهر بنيسابور

---

(١) هكذا .
(٢) الزيادة من — ر .

وكان بها وبغيرها أيمة ومدرسون سنذكر منهم بعد في طبقاتهم من ألهم الله تعالى اليه، وكان ببلاد فارس وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام ، وغلب مذهب أبي حنيفة على الكوفة والعراق وما وراء النهر وكثير من بلاد خراسان الى وقتنا وظهر بافريقية ظهوراً كثيراً الى قريب من اربعمائة عام فانقطع منها ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديماً بجزيرة الأندلس وبمدينة فاس وغلب مذهب الاوزاعي على الشام وعلى جزيرة الأندلس أولاً الى ان غلب عليها مذهب مالك بعد المائتين فانقطع ، وأما مذهب الحسن والثوري فلم يكثر أتباعهما ولم يطل تقليدهما وانقطع مذهبهما عن قريب ، وأما الشافعي فكثر أتباعه وظهر مذهبه ظهور مذهبي مالك وأبي حنيفة قبله وكان اول ظهوره بمصر وكثر اصحابه بها مع المالكية وبالعراق وبغداد وغلب عليها وعلى كثير من بلاد خراسان والشام واليمن الى وقتنا اتباعهم والاقتداء بمذاهبهم ودرس كتبهم والتفقه على مآخذهم والبناء على قواعدهم والتفريع على أصولهم دون غيرهم ممن تقدمهم او عاصرهم، للعلل التي ذكرناها، وصار الناس اليوم في اقطار الدنيا الى خمسة مذاهب مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية وداودية وهم المعروفون بالظاهرية . فحق على طالب العلم ومريد تعرف الصواب والحق ان يعرف اولاهم بالتقليد ليعمل على مذهبه ويسلك في التفقه سبيله ، وها نحن نبين ان مالكاً رحمه الله تعالى هو ذلك لجمعه أدوات الامامة وتحصيله درجة الاجتهاد وكونه أعلم القوم بأهل[1] زمانه واطباق اهل وقته على شهادتهم له بذلك وتقديمه، وهو القدوة والناس إذ ذاك ناس والزمان زمان ، ثم للأثر الوارد في عالم المدينة التي هي داره وانطلاق هذا الوصف والاضافة على ألسنة الجماهير، وموافقة أحواله الحال التي أخبر في

---

(١) في — ر — بل أهل وهو الصواب .

الحديث عنه وتأويل السلف الصالح انه المراد به ، وتفصيل الكلام في ذلك وبسطه في فصلين أولهما[١] ما اعتمد النقل والأثر وفي ذلك ترجيحان، والثاني مسلكه الاعتبار والنظر، وفيه ثلاث ترجيحات فانتهينا في ترجيح مذهبه وعظيم قدره في العلم وعلو منصبه الى خمس حجج كلها أتينا فيها بمبلغ الوسع بما يقطع الغدر[٢] ويكاد ينتهي بعضها الى مدارك القطع .

---

(١) في — ر — أولهما اعتمده النقل ولعله اعتماده .
(٢) هكذا في — ع — وفي — ر — السدد ؟ لعله الشك وعندي معتبر بدليل ما بعده .

الفصل الأول

اعلموا وفقكم الله تعالى ان ترجيح مذهب مالك على غيره وانافة منزلته في العلم وسمو قدره من طريق النقل والأثر لا ينكره إلا معاند او قاصر لم يبلغه ذلك مع اشتهاره في كتب المخالف والمساعد، وها نحن نقرر الكلام في ذلك في حجتين أولاهما : بالتقديم وهو الأثر المشهور الصحيح المروي في ذلك من رسول الله عليه السلام من حديث الثقات، منهم سفيان بن عُيَيْنة عن أبي جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال يوشك ان يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم . وفي رواية يلتمسون العلم فلا يجدون عالماً أعلم، وفي رواية من عالم المدينة[1] وفي بعضها أباط الإبل مكان أكباد الإبل، وقد رواه غير سفيان عن ابن جريج بمثل حديث سفيان منهم المحاربي موقوفاً على أبي هريرة ومحمد بن عبدالله الانصاري في سند وهو ثقة مأمون . وهذا الطريق أشهر طرقه ورجال هذا الطريق رجال مشاهير ثقات خرج عن جميعهم البخاري ومسلم واهل الصحيح ورواه ايضاً المقبري عن أبي هريرة بلفظ آخر حدث به القاضي ابو البُختري وهب بن منتبه عن عبد الاعلى بن عبد الله عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لا تنقضي السّاعة حتى يضرب الناس أكباد الإبل من كلّ ناحية الى عالم المدينة يطلبون علمه إلاّ ان أبا البختري ضعيف عندهم وقد رواه النسائي ايضاً، وخرجه في مصنفه عن علي بن محمد بن كثير عن سفيان

(١) في - ر - أفقه من عالم المدينة .

عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ تضربون أكباد الإبل وتطلبون العلم فلا تجدون عالماً أعلم من عالم المدينة . قال النسائي هذا خطأ والصواب ابو الزبير عن أبي صالح . ورواه ايضاً ابو موسى الأشعري عن النبي عليه السلام بلفظ آخر حدث به معن بن عيسى عن أبي المنذر التميمي زهير قال : قال رسول الله ﷺ يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة . وذكر ابن حبيب حديثاً يسنده عن أبي صالح عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : لا تنقطع الدنيا حتى يكون عالماً بالمدينة تضرب اليه أكباد الإبل ليس على ظهر الدنيا أعلم منه .

قال سفيان بن عُيَيْنة من غير طريق واحد : نرى ان المراد بهذا الحديث مالك بن أنس ، وفي رواية هو مالك بن أنس ومثله عن ابن جريج وعبد الرزاق وروي عن سفيان انه قال كنت أقول هو ابن المسيب حتى قلت : كان في زمن ابن المسيب سليمان وسالم وغيرهما ثم اصبحت اليوم أقول انه مالك . وذلك انه عاش حتى لم يبق له نظير بالمدينة ، وهذا هو الصحيح عن سفيان رواه عنه الثقات والأئمة ابن مهدي ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، والزبير بن بكار ، واسحاق بن أبي اسرائل ، وذويب بن غمامة السهمي وغيرهم (كلهم)[1] سمع سفيان يقول في تفسير الحديث إذا حدثهم به : هو مالك او أظنه او أحسبه او أراه وكانوا يرونه ، قال ابن مهدي يعني سفيان بقوله كانوا يرونه التابعين . قال القاضي ابو عبدالله التستري هو اخبار عن غيره من نظرائه او ممن هو فوقه وان منزلته كانت في نفوسهم هذه المنزلة لما شاهدوه من حاله التي تشبه ما أخبر به في الحديث ، قال وقد

---

(١) الزيادة من — ر .

جاءت هذه الاحاديث بلفظين احدهما : لا يجدون عالماً اعلم من عالم المدينة ، والآخر : من عالم بالمدينة ، ولكل واحد منهما معنى صحيح . فأما قوله من عالم بالمدينة فأشارة الى رجل بعينه يكون بها لا بغيرها ولا نعلم احداً انتهى اليه علم اهل المدينة وأقام بها ولم يخرج عنها ولا استوطن سواها في زمن مالك مجمعاً عليه إلا مالكاً . ولا أفتى بالمدينة وحدث[1] نيفاً وستين سنة احد من علمائها يأخذ عنه اهل المشرق والمغرب ويضربون اليه أكباد الإبل غيره . واما رواية عالم المدينة او اهل المدينة فقد ذكر محمد بن اسحاق المخزومي ابو المغيرة ان تأويل ذلك ما دام المسلمون يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة كان بها او بغيرها . فيكون على هذا سعيد بن المسيب لانه النهاية في وقته ثم بعده غيره ممن هو مثله من شيوخ مالك ، ثم بعدهم مالك ثم بعده من قام بعلمه وصار اعلم اصحابه بمذهبه ، ثم هكذا ما دام للعلم طالب ولمذهب اهل المدينة إمام . ويجوز على هذا ان يقال هو ابن شهاب في وقته والعمري في وقته ومالك في وقته ، ثمّ إذ أجمعت اللفظتان اختصّ مالك بقوله من عالم بالمدينة ودخل في جملة علماء المدينة باللفظ الآخر ، وقال بعض المالكية إذا اعتبرت كثرة من روى عن مالك من العلماء ممن تقدمه او عاصره او تأخر عنه على اختلاف طبقاتهم وأقطارهم وكثرة الرحلة اليه والاعتماد في وقته عليه ، دلّ بغير مرية انه المراد بالحديث . إذ لم نجد لغيره من علماء المدينة ممن تقدمه او جاء بعده من الرواة والآخذين إلا بعض من وجدناه وقد جمع الرواة عنه غير واحد، وبلغ بهم بعضهم في تسميه من علم بالرواية عنه سوى من لم يعلم ألف راوٍ واجتمع من مجموعهم زائداً على الألف وثلاثمائة، ويدلّ كثرة قصدهم له كونه أعلم اهل وقته وهو الحال

---

(١) في – ر – وحده وهو خطأ .

والصفة التي أنذر بها عليه السلام لم يستريب السلف انه هو المراد بالحديث وعدّ هذا الخبر من معجزاته وآياته عليه السلام مما أخبر به من الكائنات فوقعت كما أخبر به عليه الصلاة والسلام .

وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب : أمّا انه لا ينازعنا في هذا الحديث احد من أرباب المذاهب . إذ ليس منهم من له إمام من اهل المدينة . فيقول المراد به إمامي . ونحن ندعي انه صاحبنا بشهادة السلف وبانه إذا أطلق بين اهل العلم عالم المدينة وامام دار الهجرة فالمراد به مالك عندهم دون غيره من علمائها . كما إذا قيل قال الكوفي فالمراد به ابو حنيفة دون سائر فقهاء الكوفة .

قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه : فوجه احتجاجنا بهذا الحديث من انه مالك من ثلاثة أوجه ، أحدها تقييد السلف بان المراد بالحديث هو حسبما نقلنا عنهم وما كانوا ليقولوا ذلك إلا عن تحقيق ولا ليذيعوه بهوى وهم المبرّؤون من ذلك مع تنافس الأقران وما جُبِلت عليه القلوب من قلة الانصاف للأمثال فكيف فُضِّل هذا[1] . الوجه الثاني انك إذا اعتبرت ما أوردناه من شهادة السلف الصالح بانه أعلم من على ظهر الارض وأعلم من بقي وأعلم الناس وامام الناس ، وعالم المدينة وامام دار الهجرة وأمير المؤمنين في الحديث ، وأعلم علماء المدينة وتعويلهم عليه واقتداؤهم بـه واجماعهم على تقديمه وطالعت ذلك فيما نورده من أخباره ظهر وبان انه المراد بالحديث إذ لم تحصل هذه الاوصاف لغيره ولا أطبقوا على هذه الشهادة لسواه . الوجه الثالث هو ما نبه عليه بعض الشيوخ من ان طلبة العلم لم يضربوا أكباد

---

(١) في ـ ر ـ فكيف بضد هذا .

الإبل من شرق الارض وغربها الى عالم ولا رحلوا اليه من الآفاق رحلتهم الى مالك، لما اعتقدوا فيه من تقديمه على سائر علماء وقته، ولو اعتقدوا ذلك في غيره لما ولوا اليه فالناس أكيس من ان يحمدوا رجلًا من غير ان يجدوا آثار احسان .

الترجيح الثاني في هذا الفصل من طريق النقل والمعتمد فيه مجرد تقليد السلف وأيمة المسلمين وعلمائهم في المسألة وبالاعتراف لمالك رحمه الله تعالى بانه اعلم وقته وامامه وأعلم الناس وأعلم علماء المدينة وأشباه هذا من شهادتهم له بذلك واعترافهم به وتقليدهم إياه واقتدائهم به على رسوخ كثير منهم في العلم وترجيحهم مذهبه على مذهب غيره مما سنورده في بابي ثنائهم عليه واقتدائهم به بعد هذا عند ذكرنا شمائله ومناقبه وهما بابان متسعان . وسنورد هنا لمعاً من ذلك تومي الى ما وراءها ان شاء الله تعالى . من ذلك قال ابن هرمز شيخه فيه انه عالم الناس ، وقال سفيان بن عيينة لما بلغه وفاته ما ترك على الارض مثله ، وقال : مالك امام ومالك عالم اهل الحجاز ، ومالك حجة في زمانه ومالك سراج الأمة ، وما نحن ومالك انما كُنّا نتّبع آثار مالك ، وقال الشافعي: مالك استاذي وعنه أخذنا العلم وما احد أَمَنّ عَليّ من مالك وجعلت مالكاً حجة بيني وبين الله تعالى، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ احد مبلغ مالك في العلم لحفظه وإتقانه وصيانته ، وقال : العلم يدور على ثلاثة مالك والليث وسفيان بن عيينة ، وحُكي عن الاوزاعي انه كان إذا ذكره قال : قال عالم العلماء وعالم اهل المدينة ومفتي الحرمين ، وقال بقية بن الوليد : ما بقي على وجه الارض أعلم بسنة ماضية ولا باقية منك يا مالك ، وقال ابو يوسف : ما رأيت أعلم من ثلاثة ، فذكر مالكاً وأبا حنيفة وابن أبي ليلى، وقال ابن مهدي – وسئل عن مالك وأبي حنيفة – مالك أعلم من أستاذي أبي حنيفة ، وقدّمه ابن حنبل على الاوزاعي والثوري والليث وحماد ،

والحكم في العلم . وقال : هو امام في الحديث والفقه ، وسئِل عمن يريد ان يكتب الحديث وينظر في الفقه حديث من يكتب ؟ وفي رأي من ينظر ؟ فقال حديث مالك ورأي مالك ، وقال يحيى بن سعيد القطان : مالك امام يقتدى به ، وقال ابن معين : مالك من حجج الله على خلقه . إمام من أيمة المسلمين مجمع على فضله ، وقال أيوب بن سويد : مالك إمام دار الهجرة ، وقال ابو جعفر المنصور انه أعلم اهل الارض . وقال سعيد بن الحداد كان مالك من الراسخين في الاسلام ارسخ في العلم من الجبال الراسيات ، وقال حميد بن الأسود كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت وبعده عبدالله بن عمر ، قال علي بن المديني وأخذ عن زيد ممن كان يُتبّع رأيه واحد وعشرون رجلاً . ثم صار علم هؤلاء الى ثلاث ابن شهاب وبكير بن عبدالله وأبي الزّناد ، وصار علم هؤلاء كلهم الى مالك بن أنس ، وقال أسد ابن الفرات : إن أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك بن أنس ، قال حماد بن زيد : دخلت المدينة ومنادياً ينادي لا يفتي الناس في مسجد رسول الله ﷺ ويحدث إلا مالك بن أنس ، وقد استوعبنا هذه الشهادات والاعتراف بعد هذا ، وقد اعترف له بالعلم والإمامة يحيى بن سعيد شيخه والاوزاعي والليث وابن المبارك وجماعة من هذا النّمط ومن بعدهم كالبخاري ومحمد بن عبد الحكم وابو زرعة الرّازي ومن لا ينعد كثرة . وكذلك ذكرنا في الباب الآخر اقتداء السلف واهل العصر من العلماء ، وسائر الناس به ونحن نذكر هنا شيئاً من ذلك ، قال سعيد بن منصور رأيت مالكاً يطوف وخلفه سفيان الثوري كلما فعل مالك شيئاً فعله يقتدي به ، قال ابن أبي أويس كان الناس كلهم يصدرون عن رأي مالك وكان للأمير عنده رجل يسأله وكذلك القاضي والمحتسب ، وسأل رجل ابن عيينة عن الضحية بالليل فقال له سفيان لا بأس بذلك فقال له ابن وهب فان مالكاً

قال لا يضحى بالليل فقرأ في أيام معلومات ، فنادى سفيان بالرجل وقال : ان هذا أخبرني عن مالك انه لا يضحى بليل ، وقال حميد : اهل المدينة[١] بعد زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك ، وقال عتيق بن يعقوب : ما اجتمع احد بالمدينة إلا أجمع عليه ، ونطالع بعد هذا بقية ما شابه ما ذكرناه .

(١) هكذا بالأصل والنسخ التي بين أيدينا .

الفصل الثاني

في ترجيحه من طريق الاعتبار والنظر
وفيه ثلاثة اعتبارات

الاعتبار الأول ان نبين جمع مالك لدرجات الاجتهاد في الدين وحَوْزه خصال الكمال في العلم، وبلوغه في ذلك المنزلة التي لم يبلغها أحد من هؤلاء المقلَّدين، قاصداً بذلك مقصد الحق غير راكن الى التعصب قائماً بالصدق ومقتصداً فيما أذكره من ذلك غير مستبيح عرض أحد من الأئمة، وقادة الخلق. وها هنا معارك النزاع والاعتلاج ومثار العناد واللجاج. فأقول والمستعان الله: لا خفاء على منصف من الامامة في علوم الشريعة وعلم الكتاب والسنة وانه إمام المسلمين وأعلمهم في وقته بسنة ماضية وباقية وأمير المؤمنين في الحديث ثم العلم بالاختلاف والاتفاق، وهذا كله ما لا ينكره مخالف ولا مؤالف إلا من طبع على قلبه التعصب، وانه القدوة في السنن وهو أول من ألف فأجاد التأليف ورتب الكتب والأبواب وضم الاشكال وصنع من ذلك ما اتخذه المؤلفون بعده قدوة وإماماً، الى وقتنا هذا في أقطار الارض، هذا مع صفوة الابتداء وخيرة الاختراع وهو أول من تكلم في غريب الحديث وشرح في موطئه الكثير منه، وقد قال الأصمعي أخبرني مالك ان الاستجمار هي الاستطابة ولم أسمعه إلا من مالك، وله[1] في تفسير

---

(١) في – ر – وله في تفسير القرآن، وهو أظهر، على ان بالاصل: وفي تفسير القرآن له كلام كثير.

القرآن كلام كثير . وقد جمع ، وتفسير رواه عنه بعض أصحابه ، وقد جمع أبو محمد مكي مصنفاً فيما روي عنه من التفسير والكلام في معاني القرآن وأحكامه مع تجويده له وإحسان ضبط حروفه ، وقد ذكره أبو عمرو المقري في كتابه في طبقات القراء المتصدرين وذكر روايةً عن نافع ، قال البهلول ابن راشد وغيره ما رأيت أنزع بآية من مالك بن انس مع معرفته بالصحيح والسقيم والمعمول به من الحديث والمتروك، وميزة الرجال وصحة حفظه و كثرة نقده الى ما يؤثر عنه من الكلام في غير ذلك من العلوم كرسالته الى ابن وهب في الرد على اهل القدر، وكقوله : جالست ابن هرمز ثلاث عشرة سنة ، ويروى ست عشرة سنة في علم لم أبثه لأحد من الناس . قال : وكان من أعلم الناس بالرد على اهل الأهواء ، وبما اختلف فيه الناس ، وقال المهدي : أخبرني بعض نقاد المعتزلة من القرويين قال : أتيت مالك بن أنس فسألته عن مسألة من القدر بحضرة الناس فأومأ الي ان اسكت فلما خلا المجلس قال لي سل الآن وكره ان يجيبني بحضرة الناس . قال : فزعم المعتزلي أنه لم تبق مسألة من مسائلهم إلا سأله عنها وأجابه فيها، وأقام الحجة على ابطال مذهبهم حتى نفد ما عند المعتزلي وأقام عنه، وتأليفه في الأوقات وفي النجوم واشاراته الى مأخذ الفقه وأصوله التي اتخذها أهل الاصول من اصحابه معالم اهتدوا بها وقواعد بنَوْا عليها وغيره ممن ذكرنا، لم يجمع هذا الجمع ولا وصل هذا الحد مع اشتغالهم بالفقه ووصفهم بالعلم، ولكن فوق كل ذي علم عليم، مع الثقة التامة والتقوى وشدة التحري في الحديث والفتيا . وبهذا الوجه احتج الشافعي على محمد بن الحسن في ترجيح علم مالك على علم أبي حنيفة حين تناظرا في ذلك فقال له الشافعي : الانصاف تريد ام المكابرة . قال الانصاف ، قال[1]

---

(١) في – ر – قال له .

الشافعي ناشدتك الله فمن أعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه قال محمد ابن الحسن : اللهم صاحبكم ، فقال الشافعي : فمن أعلم بسنة رسول الله ﷺ قال اللهم صاحبكم ، قال الشافعي فمن أعلم بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ قال اللهم صاحبكم ، قال الشافعي فلم يبق الا القياس . قال محمد صاحبنا أقيس، قال الشافعي القياس لا يكون إلا بهذه الأشياء فعلى أي شيء يقيس ، ثم قال الشافعي ونحن ندعي لصاحبنا ما لا تدعونه لصاحبكم ، وفي رواية وصاحبنا لم يذهب عليه القياس ولكنه كان يتوقى ويتحرى ويريد التأسي بمن تقدمه فرحم الله تعالى الشافعي ومحمد بن الحسن فلقد أنصفا والذي قاله الشافعي هو حق اليقين فان الاجتهاد واليقين[١] والقياس والاستنباط إنما يكون على الاصول فمن كان أعلم بها كان استنباطه أصح وقياسه أحق وإلا فمتى اختلّت معرفته بالأصول قاس على اغترار ، وبنى على شفا جرف هار، وقد احتج بهذه الحكاية الامام أبو اسحاق الشيرازي على الخراسانيين في اقتصارهم في النظر على المسائل القياسيات المسماة عندهم بالطبوليات لتنتج الكلام فيها ومد أنفاس الجدال بين أهلها ، واذا كان باتفاق ما قاله الشافعي وهو الحق وهو قول جماهير العلماء ان الاجتهاد لا يصح والقياس الا لمن جمع آلته من علم الكتاب والسنة وأحكم ذلك على ما يجب، ثم جمع الى ذلك من آلات الاجتهاد وفهم الألفاظ والمعاني وتصريفها ما لا غنى له عنه ، ثم عرف مواضع الاجماع والاتفاق ومسايل الخلاف والنزاع فمتى اختل على العالم شيء من ذلك كان غضاً من إمامته ونقصاً من كماله ، ولم يصح له الاجتهاد ولا ساغ له النظر في الدين إلا باجتماع ذلك . ومتى أخل بأحد هذه القواعد فلا يحل له الاجتهاد في الدين ولا الفتوى بين المسلمين ولا القياس على ما يبلغه . وقد تقرر استقلال مالك

---

(١) زائدة في — ن .

بهذه الاصول على السنة المولف والمخالف، ولا يلتفت الى متعصب نعق آخر الزمان بما أراد به الغض منه في الاجتهاد وما غض إلا من نفسه، مع تصريحه عنه بأنه أعلم علماء المدينة وأمير المؤمنين في الحديث وإمامة الشافعي تكذب هجر قوله، وأئمة الهدى وأعلام العلماء ممن ذكرنا وممن سنذكر إن شاء الله تعالى يخالفه[١] ويشهد بتهافته فيما قال وجهله، ثم نظرنا الى الأئمة المقلّدين في عصره فلم نجد واحداً منهم جمع من ذلك ما جمع ولا اضطلع بهذه الاصول كما اضطلع. وأما أبو حنيفة والشافعي فيسلم لهما حسن الاعتبار وتدقيق النظر والقياس وجودة الفقه والإمامة فيه. لكن ليس لهما إمامة في الحديث ولا معرفة به ولا استقلال بعلمه، ولا يدّعيانه ولا يدعى لهما وقد ضعفهما فيه اهل الصنعة. وهذا[٢] أهل الصحيح لم يخرجا عنهما منه حرفاً، ولا لهما في اكثر المصنفات ذكر، وإن كان الشافعي متبعاً الحديث ومفتشاً على السنن لكن بتقليد غيره، والاحتمال على رأي سواه، والاعتراف بالعجز عن معرفته، فقد كان يقول لابن مهدي وابن حنبل أنتما أعلم بالحديث مني فما صح عندكما منه تعرّفاني به لآخذ به وهذه درجة تقصر عن درجة الاجتهاد العالية[٣] وأين تجد المجتهد في كل حين إماماً في الحديث، إذا لم يتبحّر فيه او في علم القرآن إذا لم يستقل به، يسأل هل لنازلته التي ينظر فيها أصل فيها ام لا؟ ولا سبيل الى إمامتها (في الفقه[٤]) جملة، وللشافعي في تقرير الأصول وتمهيد القواعد وترتيب الأدلة والمآخذ وبسطه ذلك ما لم يسبقه اليه مَن قبله، وكان فيه عليه عيالاً، كل من جاء بعده مع التفنن

---

(١) ص – يخالفوه.
(٢) بالأصل وهذا.
(٣) ن – العليّة.
(٤) ما بين القوسين زيادة من – ن.

في علم لسان العرب والقيام بالخبر والنسب، وكلٌّ ميسر لما خلق له[١]. كما أن احمد وداود من العارفين بعلم الحديث ولا تنكر إمامة أحد[٢] منهما فيه لكن لا يسلم لهما الإمامة في الفقه ولا جودة النظر في مأخذه ولم يتكلما في نوازل كثيرة كلام غيرهما وميلهما مع المفهوم من الحديث . لكن داود نهج اتّباع الظاهر وبقي القياس فخالف السلف والخلف وما مضى عليه عمل الصحابة فمن بعدهم حتى قال بعض العلماء ان مذهبه بدعة ظهرت بعد الماءتين وحتى أنكر عليه ذلك اسماعيل القاضي أشد إنكار ، وإذا لم يقل بالقياس وهو احد اركان الاجتهاد فيما يجتهد (فعلّى م[٣]) فيما لم ينص عليه يعتمد، وليس تقصير من قصر منهج في فن بالذي يسقط رتبته عن الآخر ولكل واحد منهم من الفضائل والمناقب ما حشيت به الصحف ونقله السلف والخلف . لكنّ نقص ركن من أركان الاجتهاد يخل به على كل حال والله ولي الارشاد .

الاعتبار الثاني : الالتفات الى مأخذ الجميع في فقههم، ونظرهم على الجملة في علمهم، إذ تخصيصه في آحاد النوازل وشعب الوقائع لا يدرك صوابه إلا المستقل بالعلم وتبيين ذلك لغيره يطول ، ولا يدرك إلا في أمد تنقضي فيه الاعمار وتمر السنون ، وحسب المبتدىء ان يلوح له بتلويح يفهمه اللبيب ويقضي منه بترجيح مصيب ، وهو أنا قد ذكرنا خصال الاجتهاد[٤] ثمّ مأخذه وترتيبه على ما يوجبه الفعل ويشهد له الشرع بتقديم كتاب الله على ترتيب وضوح أدلته من نصوصه ثم ظواهره ثم مفهوماته ثم كذلك بسنة رسول

---

(١) في — ر — وكل ميسر لما خلق له وبالنسخ الاخرى كل ميسر لما خلق .
(٢) في — ن — ولا تنكر إمامة احمد . وكأنه خطأ من الناسخ .
(٣) مثبتة بالأصل ساقطة بالنسخ الأخرى ، وما قبلها في — ص — و — ن — فيما يجهد وفي — ر — مجتهد .
(٤) بالنسخ : خصال الاجتهاد مأخذه . والتصحيح من — ن .

الله ﷺ على ترتيب متواترها ومشهودها ، ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهومها على ما تقدم في الكتاب ثم الاجماع عند عدم الكتاب ومتواتر السنة . وبعد ذلك عند عدم هذه الأصول القياس عليها والاستنباط منها إذ كتاب الله مقطوع به وكذلك ما تواتر من سنة نبيه وكذلك النص مقطوع به فوجب تقديم ذلك كله ثم الظواهر ثم المفهوم منها لدخول الاحتمال في معناها ثم أخبار الآحاد يجب العمل بها والرجوع عند عدم الكتاب والتواتر لها وهي مقدمة على القياس لإجماع الصحابة على الفعلين وتركهم نظر أنفسهم متى بلغهم خبر ثقة عن النبي وامتثالهم مقتضاه دون خلاف منهم في ذلك ، آخراً . إذ إنما يلجأ إليه عند عدم هذه الأصول في النازلة فيستنبط من دليلها ويعتبر الاشياء بها على ما مضى عليه عمل الصحابة ومن بعدهم من السلف المرضيين وعلم من مذهبهم أجمعين ، وأنت إذا نظرت لأول وهلة منازع هؤلاء الأيمة وتقررت مأخذهم في الفقه والاجتهاد في الشرع وجدت مالكاً رحمه الله تعالى ناهجاً في هذه الأصول منهاجها ، مرتباً لها مراتبها ومدارجها مقدّما كتاب الله ومرتباً له على الآثار ، ثم مقدماً على القياس والاعتبار ، تاركاً منها لما لم يتحمله عنده الثقات العارفون بما تحملوه او ما وجد الجمهور الجم الغفير من اهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه . ولا يلتفت الى من تأول عليه بظنه في هذا الوجه ، سوء التأويل وقوّله ما لا يقوله بل يصرح أنه من الأباطيل . ثم كان من وقوفه عن المشكلات وتحريه عن الكلام في المعوصات ما سلك به سبيل السلف الصالحين وكان يرجح الاتّباع ويكره الابتداع والخروج عن سنن الماضين ، ثم سلك الشافعي سبيله وبسط مأخذه في الفقه وأصوله . لكن خالفه في أشياء أدّاه إليه اجتهاده وثقوب فِطْنته ولم يخلصه من دركها عدم استقلاله بعلم الحديث والأثر ، وتزحزحه عن الانتهاء في معرفته، ثم ما جرى بينه وبين بعض المالكية بمصر وحمله عليه حتى

تميّز عنهم بعد ان كان معدوداً فيهم وواحداً من جملتهم ، فبان بأصحابه وتلاميذه ، وصرح حينئذ بالخلاف والرد على أكبر أساتيذه كما سنذكره في أخباره بعد هذا إن شاء الله تعالى من قصته مع فتيان ابن أبي السمح ، وتعصبه عليه وامتحان ذلك الآخر به ودخول التنافر بينه وبين جماعتهم منذ ذلك بسببه .

[**فصل**] واما ابو حنيفة فانه قال بتقديم القياس والاعتبار على السّنن والآثار ، فترك نصوص الأصول وتمسك بالمعقول وآثر الرأي والقياس والاستحسان ، ثم قدّم الاستحسان على القياس فأبعد ما شاء . وحد بعضهم استحسانه انه الميل الى القول بغير حجة . وهذا هو الهوى المذموم والشهوة والحدث في الدّين والبدعة ، حتى قال الشافعي من استحسن فقد شرع في الدين . ولهذا ما خالفه صاحباه محمد وابو يوسف في نحو ثلث مذهبه إذ[١] وجدوا السنن تخالفهم تركها لما ذكرناه عن قصد لتغليبه القياس وتقديمه او لم تبلغه ولم يعرفها إذ لم يكن من مثقف علومه وبها شنّع المشنّعون عليه وتهافت الجراء على دم البراء بالطعن إليه . ثم ما تمسّك به من السنن فغير مجمع عليه ، وأحاديث ضعيفة ومتروكة وبسبب هذا تحزّبت طائفة اهل الحديث على اهل الرأي وأساءوا فيهم القول والرأي . قال احمد بن حنبل ما زلنا نلعن اهل الرأي ويعلنوننا حتى جاء الشافعي فمزج بيننا يريد انه تمسك بصحيح الآثار واستعملها ، ثم أراهم أنّ من الرأي ما يحتاج إليه وتنبني أحكام الشرع عليه ، وانه قيّاس على أصولها ومنتزع منها . وأراهم كيفية انتزاعها ، والتعلق بعللها وتنبيهاتها . فعلم أصحاب الحديث ان صحيح الرأي فرع للأصل ، وعَلِمَ أصحاب الرأي انه لا فرع إلا بعد الأصل ،

---

(١) — ن — إذا وجدوا السنن .

وانه لا غنى عن تقديم السّنن وصحيح الآثار أولاً . ونحو هـذا في هذا الفصل قول ابن وهب : الحديث مضلة إلا للعلماء . ولولا مالك والليث لضللنا وأما احمد وداود فانهما سلكا اتباع الآثار ، ونكّبا عن طريق الاعتبار ، ولكن داود غـلا في ذلك فترك القياس جملة . فأحدث هو وأصحابه من القول بالظاهر ما خالف فيه أيمة الأمة ، فخانه التمسك برفع أدلة الشريعة وأعرض عما مضت[١] عليه من الاجتهاد والاعتبار وسمى ما لم يجد فيه نصاً ظاهراً عفواً ، وأطلق على بعضه الإباحة واضطربت أقوال أصحابه في ذلك لضيق المسلك فيه ، فتهافت مذهبه ، واختلّ نظره ، وجاء من اتباع الظاهر بمقالات يمجّ الكثير منها السمع وينكره . وقال احمد : الخبر الضعيف عندي خير من القياس ، وبديهة[٢] العقل تنكر هذا . فـلا خير في بناء على غير أساس ، وهـــذا أكرمكم الله اعتبار في التفضيل نبيل ، يدلّ المنصف على السالك منه نهج السبيل .

الاعتبار الثالث : يحتـاج الى تأمل شديـد ، وقلب سليم من التعصب شهيد ، وهو الالتفات الى قواعد الشريعة ومجامعها ، وفهم الحكمة المقصودة بها من شارعها . فنقول : إن أحكام الشريعة اوامر ونواهي تقتضي حثـاً على قرب من محاسن، وزجراً على مناكر وفواحش، وإباحة لما به مصالح هذا العالم وعمارة هذه الدار ببني آدم . وأبواب الفقه وتراجم كتبه كلها دائرة على هذه الكلمات وسنشير الى رموز في كلمات هذه القواعد لنبين[٣] للناظر من اتبـع فيها معنى الشرع المراد أو خالف فنكب عن السداد وحاد ، وإن مالكاً

---

(١) – ن – خصّت .
(٢) – ن – وبهدية .
(٣) في – ص – ليستبين وكذلك – ن .

في ذلك كله أهدى سبيلاً وأقوم قيلاً وأصح تفريعاً وتفصيلاً . فنقول أول ما تكلم فيه من أبوابه الطهارة التي صرح صاحب الشرع بأنها شطر الايمان وأمر الله تعالى بالطهارة من الحدث والخبث وخص ذلك بالماء بقوله : « ماءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ[١]». « وأَنزَلْنَا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً »[٢] . فأبو حنيفة الذي يرى إنها تجزي الطهارة من الحدث بالنبيذ المستنبذ في السفر عند عدم الماء مع حكم أكثر العلماء بنجاسة ما بلغ من الأنبذة هذا الحد وتجزي[٣] عنده من النجاسة بكل نبيذ مائع من خل ومرير[٤] وعسل ولبن وتجزي منها عنده وعند الشافعي في احد قوليه بكل ماء مضاف ومتغير بالاضافة ، ولو كان بقطران وما أشبهه ما لم يغلب على أجزائه ما أضافه . أتراهما رأيا للفظ التطهير والتنظيف قدراً وقد زاد العضو تلويثاً بذلك وقدراً ام جعلا لتخصيص الماء حكماً او لوصفه بالتطهير معنى ، كذلك اشترطه الشافعي وأحمد القلتين فيما تحل فيه النجاسة ، وحديثهما ليس بثابت وتقريرهما تخمين وحدس غير متفق ولا مستقر لهما قول عليه، وإنه إن نقص منهما كوز أثرت فيه النجاسة ومتى حلت نجاسة قليلة في كيزان كثيرة كانت كلها نجسة ما دامت متفرقة فاذا جمعت في بركة صارت طاهرة ، وإنه إن غرف من ماء قدر قلتين بإناء نجس كان ما في الاناء طاهراً وباقي القلتين نجس . وسوسة في هذا الباب كله عن مدرك الصواب ، حتى قال عظيم من اصحابه اشتراط القلتين مثار لوسواس . كذلك داود في اقتصاره في النهي عن البول في الماء الدائم على مجرد ظاهره فلا يفسده عنده ولا بواقع النهي إلا من بال فيه ، وإن من بال

---

(١) الأنفال — ١١ .
(٢) الفرقان — ٤٨ .
(٣) في — ص — ويجزي .
(٤) — ن — ومرّي .

في كوز وصبه فيه أو أحدث فيه أو بال بقربه فسال اليه بوله غير داخل في النهي عنده ولا مفسد للماء شيء من ذلك إلا بتغييره . أليس يعلم على القطع ان هذا صد عن مراد الشارع وقطع كذلك، فهم من تخصيص بعض الأعضاء بالوضوء ما تقدم من معنى التنظيف والتحسين الذي هو معنى الوضوء. إذ تلك الأعضاء من الوجه واليدين والرأس والرجلين هي الطهارة من ابن آدم غالباً والتي تحتاج الى التنظيف والتحسين أبداً أما اليدان والرجلان فلما يعانى بها من الأعمال التي تعقب الأدناس والأوساخ وتلاقي من الأمور التي تنتج عنها الدرن والأقذار، وانظر من لا يحتبل بالوضوء والماء والطهارة من البوادي وأجلاف الأعراب واسوداد القـذر بروائحه وبراجمه وتراكم الدنس المـُوالي[1] جوفاً بكوعه ورسغه، وكذلك الوجه سمة ابن آدم ومحياه وصورته التي كرمه الله بها وسياه وهو نصب لفح الهواجر، ومثار نقع الاقدام والحوافر وفيه مسام تقذف بأوساخها من قذاء عين ومخاط أنف وبصاق فم، وكل يحتاج الى تنظيف، فشرع بجميعها الغسل والتكرار . ولما كان الرأس مستوراً غالباً شرع فيه المسح اكتفاء بدهنه بالماء لأن الله شعثه ولأن غسله عند كل حدث مما يشق ويهلك، فهل وفّى الشافعي بعبرة هذا الأصل اذا اكتفى بصب الماء عن الدلك وبالمسح على شعرات او ثلاث من جميع الرأس؟ وأبو حنيفة في الاقتصار على الناصية؟ والثوري في الاقتصار على شعرة؟ ولا يعترض على ما مهدناه بكون التيمّم بدلاً من الوضوء عند عدم الماء ولا تنظيف فيه ولا تحسين بل الضر من ذلك، فاعلم ان هذا السر عجيب في الشريعة لمن عدم الماء الطهور وهو متكرر وشاق في السفر وكانت الصلاة دونه مع تأدية[2]

(١) في – ن – الحوالي .
(٢) – ن – مع تماديه .

فقد تركن اليها النفوس[١] لحبها الدعة وخشية اتخاذها ذلك عادة، جعل الشرع التيمم تنبيهاً على انها لا تستباح إلا بطهارة، ولتنقّي النفس على استعمالها وشرع ما لا يعدم من وجه الارض وخفف حاله في بعض الاعضاء وفي كل حكم والله الموفق. وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: إنما الأعمال بالنيات. وأبو حنيفة والثوري يريان[٢] ان الطهارة للصلاة تجزى بغير نية وهي مفتتح أجلّ القربات وفرق بينها وبين التيمم بغير حجة الا بحيلات لا تقوم على قدم. وسوّى الاوزاعي في الجميع فلم يوجبها. ترتقي الى أجل القربات المقرونة بكلمتي التوحيد وهي الصلاة والزكاة وأبو حنيفة يجزي عنده من الصلاة أقل ما يجزي في كل مذهب وهي رياضة النفوس الجامة وصقالة القلوب الصدية[٣] ومظان الخشوع والمناجاة وسر العبودية المحضة ويرى التحيل في إسقاط الزكاة بعد وجوبها عند رأس الحول يبعدها عن ملكه ظاهراً بما يوطىء عليه غيره، ليصرفها عليه بعد الحول، وهي طهارة الأموال ودليل صحة الايمان كما قال عليه السلام: الصدقة برهان وسد خلة الضعفاء. ونهى الشرع عن التحيل فيها بالتفريق والتجميع ونهى عن الخداع والخلابة فهل وفى القائل بها في هاتين القاعدتين فجهدها أو طابق عمله المعنى الموصوف له في الشرع وحكمها. كذلك نهى عن شرب الخمر، وعلل ذلك بإيقاع العداوة او البغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وقد فهمت الصحابة لأول ورود الآية المعنى فحملوه على العموم. وقال النبي ﷺ كل مسكر حرام. فمن فرق من الكوفيين بين نبيذ[٤] العنب ومطبوخه وسائر المسكرات وأباحها ما لم تبلغ بشاربها

---

(١) في – ص – النفس وكذلك في – ن.
(٢) – ن – يريدان.
(٣) في – ص – بالصدقة و – ن – الصدية و – ر – الصادية.
(٤) – ن – نيء العنب ومطبوخه.

عدم التميز خالف الأصلين وخرج[١] قاعدة الشرع في الفصلين ، ثم ننظر في الفروج فنتيقن ان حكمة الله في تحصينها وضع أعظم الحدود وأشنعها لمؤثر السفاح على ما أبيح له منها بالنكاح ، والملك على الوجوه التي قيدها الشرع لصلاح هذا الخلق وبقاء التميز والمعارف لهذا النسل ، فمن رأى ان الاستئجار على الزنى مسقط للحدود الموضوعة فيه ، وأن الزاني بأجرته للخدمة لا حد عليه ، وكذلك اللائط بالذكران وهو أفحش الفواحش لا حد فيه بل يعزّر على قوله ، وقول أهل الظاهر ، فقد ناقض موضوع الشرع وحل رباط هذا الأصل . كذلك حرم الله الدماء والأعراض أشد التحريم وفرض على المعتدين فيها الحد والعذاب الأليم وحمى الأموال على أربابها إلا بحقها وحدّ القطع على سارقها والقتل على المحارب بسببها . فهل قوله أيضاً بإسقاط الحد على سارق كل رطب من الأطعمة حتى لو بقيت قطرة عسل او ماء في حِبّ ذهب فسرقه سارق لم يقطع لأجلها . وكذلك إسقاطه ذلك عن سارق كل ما أصله الإباحة من الجواهر الخطيرة مستخرجات المعادن الثمينة وملتقطات البحر النفيسة وإسقاط القطع عن النباش عن اكفان الموتى فاتح غلق الصيانة للأموال ومسهّل التوصل الى التعدي على الكثير منها دون خوف كبير نكال لاسيما على مذهبه ومذهب داود في تخفيف التعزير واقتصارهم من ذلك على الخفيف اليسير . وكذلك قوله إن من تعدى على ثياب رجل فأفسدها أو شِياهه فذبحها وطبخها، فقد صارت له أموالاً وملكها ولزمت ذمته لربها قيمتها على زعمه مع وجود عينها وان كان عديماً غير مراع — نهى الشرع عن العدوان والتمادي على اغتصاب الأموال وتسويغ إخراجها من أيدي أربابها دون أثمان ثم جعل الله في القصاص حياة[٢] وردعاً

(١) — ن — حرم ولعلها خرم .

(٢) في — ص — جعل الله القصاص في القتل حياة وكذلك — ن .

للمعتدين . فأبو حنيفة يقول إن من قتل الخلائق من غير محدّد الحديد من التغريق والتحريق والتخنيق وسقي السم وغير ذلك من أنواع الاجتراء والظلم لا يقتص منه فقد اجتث هذا الاصل وبسط أيدي المجرمين على أشنع ضروب القتل آمنين من القصاص على هذا الفعل . كذلك الاعراض حصّنت حصنتها[١] وصينت حرمتها بحدود المفترين . فالشّافعي الذي لا يرى الحد بالتعريض المفهوم والحنفي يرى ان جماعة من الفسّاق المجاهرين عدد شهود الوفاء فأكثر لو جاء ، ويجيءُ الشهادة مجالسَ الحُكّام ، وصرّحوا بقذف أفضل الأنام لم يلزمهم حد لمقامهم هذا المقام . فهل يعجز كل فاسق جريء عن هتك عرض كل مسلم بريء بأنواع التعاريض القبيحة . او بأداء الشهادة مع امثاله على رؤوس الملأ بالفواحش الصريحة ، وهم يتوصلون وإن لم تقبل شهادتهم بأمانهم من الحد الى تمزيق الأدم الصحيحة والاخفاء ، بأنّ حكمة الله في منصب الحكم والقضاء ، تحقيق الحق وإبطال الباطل بحكم الدلائل الظاهرة ، وقطع المنازعة والمشاجرة ، وحكمهم بذلك ماض وبواطن الأمور الى الله تعالى . ومن خادع الله فانما يخادع نفسه ومحال[٢] تغيير حكم البشر في الباطن، حكم الله وحكمته ، وقد قال عليه السلام : لعلّ بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً فانما أقطع له قطعة من النّار . فأما ابو حنيفة الذي يرى أنّ القاضي بشهادة شهداء الزور في نكاح امرأة وانتقال ملك يحلل للمشهود له الراشي لهم على الشهادة وطء ذلك الفرج وأكل ذلك المال سراً او علناً[٣] ظاهراً وباطناً . وهو يعلم تحريمه عليه وباطل نسبته إليه وكذلك قال فيمن غصب جارية وادعى[٤] انها ماتت فحكم عليه

---

(١) في — ص — حزنت حوزتها وكذلك — ن .
(٢) في — ص — مجال ولا معنى لها وكذلك — ن .
(٣) في — ص — واعلاناً .
(٤) في — ص — فادعى وكذلك — ن .

بقيمتها ثم أظهرها انها قد طابت وحلت له . وكذلك لو تحيلت امرأة عنده بشاهدي زور على طلاق زوجها فقضى بذلك القاضي حل لهـــا غيره من الأزواج . ولو كان احد الشاهدين ، فأين هذا وفقكم الله من المفهوم من مراد الشارع ومقصده بتغليظ الزجر لاستحلال الفروج بغير حقها ، والمنع هل يتعذر على الفساق بهذا ، الوصول الى شهواتهم فيمن امتنع عليهم من المحصنات او حضر عليهم من الشهوات فأسأل الله توفيقاً يعصم ولا يصم برحمته وهـذا وفقكم الله خمس ترجيحات كلها توجب اليقين وتوضح الحق المبين ، وترغم أناف المتعصبين ، وحسب الناظر في هذا الاعتبار الاخير حسن التأمل أولاً وإجمال التأويل آخراً . فلم نرَ به التسبّب لنقص احد من الأئمة ولا التسلط على[1] عرض سلف الأمة . لا كنا عرفنا الحق وأهله ، ولم ننكر مع ذلك لكل واحد تقدّمه وفضله . والسعيد من عدت عثراته ومن ذا الذي يُعطي الكمال فيكمل . ونحن بعد هذا نسرد أخبار مالك رحمه الله وسيره وجملة تاريخه وأخباره باباً باباً حسبما سبق الوعد به . ونبدأ بالترتيب بذكر نسبه ثم نأتي بطبقات أصحابه تترى وبأعلام أهل مذهبه عصبة بعد أخرى والله المستعان على تحقيق ما أطلق على ألسنتنا من ذلك لا إله غيره .

باب

في نسب مالك بن انس الأصبحي رحمه الله تعالى ونفع به آمين

قال إسماعيل ابن أبي أويس فيما حكاه عنه الزبير ابن بكار القاضي وغيره ان مالك ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل

---

(١) في – ص – عن .

بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح . كذا هو غيمان بالغين المعجمة المفتوحة والياء الساكنة باثنتين من أسفل . وذكر ذلك غير واحد وكذا قيده الامير ابو نصر بن ماكولا ، وحكاه عن إسماعيل بن أبي أويس وخثيل بخاء معجمة مضمومة وثاء مثلثة مفتوحة وياء باثنتين من أسفل ساكنة هذا هو الصحيح . وكذا قيده الامير ابو نصر بن ماكولا وأتقنه وضبطه ، وحكاه عن محمد بن سعد عن أبي بكر ابن أبي أويس . وقال ابو الحسن الدّارقطني وغيره جثيل بالجيم ، وحكاه عن الزبير . واما من قال عثمان بن حنبل فقد صحّفه واما ذو اصبح فقد اختلف في نسبه اختلافاً كثيراً . فقال الزبير ذو اصبح بن سويد ابن عمر بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سُدد بن حميد الاصغر بن سبأ الاصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جشم ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميع بن حمير، وانما الاكثر هو عبد شمس بن سبأ — وإنما سمي سبَا لأنه أول من سبَا وغزا القبائل — بن يعرب بن يشجب بن قحطان . وقال غيره ذو اصبح بن عوف بن مالك بن يزيد ابن شداد بن زرعة. وهو حمير الاصغر ابن سبأ الاصغر بن حمير الاكبر بن سبأ الاكبر بن يشجب ابن يعرب ابن قحطان ، وقيل ذو اصبح بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عفير بن مالك بن زيد بن سهل ، وقيل هو ابن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن جشم بن عبد شمس . وقيل هو عوف بن مالك بن زيد بن عامر بن ربيعة بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن يشجب . وقيل[١] ذو اصبح ويحصب ابناء مالك بن زيد بن حمير . هذا ما ذكر في نسب ذي اصبح من الخلاف

---

(١) — ن — و — ص — ويقال .

ولا خلاف انه من ولد قحطان، وقد اختلف في نسب قحطان ورفعه ، وهل هو من ولد إسماعيل أم[1] لا اختلافاً لا ينحصر وليس من غرضنا فنعده .
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه : لم يختلف العلماء بالسّير والخبر والنسب في نسب مالك هـــذا واتصاله بذي اصبح إلا ما ذكر عن ابن إسحاق وبعضهم من انه مولى لبني تميم وسنبين وهْمَ من قال ذلك ، والعلة التي من أجلها تطرق الوهم إليهم واما ابو عبدالله محمد بن حمدويه الحاكم المعروف بابن البيـع فقد غلط غلطاً شنيعاً لا خفاء به ، ولا قاله احد قبله ولا بعده . وخلّط في هـذا تخليطاً كثيراً ، فقال : مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر وهو الحارث بن عثمان بن حسل بن عمر بن الحارث بن عبد الرحمان بن عثمان بن عبدالله من ولد تميم بن مرة . يلقى رسول الله ﷺ عند مرة بن كعب . فعجباً له كيف اتفق هذا الغلط ومن أين تطرق له ؟ ثم قال في باب آخر إنه من خولان فأين هذا من ذلك وكلاهما خطأ . واما وهم من زعم انه مولى تيم فدخل عليه الوهم إذ وجده ينتمي إليهم ويحسب في عدادهم بسبب حلفه معهم وإلا فنسبهم في ذي اصبح صحيح . ذكر ذلك غير واحد من زعماء قريش ونُسّابها وغيرهم من اهل العلم كمحمد ابن عمران الطلحي، وعبد الملك ابن صالح وصعب بن ثابت الزبيري وعامر بن عبدالله الزبيري وأبي بكر اليعمري وابنه طلحة وأبي مصعب الزهري وأبناء أبي أويس وخليفة بن خيّاط العصيري والواقدي والبخاري وابن أبي خيثمة واحمد بن صالح بن بكار القاضي ومن بعدهم من الحفاظ ، كالدراقطني وعبدالله التستري القاضي وأبي محمد العراب وأبي القاسم الجوهري وأبي القاسم الإلكاني وأبي نصر ابن ماكولا ومن لا ينعد كثرة . بل كل من ذكر نسبه ولم يتابع احد منهم ابن إسحاق على

---

(١) – ص – أو لا .

قوله من جاء بعده بل بيّنوا وجه وهمه . قال عامر بن عبدالله الزبيري وذكر بيت مالك بن أنس اما انهم من العرب من اليمن ذو قرابة بالنظر بن مريم . وقال الدّراوردي : قال لي ابو سهل ابن مالك نحن قوم من ذي اصبح ليس لأحد علينا ولاء ولا عهد . وقال ابو مصعب: مالك من العرب صليبه وحِلْفُهُ في قريش في بني تيم بن مرة . قال محمد بن عمران لمن سأله عنه : وهو رجل من العرب من حمير من أنفسهم ما بيننا وبينه نسب إلا ان أُمه مولاة لعمّي عثمان بن عبيد الله وقال ابو بكر العمري السّالمي : مالك صحيح النسب من أنفسهم لا من مواليهم . وقال مصعب بن عبيد الله الزبيري : بنو أصبح الذين كان الملك فيهم بنو عم مالك . قال الفريابي : سألت مصعباً عن مالك . فقال : عربي شريف كريم في موضعه من ذي أصبح ، بطن من اليمن من ملوك اليمن بني إبراهيم بن الصبّاح . وقال احمد بن صالح مالك من ذي أصبح صحيح النّسب . وقالت بنت طلحة ما لنا عليه عقد ولاء . تعني جد مالك . ولما قدم زياد بن عبيد الله المدينة قال ما هنا احد من أهل العلم ، فنسبوا له مالكاً . فقال هذا بيت اليمن . فكان أول من استفتاه . وقال عبد الملك بن صالح الهاشمي : مالك بن أنس من ذي أصبح . وجاء ابو المهاجر الى عثمان بن عبدالله التّيمي او غيره ، يشتكي بأبي عامر جد مالك ابن أنس وكان ابو المهاجر على الصّدقة ، فقال للتّيمي ألا تعذرني من مولاك ؟ قال ليس بمولاي ، هو رجل من العرب من اهل اليمن .

باب

في انتماء مالك وآله الى تيم بن مرة من قريش وذكر نسب أُمه

قال ابو عمر بن عبد البر الحافظ: لا أعلم ان احداً أنكر ان مالكاً ومن ولده كانوا حلفاء لبني تيم بن مرة من قريش ، ولا خلاف فيه إلا ما ذكر عن ابن إسحاق فانه زعم انه من مواليهم . قال : وروى عن ابن شهاب انه قال حدّثني نافع ابن مالك التيمي ، قال وهذا عندنا لا يصح عن ابن شهاب . قال الإمام القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ، قول ابن شهاب هذا في صحيح البخاري أول كتاب الصيام . وتعرّف الموالي في لسان العرب بمعنى الحليف والتناصر وغيرهما معروف فلعله ما أراد ابن شهاب ، ولذلك قال عبد الملك بن صالح الهاشمي مالك من ذوي أصبح مولى لقريش . وقال الزبير بن بكار عداده في بني تيم بن مرة . وقد روى عن مالك انه لما بلغه قول ابن شهاب هذا ليته لم يرو عنا شيئاً . قال ابو سهيل عم مالك نحن قوم من ذي أصبح قدم جدنا المدينة فتزوج في التيميين فنُسبنا إليهم ومثله قول ابن عمران التميمي القاضي الذي تقدم ما بيننا وبينه نسب إلا ان أُمه مولاة لعمي عثمان بن عبيد الله . وقال الربيع بن مالك أخو أبي سهل عن أبيه قال لي عبد الرحمان بن عثمان بن عبدالله التّيمي ابن أخي طلحة ونحن بطريق مكة يا مالك هل لك الى ما دعانا إليه غيرك فأبينا ، ان يكون دمنا دمك وهدمنا هدمك ما بل بحر صوفه . فأجبته الى ذلك . وقال عبدالله ابن مصعب قدم مالك ابن أبي عامر متظلماً من بعض الولاة باليمن . فمال الى بعض بني تيم بن مرة فعاقده وصار معهم . وقد روي ان مالك بن أبي عامر لم يجب عبد الرحمان بن عبد الله الى الحلف الذي دعاه اليه ، وقال

له لا حاجة لي به والأول أصح وأشهر . وذكر ان ابا عامر تحالف مع عثمان بن عبدالله في الجاهلية وقدما معاً المدينة . وقيل إن ابا عامر إنما حالف في الجاهلية عبد الله بن جدعان ، قال ابن أبي أويس : نحن أصبحيون حلفاء بني تيم . فننتمي الى قريش أحب الينا من اليمن . فالسبب الذي تقدم لهم من الالتفاف بتَيم إما بالحلف على الأشهر والصحيح أو بالصهر انتسبوا تَيْميين فظن ابن اسحاق ومن لم يحقق الامر انهم مواليهم إذ لم يكن لهم نسب معروف فيهم . وأما أمه ، فقال الزبير هي العالية بنت ابن بكار شريك بن عبد الرحمان بن عبد الرحمان بن شريك الازدية وقال ابن عائشة أمه طليحية مولاة عبد الله بن معمر وقد تقدم قول ابن عمران .

باب

في ذكر آل مالك وبيته وبنيه

ذكر القاضي بكر بن علاء القشيري ان أبا عامر بن عمر وجد أبي مالك رحمه الله من أصحاب رسول الله ﷺ قال وشهد المغازي كلها مع النبي ﷺ خلا بدراً وابنه مالك جد مالك كنيته ابو أنس من كبار التابعين ذكر ذلك غير واحد يروي عن عمر وطلحة وعائشة وأبي هريرة وحسان بن أبي ثابت وكان من أفاضل الناس وعلمائهم وهو احد الاربعة الذين حملوا عثمان ليلاً الى قبره وغسلوه ودفنوه وكان خدنا لطلحة يروي عنه بنوه أنس وابو سهيل نافع والربيع . مات سنة ثنتي عشرة ومائة وذكر ابو محمد الضراب ان عثمان رضي الله عنه اغزاه افريقية ففتحها . وروى التستري محمد ابن احمد القاضي انه كان ممن يكتب المصاحف حين جمع عثمان المصاحف وكان عمر بن عبد العزيز

يستشيره ، وقد ذكر ذلك مالك في جامع موطأه . قال ابو القاسم الإلكاني الحافظ كان لأبي أنس بن مالك ابن أبي عامر اربعة بنين ، احدهم أنس ابو مالك الفقيه . قال غيره وبه كان يكنى . روى عنه ابنه مالك . قال الضراب وقد روى ابن شهاب عنه وقاله ابن أبي حاتم يرويه عن أبيه . قال ابو إسحاق بن شعبان روى مالك عن أبيه عن جده عن عمر حديث الغسل واللباس . قال ابن وهب سئل مالك عن أبيه فقال كان عمّي ثقة ابو سهيل . قال ابو مصعب كان ابو مالك بن أنس مقعداً وكان له قصر بالحرف يعرف بقصر المقعد . قال غيره وكان يعيش من صنعة النّبل قال الإلكاني والثاني نافع[1] ابو سهيل ، روى عنه مالك ايضاً واسماعيل ومحمد ابنا جعفر ابن أبي كثير والدراوردي وغيرهم . قال الإمام ابو الفضل رضي الله عنه ، وقد روى عنه ابن شهاب ايضاً . والثالث أويس وهو جد أبي أويس أبي إسماعيل وأبي بكر وسيأتي ذكرهما . وسماه غيره أوسا مكبراً ووهِمَ . روى عن أبيه ايضاً وزعم الضراب انه روى عنه ابن شهاب ايضاً . والرابع الربيع . قال إسماعيل جالسته، قال ابو حاتم لم يرو عنه العلم . قال ابو القاسم الجوهري لم يرو عنه إلا سليمان بن بلال وذكر التستري لأبي بكر الأويسي عنه رواية ، وذكر ايضاً ابنه مالك بن الربيع وفيه نظر . وقد روى أربعتهم عن أبيهم مالك بن أبي عامر ، وقد خرج اهل الصحيح البخاري ومسلم ومن بعدهم عن مالك بن أبي عامر وأبي سهيل ابنه كثيرا . قال إسحاق بن شعبان عمومة مالك ثلاثة نافع والنظر ويسار . قال الضراب كان لمالك عم يقال له النظر[2] به كان يعرف مالك أولاً ، وكان يقال مالك ابن أخي النظر ، فما لبث إلا يسيراً حتى قال الناس النظر عم مالك . وقال محمد بن طلحة والأشهر

---

(١) في — ص — ابن ابو .
(٢) في — ص — وبه .

ان النظر الذي كان به يعرف مالك أولا ثم صار يعرف بـــه أخ لمالك كذا ذكر أحمد بن صالح والأصح والأعرف في أعمام مالك الأول . قال مالك كان لي أخ في سن ابن شهاب[١] فألقى أبي يوماً علينا مسألة فأصاب أخي وأخطأت فقال لي أبي ألهتك الحمـــام . وكان لمالك ابنان يحيى ومحمد وابنة اسمها فاطمة ، زوج ابن اخته وابن عمه اسماعيل بن ابي أويس . قال ابن شعبان ويحيى بن مالك يروي عن ابيه نسخة وذكر انه روى الموطأ عنه باليمن ، وروى عنهما ابن سلمة وابنه محمد . قدم مصر وكتب[٢] عنه . حدّث عنه الحارث بن مسكين وزيد بن بشر قال ابو عمر بن عبدالبر كان لمالك اربعة من البنين يحيى ومحمد وحماد وأم البهاء . فأما يحيى وأم البهاء فلم يوص بهما الى احد وأوصى بالآخرين الى ابراهيم بن حبيب رجل من اهل المدينة . وقال ابن شعبان حبيب وهو اللآلي ويعرف ببابين انه هو كان وصيه مع داوود بن ابي زنير[٣] ولعل ابراهيم ولد حبيب هذا . فالله اعلم . وقد ذكره في الرواة عنه ابن ابي اسحاق ، وذكر ايضاً اسحاق بن ابراهيم ابن حبيب بابَيْن وذكرهم الثلاثة في المدنيين فالله أعلم . وأرى قوله اسحاق وهم ، وإنه ابو اسحاق . وقال قاسم بن أصبغ : ابراهيم بن حبيب ثقة من اصحاب مالك ، وهو وصيه . قال الزبير ، كان لمالك ابنة تحفظ علمه يعني الموطأ . وكانت تقف خلف البـاب فاذا غلط القارىء نقرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه . وكان ابنه محمد يجيء وهو يحدث وعلى يده باشق ونعل كتب فيه ، وقد أرخى سراويله فيلتفت مالك الى اصحابه ويقول إنما الادب مع الله : هذا ابني وهذه ابنتي . قال الفروي : كنا نجلس عنده وابنه

---

(١) في – ص – ابن شهاب وبالاصل الشباب كما بالنسخ الاخرى .
(٢) في – ص – عنهما همام وسلمة وابنه محمد .
(٣) في – ص – زنبر وأظنه أقرب الى الصواب وفي – ن – زبير وكذلك – ر .

يدخل ويخرج ولا يجلس . فيقبل علينا ويقول : إن مما يهون علي أن هذا الشأن لا يورث وأن أحداً لم يخلف أباه في مجلسه إلا عبدالرحمن بن مفرّج القرطبي في رواة مالك وأبو بكر الخوارزمي البرقاني الحافظ في كتابه في الضعفاء الذين اتفق رأيه ورأي أبي منصور بن حكمان مع أبي الحسن الدارقطني على تركهم . وتوفى احمد هذا سنة ست وخمسين ومائتين .

باب

في مولد مالك رحمه الله تعالى
والحمل به ومدة حياته ووقت وفاته

قال الإمام القاضي أبو الفضل رضي الله عنه : اختلف في مولده رحمه الله تعالى اختلافاً كثيراً، فالأشهر في ما روي من ذلك قول يحيى بن بكر ان مولده سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان . وقال ابن عبد الحكم بل سنة أربع وتسعين . وقال اسماعيل بن أبي أويس كان في خلافة الوليد . قال غيرهما في ربيع الاول منها . وروي عن محمد ابن عبد الحكم ان مولده سنة أربع[١] وتسعين وقال أبو موسى سنة تسعين . وقيل سنة ست وتسعين، وقيل سنة سبع وتسعين، وقال أبو داود السجستاني سنة ثلاث وتسعين ، وقال أبو اسحاق الشيرازي سنة خمس وتسعين . قال محمد بن سعيد مولى سُفينة قال مالك أتى بي عمي أبو سهيل الى عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ليفرض لي فقال احتلم؟ فقال سل أباه فهو أعلم مني به . قال مصعب بن عبدالله : هذا خطأ . عزل محمد عن المدينة سنة ثلاث

---

(١) ساقطة من — ر .

وتسعين . وأما وفاته فالصحيح ما عليه الجمهور من أصحابه ومن بعدهم من الحفاظ وأهل علم الأثر ممن لا يعد كثرة انه توفى سنة تسع وسبعين ومائة واختلفوا في أي وقت منها فالأكثر على انه في ربيع الأول قاله اسماعيل ابن ابي أويس وابن أبي زنبر وابن بكير وأبو مصعب الزهري وغيرهم ، واختلفوا بعد ذلك فقال ابن أبي أويس والواقدي وابن سعد صبيحة أربع عشرة من الشهر المذكور . وقال أبو مصعب لعشر مضت منه وحكى أبو[١] علي البصري في الكتاب المغرب أن وفاته يوم الأحد لثلاث خلون من هذا الشهر وقال ابن وهب في تاريخ ابن سحنون يوم الاحد لثلاث عشرة خلت منه ، وحكى أبو عمر بن عبد البر لعشر خلون منه ، وقال ابن سحنون في احدى عشرة ويقال في اثنتي عشرة من رجب من السنة . وقال مصعب الزبيري وخالف هذا كله حبيب كاتبه ومطرف فيما ذكر عنه . قالا سنة ثمانين . وخالف ايضاً الفزاري فحكى عنه ابن سحنون وأبو العرب التميمي ان وفاة مالك سنة ثمان وتسعين وهذا وهم والأول هو الصحيح . واختلف على هذا في سنّه . فقال ابن نافع الصائغ وابن ابي أويس ومحمد بن سعيد وحبيب أنه توفى وسنه خمس وثمانون وقيل اربع وثمانون وقيل عن ابن نافع سبع وثمانون ، وقاله سحنون وقال الواقدي تسعون . وقال الفريابي وأبو مصعب ست وثمانون وذكر عن ابن القاسم سبع وثمانون وقاله ابن سحنون وأبو العرب وعن القعنبي تسع وثمانون . وقال أيوب بن صالح اثنتان وتسعون وقال ابو محمد الضراب وهذا خطأ والصواب ست وثمانون وهو الأشبه مع قول ابن القاسم على الأصح من مولده ووفاته . واختلف في حمل أمه به فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعن ومحمد بن الضحاك حملت به أمه ثلاث سنين .

---

(١) في – ص – أبو علي بن البصري .

وقال نحوه بكار بن عبدالله الزبيري ، وقال أنضجته والله الرحم . وأنشد الطرمّاح :

تظنّ بحملنا الأرحام حتى تنضّجنا بطون الحاملات

قال ابن المنذر وهو المعروف وروي عن الواقدي أيضاً ان حمل أمه به سنتان . قاله عطّاف بن خالد ولا خلاف أن وفاته بالمدينة .

باب
في صفته وخلقه

قال أبو عاصم : ما رأيت محدثاً أحسن وجهاً من مالك . وقال عيسى ابن عمر المديني : ما رأيت قط بياضاً ولا حمرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب منه . ووصفه غير واحد من أصحابه، منهم مطرف واسماعيل والشافعي وبعضهم يزيد على بعض، قالوا كان طويلاً جسيماً عظيم الهامة أبيض الرأس واللحية شديد البياض الى الصفرة ، أعين ، حسن الصورة أصلع أشم عظيم اللحية تامها ، تبلغ صدره ذات سعة وطول ، وكان يأخذ أطار شاربه ولا يحلقه ولا يحفيه ويرى خلفه من المثل . وكان يترك له سبلتين ويحتج بفتلة عمر لشاربه ، إذا همه الامر . ووصفه ابو حنيفة أنه أزرق اشقر . قال ابو العباس بن شريح القاضي وذكرت له صفته هذه صفة عاقل . وقال : الفراسة تدل على ان من هذه صفته كان عاقلاً . وقال مصعب الزبيري كان مالك من احسن النـاس وجهـاً وأحلاهم عيناً وأنقاهم بياضاً وأتمهم طولاً في جودة بدن . قال بعضهم : كان مالك ربعة من الرجال والأوّل أشهر . قال غيره : دخلت على مالك فرأيته في إزار . وكان في أذنيه كبر كأنهما كفا

انسان أو دون ذلك . قال الحكم بن عبدة : دخلت مسجد المدينة وإذ بمالك وله شعرة قد فرقها . قال احمد بن ابراهيم الموصلي رأيت مالكاً مضموم الشعر . قالوا ولم يكن يخضب ويحتج[١] بعلي رضي الله عنه وهذا هو المشهور عنه . وقد روي ان بعض ولاة المدينة قال له : لمَ لا تخضب يا أبا عبدالله ؟ فقال له : هذا بقي عليك من العدل . وقد روى ابن وهب انه رأى مالكاً يخضب بالحنّا وروى نحوه عبد الرحمان بن واقد ، ولم يقل بالحنا . قال الواقدي : عاش مالك تسعين سنة لم يخضب شيبته ولا دخل الحمام ولا حلق وفي رواية ولا حلق قفاه .

باب

في ملبسه وطيبه وحليته ومسكنه ومطعمه ومشربه

قال محمد بن الضحاك كان مالك جميل الوجه نقي الثوب رقيقه يكره اخلاف اللباس[٢] . قال خالد بن خداش : رأيت على مالك طيلساناً طرازياً وقلنسوة وثياباً مروية[٣] جياداً وفي بيته وسائد وأصحابه عليها قعود ، فقلت له يا أبا عبدالله الذي أرى شيئاً حدثته ام وجدت الناس عليه ؟ قال : رأيت الناس عليه . قال الوليد بن مسلم : كان مالك لا يلبس الخزّ ولا يرى لبسه ، ويلبس البياض ، ورأيته والاوزاعي يلبسان السيجان ولا يريان بلبسها بأساً . قال بشر بن الحارث : دخلت على مالك فرأيت عليه طيلساناً يساوي خمسمائة قد وقع جناحاه على عينيه أشبه شيء بالملوك . قال أشهب : كان

(١) احتج — ص .
(٢) ص — اللبوس .
(٣) ن — فردية .

مالك اذا اعتم جعل منها تحت ذقنه وأسدل طرفها بين كتفيه . قال ابن وهب : رأيت على مالك ريطة عدنية مصبوغة بشق خفيف . وقال لنا هو صُبغ أحبه ولكن اهلي اكثروا زعفرانها ، فتركته . وقال لنا ما أدركت أحداً يلبس هذه الثياب الرقاق إنما كانوا يلبسون الضفاف الأربيعة ، فانه كان يلبس مثل هذا ، وأشار الى قميص عليه عدني رقيق . قال الزبيري : كان مالك يلبس الثياب العدنية الجيّاد والخراسانية والمصرية المرتفعة البيض ويتطيب بطيب جيد ، ويقول ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويرى[١] أثر نعمته عليه وخاصة اهل العلم ، وكان يقول أحب للقارىء ان يكون أبيض الثياب . قال ابن ابي أويس : ما رأيت في ثوب مالك حبراً قط . قال أشهب : كان مالك يستعمل الطيب الجيد المسك وغيره . قال الواقدي . كان مالك يجلس في منزله على خماع ونمارق مطروحة[٢] يمنة ويسرة في سائر البيت لمن يأتيه من قريش والأنصار ، ووجوه الناس . قال أشهب : كان مالك اذا اكتحل لضرورة جلس في بيته وكان يكرهه إلا لعلة . قال ابن نافع الاكبر ومطرف واسماعيل : كان خاتم مالك الذي مات وهو في يده فصه حجر أسود نقشه سطران فيهما : حسبنا الله ونعم الوكيل ، بكتاب جليل ، وكان يحبسه في يساره وربما خرج علينا وهو في يمينه لا نشك انه إذا توضأ حوله في يمينه . وسأله مطرف عن اختياره لما نقش فيه فقال : سمعت الله يقول : « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »...الخ. الآية الاخرى . قال مطرف : فحولت خاتمي وصيرته كذلك، والله اعلم . قال احمد بن صالح : كان مالك قليل المشي يظهر التجمل ضيق الامر ، لم يكن له منزل . كان يسكن بكراء الى ان مات ، وسأله المهدي : ألك دار ؟ فقال : لا .

---

(١) ص — يرى بسقوط الواو .
(٢) ص — ومطروحة .

وحدّثني ربيعة ان نسب المرء داره . قال عتيق بن يعقوب : كان على باب مالك مكتوب: ما شاء الله . فقيل له في ذلك فقال : قال الله «وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ[١]»... الآية . والجنة الدار . قال ابن المنذر : وكانت دار مالك بن انس التي كان ينزل بالمدينة دار عبد الله ابن مسعود ، وكان مكانه من المسجد مكان عمر بن الخطاب وهو المكان الذي يوضع فيه فراش رسول الله ﷺ في المسجد اذا اعتكف . كذا قال الأوسي . وقال مصعب : كان مالك يجلس عند نافع مولى ابن عمر في الروضة حياة نافع وبعد موته . قال ابن بكير مولد مالك بذي المروة وكان اخوه النظر يبيع البز وكان مالك معه بزّازاً ثم طلب العلم وكان ينزل اولاً بالعقيق ثم نزل[٢] بالمدينة وقيل لمالك لم تنزل العقيق فانه يشق عليك الى المسجد . فقال : بلغني ان النبي ﷺ كان يحبه ويأتيه وان بعض الانصار أراد النقلة منه الى قرب المسجد فقال له النبي ﷺ : أما تحسبون خطاكم . قال اسماعيل بن أبي أويس : كان في كل يوم[٣] لحمه درهمان وكان يأمر خبازه سلمة في كل يوم جمعة طعاماً كثيراً . قال مطرف : لو لم يجد مالك كل يوم درهمين يبتاع بهما لحماً إلا أن يبيع في ذلك متاعه لفعل . وكانت وظيفته في لحمه . وقال ابن ابي حازم : قلت لمالك : ما شرابك يا أبا عبدالله ؟ قال : في الصيف السكر وفي الشتاء العسل . وكان مالك يعجبه الموز ويقول : لم يمسه ذباب ولا يد أسود ولا شيء أشبه بثمر الجنة منه لا نطلبه في شتاء ولا صيف إلا ووجدته . قال الله : أُكُلُهَا دائمٌ وظِلُّهَا[٤]. قال أبو السمح طلق بن أبي السمح : رأيت مالكاً على بغلة

---

(١) الكهف ٣٨ .
(٢) في – ص – الى .
(٣) ص – في لحمه درهمانه .
(٤) الرعد ٣٥ .

سرية بسرج سري عليها وعليه ثياب سرية وغلام يمشي خلفه حتى اذا أتى باب داره فدخل راكباً الى موضع معرسه فنزل وقعد، فأخذ الغلام منديلاً فمسح خفه ونزعه . قال المؤلف رحمه الله تعالى: الأخبار المشهورة عنه بخلاف هذا مما سنذكره وأنه كان لا يركب بالمدينة إكراماً لتربة فيها رسول الله ﷺ مدفون . قال محمد بن مالك كانت عمتي مع مالك في منزله فتهيء له فطره خبزاً وزيتاً ، ووعظ مالك مرة أبا جعفر المنصور في افتقاد الرعية فقال له : أليس اذا بكت ابنتك من الجوع تأمر بحجر الرحا فيحرك كيلا يسمع الجيران بكاءها ، فقال مالك : والله ما علم بهذا الا الله . فقال له : فعلمت بهذا ولا أعلم أحوال رعيتي . وهذا كان والله أعلم في ابتداء حاله وضيق أمره وأكثر هذه الحكايات المختلفة التي أوردنا منها ونورد في اختلاف احواله في دنياه إنما كانت لاختلاف الأوقات وتنقل الأحوال إذ حال المرء في بدايته بخلاف حاله في نهايته ، فقد عاش رحمه الله نحو التسعين سنة على ما تقدم فكان فيها إماماً يروي ويفتي ويسمع قوله نحو سبعين سنة تنتقل أحواله في كل حين زيادة في الجلالة ، ويتقدم في كل يوم علوه في الفضل والزعامة حتى مات وقد انفرد منذ سنين وحاز رئاسة الدنيا والدين دون منازع فلا تعارض بين ما يرد عليك من الأخبار في اختلاف أحواله والله الموفق[١] .

باب

في عقله وسمته وأدبه وحسن معاشرته وذكر شيء من شمائله

قالوا كان ربيعة يقول إذا جاء مالك قد جاء العاقل . وقال ابن مهدي لقيت أربعة : مالكاً وسفيان وشعبة وابن المبارك، فكان مالك أشدهم عقلاً .

(١) في – ص – أعلم .

وقال : ما رأت عيناي أحداً أهيب من هيبة مالك ولا أتم عقلًا ولا أشد تقوى ولا أوفر دماغاً من مالك . وقال هارون الرشيد عنه ما رأيت أعقل منه . وقال ابن وهب : الذي تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه . قال احمد بن حنبل : قال مالك ما جالست سفيهاً قط . وهذا أمر لم يسلم منه غيره . قال احمد ليس في فضائل العلماء أجل من هذا . قال ابو نوح ومصعب الزبيري : ذكر مالك يوماً شيئاً ، فقلنا له من حدثك بهذا ، قال إنا لم نجالس السفهاء . وقال زياد بن يونس كان والله مالك أعظم الخلق مروءة وأكثرهم صمتاً[١] . وكان إذا جلس جلسة لا ينحل منها حتى يقوم ورأيته كثير الصمت قليل الكلام متحفّظاً للسانه . قال ابن المبارك : كان مالك أشد الناس مداراة للناس وترك ما لا يعنيه . قال ابن أبي أويس ، كان مالك يستعمل الأنصاف ويقول ليس في النـــاس أقل منه فأردت المداومة عليه . قال الزّهراني : كان مالك إذا اصبح لبس ثيابه وتعمم ولا يراه احد من أهله ولا أصدقائه[٢] إلا متعمماً لابساً ثيابه ، وما رآه احد قط أكل او شرب حيث يراه الناس ، ولا يضحك ولا يتكلم فيما لا يعنيه . وحكى ابو فهر المصري قال : كان ابو بكر بن إسحاق إذا ذكر عقل أبي علي الثقفي يقول ذلك عقل مأخوذ من[٣] الصحابة والتابعين وذلك أنّ أبا علي أقام بسمرقند منـــذ أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محمد بن نصر المروزي وأخذها ابن نصر عن يحيي بن يحيي ، فلم يكن بخراسان أعقل منه وأخذها يحيي عن مالك أقام عليه لأخذها سنة بعد ان فرغ من سماعه . فقيل له[٤]

---

(١) – ص – سمتا .
(٢) ص – صدقائه . أبا علي – ص – بكر .
(٣) – ص – عن .
(٤) في – ص – فقال له .

في ذلك فقال إنما أقمت مستفيداً لشمائله فانها شمائل الصحابة والتابعين ، وكان مالك لذلك يسمى العاقل واتفقوا على أنه[١] أعقل أهل زمانه . قال زهير ابن عبّاد : ما كنت أقول لمالك رحمك الله إلا قال وأنت رحمك الله . وإذا قلت له عافاك الله . قال وأنت عافاك الله ، حسن أدب . قالوا وكان من أحسن الناس خلقاً مع أهله وولده . ويقول[٢]: في ذلك مرضاة لربك ومثراة[٣] في مالك ومنساة في أجلك وقد بلغني ذلك عن بعض أصحاب النبي ﷺ . قال عبدالله بن عبد الحكم هيأ مالك بن أنس دعوة للطلبة وكنت فيهم فمضينا معه الى داره فلما دخلنا الدار قال هذا المستراح ، وهذا الماء ثم دخلنا البيت فلم يدخل معنا ، ودخل بعد ذلك فأتانا بالطعام ولم يؤت بالماء قبله لغسل أيدينا . ثم أتى به بعده فلما خرج الناس سألته عما رأيت قال اما اعلامي لكم بالمستراح والماء . فانما دعوتكم لأبركم ولعل أحدكم يصيبه بول او غيره فلا يدري أين يذهب فيصل إليه الضرر[٤] واما تركي الدخول معكم في البيت فلعلي أقول هاهنا أبا فلان اجلس وهاهنا أبا فلان اجلس وقد أنسى بعضكم فيظن ذلك نقصاً فيه ، فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم . واما تركي الماء قبل الطعام فان الوضوء قبله من سنة الأعاجم واما بعده فقد جاء في ذلك حديث . قال الشافعي سئل مالك عن الصورة في البيت فقال لا ينبغي . فقال له رجل عراقي يا أبا عبدالله هو ذا في بيتك صورة . قال أنا ساكن فيه منذ كذا ما رأيتها ، ثم فحكها . فأخذ قناة فلف عليها خرقة ثم حكّها . قال مطرف كان مالك إذا دخل بيته قال ما شاء الله لا حول

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) — ص — يقال .
(٣) — ص — أثرات .
(٤) زيادة من — ص .

ولا قوة إلا بالله . فسئل عن ذلك فقال : قال الله تعالى : ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وجنته بيته[١] . وقيل ان ذلك كان على باب مالك مكتوب ليتذكر برؤيته قول ذلك متى دخل .

باب

في ابتداء طلبه وسيرته في ذلك وصبره عليه وتحريه فيمن يأخذ عنه

قال مطرف ، قال مالك : قلت لأمي أذهب فأكتب العلم ؟ فقالت : تعال فالبس ثياب العلم . فألبستني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها . ثم قالت : اذهب فاكتب الآن . وقال رحمه الله : كانت أمي تعممني وتقول لي إذهب الى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه . قال ابن القاسم : أفضى بمالك طلب العلم الى ان نقض سقف بيته فباع خشبه ، ثم مالت عليه الدنيا بعد . وروي مثل هذا عن ربيعة . قال أنس بن عياض جالست ربيعة ومالك يومئذٍ معنا[٢] وما يعرف إلا بمالك أخو النضر ثم ما زال حرصه في طلب العلم حتى صرنا نقول النضر أخو مالك ، وكان مالك حين طلبه يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد . فقالت أخته لأبيه هذا أخي لا يأوي مع الناس قال يا بنية انه يحفظ حديث رسول الله ﷺ . قال مالك كان لي أخ في سن ابن شهاب فألقى أبي يوماً علينا مسألة فأصاب

---

(١) في — ص — داره .

(٢) بالنسخ معنى وأظنها خطأ من النساخ .

أخي وأخطأت فقال لي أبي ألهتك الحمام عن طلب العلم فغضبت وانقطعت الى ابن هرمز سبع سنين . وفي رواية ثمان سنين لم أخلط بغيره . وكنت أجعل في كفي تمراً وأناوله صبيانه وأقول لهم ان سألكم احد عن الشيخ فقولوا مشغول، وقال ابن هرمز يوماً لجاريته مَن بالباب فلم ترَ إلا مالكاً فرجعت فقالت له ما ثم إلا ذاك الأشقر فقال لها دعيه فذلك عالم الناس . وكان مالك اتخذ تباناً محشواً للجلوس على باب هرمز يتقي به برد حجر هناك . وقيل بل من برد صحن المسجد وفيه كان مجلس ابن هرمز . قال مالك ان كان الرجل ليختلف للرجل ثلاثين سنة يتعلم منه، فظننا انه يريد نفسه مع ابن هرمز . وكان ابن هرمز من استحلفه ألا يذكر اسمه في حديث قال ابن عيينة شهدت مالكاً يسأل زيد بن عمر عن حديث عمر انه حمل على فرس في سبيل الله يجعل يرفق به ويسأله عن الكلمة بعد الأخرى والشيء بعد الشيء وكان في خلق زيد شيء . وقال ابن عبد الحكم قال لي مالك كنا نأتي ابن شهاب في داره في بني الريل وكانت له عتبة حسنة كنا نجلس عليها نتدافع إذا دخلنا عليه، وقال مالك كنا نجلس الى الزّهري والى محمد بن المنكدر فيقول الزهري : قال ابن عمر كذا وكذا فاذا كان بعد ذلك جلسنا إليه وقلنا له الذي ذكرت عن ابن عمر من حدثك به . فيقول ابنه سالم . قال مصعب كان مالك يقود نافعا من منزله الى المسجد وكان قد كف بصره فيسأله فيحدثه وكان منزل نافع بناحية البقيع قال مالك كنت آتي نافعا مولى ابن عمر وأنا يومئذ غلام ومعي غلام لي وينزل إلي من درجة له فيقعدني معه فيحدثني، وقال كنت آتي نافعا نصفَ النهار وما تظلني الشجر من الشمس الى خروجه . فاذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده ثم أتعرض له فأُسلم عليه وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له كيف قال ابن عمر في كذا وكذا فيجيبني ثم أجلس عنه وكان فيه حدة . وكنت آتي ابن هرمز

بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل . قال الزبيري رأيت مالكاً في حلقة ربيعة وفي أذنه شنف وهذا يدل على ملازمته الطلبة من صغره كما قال في خبر نافع . قال ابن أبي زُنْبر سمعت مالكا يقول كتبت بيدي مائة ألف حديث وروى عنه ابن إسحاق : ما كتبت عن احد كتاباً على وجهه إلا عن العلا . وروى ابن وهب عنه انه قال ما كتبت في هذه الألواح قط قال احمد بن صالح نظرت في أصول كتب مالك فاذا شبيه باثني عشر الف حديث . قال عبدالله بن عمر عامة ما سمعت من ابن شهاب أنا ومالك عرضا ، كان مالك يقرأ لنا وكان حسن القراءة . وقال ابن مهدي سئل مالك عن سماعه من الزهري فقال : أقل ذلك العرض . وقال له ابن وهب أكنت تقرأ العلم على احد ؟ قال لا . وروى عنه انه قال قدم علينا الزهري فأتيناه ومعنا ربيعة فحدثنا نيفا وأربعين حديثاً ثم أتيناه الغد فقال انظروا كتاباً حتى أحدثكم منه ، أرأيتم ما حدثتكم أمس أفي شيء في أيديكم منه ؟ فقال له ربيعة هاهنا من يرد عليك . ما حدثت به أمس فقال ومن هو قال : ابن أبي عامر . قال هات فحدثته بأربعين حديثاً منها . فقال الزهري : ما كنت أرى بقي من يحفظ هذا غيري . وقال مالك في رواية أخرى شهدت العيد فقلت هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه فسمعته يقول لجاريته أُنظري من على الباب . فنظرت[١] فسمعتها تقول : مولاك الأشقر مالك . قال أدخليه فدخلت فقال ما أراك انصرفت بعد الى منزلك ؟ قلت لا . قال هل أكلت شيئاً قلت لا قال فاطعم قلت لا حاجة لي فيه قال فما تريد قلت تحدثني فحدثني سبعة عشر حديثاً ثم قال وما ينفعك ان حدثتك ولا تحفظها قلت إن شئت

(١) ساقطة من — ص .

رددتها عليك فرددتها عليه ، وفي رواية قال لي هات فأخرجت ألواحي فحدثني بأربعين حديثاً . فقلت زدني قال حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ قلت قد رويتها فجبذ الألواح من يدي ثم قال حدّث فحدّثته بها فردها إلي وقال قم فأنت من أوعية العلم . او قال إنك لنعم المستودع للعلم . وروى عنه : حدثني ابن شهاب بأربعين حديثاً ونيف منها حديث السفينة فحفظت . ثم قلت أعدها علي فإني نسيت النيف على الاربعين فأبى فقلت اما كنت تحب ان يعاد عليك قال بلى . فأعادها فاذا هو كما حفظت . وفي رواية ان ابن شهاب قال له ما استفهمت عالماً قط . ثم استرجع وقال ساء حِفْظُ الناس لقد كنت آتي سعيد بن المسيب وعروة والقاسم وأبا سلمة وحميداً وسالماً وعدد جماعة فأدور فأسمع من كل واحد من الخمسين حديثاً الى المائة ثم انصرف وقد حفظته كله من غير ان أخلط حديث هذا ، في حديث هذا . وقال مالك في رواية ابن وهب : كنت أجلس الى ابن شهاب ومعي خيط فاذا حدّث عقدت ثم رجعت الى البيت يعني فكتبتها ، قال وفي رواية ابن قيس : كان ابن شهاب إذا جلس يحدث ثلاثين حديثاً فحدث يوماً وعقدت حديثه فأنسيت منها حديثاً . فلقيته فسألته عنه فقال أَلم تكن في المجلس قلت بلى قال فمالك لم تحفظ قلت ثلاثون إنما ذهب عني منها واحد فقال لقد ذهب حفظ الناس ما استودعتُ قلبي شيئاً قط فنسيته هات ما عندك فسألته فأنبأني فانصرفت . وقال عبد العزيز بن عبدالله سئل مالك أسمِعَ من عمرو بن دينار . فقال رأيته يحدث والناس قيام يكتبون فكرهت ان أكتب حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم . وقال احمد بن صالح جاء مالك الى عمر بن دينار فلم يفهم كلامه لأنه كان أهتم فيذهب الى بيت الزبير يَكْتُبُ عنه . قال الزبير مرّ مالك بأبي الزناد وهو يحدث فلم يجلس إليه . فلقيه بعد ذلك فقال له ما منعك ان تجلس

إلي . قال كان الموضع ضيقاً فلم أرد ان آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم . وروى ان القصة جرت له مع أبي حازم، قال ابن وهب سئل مالك هل كنتم تتقايسون في مجلس ربيعة ويكسر بعضكم على بعض ؟ فقال لا والله . قال مالك كان ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن يسار يقول لنا إذا أخذتم في الساذج تكلمنا معكم وإذا أخذتم في المنقوش قمنا عنكم . قال ابن أبي أُويس سمعت مالكا يقول : إن هـذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه . لقد أدركت سبعين ممَّن يقول قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين، وأشار الى المسجد، فما أخذت عنهم شيئاً ؛ وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أميناً إلا انهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن . وفي رواية ابن وهب وحبيب وابن عبد الحكم نحوه . وعن مطرف عنه : أدركت جماعة من أهل المدينة ما أخذت عنهم شيئاً من العلم وانهم ليؤخذ عنهم العلم وكانوا أصنافاً فمنهم من كان يكذب في حديث الناس ، ولا يكذب في علمه ومنهم من كان جاهلاً بما عنده ، ومنهم من كان يزن برأي سوء . فتركتهم لذلك، وفي رواية ابن وهب عنه : أدركت بهذه البلدة أقواماً لو استسقي بهم القطر لسقوا ، قد سمعوا العلم والحديث كثيراً ما حدثت عن أحد منهم شيئاً لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن يعني الحديث والفتيا يحتاج الى رجل معه تقى وورع وصيانة واتقان وعلم وفهم ، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غداً . فأما رجل بلا[1] اتقان ولا معرفة فلا ينتفع بـه ولا هو حجة ولا يؤخذ عنهم . وروى عنه ابن كنانة ربما جلس إلينا الشيخ جل نهاره ما نأخذ عنه ما بنا ان نتهمه ولكن لم يكن من أهل الحديث . قال مالك وكنا نزدحم على درج ابن شهاب حتى يسقط

---

(١) ص – بإتقان ولا معرفة .

بعضنا على بعض، قال وكانت عندي صناديق من كتب ذهبت، لو بقيت لكان أحب إلي من أهلي ومالي . وروى بعضهم عنه أنه قال : كتبت بيدي مائة الف حديث . قال مالك أتيت زيد بن أسلم فسمعت حديث عمر انه حمل على فرس في سبيل الله فاختلفت إليه أياماً أسأله عنه فيحدثني لعله يدخله فيه شك او معنى فأتركه لأنه كان ممن شغله الزهدُ عن الحديث . وقيل له لِمَ لا تكتب عن عطاء قال أردت ان آخذ عنه وأردت ان أنظر الى سمْتِه وأمره ، فأتبعته . أتى منبر النبي ﷺ فمسح الغاشية والدرجة السفلى ، يعني من المنبر، فلم أكتب عنه إذ ذاك من فعل العامة . والدرجة السفلى والغاشية شيء أصلحه بنو أمية فلما رأيته لا يفرق بين منبر النبي ولا غيره ويفعل فعل العامة تركته . وقد روى مالك عن رجل عنه فلعله تركه لما رأى منه ولم يعرف حقيقة ما كان عليه من الفضل والعلم ولهذا ما أراد النظر إليه واختباره . فلما استبان له بعد ذلك حاله وعلمه وقد فاته أخذ علمه عن غيره . قال ابن عيينة ما رأيت أحداً أجود أخذاً للعلم من مالك . وقال رحم الله مالكاً ما كان أشد انتقاده للرجل والعلماء . وقال ابن المديني لا أعلم أحداً يقوم مقام مالك في ذلك . وقال احمد بن صالح : ما أعلم أحداً أشدّ تنقياً للرجال والعلماء من مالك . ما أعلمه روى عن أحد فيه شيء . روى عن قوم ليس يترك منهم أحد . وروى عنه ابن وهب أنه قال دخلت على عائشة بنت طلحة فاستضعفتها فلم آخذ عنها إلا كان لأبي مركز يتوضأ هو وجميع أهله منه . وقال ان كنت لأرى الرجل من أهل المدينة وعنده الحديث أحب ان آخذ عنه فلا أراه موضعاً للأخذ فأتركه حتى يموت فيفوتني . وقال رأيت أيوب السختياني بمكة حجتين فما كتبت عنه ورأيته في الثالثة قاعداً في فناء زمزم . فكان إذا ذكر النبي عنده يبكي حتى أرحمه . فلما رأيت ذلك كتبت عنه . قال ابن وهب نظر مالك الى العطاف بن خالد

فقال بلغني أنكم تأخذون من هذا . فقلت بلى . فقال ما كنا نأخذ الحديث إلا من الفقهاء .

باب

في ابتداء ظهوره في العلم وقعوده للفتوى والتعليم وحاجة الناس اليه

قال الليث قدمنا المدينة فاذا عبد العزيز بن أبي سلمة ومالك قد اكتنفا ربيعة وعلاه عبد العزيز ، ثم قدمت مرة أخرى فاذا مالك علا عبد العزيز . قال محمد بن فليح : كنت عند ربيعة ومالك يجلس اليه ثم نَبُلَ مالك واحتيج اليه . فانتقل من مجلس ربيعة وطُلب منه العلم فكنت فيمن انتقل اليه من مجلس ربيعة وكنا جماعة أمرني بذلك أبي . قال سفيان بن عيينة : دارت مسألة في مجلس ربيعة ، فتكلم فيها ربيعة فقال مالك : ما تقول فيها يا أبا عثمان ؟ قال ربيعة : أقول فلا تقول، وأقول إذ لا تقول وأقول فلا تفقه ما أقول . ومالك ساكت فلم يجب بشيء وانصرفت فلما راح الى الظهر جلس وحده وجلس اليه القوم ، فلما صلى المغرب اجتمع الى مالك خمسون أو اكثر . فلما كان من الغد اجتمع اليه خلق كثير . قال : جلس للناس وهو ابن سبع عشرة سنة وعرفت له الإمامة وبالناس حياة إذ ذاك . قال ابن المنذر : أفتى مالك في حياة نافع وزيد بن أسلم . قال ابن عبدالحكم : أفتى مالك مع يحيي بن سعيد . قال أيوب ونافع قال عاصم بن عمر : كنا نأخذ عن مالك في حياة يحيي بن سعيد . قال أيوب السختياني : قدمت المدينة في حياة نافع ولمالك حلقة . قال مصعب : كان لمالك حلقة في حياة

نافع أكبر من حلقة نافع . وفي رواية زمعة : مكان نافع . قال شعبة : قدمت المدينة بعد موت نافع بسنة ويومين ولمالك حلقة وكان موت نافع سنة سبع عشرة .

قال الامام أبو الفضل رضي الله عنه : هذا كله صحيح ، وقد تقدم ان مالكاً جلس للناس ابن سبع عشرة سنة ، ومولده سنة ثلاث وتسعين على خلاف فيما قبلها ، فيأتي موت نافع وسنّه نيف وعشرون سنة ، بعد ان جلس للناس بسنتين . قال ابن وهب : قال لنا مالك يوماً : دعاني الأمير في الحداثة ان احضر المجلس ، فتأخرت حتى راح ربيعة فأعلمته وقلت لم احضر حتى جئت استشيرك . فقال ربيعة : نعم . قال ابن وهب فقلت : لو لم يقل لك احضر لم تحضر . ثم قال : يا أبا محمد لا خير فيمن يرى نفسه في حالة لا يراه الناس لها أهلاً . وفي رواية اخرى لما حضرت مع ربيعة عند السلطان رأيت الكراهية في وجهه . فقلت له لما خرجنا : إن كنت تكره لم احضر إنما تعلمنا منك . قال : فلا اكره ان يحضر معنا من انت افقه منه . قال مالك : ليس كل من أحب ان يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس . حتى يشاور فيه اهل الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد . فان رأوه لذلك أهلاً جلس . وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من اهل العلم إني لموضع لذلك . قال ابن وهب : جاء رجل يسأل مالكاً عن مسألة . فبادر ابن القاسم فأفتاه فأقفل عليه مالك كالمغضب وقال له : جسرت على ان تفتي يا عبد الرحمن ؟ يكررها عليه ، ما افتيت حتى سألت هل أنا للفتيا موضع . فلما سكن غضبه قيل له من سألت ؟ قال : الزهري وربيعة الرأي . قال مالك وربيعة إذا سأله الرجل فلم يفهم عنه يقول له سل هذا . فأقول للسائل إنما ينهاك عن كذا . قال ابن بكير وغيره : أول ما بان من فقه مالك ان رجلاً أوصى عند وفاته قد زوج ابنتيه من ابني أخيه

وقد اخذ مهورهما ومات الرجل فأحضر الوالي ، وكان الحسن بن يزيد ، الناس ، وفيهم ابن أبي ذئب وابن عمران وابن أبي سبرة ومالك وهو حدث وذكر المسألة . فقال جميعهم ذلك جائز ومالك ساكت . فقال : ما ترى يا مالك ؟ قال : ذلك لا يجوز . فغضب الجميع وقال ابن أبي ذئب : لا يشاء ان يرد علينا إلا رد . فقال الوالي : أصاب وأخطأتم . ثم قال : من اين قلت يا أبا عبدالله هذا ؟ قال : أرأيتم إن هديتنا جميعاً الى زوجيهما فتعلق كلا واحد منهما بهودج واحدة كل واحد يقول هي زوجتي دون الاخرى . لمن تقضون بها ؟ فسكت القوم . قالوا : أصاب . قال : فما ترى يا أبا عبدالله . قال : النكاح مفسوخ حتى تسمى كل امرأة لرجل معين . وقال ابن الماجشون : مما عُلم به مالك أن سارقاً أُخذ ومعه قمح وقد سرقه من تَلاليسَ لهذا وهذا ، حتى اجتمع قمح كثير فاعترف بذلك فأحضر الوالي من بالمدينة وفيهم ربيعة ويحيى بن سعيد ومعهم مالك على حداثة سنه لمعرفتهم بعلمه ، فلما أخذوا مجالسهم سألهم الوالي عن المسألة . وأخرج القمح فاذا شبيه فكلهم رأى ان عليه القطع ومالك ساكت . فقال له : تكلم . قال : لا قطع عليه . فاستعظم ذلك من هناك . وسألوه من اين قاله ؟ فقال لهم : هل يجب القطع الا في ربع دينار فصاعداً فأما أن يسرق من هذا التليس ما يساوي درهماً ومن هذا ما يساوي درهماً هكذا فهذا لا قطع عليه . فانصرف الناس وقد بان فضل علمه . قال ابو الحسن المطالبي : سأل مالكاً صفوان بن سليم وهو أحد شيوخ مالك الجلة الفضلاء النقاد عن رؤيا رآها في النوم ومالك إذ ذاك غلام صغير السن فقال له : ومثلك يسأل مثلي ؟ فقال له : وما عليك يا ابن أخي ، رأيت كأني انظر في مرآة . فقال له مالك : انت تنظر في أمر آخرتك وما يقرّبك الى ربك . فقال له صفوان : أنت اليوم مويلك ولئن بقيت لتكونن مالكاً اتق الله يا مالك

إذا كنت مالك ، وإلا فأنت هالك . قال مالك : وكان قبل يدعوني مويلك . فلما سألني قال يا أبا عبدالله وهو أول يوم كنّاني فيه . قال المطالبي : وفي قوله وما عليك إشارة الى أنه كان عنده مستأهلًا لجواب ما سأل عنه ، ولو لم يكن عنده كذلك لما سأله ولا استحل لنفسه ولا له الغوص في علم الغيب والتلاعب بالنبوءة . قال الحرث : أوصى ابن هرمز مالكاً وعبد العزيز بن أبي سلمة إذا دخلتما على السلطان فكونا آخر من يتكلم. فلزم مالك وصيته فبلغني انه حضر عند الامير مع ابن أبي ذئب ونظرائه فاستفتاهم في رجل أقر على نفسه بالقتل عمداً فأفتى كلهم بالقتل إلا أن يعفو الأولياء ، ومالك ساكت . فسأله فقال : أنظر وهو مطرق . ثم سأله فقال : هو القتل حتى أنظر . فقالوا : ما تنظر رجل أقر أنه قتل عمداً أي شيء هذا ؟ فقال : أين القاتل المقر ؟ فاذا فتىً حدث السن فقال : منذ كم حبس ، قيل : منذ كذا . فاذا حبسه وإقراره قبل ان يحتلم ، فسرّح . وهذا والله اعلم انه انكر إقراره ورجع عنه . قال احمد بن صالح : كان مالك في ثلاث طبقات ، طبقة دونه واخرى معه واخرى فوقه . ولم يكن في الثلاث طبقات من يجيد الطلب مثله فاق الثلاث طبقات . فالتي فوقه من ولد في الثمانين ، ابن عجلان وابن أبي ذئب ونمطهم ، والتي معه عبدالعزيز ابن الماجشون وأبي الزناد وسليمان بن بلال وغيرهم . والذين دونهم ابن الدراوردي وابن أبي حازم وأنس بن عياض . قال ابن القاسم : قال لي مالك : كنا نجلس الى ربيعة أربعين معتماً سوى من لا يعتمّ ما ندري منهم إلا أربعة ، أما أحدهم فغلبت عليه الملوك يعني ابن الماجشون . وفي رواية شُغل بالأغاليط او نحو هذا . وأما الآخر فمات يعني كثير بن فرقد. وأما الثالث فغرب نفسه يعني عبد الرحمن بن عطاء . وسكت عن الرابع فعلمنا أنه يعني نفسه . وقيل لأبي حنيفة : كيف رأيت غلمان المدينة ؟

قال : إن نجب منهم فالأشقر الأزرق . يعني مالكاً . وفي رواية رأيت بها علماً مبثوثاً فإن يجمعه أحد فالغلام الأبيض الأحمر . قال ابن غانم : فذكرت ذلك لمالك ، فقال : صدق . لقيته فرأيت رجلاً له علم وفهم لو بني على أصل، يعني أثر اهل المدينة . قال ابن أبي أويس : قال مالك : أقبل علي ذات يوم ربيعة فقال لي : من السفلة يا مالك ؟ قلت : الذي يأكل بدينه . قال لي : فمن سفلة[1] السفلة ؟ قلت الذي يأكل غيره بدينه . فقال زه وصدّرني .

باب

شهادة السلف الصالح وأهل العلم له بالامامة في العلم بالكتاب والسنة والتقدم في الفقه والصدق في الرواية وتفضيلهم له وثنائهم عليه

قد قدمنا في باب ترجيح مالك الآثار الواردة فيه وتكلمنا عليه بالمنقول والمعقول ، بما لا مزيد فوقه . وذكرنا من كلام السلف والأيمة بالشهادة له بالامامة والتقدم على غيره بما لا نطيل بإعادته ونذكر هنا جملة صالحة من ذلك والله المعين . قال ابن هرمز يوماً لجاريته : من بالباب ؟ فلم تر إلا مالكاً فذكرت ذلك له فقال : دعيه فانه عالم الناس . وقال له ابن شهاب : أنت من أوعية العلم وإنك لنعم مستودع العلم . وقيل لأبي الأسود شيخ مالك بمصر سنة احدى وثلاثين من للرأي بعد ربيعة بالمدينة ؟ قال يحيى بن سعيد بالعراق . فقال الغلام الأصبحي . وقال سفيان بن عيينة : ما نحن

---

(١) ص - مَن أسفل السفلة .

عند مالك . إنما كنا نتبع آثار مالك . وقال : ان المدينة أو ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد مالك . قال : ومالك سيد أهل المدينة . وقال : مالك سيد المسلمين . وقال : مالك إمام . وقال : مالك عالم أهل الحجاز . وقال : كان مالك سراجاً . ومالك حجة في زمانه . وقال وقد بلغه وفاة مالك : ما ترك مثله أو ما ترك على الارض مثله . وقال لبعضهم : أتقرنني بمالك ؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير :

وابن اللّبون إذا ما لزّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

ثم قال : ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى ، مع عقل وأدب . وقال : مالك إمام في الحديث . وقال : حدثني مالك الصدوق . وجاء نعي مالك الى حماد بن زيد ، فبكى حتى جعل يمسح عينيه بخرقة . وقال : يرحم الله مالكاً لقد كان من الدين بمكان . لقد رأيت رأيه يتذاكر في مجلس أيوب . وفي رواية ثم قال حماد : اللهم أحسن علينا الخلافة بعده . وقال الشافعي : اذا جاءك الأثر عن مالك فشدّ به يدك . وقال : اذا جاء الخبر ، فمالك النجم . وقال : اذا ذكر العلماء فمالك النجم . ولم يبلغ احد في العلم مبلغ مالك لحفظه وإتقانه وصيانته . ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك . وقال : مالك بن أنس معلمي . وفي رواية استاذي . وما أحد أمَنّ علي من مالك . وعنه أخذنا العلم وإنما أنا غلام من غلمان مالك . وقال : جعلت مالكاً حجة فيما بيني وبين الله . وقال محمد بن الحكم : كان الشافعي دهره اذا سئل عن الشيء يقول : هذا قول الاستاذ . يريد مالكاً . وذكر الأحكام والسنن . فقال : العلم يدور على ثلاثة : مالك والليث وابن عيينة . وقال : مالك وسفيان قرينان ومالك النجم الثاقب . وقال : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز . ويروى لما عرف العلم بالحجاز قال

الشافعي : ذاكرت محمد بن الحسين يوماً فقال لي صاحبنا أعلم، يعني أبا حنيفة، من صاحبكم ، يعني مالكاً . فقلت له : الانصاف تريد أم المكابرة ؟ قال : الانصاف . قلت له : نشدتك بالله الذي لا إله إلا هو من أعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه ؟ قال : اللهم صاحبكم . قلت له : فمن أعلم بسنة رسول الله ﷺ ؟ قال : اللهم صاحبكم . قلت له : فمن بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : اللهم صاحبكم . قلت : فلم يبق إلا القياس . قال : صاحبنا أقْيَسُ . قلت : القياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فعلى أي شيء يقيس ، ونحن ندعي لصاحبنا ما لا تدعونه لصاحبكم . وفي بعض الرواية عنه ، فقلت له : وصاحبنا لم يذهب عليه القياس ولكنه يتوقى ويتحرى يريد يتأسى بمن تقدمه . وقال بعضهم : سمعت بقية بن الوليد في جماعة ممن يطلب الحديث ومشيخة من أهل المدينة يقول : ما بقي على ظهرها، يعني الأرض، أعلم بسنة ماضية ولا باقية منك يا مالك . قال عبدالله والد مصعب الزبيري لمالك بن أنس سيد المسلمين . وذكره الليث فقال : مالك يرفع من قدره . وذكره الاوزاعي فقيل له : كيف رأيت مالكاً ؟ قال : رأيت رجلًا عالماً . قال عبدالله بن عمر : نعم الخلف للناس مالك . وقال عبدالعزيز : مالك سيدنا وعالمنا . قال الليث : لقيت مالكاً بالمدينة فقلت له : إني أراك تمسح العرق عن جبينك . قال عزفت مع أبي حنيفة . انه لفقيه يا مصري . ثم لقيت أبا حنيفة فقلت : ما أحسن قول ذلك الرجل فيك . فقال : والله ما رأيت أسرع منه بجواب صادق وزهد تام . قال أبو يوسف : ما رأيت أعلم من ثلاثة : مالك وابن أبي ليلى وأبي حنيفة . قال البهلول بن راشد : ما رأيت أنزع بآية من كتاب الله من مالك بن أنس . قال مطرف : كان مالك إذا سئل عن مسألة نزلت فكأنما نبي نطق على لسانه . قال محمد ابن عبد الحكم : اذا انفرد مالك بقول لم يقله من قبله فقوله حجة توجب

الاختلاف لانه إمام . فقيل له فالشافعي . قال : لا . قال الحكم : دخلت المسجد فسألت جماعة ممن في المسجد : من أعلم من في المسجد وأفضل ؟ فقالوا : هذا القائم يركع ، يريدون مالكاً . وقال وهيب بن خالد وكان من أبصر الناس بالحديث : قدمت المدينة فلم أجد أحداً إلا يعرّف وينكّر إلا مالكاً ويحيى بن سعيد . وكان وهيب لا يعدل بمالك أحداً . وعن الليث انه قال علم مالك علم تقى . مالك أمان لمن أخذ عنه من الأنام . قال ابن المبارك : لو قيل لي اختر للامة إماماً اخترت لها مالكاً . قال أبو اسحاق الفزاري : مالك حجة رضىً كثير الاتباع للاثار . وقال ابن مهدي : مالك أفقه من الحكم وحماد . وقال : أئمة الحديث الذين يقتدى بهم أربعة ، سفيان بالكوفة ومالك بالحجاز والأوزاعي بالشام وحماد بن زيد بالبصرة . وسئل من أعلم مالك أو أبو حنيفة ؟ فقال : مالك أعلم من استاذي أبي حنيفة . وقال : الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السنة . والأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث . ومالك إمام فيهما . وقال مرة لأصحابه : أحدثكم عمن لم تر عيناي مثله . ثم قال حدثنا مالك ، وقال مالك أحفظ اهل زمانه ، ومالك لا يخطىء في الحديث ، وقال لم[1] يبق على وجه الارض آمن على حديث رسول الله ﷺ من مالك . وقال : ما أقدم على مالك في صحة الحديث أحداً . وقال : لم أر أحداً مثل مالك وحماد بن زيد كانا يحتسبان في الحديث . وقال يعقوب بن سفيان : الى مالك والثوري وابن عيينة تنتهي الامامة في العلم والفقه والاتقان . وقال ابن حنبل : مالك أتبع من سفيان . وسئل عن الثوري ومالك اذا اختلفا في الرواية ، وفي طريق ايهما أفقه ؟ فقال : مالك أكبر في قلبي . قيل له

---

(١) في – ص – ما بقي .

فمالك والأوزاعي اذا اختلفا في الرواية . قال مالك أحبّ الي وإن كان الأوزاعي من الأئمة . قيل فمالك والليث ؟ قال مالك . قيل فمالك والحكم وحماد . قيل مالك والنخعي ؟ قال ضعه مع أهل زمانه . وقال : مالك سيد من سادات أهل العلم ، وهو إمام في الحديث والفقه ، ومن مثل مالك متّبع لآثار من مضى ؟ مع عقل وأدب . وقيل له الرجل يحب ان يحفظ حديث رجل بعينه حديث من ترى يحفظ ؟ قال حديث مالك ، فانه حجة بينك وبين الله . وقاله أيضاً لرجل سأله أي شيء أكتبه من الحديث ؟ قيل له فيريد ينظر في الرأي رأي مَنْ تُرى ينظر ؟ قال رأي مالك . وقال : يرحم الله مالكاً كان من الاسلام بمكان . وقال : لا يترك عن مالك حديث ولا كلام إلا كتب . وقال : مالك حافظ متثبّت من أثبت الناس في الحديث . وقال أبو قدامة : مالك أحفظ أهل زمانه . وقال يحيى بن سعيد القطان : ما في القوم أصح حديثاً من مالك . يعني الأوزاعي والسفيانيين . ومالك أحب الي من معمر . ومالك إمام الناس في الحديث . وقال أيضاً مالك أمير المؤمنين في الحديث . وقاله أيضاً علي بن المديني ويحيى بن سعيد . وقال يحيى أيضاً : كان مالك حافظاً . وقال : كان مالك إماماً يقتدى به . وقال يحيى بن معين : مالك نبيل الرأي ، نبيل العلم ، أخذ المتقدمون عن مالك ووثقوه ، وكان صحيح الحديث وكان يقدمه أصحاب الزهري . وقال ما رأيت أحداً أحفظ لحديث نفسه منه ومن سفيان . وقيل له الليث[١] أرفع عندك أم مالك ؟ قال : مالك . وهو أعلم أصحاب الزهري وأوثقهم ، وأثبت الناس في كل شيء . وقال : مالك إمام من أئمة المسلمين مجمع على فضله وثبته في الحديث . وقال : مالك نجم أهل الحديث المتوقف على الضعفاء الناقل

---

(١) في – ص – الليث عندك أرفع .

عن أولاد المهاجرين والأنصار . وقال علي بن المديني : ما أقدّم على مالك أحداً في صحة الحديث . ومالك أمير المؤمنين في الحديث . وقال لي إني أحدثك عمن لم تر عيناك . وفي رواية عيناي مثله . فحدّثني عن مالك ، وقال : لولا ان الله يبعث في الاسلام في كل زمان مثل مالك وشعبة والأوزاعي لكانوا قد أدخلوا في حديث رسول الله ﷺ ما ليس فيه . وقال : حسبك مالك وابن عيينة حفظاً وإتقاناً اذا اتفقا . وقال بكر بن أحمد بن مقبل : مالك بن انس الحجة القائمة . وقال البخاري وأبو زرعة الرازي ومحمد بن عبد الحكم وأبو عبدالله بن السيد وغير واحد : مالك بن أنس إمام . وقال أيوب بن سويد : مالك إمام دار الهجرة والسنة الثقة الصدوق . وقال : ما رأيت أحداً قط أجود حديثاً من مالك . وقال النسائي قال ابن أبي حازم : قال لي عبد العزيز بن الماجشون اغتنم مالكاً ، فلم يبق من أدرك الناس غيره وغيري . وقال سعيد بن داود : لم يذكر في عصر مالك أحد أرفع عند(١) أهل المدينة من مالك . وقال غيره : ما رأيت أحسن على التكشف من مالك كلما كشفته ازددتُ فيه رغبة . وقيل لابن هرمز نسألك فلا تجيبنا ويسألك مالك وعبد العزيز فتجيبهما . فقال : دخل علي في بدني ضعف ولا آمن ان يكون قد دخل علي في عقلي مثل ذلك، وأنتم اذا سألتموني عن الشيء فأجبتكم قبلتموه ومالك وعبدالعزيز ينظران فيه . فان كان صواباً قبلاه ، وإن كان غيره تركاه . وقال محمد ابن سعد : كان مالك ثقة مأموناً ، ثبتاً ، فقيهاً ، ورعاً ، حجة ، عالماً . وقال أبو علي بن أبي(٢) هلال : سئل النسائي عن معاوية فقال : الاسلام دار

---

(١) في – ص – عن .
(٢) في – ر – بن هلال بسقوط .

والصحابة بابها فمن تكلم في أحد منهم بسوء فانما دخل الدار . وقال أبو علي ابن أبي هلال : وأنا أقول ومالك حلقة الباب لمن مر الحلقة فانما أراد الدار .

بقية شهادتهم له بالصدق والثبات في الأثر والقول في مراسيله وتوفيقه (ومن روى عنه[١])

قال ابن مهدي : مالك أثبت في نافع من عبدالله وموسى بن عقبة ومن إسماعيل بن أمية ومن سائر الناس . وقال مثله يحيي بن سعيد ويحيى بن معين . قال سليمان بن حرب إن مالكاً لأهل لذلك . قال ابن مهدي : ومالك عن ابن المسيب أحب إلي من قتادة عن ابن المسيب إلا ان يقول قتادة سمعت . قال ابن وهب ما أحداً آمن ولا أوثق من مالك . وقال يحيى بن سعيد القطان ، وذكرت من مرسلات السفيانيين والشعبي والأعمش وغيرهم . فقال : في بعضها شبه الريّح وشبه لا شيء . قيل له فمرسلات مالك ؟ قال هي أحب إليّ . ليس في القوم أصح حديثاً منه . وقدّمه في أصحاب الزّهري . قال : ومالك عن سعيد أحبّ إليّ من سفيان عن إبراهيم . وقال احمد بن حنبل مالك أحسن حديثاً عن الزّهري من ابن عيينة . ومالك أثبت الناس عن الزهري . قال احمد بن صالح ثلث حديث مالك مسند . وليس هذه المنزلة لأحد من نظرائه . وحديث مالك ألفا حديث وشبيه بمائتي حديث . يعني التي رويت عنه ، وحدّث بها . وقال ابو القاسم الإلكاني عن علي ابن المديني : عند مالك نحو الف حديث . قال احمد بن صالح وذكر الليث وسفيان فجعل يعظّمها . وقال : كل واحد منهما إمام

---

(١) زيادة من – ن .

قيل له فاذا اختلف سفيان ومالك في الزهري أيّهما أحب إليك ؟ قال : مالك . قال سفيان بن عيينة أخذ مالك ومعمر عن الزهري عرضاً ، وأخذت سماعاً . قال ابن معين : لو أخذ كتاباً كان أثبت منه . قال البخاري : مالك أثبت الناس في الزهري . وقال يحيى بن عبدالله لأبي زرعة : ليس هذا زعزعة عن زوبعة ترفع السّتر وتنظر الى النبي ﷺ وأصحابه بين يديه . مالك عن نافع عن ابن عمر . وقال وكيع حدّثني الثقة مالك بن أنس وروى مثله عن القاسم بن علي وعن احمد بن علي . وقال الحسن بن علي : كنّا عند وهيب بن خالد فحدّث بحديث عن مالك وابن جريج . فقلت لرجل أكتب ابن جريج ودع مالكاً ، لأنه كان حيّاح[١] . فسمعها وهيب ، فقال : تقول دع مالكاً ! ما نعلم بين شرقها وغربها أحداً آمن عندنا من مالك على[٢] حديث . قال ابن المديني : مالك عن رجل عن سعيد بن المسيب أحبّ إليّ من سفيان عن رجل عن إبراهيم . فان مالكاً لم يكن يحدّث إلا عن ثقة . وقال ابن داود حديث رسول الله ﷺ . مالك عن نافع عن ابن عمر ثم مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه . ثم مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . لم يذكر شيئاً عن غير مالك وقال : مراسيل مالك أصح من مراسيل سعيد بن المسيب ومن مراسيل الحسن ومالك أصح الناس مرسلًا[٣] وقال سفيان : إذا قال مالك بلغني فهو إسناد . وقال يحيى بن سعيد : مرسلات مالك صحاح . وقال يحيى كان أصحابنا يقولون مرسلات مالك إسناد . قال ابن وهب مالك والليث إسناد وإن لم يسند او قال إبراهيم الحربي مالك لا يرسل إلا عن ثقة وسئل احمد بن

---

(١) هكذا في النسخ التي بأيدينا .
(٢) في – ص – عن .
(٣) في – ر – مراسيلا .

حنبل عن حديث جعفر بن محمد فقال ما أقول فيه وقد روى عنه مالك . وسئل ابن معين عن طلحة الايلي وجماعة فقال حدث عنهم مالك . قال الأثوم : سألت احمد بن حنبل عن عمر بن أبي عمر مولى المطلب فقال يؤيد أمره مالك بن أنس قد روى عنه . وقد ذكره البخاري في الصحيح وقال قد روى عنه مالك .

باب

في إجماع الناس عليه واقتداء الأكابر به وحاجتهم إليه

قال مالك رحمه الله تعالى ، فيما روى عنه ابن وهب وابن القاسم : ما احد ممن نقلت عنه العلم إلا اضطرّ إلي حتى سألني عن دينه . قال ابن أبي حازم : رأيت زيد بن أسلم واقفاً يستفتيه . وقال مالك : قال لي يحيى ابن سعيد حين خرج الى العراق التقط لي مائة حديث من أحاديث ابن شهاب أرويها عنك . فكتبتها ثم دفعتها إليه . قال لي أروها عنك ؟ قلت : نعم . قيل له[١] فسمعها منك ؟ قال كان أفقه من ذلك . قال يحيى بن سعيد : التقى مالك والثوري ، فكان الثوري يسأل مالكاً . فقال معن : رأيت الثوري يزاحمنا على باب مالك . قال مطروح بن شاكر : جلس ابن شهاب وربيعة ومالك ، فألقى ابن شهاب مسألة فأجاب فيها ربيعة ، وصمت مالك . فقال له ابن شهاب : لمَ لا تجيب قال قد أجاب الأستاذ او نحوه . فقال ابن شهاب ما نفترق حتى تجيب . فأجاب بخلاف جواب ربيعة . فقال ابن

---

(١) ن و ص — لي .

شهاب ارجعوا بنا الى قول مالك . قال الدراوردي بينما أنا جالس مع يحيى ابن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة إذ سمعت أحدهما يقول للآخر ، كم ذا يكون هذا الرجل بين أظهرنا أفلا تأتيه نسمع منه او نأخذ عنه ؟ فقلت في نفسي إن هذا رجلًا ذهب هذان في الأخذ عنه لأهل ان لا أجهله فقاما وقمت معهما ، فأتيا باب مالك واستأذنا عليه فلم نلبث[1] أن سمعنا وقع الوسائد وأذن لهما فدخلا فدخلت معهما . فقالا يا أبا عبدالله حدثنا عن ابن شهاب وكان سفيان الثوري إذا سئل عن شاذ الحديث ، قال دعوه ، فان الحجازي نهاني عنه ، يعني مالكاً . قال ابن معين سمع يحيى بن سعيد القطان من مالك في شباب مالك . قال شعبة دخلت المدينة سنة سبع عشرة بعد موت نافع بسنة وفي بعضها سنة ثمان عشرة وهو أصح . فرأيت مالكاً له حلقة فاذا اختلف النّاس في شيء نظروا إليه ما يقول . قال القاضي محمد بن احمد البصري : وفي هذه السنة سمع شعبة من مالك وسن مالك إذ ذاك نيف وعشرون سنة . قال ابن أبي أويس كان الناس كلهم يصدرون عن رأي مالك ابن أنس ، وكان للأمير عنده رجل يسأله . وهكذا القاضي والمحتسب . قال سعيد بن منصور : رأيت مالكاً يطوف وخلفه سفيان الثوري يتعلم منه كما يتعلم الصبي من معلمه ، كلما فعل مالك شيئاً ، فعله سفيان يقتدي به ، وقال ابن عيينة : ما نحن ومالك ؟ إنما كنّا نتبع آثار مالك . فان أخذ عن الشيخ أخذنا عنه . قال بعضهم كنت عند ابن عيينة فسأله رجل عن الضحية بالليل فقال سفيان لا بأس بها . فقلت له ابن وهب روى عن مالك أنه لا يضحي بالليل ، وقرأ «في أيّامٍ مَعلوماتٍ» . فصاح ابن عيينة بالرجل وقال له إن هذا أخبرني عن ابن وهب عن مالك أنه لا يضحي بالليل . وقد ذكر

---

(١) ن و ص – نشب .

ان ابن وهب هو الذي حكى لابن عيينة قول مالك هذا . وقال ابن عيينة : حج مالك فضاق الطواف[١] بالناس يأتمون بـه . قال يحيى : قال الشافعي أَفْطَرْتُ بالمدينة عند مالك فخرج الى العيد وصلى وانصرف ونظر الى الناس عند بيت النبي ﷺ وهو على باب المسجد . فقال ما لهم ؟ قال : انصرفوا يسلمون على النبي ﷺ فرجع الى الحظيرة التي يطعم فيها المساكين في رمضان ، وترك ان يدخل المسجد فرأيت الناس قد خرجوا من المسجد يتّبعون أين[٢] مالك ؟ وقال عتيق : ما أجمع أهل المدينة على احد بعد النبي ﷺ إلا على أبي بكر وعمر ، ومات مالك ولم نعلم ان احداً من اهل المدينة قبل موته إلا وقد أجمع عليه . وقال حميد بن الأسود ما تقلد احد من اهل المدينة بعد زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك . قال ابن أبي أويس : حضرت الاستسقاء بالمصلى فلما حوّل الإمام رداءه قام مالك يحوّل ساجا عليه . فقام الناس فحوّلوا أرديتهم . فلما انصرف مالك قيل له أمن سنة الاستسقاء إذا حوّل الإمام ، ان يقوم الناس يحوّلوا أرديتهم ؟ قال ليس عليهم قيام ويحولون قعوداً ، وإنما قمت لأنّ ساجي كان تحتي فلم أقدر على تحويله حتى قمت . قال مروان بن عمر ما ترك مالك الرواية عن احد إلا ضعُف . قال ابن كنانة : قال العمري لمالك بايعني أهل الحرمين وأنت ترى ظلم أبي جعفر . فقال له مالك تدري ما الذي منع عمر بن عبد العزيز ان يولى رجلًا صالحاً بعده ؟ قال لا ؛ قال كانت البيعة ليزيد فخاف عمر بن عبد العزيز إن بايع لغيره ان يقيم يزيد الهيجَ ، ويقاتل الناس فيفسد ما لا يصلح . فاحتمل العمري عن رأي مالك . وقال سفيان كان مالك سراجاً . حج الثوري

---

(١) ص – المطاف .
(٢) ن – أين سَلَكَ .

فطفت معه فلم يكن معه كثير احد ، وقدم مالك فطاف فضاق الطواف بالناس ، يعني لكثرتهم . ولما روى مالك عن يزيد بن عبدالله بن الهادي رحل الى يزيد قريب من ألف راحلة . فلما أصبح يزيد ونظر الى كثرة ما غَشِيَ بابه قال : ما هذا ؟ قيل له إن مالكاً روى عنك . قال داوود بن مهران لما أتيت المدينة حضرت جنازة فلم يبقَ احد من بني هاشم (وقريش والناس[1]) إلا حضرها . فلما خرجت الجنازة قام مالك وقام الناس لقيامه فمضى ماشياً بين يديها فما رأيت أحداً خلف الجنازة ومالك أمامهم . وقال الليث إني لأدعو لمالك في صلاتي ، وذكر من حاجة الناس في الفتيا . قال الشافعي رأيت المغيرة وابن أبي حازم والدّراوردي يذهبون مذهب مالك . قال ابن وهب سألت عبدالعزيز بن الماجشون عن مسألة فقال ما يحضرني فيها جواب ، ولكن سل مالكاً وأخبرني بما يقول . فسألته وأخبرته : فقال : مالك سيّدنا وعالمنا . وذكر عبدالعزيز بن الماجشون مسألةً ، اختلف فيها قول أبيه وقول مالك فقال : وبقول مالك أقول ، وأميل مع مالك حيثما مال[2] ، فانه كان موفّقاً . قال خالد بن نزار زار مسلم بن خالد الدّارنجي مالكاً ، فقال له مالك : يا مسلم ، ما هذه الأشياء التي تبلغني عنكم، تخالفون فيها أهل المدينة ؟ قال يا أبا عبدالله أصلحك الله إني قد جمعت اشياء اريد ان اسألك عنها . قال مالك هات . أما أني احب ان يرشدكم الله ولكني اكره ان تخالفوا اهل المدينة الى غيرهم . قال محمد بن الحسن أقمت على باب مالك سنتين او ثلاثا اسمع منه ، وكان يقول إنه سمع منه لفظاً اكثر من سبعمائة حديث . وقال يحيى بن يحيى التميمي أقمت عند

---

(١) ما بين القوسين ساقطة من — ص .
(٢) ن — حيث مال .

مالك بن أنس بعد كمال سماعي منه سنة أتعلم هيئته وشمائله فانها شمائل الصحابة والتابعين ونحو هذا . وقال محمد بن عبد الحكم : كان الشافعي اذا سئل عن شيء يقول هذا قول الاستاذ يعني مالكاً وقال فيه مالك استاذي ومالك معلمي وعنه اخذنا العلم . وما أحد أمنّ علي من مالك وإنما أنا غلام من غلمان مالك ، وجعلت مالكاً حجة بيني وبين الله . وقال ابن وهب : لولا ان الله استنقذنا بمالك والليث لضللنا . وسئل مالك عن عبد الله بن عبد الرحمان الانصاري الذي يحدث عنه ابن سمعان[١] فقال : ما اعرفه . فقال الناس : رجل من أهل المدينة من الأنصار ويروى عنه لا يعرفه مالك ؟ فاتهمه الناس . فقال علي ابن المديني : اذا حدث مالك عن رجل من اهل المدينة ولا تعرفه فهو حجة ، لأنه كان ينتقي . وقال علي : مالك استاذي في اهل المدينة . ويحيى في العراق . وحكى بعض من ألف في مناقبه ان ابن هرمز مر بدار بعض ذوي الاقدار وهو واقف مع[٢] مولاة له : فقال ابن هرمز : يا هذا إنك على الطريق وليس يحل لك هذا[٣] . فقال هذي داري ومولاتي وحشمي . فما ينكر على مثلي . وقال لعبيده طؤوا بطنه فوطئوه حتى حمل الى منزله . فعاده الناس وفيهم مالك . فجعل يشكو والناس يدعون له ، ومالك ساكت ثم تكلم ، فقال : إن هذا لم يكن لك . تأتي الرجل من اهل القدر على باب داره معه حشمه ومواليه . فقال ابن هرمز : فترى أني أخطأت ؟ قال : اي والله . وذكر باقي الحكاية . ولما قدم حماد بن زيد المدينة لم يأته احد من اصحاب مالك فراح حماد فشكى ذلك اليه . فقال : أنا أمرتهم بذلك . فقال ولم ؟ يا أبا عبدالله ؟ قال

---

(١) ص – ابن سهل .

(٢) ص – على و – ن – وهو واقف مولاة له .

(٣) هذا لك – ص و ن .

لأنكم يا أهل العراق تكتبون بالمدينة عمن[١] لا شهادة له عندنا . فيتوهم عليكم أنكم تفعلون هكذا في بلادكم . فرجع حماد فأسقط عامة علمه . قال سحنون : جاء وافد أهل مصر سؤلاتهم لربيعة ، فوجدوه قد مات . قال : فلم أرد ان ارجع بغير جواب ، فرأيت في المسجد حلقة يخوضون في العلم فجلست اليهم وأخبرتهم أمري وقلت لهم إن كان لكم[٢] أجيبوني أو فارشدوني . فأشار اليّ جميعهم الى مالك بن أنس، وهو يومئذ شاب جالس الى عمود وحده ولم أدع حلقة إلا جلست اليها ، وسألتهم فكلهم يدلني عليه فأتيته فأخبرته بخبري وبما دلني القوم عليه ، وذكر انه سأله فكلما قرأ عليه مسألة بكى . ثم أجابه . قال سحنون : بكى حين عرفها وعرف انه احتيج اليه فيها . قال المغامي عن عبد الملك : سمعت مطرفاً وابن الماجشون يقولان عن مالك في أمهات الأولاد أنهن اذا استحققن يؤخذن قيمة أولادهن حتى استحقت أم ولده محمد وتخاصم فيها وكيل المستحق مع وكيل مالك عند المطلب والي المدينة فقال المطلب : ما ارى احداً استشيره في أمره غيره . فقال وكيل الطالب : تستشيره في امر نزل به ؟ فقال المطلب ليس مثله يتهم ، ولو كان صاحبه حاضراً يعني ابن ابي سلمة استشرناه ، فاستشار مالكاً في ذلك ، فقال : قد كان رأيي في ذلك ما قد علمت وجرى في الناس حتى رأيت أمراً شديداً يعمد الى أم ولدي ، فتستخرج من تحتي وإنما اشتُريتْ من سوق المسلمين ، فيحمل علي رزقها[٣] أما أفديها بجميع مالي وما ظلم من دفع اليه القيمة . فحكم بذلك فما سُر أهل المدينة سرورهم بهذه الفتيا . وفي الثمانية (هكذا) والواضحة مثله وانه قول مالك المقدّم .

---

(١) ص — ممن .

(٢) ص — عندكم .

(٣) بالنسخ رزفون ولا معنى لها .

وقول ابن كنانة وابن الماجشون . قال ابو محمد الضرّاب وغيره وروى عن مالك جماعة من الشيوخ الذين روى عنهم . منهم يحيى بن سعيد الأنصاري وأبو الأسود بن نوفل وزياد بن سعد وابن شهاب وهشام بن عروة الى آخر[١] من سواهم . وأما من روى عنه من أقرانه ممن مات قبله أو بعده فكثير : كابن جريج وابن عجلان والدراوردي وعبد الله بن جعفر المديني والليث ونافع القاريء وعبدالعزيز بن الماجشون والسفياني والحماد والمزني، وأبو حنيفة، وصاحبه ووكيع وشعبة والأوزاعي وسواهم، ممن سنذكرهم بعد هذا . قال غيره ففي رواية هؤلاء المشيخة وأمثالهم عن مالك دليل على عظم شأنه . قال جعفر الفريابي : لا أعلم احداً روى عنه الأئمة والجلة ممن مات قبله بدهر طويل إلا مالك . فان يحيى بن سعيد مات قبله بخمس وثلاثين سنة وابن جريج بثلاثين والاوزاعي بعشرين والثوري بثمان عشرة وشعبة بتسع عشرة . قال الامام أبو الفضل رضي الله عنه وأبو حنيفة بثلاثين سنة وهمام بأكثر من ذلك . وأغرب من هذا الزهري توفى قبل مالك بخمس وخمسين سنة . قال أبو الحسن الدارقطني : لا نعلم أحداً تقدم أو تأخر اجتمع له ما اجتمع لمالك . وذلك انه روى عنه رجلان حديثاً واحداً بين وفاتيهما نحو من مائة وثلاثين سنة محمد بن شهاب الزهري وشيخه توفى سنة خمس وعشرين ومائة وأبو حذافة السهمي، توفى بعد الخمسين ومائتين رويا عنه جميعاً حديث الفريعة بنت مالك في سكنى المعتدّة .

---

(١) ص – آخرين سواهم .

باب

تحريه في العلم والفتيا والحديث وورعه فيه وإنصافه

قال عبد الرحمان العمري : قال لي مالك ربما وردت علي المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم فقلت يا أبا عبدالله ما كلامك عند الناس إلا كنقش في حجر ، ما تقول شيئاً إلا تلقوه منك . قال فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان هكذا . فرأيت في النوم قائلًا يقول مالك معصوم قال ابن القاسم : سمعت مالكاً يقول إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة فما اتفق لي فيها رأي الى الآن . قال ابن مهدي : سمعت مالكاً يقول : ربما وردت علي المسألة فأسهر فيها عامة ليلي . قال ابن عبد الحكم : كان مالك اذا سئل عن المسألة قال للسائل انصرف حتى أنظر فيها . فينصرف ويتردد فيها . فقلنا له في ذلك ، فبكى وقال : إني أخاف أن يكون لي من السائل يوم وأي يوم . قال وزاده[1] كان مالك اذا جلس نكس رأسه ويحرك شفتيه بذكر الله ولم يلتفت يميناً ولا شمالاً ، وزاده ، فاذا سئل عن مسألة تغير لونه وكان أحمر بصفرة فيصفر وينكس رأسه ويحرك شفتيه . ثم يقول ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، فربما يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب منها في واحدة . وقال بعضهم لكأنما مالك والله اذا سئل عن مسألة واقف بين الجنة والنار ، وكان يقول : من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه قبل ان يجيب على الجنة والنار ، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ، ثم يجيب . وقال : ما شيء أشد علي

---

(١) ص – فزاد – ر – زاده .

من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام ، كأن هذا هو القطع في حكم الله ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم اذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه . ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا ، ولو وقفوا على ما يصيرون اليه غداً لقلّلوا من هذا ، وإن عمر ابن الخطاب وعلياً وعلقمة خيّار الصحابة كانت تتردد عليهم المسائل وهم خير القرون الذي بعث فيهم النبي ﷺ وكانوا يجمعون أصحاب النبي ﷺ ويسألون حينئذٍ ثم يفتون فيها ، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا فبقدر ذلك يفتح لهم من العلم . قال : ولم يكن من أمر الناس ولا من مضى ولا من سلفنا الذين يُقتدى بهم ويعول الاسلام عليهم ان يقولوا هذا حلال وهذا حرام ، ولكن يقول أنا أكره كذا وأحب كذا . وأما حلال وحرام فهذا الافتراء[1] على الله ، أما سمعت قول الله تعالى : قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ..[2] الآية . لأن الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرماه . قال موسى بن داوود : ما رأيت احداً من العلماء اكثر ان يقول : ما[3] احسن من مالك . وربما سمعته يقول ليس هذا بيلدنا . قال مروان بن محمد : كنت ارى مالكاً يقول لرجل يسأله اذهب حتى انظر في امرك فقلت إن الفقه من بابه وما رفعه الله الا بالتقوى . قال سحنون قال مالك يوماً : اليوم لي عشرون سنة اتفكر في هذه المسألة . قال ابن مهدي : سأل رجل مالكاً عن مسألة وذكر انه أُرسل فيها من مسير ستة اشهر من المغرب . فقال له أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها . قال ومن يعلمها ؟ قال من علمه الله . وسأله رجل عن مسألة استودعه

(١) ص – بدون ال .
(٢) سورة يونس – ٥٩ .
(٣) ص و ن – لا .

إياها أهل المغرب فقال ما ادري ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا ولا سمعنا احداً من اشياخنا تكلم بها ولكن تعود . فلما كان من الغد جاءه وقد حمل ثقله على بغلة يقودها فقال مسألتي فقال ما ادري ما هي . فقال الرجل يا أبا عبدالله تركت خلفي من يقول ليس على وجه الأرض أعلم منك . فقال مالك غير مستوحش : اذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن . وسأله آخر فقال يا أبا عبدالله اجبني فقال ويحك[1] ، اتريد ان تجعلني حجة بينك وبين الله ؟ فأحتاج انا اولاً ان انظر كيف خلاصي ، ثم اخلّصك . قال ابن ابي حازم قال مالك اذا سألك انسان عن مسألة فابدأ بنفسك فاحرزها . قال الهيثم ابن جبيل : شهدت مالكاً سئل عن ثمان واربعين مسألة . فقال في اثنين وثلاثين لا أدري . وقال خالد بن خراش قدمت من العراق على مالك بأربعين مسألة فما اجابني منها إلا في خمس . وقد قال ابن عجلان : إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقالته[2] وقد روى هذا الكلام عن أبي عباس رضي الله تعالى عنهما . وقال مالك : سمعت ابن هرمز يقول : ينبغي ان يورث العالم جلساءه قول لا ادري حتى يكون ذلك اصلاً في أيديهم يفزعون اليه ، فاذا سئل احدهم عما لا يروي قال لا ادري . قال ابن وهب : كان مالك يقول في اكثر ما يسأل عنه لا ادري . قال عمر بن يزيد : فقلت لمالك في ذلك ، فقال يرجع اهل الشام الى شامهم واهل العراق الى عراقهم واهل مصر الى مصرهم ثم لعلي أرجع عما افتيتهم به . قال فأخبرت بذلك الليث فبكى ، وقال : مالك والله أقوى من الليث او نحو هذا . وقال معن بن عيسى : سمعت مالكاً يقول : إنما انا بشر أخطىء وأصيب فانظروا

---

(١) ص – بسقوط الاستفهام . وكذلك – ن .

(٢) هكذا في – ر – و – ص – ولعلها مَقاتِله .

في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق الكتاب والسنّة فاتركوه . قال ابن ابي أويس : سئل مالك مرة عن نيف وعشرين مسألة فما أجاب منها إلا في واحدة . وربما يسأل عن مائة مسألة فيجيب منها في خمس او عشر ، ويقول في الباقي لا أدري . قال أبو مصعب : قال لنا المغيرة : تعالوا نجتمع ونستذكر كلما بقي علينا مما نريد ان نسأل عنه مالكاً . فمكثنا نجمع ذلــك وكتبناه في قنوان ووجّه به المغيرة اليه وسأله الجواب . فأجابني بعضه وكتب في الكثير منه لا ادري . فكان المغيرة يقول : لا والله ما رفع هذا الرجل الا بالتقوى . من كان منكم يسأل عن هذا فيرضى ان يقول لا أدري . قال ابن وهب : سألت مالكاً في ثلاثين الف مسألة نوازل في عمره ، فقال في ثلثها او شطرها او ما شاء الله منها لا أحسن ، ولا ادري . وقال : لو ملأ رجـل صحيفة من قول مالك لا أدري لفعل قبل ان يجيب في مسألة . قال مصعب : وجهني أبي بمسألة ومعي صاحبها الى مالك يقصها عليه ، فقال ما أحسن فيها جواباً ، سلوا أهل العلم . قال ابن ابي حسان : سئل مالك عن اثنين وعشرين مسألة فما أجاب الا في اثنتين بعد ان اكثر من لا حول ولا قوة الا بالله . وكان الرجل يسأله عن المسألة فيقول : العلم أوسع من هذا . وقال بعضهم اذا قلت انت يا أبا عبدالله لا أدري فمن يدري . قال : ويحك ما عرفتني ؟ وما أنا ؟ وأي شيء منزلتي حتى ادري ما لا تدرون . ثم اخذ يحتج بحديث ابن عمر ، يقول لا أدري فمن انا ، وإنما اهلك الناس العجب وطلب الرئاسة . وهذا يضمحلّ عن قليل . وقال مرة اخرى : قد ابتلى عمر بن الخطاب بهذه الأشياء . فلم يجب فيها . وقال ابن الزبير لا ادري ، وابن عمر لا ادري وقال مصعب : سئل مالك عن مسألة فقال لا ادري . فقال له السائل إنها مسألة خفيفة سهلة ، وإنما اردت ان اعلم بها الأمير . وكان السائل ذا قدر

فغضب مالك وقال مسألة خفيفة سهلة ليس في العلم شيء خفيف أما سمعت قول الله تعالى : إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً[١] . فالعلم كله ثقيل وبخاصة ما يسأل[٢] عنه يوم القيامة . قال بعضهم : ما سمعت قط اكثر قولاً من مالك لا حول ولا قوة الا بالله . ولو شاء ان تصرف بألواحنا مملوءة بقوله لا ادري : إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ[٣] لفعلنا . وقال له ابن القاسم : ليس بعد أهل المدينة أعلم بالبيوع من أهل مصر . فقال مالك : ومن اين علموها ؟ قال : منك . قال مالك : ما اعلمها أنا فكيف يعلمونها ؟ قال مفضل بن فضالة : ما نعدُّ مالكاً إلا مثل نقّاد بيت المال . وقال ابن ابن حاتم قلت لأبن معين : مالك قل حديثه . فقال بكثرة تمييزه . وسئل مالك عن الأحاديث يقدم فيها ويؤخر والمعنى واحد . فقال أما ما كان من لفظ النبي ﷺ فلا ينبغي ان يقوله إلا كما جاء، وأما لفظ غيره فاذا كان المعنى واحداً فلا بأس به . قيل فحديث النبي ﷺ مزاد فيه الواو والألف والمعنى واحد . قال ارجو ان يكون خفيفاً . وروى عنه ابن عقير نحوه . قال القطان : لما مات مالك رحمه الله اخرجت كتبه اصيب فيها فنداق عن ابن عمر ليس في الموطأ منه شيء الا حديثين . قال ابن وهب : قال مالك : سمعت من ابن شهاب احاديث كثيرة ما حدثت بها قط ، ولا أحدث بها . فقال الفروي : فقلت له : لم ؟ قال ليس عليها العمل . قال عتيق بن يعقوب : قال لي مالك : اخذت من ابن شهاب تسعة فناديق في بطونها وظهورها ان منها اشياءاً ما حدثت بها منذ اخذتها بالمدينة . قال رجل لمالك ان الثوري حدثنا عنك في كذا . فقال اني لأحدّثك في

(١) المزمّل – ٥ .
(٢) ر – سئل .
(٣) الجاثية – ٣٢ .

كذا وكذا حديثاً ما أظهرتها بالمدينة . قال ابن مالك : لما دفنا مالكاً دخلنا منزله فأخرجنا كتبه فاذا فيها سبع صناديق[١] من حديث ابن شهاب ظهورها وبطونها ملأى وعنده فناديق او صناديق من كتب أهل المدينة . فجعل الناس يقرأون ويدعون ويقولون : رحمك الله يا أبا عبدالله لقد جالسناك الدهر الطويل فما رأيناك ذاكرت بشيء مما قرأناه . وفي رواية عن ابنه : وإنا ما وجدنا له إلا كتاباً واحداً فيه لابن شهاب أحاديث قد خط على بعضها . وعن ابن اسحاق بن بابين : وجدنا في تركة مالك صندوقين مقفولين فيهما كتب فجعل ابي يقرأها ويبكي ويقول : رحمك الله إنك كنت تريد بعملك الله . لقد جالسته الدهر الطويل وما سمعته يحدث بشيء مما قرأت وذكر عتيق بن يعقوب انه دخل منزل مالك بعد موته مع ابيه ففتح صناديق مملوءة كتباً فقرأها فذكر نحوه . قال : ثم فتح صندوقاً آخر فأخرج منه اثني عشر الف حديث للزهري وفتح آخر فأخرج منه سبع صناديق ظهورها وبطونها من حديث اهل المدينة فما رأيت فيها شيئاً مما ذاكر به اصحابه في حياته . قال احمد بن صالح نظرت في اصول مالك فوجدتها شبيهاً باثني عشر الف حديث . قال بعضهم وهو حديث اهل المدينة في ذلك الوقت فلم يحدث مالك الا بثلثها . وأخرج إلي ابن أبي أويس سماع مالك من الزهري فاذا نحو ثلاثمائة وخمسين حديثاً . وأخرج الي كتاب مالك في قراطيس غير كتاب ابن شهاب فقدرنا ذلك بنحو من عشرة آلاف حديث . قال الشافعي : قيل لمالك : عند ابن عيينة أحاديث ليست عندك . فقال : اذا احدث الناس بكل ما سمعت إني اذاً أحمق . وفي رواية إني اريد ان أضلهم اذاً . ولقد خرجت مني أحاديث لوددت أني ضربت بكل حديث

(١) ص – فناديق .

منها سوطاً ، ولم أحدث بها . وإن كنت أفزع الناس من السياط . وفي رواية اخرى قال وددت أني ضربت بكل مسألة تكلمت بها سوطاً . قال الداودي : قلت له حدثني بحديث الملطا . قال لا . قلت سفيان يرويه عنك . قال صدق ولو كنت حدثت احداً لحدثتك . ان العمل ببلدنا ليس عليه وليس صاحبه بذلك وكان اذا قيل له هذا الحديث ليس عند غيرك تركه وان قيل له هو مما يحتج به اهل البدع تركه . وقيل له ان فلاناً يحدثنا بغرائب . فقال : من الغريب نفر . قال أبو مصعب : قيل لمالك لم لا تحدث عن أهل العراق . قال لأنني رأيتهم اذا جاءونا يأخذون الحديث عن غير ثقة . فقلت انهم كذلك في بلادهم . وقال عندي أحاديث لو ضرب رأسي بالسوط ما أخرجتها أبداً . وقال ابن عيينة : كان مالك لا يبلّغ الحديث إلا صحيحاً . ولا يحدث إلا عن ثقة . قال الشافعي كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله . قال معن سمعت مالكاً يقول إنما انا بشر أخطىء وأرجع وكلما أقول يكتب . قال أشهب ورآني اكتب جوابه في مسألة فقال لا تكتبها ، فاني لا ادري أثبت عليها ام لا . قال ابن وهب وسمعته يقول فيما يسأل عنه من امر القضاء هذا متاع السلطان . وسمعته يعيب كثرة الجواب من العالم حتى يسأل يعني الرجل الذي يجلس لهذا . وإنما يصنعه معلم الكتاب . وكان الرجل يجلس فان سئل العالم عن شيء سمعه . وسمعته عندما يكثر عليه بالسؤال يكف ويقول حسبكم ، من أكثر أخطأ[1] . وكان يعيب كثرة ذلك وقال يتكلم كأنه جمل مقتلم ويقول هو كذا هو كذا يهدر في كل شيء وسأله رجل عراقي عن رجل وطىء دجاجة ميتة فخرجت منها بيضة فأفقست البيضة عنده عن فرخ أيأكله ؟

---

(١) في – ص – حسبكم من أخطأ .

فقال مالك سَلْ عما يكون ودع ما لا يكون . وسأله آخر عن نحو هذا ، فلم يجبه . فقال له لم لا تجبني ؟ يا أبا عبدالله . فقال له لو سألت عما تنتفع به أجبتك . قال ابن المعدّل قيل لمالك إن قريشاً تقول إنك لا تذكر في مجلسك أباءها وفضائلها . فقال مالك إنما نتكلم فيما نرجو بركته . قال ابن القاسم كان مالك لا يكاد يجيب وكان اصحابه يحتالون أن يجيء رجل بالمسألة التي يحبون أن يعلموها كأنها مسألة بلوى فيجيب فيها . وقال مالك لابن وهب اتق هذه الآثار ، وهذا السماع الذي لا يستقيم أن يحدث به . فقال له إنما أسمعه لأعرفه لأحدث به . فقال ما سمع انسان شيئاً إلا تحدث به ، وعلى ذكر القدر وسمعت من ابن شهاب أشياء ما تحدثت بها ، وأرجو ألا أفعل ما عشت . وروى البياضي عنه أنه قال : لقد ندمت ألا أكون طرحت أكثر مما طرحت من الحديث . وقال له القاسم بن مسرور أرأيت يا أبا عبدالله أحاديث تحدثت بها ليس عليها رأيك ، لأي شيء أقررتها . فقال لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما فعلت ولكنها انتشرت عند الناس ، فان سألني عنها احد ولم احدث بها وهي عند غيره اتخذني غرضاً . قال بشر بن عمر سألت مالكاً مرة عن رجل فقال لو كان ثقة لرأيته في كتبي . وسأله رجل عن مسألة من أهل المدينة[١] ، الجواب فيها . فرده ثم عاد فرده ثلاثاً فكأنه تهاون بعلم مالك فأتاه آت في نومه يقول له : أنت المتهاون بعلم مالك ؟ ائته فاسأله فلو كانت مسألتك أدق من الشعر وأصلب من الصخر لوفق فيها باستعانته بما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال أشهب رأيت في النوم قائلاً يقول لزم مالك كلمة عند فتواه لو ورد عليه الجبال لقلعتها . وذلك قوله ما شاء الله لا قوة إلا بالله

---

(١) ص – وسأله رجل عن مسألة أعمى اهل المدينة ، ولا معنى لها .

قال القعنبي دخلت على مالك فوجدته باكياً فسألته عن ذلك فقال ومن أحق بالبكاء مني لا أتكلم بكلمة إلا كتبت بالأقلام وحملت الى الآفاق وما تكلمت برأي إلا في ثلاث مسائل .

تم الجزء الأول من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك
والحمد لله على ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

باب

صفة مجلس مالك للعلم
ونشره له وصيانته إياه وتوقيره لحديث النبي ﷺ

قال الفقيه القاضي أبو الفضل عياض رحمة الله عليه قال الواقدي : كان مالك يجلس على ضجاع ونمارق مطروحة في منزله يمنة ويسرة لمن يأتي من قريش والأنصار والناس . وكان مجلسه مجلس وقار وعلم[1]، وكان رجلاً مصيباً نبيلاً ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ولا رفع صوت إذا سئل عن شيء فأجاب سائله لم يقل له من أين رأيت هذا . وكان الغرباء يسألونه عن الحديث والحديثين فيجيبهم الفينة بعد الفينة . وربما أذن لبعضهم يقرأ عليه . وكان له كاتب قد نسخ له كتبه يقال له حبيب يقرأ للجماعة فليس أحد ممن حضر يدنو منه ولا ينظر في كتابه ولا يستفهمه هيبة له وإجلالاً . وكان حبيب

(١) ن – حلم .

إذا أخطأ فتح عليه مالك رحمه الله تعالى ، وكان ذلك قليلاً ، ولم يكن يقرأ كتبه على أحد ، وكان كالسلطان له حاجب يأذن عليه فاذا اجتمع الناس ببابه أمر آذنه يخصّ أولاً أصحابه فاذا فرغ من يخص أذن للعامة وهذا هو المشهور من سماع أصحابه أنهم يقرأون عليه ، وسيأتي من أخباره ما يعضّد هذا كثير . إلا أن يحيى بن بكر ذكر أنه سمع الموطأ من مالك أربعة عشر مرة . وزعم ان اكثرها بقراءة مالك وبعضها بالقراءة عليه ، وعوتب مالك في تقديه الإذن لأصحابه . فقال أصحابي وجيران رسول الله ﷺ . قال اسماعيل بن حماد أتيت مالكاً فرأيته جالساً في صدر بيته وأصحابه بجنبتي البيت . وقال أبو مصعب وابن الضحاك ومطرف والمهدي وعبد الملك وابن سلمة وغير واحد من أصحابه كان جلساء مالك كأنما على رؤوسهم الطير تسمّتاً وأدباً، وقال حبيب كان مالك اذا جلس جلسة لم يتحول عنها حتى يقوم . قال مطرف وكان مالك إذا أتاه الناس خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل ؟ فان قالوا المسائل خرج اليهم فأتاهم وإن قالوا الحديث قال لهم اجلسوا ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه طويلة وتلقى له المنصة فيخرج اليهم[1] وقد لبس وتطيب وعليه الخشوع ويوضع عود . فلا يزال يبخّر حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ . قال يحيى كنا نجتمع على بابه فاذا توافينا صرخ الآذن ليدخل اهل المدينة ثم ليؤذن لغيرهم فيدخل ويسلم عليه ويسكت ونسكت ساعة فاذا رأى ازدحامنا قال توقروا فانه عون لكم وليعرف صغيركم حق كبيركم ، ومن رواية اخرى ، كان إذنه لنا رفع سطر في اسطوانه فندخل عليه وهو قاعد . قد ميّل رأسه حتى اذا

(١) في — ر — لهم وفي النسخ الاخرى اليهم .

أخذ الناس مجالسهم رفع رأسه فقال السلام عليكم . إنما كان يفعل ذلك لئلا يقرب بعض الناس على بعض من العلوية او العثمانية او غيرهم فينتقد[١] عليه ذلك كان يدعهم حتى يأخذون مجالسهم وكان بعضهم يعرف حق بعض فاذا قدم الحاج جعل بواباً على بابه فيأذن أولاً لأهل المدينة فاذا دخلوا قال للبواب تنحّ . قال ابن قعنب ما رأيت قط أشد وقاراً من مجلس مالك ، لكأن الطير على رؤوسهم . قال ابن أبي أويس : كان مالك اذا جلس للحديث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة . ثم حدّث فقيل له في ذلك ، فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً وكان يكره ان يحدّث في طريق قائماً ومستعجلاً وقال احب ان أفهم حديث رسول الله ﷺ ، قال ابن المنذر وكان مالك لا يوسع لأحد في حلقته ولا يرفعه يدع احدهم حيث انتهى به مطرف وإسماعيل (كذا) قال ابن أبي أويس كان اذا جلس للحديث قال ليليني منكم ذوو الأحلام والنهى . قال اسماعيل فربما قعد القعنبي عن يمينه . قال ولم يكن يجلس على المنصة إلا اذا حدّث عن رسول الله ﷺ . قال ابو مصعب كان مالك لا يحدّث إلا على وضوء إجلالاً منه لحديث رسول الله ﷺ . قال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا سئل الحديثَ توضأ وتهيأ ولبس ثيابه فقيل له في ذلك فقال : إنه حديث رسول الله ﷺ . قال عبد الله بن المبارك : وكنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجباً قال إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ . قال يحيي

---

(١) ص - فينقد .

ابن يحيى الاندلسي كنت جالساً عند مالك فوقعت على رأسه وزغتان فمرتا على قلنسوته ثم دنتا الى عنقه حتى دخلتا تحت طوقه حتى خرجتا من تحت ثيابه وما نفضها وما حل صفوته . قال مصعب الزبيري كان حبيب يقرأ على مالك وأنا على يمينه وأخي عن شماله وهو أقرب الى مالك وكان أسنّ مني وكان حبيب يقرأ لنا عشية من ورقتين الى ورقتين ونصف ولا يبلغ ثلاثاً والناس ناحية لا يدنون ولا ينظرون فاذا خرجنا جاءنا الناس فعارضوا كتبهم بكتبنا . قال وجئنا يوماً الى أبينا بالعرصة لنقيم عنده ونسير بالعشي الى مالك فأصابتنا سماء يوماً فلم نأته تلك العشية ولم ينتظرنا وعرض عليه الناس فأتيناه بالغد فقلنا له يا أبا عبدالله أصابتنا أمس سماء ثقلتنا عن حضور العرض ، فاردد علينا قال لا . من طلب هذا الأمر صبر عليه . قال جعفر ابن ابراهيم كلم صديقٌ لأبي ، مالكاً ان اسمع منه فأذن فكنت اختلف اليه وأنا مدل بنسبي من الرسول عليه الصلاة والسلام(١) وموضعي ، فأتخطا الناس الى وساد مالك فلا يتزحزح ويريني أنه لم يدنيني احتقاراً لي . فشكوت ذلك الى أبي وغيره فبعثوا اليه يسألونه إكرامي وأثرتي فقال للرسول ما هو عندنا وغيره إلا سواء . إنما هي عافاك الله مجالس علم السابق اليها أحق بها . فكنت آتي وقد أحدق الناس فما يوسع لي فاستدني حيث وجدت . قال ابن وهب كنا اذا جلسنا الى مالك فانما يتساءل الناس بينهم فاذا اختلفوا وأرادوا ان يرفعوه الى مالك فانما يضم اليه رجل واحد . بخفض الصوت مع الإجلال والهيبة فيقول ما تقول أصلحك الله في كذا وكذا . قال فان كان الرافع المصيب قال له وفقك الله ، وإن كان الآخر قال له ذلك فأيهم ناداه بالتوفيق علم أنه المصيب . قال عبد الرزاق بينا نحن في المسجد

---

(١) ص — من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحرام فقيل لنا هذا مالك فلقيناه داخلاً من باب بني هاشم وعليه رداء وقميص صنعاني فطاف بالبيت وخرج ناحية الصّفا فصلى ركعتين ثم احتبى . فلما فرغ احتوشناه كما يصنع أصحاب الحديث فلما جلسنا قام من بيننا كالمغضب . فجئنا مشائخنا . أي شيء كتبتم عن مالك فأخبرناهم بالذي فعل . فقالوا الذي فعلتم لا يحتمله مالك ، فلما كان من الغد جئنا واحداً واحداً وعلينا السكون فحدثنا وقال الذي فعلتم أمس فعل السفهاء . قال خالد بن نزار سألت مالكاً عن شيء وكان متكئاً فقال حدثني يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ثم استوى جالساً وتجلل بكساه فقال استغفر الله فقلت له في ذلك . فقال إن العلم أجل من ذلك ما حدثت عن رسول الله ﷺ وأنا متكىء . قال ابن بكير قام رجل الى مالك فقال له أعرض ؟ قال نعم . فقال أحدّثكم ابن شهاب عن سالم ، فقال له مالك انت ثقيل . يقوم غير هذا فقام آخر فقال حدّثكم ابن شهاب، بلا استفهام، فقال مالك أحسنت . مثل هذا فليعرض . ودخل بقية بن الوليد على مالك فقال الناس اليوم ننتفع بأبي محمد يسأل مالكاً مسائل نكتبها عنه . فسأله عن ست مسائل فأجابه فيها كلها وسأله بعد ذلك فقال له مالك أكثرت خذوا بيد الشيخ فجاء نفسان فأخذا بضبعيه فأخرجاه . قال ابن المنذر كانت لمالك حلقة يجالسه فيها فقهاء المدينة . ولم يكن يوسع لأحدهم ولا يرفعه يدع أحدهم يجلس حيث انتهى به المجلس . حكى الزبير عن عمه مصعب وغير واحد ان هارون لما حج أتى مالكاً فاستأذن عليه حاجبَه ثم أذن له . وفي رواية بعضهم ثم خرج اليه فلما دخل قال يا أبا عبد الله ما حملك على أن أبطأت ، وقد علمت مكاني . وفي رواية حبسنا ببابك . قال والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن توضأت وعلمت انك لا تأتي إلا لحديث رسول الله ﷺ ، فأحببت ان اتأهب له . فقال قد علمت ان الله ما رفعك

باطلًا . وأخذ بيده فمضى الى قبر النبي ﷺ، فقال أخبرني عن مكان أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال كان محلهما منه في حياته كمحلهما منه بعد وفاته . قال هشام بن عيسى لما قدم هارون المدينة دعا مالكاً . فقال مالك : منكم خرج هذا العلم وأولى الناس بإعظامه ومن إعظامكم له ألاَّ تدعوا حملته الى أبوابكم . قال قد فعلت يا أباعبدالله . وقال بعضهم حج المهدي فدخل المدينة فسار اليه مالك وأظهر من بره وإعظامه وامر ابنيه موسى وهارون أن[1] يسمعا منه . فبعثوا اليه فلم يصل اليهم وأعلموا المهدي فبعث اليه لِمَ لم تأتهم ؟ فقال يا أمير المؤمنين العلم أهل لان يوقّر ويؤتى . قال، صدق . سيروا اليه . فلما حضروه قالوا له إقرأ علينا . قال إن هذا البلد إنما يقرأ فيه على العالم كما يقرأ الغلام على المعلم فاذا أخطأ فتاه فانصرفوا عنه، وأعلموا المهدي . فبعث اليه . فقال امتنعت ان تصير اليهم فصاروا اليك فامتنعت ان تقرأ عليهم . قال يا أمير المؤمنين سمعت ابن شهاب يقول جمعنا هذا العلم من رجال في الروضة، وهم سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعروة والقاسم وسالم وخارجة وسليمان ونافع ثم نقل عنهم ابن هرمز وأبو الزناد وربيعة والأنصار وبحر العلم ابن شهاب وكل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرأون . قال المهدي اذهبوا فاقرأوا، ففي هؤلاء قدوة . فكان مؤدبهم يقرأ عليهم . وفي رواية ابن نافع في هذا الحديث لما دخل مالك على هارون رفع مجلسه وقال لابنيه قوما فاجلسا بين يدي عمكما فقاما فجلسا بين يدي مالك . فقال حدثهما فتغير وجه مالك ثم التفت الى هارون وقال ان الله رفعك وجعلك في موضعك الذي انت فيه للعلم، فلا تكن اول من يضع عز العلم فيضع الله عزك فالتفت هارون الى ابنيه وقال لهما قوما فاذا مضى عمكما فأتيا

---

(١) ساقطة من – ص .

منزله فاسمعا منه . فلما انصرف مالك ركبا اليه ونزلا ودقّا الباب فلم يفتح لهما فتركا فجلسا على الباب والريح تضرب وجوههما بتراب العقيق فلما أيسا انصرفا . قال بعضهم قدم الرشيد المدينة ومالك عليل فبعث اليه أن يأتيه ليسأله عن مسألة ، فقال أنا عليل فقال لا بد من لقائك ووجّه اليه محفّة وحمله على أيدي الخدم . فلما دخل قام اليه الفضل بن الربيع فسأله عن مسألة فقال مالك يا وغد اليك حملت ؟ لأخبرنّ أمير المؤمنين . فأكبّ عليه الفضل يقبّله ويستعطفه فلما دخل الى هارون سأله عما أراد . وقال مطرف وابن نافع وغيرهما وبعضهم يزيد على بعض ، لما قدم هارون المدينة وجّه الى مالكٍ البرمكيّ وقال له قل له احمل لي الكتاب الذي صنّفته حتى أسمعه منك فوجد من ذلك مالك واغتمّ وقال للبرمكي اقرئه السلام وقل له العلم يزار ولا يزور ، وإن العلم يؤتى ولا يأتي فرجع البرمكي الى هارون فأخبره بذلك، فغضب وأشار عامة أصحاب مالك ان يأتي هارون وقال البرمكي للرشيد يبلغ أهل العراق أنك وجّهت الى مالك فخالفك . أعزم عليه حتى يأتيك فاذا بمالك قد دخل فسلم وليس معه كتاب ، فقال له هارون في ذلك فقال مالك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى بعث الينا محمداً ﷺ وأمر بطاعته واتباع سنته وأن نرعاه حياً وميتاً وقد جعلك في هذا الموضع لعلمك فلا تكن أول من ضيّع العلم فيضيّعك الله . الله الله لقد رأيت من ليس هو في حسبك ولا نسبك من الموالي وغيرهم يعزّ هذا العلم ويجله ويوقر حملته فأنت أحرى ان تجل علم ابن عمك ، ولم يزل يعدد عليه حتى بكى . ثم قال له حدثني الزهري وذكر حديث ذيل بن ثابت ، كنت اكتب بين يدي رسول الله ﷺ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وابن ام مكتوم عند النبي ﷺ فقال يا رسول الله قد أنزل الله تعالى في فضل الجهاد ما أنزل وأنا رجل ضرير فهل لي من رخصة ، فقال رسول

الله ﷺ ما أدري . قال زيد وقلمي رطب لم يجف حتى غشي النبي ﷺ الوحي ووقع فخذه على فخذي فكادت تندقّ من ثقل الوحي ثم خلا عنه فقال اكتب يا زيد غير أولي الضرر فقال يا أمير المؤمنين هذا حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة مسيرة خمسين ألف عام حتى أنزل على نبيه أفلا ينبغي لي أن أجله وأعزه ؟ قال ، فقال هارون قم بنا الى منزلك . فأتى هارون منزل مالك فدخل مالك واغتسل ولبس ثياباً جدداً وتطيّب ووضع مجامير فيها عود وجلس فقال هات ، فقال هارون تقرأ علي . ما قرأت على أحد منذ زمان . قال فأخرج عني الناس حتى أقرأه عليك . فقال مالك ان العلم اذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة . قال فأمر بعض أصحابه يقرأه فأمر المغيرة فقرأه على مالك وفي رواية إن الذي قرأه له معن . قال فكان هارون قد استند الى جنب مالك فلما بدأ يقرأ له قال يا أمير المؤمنين من تواضع لله رفعه الله . وفي رواية أبي مصعب من اجلال الله اجلال ذوي الشيبة المسلم . فقام فقعد بين يديه فحدثه ، فلما فرغ عاد الى مكانه . قال مالك : لما كان بعد مدة قال لي الرشيد : تواضعنا لعلمك فانتفعنا به ، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به . وكان يأتيهم فيحدثهم . قالوا وكان رجل قرشي ينتقص مالكاً ويقول بأي شيء هو اكبر منا ؟ فلما قدم هارون وجلس الناس قالوا له هذا هارون ومالك يدخل وأنت تدخل فافعل ما فعل . وأرسلوا معه من ينظر ، فتقدم مالك فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، عمك مالك بن أنس أين يجلس ؟ قال : ها هنا تجلس . وأقبل الرجل خلفه فقبّل يدي هارون ، فقال هارون لمالك إن رأيت أن تأتي ولديك فتحدثهم يعني ابني هارون . قال فما رد عليه مالك شيئاً حتى خلا من عنده ، فتحول اليه فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول من أجرى على يديك ذل العلم .

قال وما ذاك . قال أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون . فقال له أصبت بل يأتوك . وخرج مالك . فقال هارون هذا الذي تلومونني فيه ما رأيت رجلاً أعقل منه ، قلت له آنفاً فلم يرد على شيء كراهية ان يخرج منه شيء في ذلك الجمع فلما خلوت خرج لي عما في نفسي مروا له بكذا وكذا جائزة، فكانوا بعد يقولون للقرشي كيف ترى ؟ فيقول ذلك رجل معصوم . قال مطرف دخل مالك على هارون في بعض حاجته فقال له هارون اريد ان تأتيني فتقرأ علي كتابك . فقال مالك العلم يؤتى ولا يأتي . قال فارسل الي من ينسخها قلت نعم . قال ابن مهدي مشيت مع مالك يوماً الى العقيق من المسجد فسألته عن حديث فانتهرني ، وفي رواية فالتفت الي وقال لي كنت في عيني أجلّ من هذا ، أتسألني عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نمشي . فقلت إنا لله ما أراني إلا وقد سقطت من عينه . فلما قعد في مجلسه بعدت منه فقال ادنُ ها هنا فدنوت فقال قد ظننت أنا أدبناك تسألني عن حديث رسول الله ﷺ وأنا أمشي سل عما تريد ها هنا . قال ابن مهدي وسألوا مالكاً بالموسم وهو قائم فلم يحدثهم[1] قال أبو مصعب وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه . فقيل له إنه قاض فقال القاضي أحقّ ان يؤدَّب احبسوه فحبس الى الغد . قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يمسّان الحديث إلا وهما طاهران . قال المروي كان مالك اذا جلس معنا كأنه واحد ينبسط معنا في الحديث وهو أشد تواضعاً منا له . فاذا أخذ في الحديث تهيبنا كلامه كأنه ما عرفنا ولا عرفناه . ولما حج هاشم بن جريج وهو حدث أتى مالك بن أنس وقد رحل الناس بورقتين من حديث ، فقال له : اقرأ هذه الأحاديث فقد مضى الناس . فقال

(١) في – ر – يفعل .

مالك ينتظر احدكم حتى اذا رحل الناس جاء فقال : اقرأ لي ، فقد رحل الناس . فالتفت هاشم الى مالك فقال أصلحك الله إن تكن حاجة او امر تأمر به انتهيت الى طاعتك ووقفت عند أمرك وفرحت بذلك في نادي قومي ، وسدت به على عشيرتي استودعك الله ، فان طاعتك فرض وقولك حكم استودعك الله . قال مالك مثل هذا طلب العلم ، ردّوه . فبعث في طلبه فأتى به فقرأ له ثم انصرف . قال القروي لما كثر الناس على مالك قيل له لو جعلت مستملياً يسمع الناس . قال : قال الله تعالى يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ[١]. وحرمته حياً وميتاً سواء . قال ابن مهدي وما أدركت احداً إلا يخاف هذا الحديث إلا مالكاً وحماد بن زيد فانهما كانا يجعلانه من اعمال البر . وكان مالك يقول لا ينبغي لأحد عنده علم ان يترك التعليم . قال مطرف : حضرت مالكاً يأتيه الرجل بالدفتر فيسأله ان يجيزه فيفعل وروى ابن وهب عنه انه رآه مرة فعله ومرة كرهه وأجاز المناولة وقد كتب ليحيى بن سعيد الأنصاري مائة حديث لابن شهاب فقيل له اقرأها عليك ؟ قال كان افقه من ذلك . قال مصعب وسأله المهدي ان يسمع منه كتبه فقال له هذا شيء يطول عليك ولكن أكتبها لك وأصححها وأبعث بها اليك ، وكان اكثر أمله أن يقرأ عليه ولا يقرأ . قال مطرف صحبت مالكاً تسع عشرة سنة فما رأيته قرأ على احد كتاب الموطأ . وسمعته يأبى أشد الإباء على من يقول لا يجزي العرض وزعم ابن بكير انه سمع الموطأ من مالك بقراءة نفسه غير مرة ، وقال لمالك غير واحد أرأيت ما قرأته عليك ان أقول فيه حدثنا ، وأخبرنا . قال نعم . ألست فرّغت لكم نفسي

---

(١) الحجرات — ٢ .

وأقمت سقطه وزلله ؟ قيل له فيجوز لمن حضر ان يقول ذلك ؟ قال : نعم . وفي سماع ابن وهب سأل رجل مالكاً عن الكتاب يعرض عليك ثم ينقلب به صاحبه فيبيت عنده أيجوز ان أحدّثه ؟ قال نعم . وقال مالك في سماع ابن القاسم وابن وهب وغيرهما : العرض أعجب اليّ من السماع وأثبت اذا كان الذي[١] يقرأ يتثبت ، واستعدى عليه رجل خرساني قاضي المدينة فقال جئت من خراسان ونحن لا نرى العرض وأبى مالك أن يقرأ علينا . فحكم القاضي على مالك ان يقرأ له . فقيل له أصاب الحق ؟ قال نعم . قال الحارث ابن مسكين ، كلم بعض الهاشميين مالكاً في أيام الموسم أن يعرض عليه فأبى[٢] وقال هي أيام الحج فاذا انقضت فان شئت عرضت بعد . فغضب، وقال قد أرادك هارون امير المؤمنين على هذا فأجبته . قال مالك قد أرادني فما فعلت . قال القطان قراءة ابن مهدي على مالك كالحديث لانه كان يقول سمعت فلاناً يقول سمعت فلاناً يقول قال ابن المديني . قلت ليحيى : كان مالك يملي عليك قال كنت اكتب بين يديه . قال مصعب كان مالك يرى الرجل يكتب عنده فلا ينهاه ولكن لا يرد عليه ولا يراجعه وقال اشهب عاب مالك الكتاب للعلم ، وقال لم ادرك احداً يفعله ، إنما كانوا يحفظون قال القطان دخلت المدينة سنة اربع وأربعين ومالك اسود الرأس واللحية والناس حوله سكوت لا يتكلم أحد هيبة له ولا يفتي احد في مجلس الرسول ﷺ غيره . فجلست بين يديه فسألته[٣] فحدثني فراددته فراددني ثم غمزني بعض اصحابه فسكت . قال معن كان مالك يتقي في حديث رسول الله ﷺ الباء والتاء ونحوهما . وروى عنه ابن عمير مثله ذكر ابن وهب

(١) ساقطة من – ص .
(٢) ص – قبل .
(٣) ساقطة من – ص .

قال لما اتيت عبد العزيز بن الماجشون لأسمع منه قال لي : إياك وأن تعلم مالكاً أنك تأتيني فلا يحدثك . كأنه يعلم انه يغمزه . قال اسماعيل قال حماد بن أبي حنيفة : أتيت مالكاً فرأيته جالساً في صدر بيته وأصحابه بجنبتي الباب، له واحد منهما له مجلس (كذا) فقمت على باب البيت قال من انت ؟ قلت فلان أسأل عن مسألة . قال ادْنُ حتى أقعدني بين يدي فرشه ، فلما رأى ذلك اصحابه قاموا جميعاً من مجالسهم فخرجوا من البيت ، فقال لي ما كان أبوك يقول في كذا ؟ فأخبرته فقال وما كانت حجته ؟ فأعلمته ، وجعل يسألني عن اشياء من مذهب أبي حنيفة وعن حجته . ثم قال : سل . فسألته ، فأجابني . فلما خرجت عاد أصحابه الى مجالسهم . قال الحسن بن الربيع البواري كنت على باب مالك فنادى مناديه ليدخل اهل الحجاز فما دخل إلاَّهم . ثم نادى في أهل الشام . في أهل العراق . فكنت آخر من دخل . وفينا حماد بن أبي حنيفة فقال السلام عليكم ورحمة الله . قال فأومأ الناس اليه بأيديهم أن أسكت . فقال أفي صلاة نحن فلا نتكلم ؟ فسمعت مالكاً يقول أستخير الله مرتين ثم قال : أخبرنا نافع فحدثنا بعشرين حديثاً ثم قال أخرجوهم فأخذتنا المقارع . قال الشافعي قرأت الموطأ على مالك ولم يكن يقرأ عليه إلا من فهم العلم وجالس أهله، وكنت قد سمعت من ابن عيينة والزنجي وغيرهما من المكيين ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك لحفظه وإتقانه وصيانته . قال عبدالله بن مطيع أتينا مالكاً فحدثنا بأحاديث فاستزدناه فقال حَسْبُ فأخذتنا المقارع . وسأل رجل مالكاً عن مسألة فلم يجبه فقال له لم لا[1] تجبني . فقال لو سألت عما تنتفع[2] به أجبتك . قال

---

(١) ص – لم .
(٢) ص – ينتفع به والمعنى متقارب .

الشافعي استأذنت على مالك وكنت أريد ان اسمع منه حديث السقيفة ، فقلت إن جعلته أولاً خشيت أن يستطيله ولم يحدثني وإن جعلته آخراً خشيت ان لا أبلغه ، فجعلته بعد عشرة أحاديث . فأخذت أسأله فلما مرت عشرة ، قال حسبك . فلم اسمعه . قال بشر بن آدم سأل الأغضب مالكاً عن مسألة ثم عن اخرى فأجابه ، ثم عن اخرى فلم يجبه . فقال له هو لِمَ ؟ فقال مالك يا غلام خذ بيده فاذهب به الى السجن . قال إني قاضي أمير المؤمنين . قال ذلك أهون لك . قال لا أعود . قال خل سبيله . قال اسماعيل بن بنت السندي سألت مالكاً عن حديث رسول الله ﷺ إنه رمل من الحجر الى الحجر قال، فقلت إسناده . فقال جروا برجله . قال اسماعيل القواريري دخلت على مالك فسألته الحديث فحدثني أظنه باثني عشر حديثاً ، فاستزدته وكان سودان[١] قيام على رأسه فاذا هم حملوني وأخرجوني من داره فرموا بي في الطريق او نحو هذا . قال ابن حارث دخل ابن المبارك وأصحابه على مالك فقالوا يا أبا عبدالله حدثنا ولا تحدثنا إلا بحديث الزهري، فقال مالك يؤخذ بأيديهم ويقاموا[٢] عني فقام القوم فلما كان من الغد قال ابن المبارك لأصحابه إن مالك بن أنس لا يضره ألا تسمعوا منه شيئاً . فعودوا الى الرجل ، فدخلوا عليه فلما اخذوا مجالسهم اعتبرهم وحدثهم من حديث الزهري كما أرادوا . قال أبو مسعر كان مالك يسأل عن مسألة وثانية فاذا سئل عن ثالثة قال خذوا بيده فأخرجوه . قال ابن مهدي لما أراد يحيي ابن أبي زائده الحج كلم عبدالله بن إدريس ان يكتب له كتاباً الى المدينة ليسمع منه ، وكانت بينهما مودة ففعل ، وكان يسمع إذا جاءه يوماً رجل فقال يا أبا عبدالله ما تقول في رجل أوصى لعبده بمائة درهم فقال مالك الوصية

---

(١) في – ر – أسودان .
(٢) ص – يقلعوا .

جائزة . فقال له يحيى يا أبا عبدالله يوصي بماله لماله ؟ فنظر مالك الى من عنده فقال ولتعرفنّهم في لحن القول لا تعد اليّ .

باب

في ذكر ما كان رُزقه مالك في العلم من نباهة القدر والهيبة والمجد

قال القاضي رضي الله عنه . قال زياد بن يونس ما رأيت قط عالماً ولا عابداً ولا شاطراً ولا والياً أهيب من مالك رحمه الله تعالى . وقال ابن الماجشون ، دخلت على أمير المؤمنين المهدي فما كان بيني وبينه إلا خادمه فما هبته هيبتي مالكاً وقال مثله الدراوردي . قال سعيد بن أبي مريم : ما رأيت أشد هيبة من مالك لقد كانت هيبته أشد من هيبة السلطان . وقال مصعب الزبيري ما رأيت قط أهيب من مالك إلا الخليفة . وقال سعيد ابن أبي هند : ما هبت أحداً هيبتي عبدالرحمان بن معاوية يريد ملك الأندلس حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغّرت هيبة ابن معاوية . قال ابن أبي أويس وأبو مصعب : ما كان يتهيأ لأحد بالمدينة ان يقول قال رسول الله ﷺ إلا حبسه مالك، فاذا سئل فيه قال يصحح ما قال ثم يخرج . قال اسماعيل ، ولقد كان ابن كنانة وابن أبي حازم والدراوردي وغيرهم سمعوا مع مالك من مشائخ وتركوا الحديث عنهم هيبة له حتى مات . ففشى ذلك فيهم . قال الأصمعي ما هبت عالماً قط ما هبت مالكاً حتى لحن فذهبت هيبته من قلبي ، قلت له في ذلك ، فقال كيف لو رأيت ربيعة ؟ كنا نقول له كيف اصبحت فيقول بخيرٌ او بخيراً . قال ابن وهب قدمت

المدينة فسألني الناس ان اسأل لهم مالكاً عن الخنثى وقد اجتمعوا اليه وكنت أنا الذي أسأل لهم ، فهبت ان اسأله وهابه كل من في المجلس ان يسأله . قال هشام بن عمار دخلت المدينة فأتيت مالكاً بن أنس فلما وقع بصري عليه هبته حتى ضربت على خاصرتي . قال الشافعي ما هبت أحداً قط هيبتي مالك بن أنس حين نظرت اليه وقيل كان الثوري في مجلسه فلما رأى إجلال الناس له وإجلاله للعلم أنشد :

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة　　فالسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى　　فهو المهيب[1] وليس ذا سلطان

قال ابن حنبل كان مالك مصيباً في مجلسه لا يرد إعظاماً له . قال الشافعي كان محمد بن الحسن اذا حدث بالعراق عن مالك امتلأ منزله حتى يضيق بهم الموضع وإذا حدثهم عن غيره من شيوخ الكوفة لم يجبه إلا اليسير فكان يقول ما أعلم احداً أسوأ ثناءاً منكم على أصحابكم . قال بكير بن الشرود وغيره والمعنى متقارب أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة ونحن نستزيده من حديثه ، فقال لنا ذات يوم ما تصنعون بربيعة وهو قائم في ذلك الطاق ، فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالك ؟ قال نعم . قلنا كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك ؟ فقال أما علمتم ان مثقالاً من دولة خير من حمل علم . قال ابن حارث كان مالك يجل العلم الذي عنده إجلالاً عظيماً ويصون نفسه عن جميع الوجوه التي تنقص وإن قلّت وكان يتهيب شديداً . قال يحيى بن حسان كتبت يوماً عن مالك ثمانية أحاديث فسررت بها سروراً كثيراً . وقال بشر الحافي

(١) ر — المصيب .

حدثنا مالك وأستغفر الله ان من زينة الدنيا ان يقول الرجل حدثنا مالك. قال حبيب رأيت مالكاً منصرفاً من عند المهدي ما يمر بأحد إلا قام اليه وذكر الله. قال فذكرت الحديث الذي جاء اذا رأى ذكر الله. قال غيره كان مالك يسأل عن المغازي الضحاك بن عثمان وابن كنانة ثم يتحدث عنهما في مجلسه فيبتدىء الناس يكتبونها عنه، ويكتبها معهم الضحاك وابن كنانة وأكثرها إنما سمعه منهما. قال القعنبي ما احسب مالكاً بلغ ما بلغ إلا بسريرة كانت بينه وبين الله تعالى. رأيته يقام بين يديه الرجل كما يقام بين يدي الأمير. قال اسماعيل بن يعقوب السهمي كنت مع مالك بن انس جالساً يوماً عند بروز اهل الموسم فجلس اليه رجل عراقي فسأله عن مسألة فأجاب ثم سأله مرة أخرى فأجاب، ثم سأله فأبى ان يجيبه فقال لقد أنفقت وجئت هذا الوجه وأنا مسترشد فأرشدني فقال بلغني ان رسول الله ﷺ قال لا إيمان لمن لا حياء له. فقال العراقي وأنا قد بلغني ان النبي ﷺ قال اذا كثف وجه الرجل رق دينه. فوثب اليه جماعة من جلساء مالك فنزعوا عمامته وطرحوها في رقبته وخنقوه بها. قال اشهب: عاد مالك محمد ابن علي من علة فصارت له بعيادة مالك وجهة في الناس. قال عبد الله بن نافع الزبيري: كنت أقرأ على نافع بن أبي نعيم بعد الصبح فرفعت صوتي فزجرني وقال أما ترى مالكاً. وهو اول ما عرفت به مالكاً. وروي هذا عن ابن وهب، قال يونس بن تميم قدمت المدينة سنة ستين ومائة فأتيت مالكاً فلما نظرت اليه هبته ولم اتقدم اليه ورأيت الناس يهابونه فأقمت اتردد عشرة أيام فشكوت ذلك لبعض اهل المدينة فقيل لي اعط كاتبه يسأل لك عما احببت، وأما انت فلا احسب تتهيأ لك مسائلته لأنه أهيب من ذلك في صدور الناس. قال عبد الله العباسي: كان اهل المدينة اذا مات لهم ميت يقولون امضوا بنا الى مالك يعزينا. قال مصعب: رأيت مالكاً على

ضجاع لا يقعد معه احد وقريش قعود فاذا جاء الرجل من بني هاشم ثنى رجله وأجلسه على ضجاعه فيقبل عليه ولا يلتفت لأحد حتى يفرغ . قال التستري وهذا في غير مجلس العلم ، وقد قيل إن المخزومي كان ممن يجلس معه على فراشه ، قال بعضهم سعى ابن أبي الزناد بمالك الى بعض أمراء المدينة فأتاه مالك يسأله ان يكف عنه فأدخله حجلته فتعجّب الناس منه كيف ائتمنه على حرمه لما بينهما ، ومضى الى الوالي ورجع فقال قد كفيته . ثم لم يعد مالك الى كلامه حتى مات . قال بعض الحسنيين كنت مقيماً عند اهلي أيام ابتنائها فأتاني مالك وأنا مع أهلي في الحجلة فاستأذن فكرهت ان أجلسه في الباب الى ان أباعد أهلي فخرجت من الحجلة وأرخيت الستر على وجه زوجتي فقعدت بين يدي الحجلة وأذنت له فدخل وجلس . ثم قال ان هذا يعني الأمير قد حبس غلامي أخذه العسس فامضِ اليه حتى يطلقه . فهبت ان اخبره بموضع زوجتي او ارجعه فتركته جالساً وخرجت الى الأمير فأطلق غلامه وجئت به فلما رآني مالك آخذاً بيد الغلام تلقاني وانتزع الغلام وخرج يتوكأ عليه والله ما قال لي أحسن الله جزاك .

باب

اتباعه السنن وكراهيته المحدثات وبعض ما روي عنه في عقائد أهل السنة والكلام في اهل الأهواء

قال الفقيه القاضي رضي الله تعالى عنه كان مالك كثيراً ما يتمثّل :

وخير امور الدين ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

قال احمد بن حنبل : مالك أتبع من سفيان . وقال ابن حنبل : اذا

رأيت الرجل يبغض مالكاً فاعلم انه مبتدع . قال أبو داود أخشى عليه البدعة . وقال ابن المهدي : اذا رأيت الحجازي يحب مالك بن انس فاعلم انه صاحب سنة وإذا رأيت احداً يتناوله فاعلم انه على خلاف وقال ابراهيم ابن يحيى بن بسام ما سمعت أبا داود لعن احداً قط إلا رجلين ، احدهما رجل ذكر له انه لعن مالكاً ، والآخر بشر المريسي . قال معن : انصرف مالك يوماً الى المسجد وهو متكىء على يدي فلحقه رجل يقال له أبو الجويرة يُتّهَم بالأرجاء فقال يا أباعبدالله اسمع مني شيئاً اعلمك به وأحاجّك وأخبرك برأي . فقال : احذر ان اشهد عليك قال : والله ما اريد إلا الحق اسمع فان كان صواباً فقل إنه . او فتكلم . قال فان غلبتني . قال اتبعني . قال فان غلبتك . قال أتبعك . قال : فان جاء رجل فكلمناه فغلبنا . قال اتبعناه . فقال له مالك يا عبد الله بعث الله محمداً بدين واحد وأراك تنتقل وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل . وقال مالك ليس الجدال في الدين بشيء . وقال مالك المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد . وقال إنه يقسي القلب ويورث الضغن . قال الزهري رأيت مالكاً وقوماً يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال إنما أنتم حرب . قال الهيثم بن[١] جميل قيل لمالك : الرجل له علم بالسنة يجادل عنها ؟ قال لا . ولكن يخبر بالسنة . فان قُبل منه وإلا سكت . قال أبو طالب المكي : كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين وأشدهم بغضاً للعراقيين : وألزمهم لسنّة السالفين من الصحابة والتابعين . قال سفيان بن عيينة : سأل رجل مالكاً ، فقال عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . كيف استوى يا أبا عبدالله ؟ فسكت مالك ملياً حتى علاه الرحضاء وما رأينا مالكاً

---

(١) ر - أبي جميل .

وجد من شيء وجده من مقالته ، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به ثم سُرّي عنه . فقال الاستواء منه معلوم ، والكيف منه غير معقول ، والسؤال عن هذا بدعة والايمان به واجب وإني لأظنك ضالاً اخرجوه عني . فناداه الرجل يا أبا عبدالله والله الذي لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة اهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد احداً وُفق لما وفقت له . قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدي فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الإمام رفعه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكاً ، وكان قد صلى خلف الإمام ، فلما سلم قال من ها هنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان فقال : خذا[1] صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس . فقيل له ابن مهدي فوجّه اليه وقال له أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وأشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئاً ما كنا نعرفه ، وقد قال النبي ﷺ : من أحدث في مسجدنا حادث فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يقعد ذلك أبداً في مسجد النبي ﷺ ولا في غيره . وفي رواية عن ابن مهدي ، قال فقلت للحرسين تذهبا بي الى أبي عبدالله . قالا إن شئت . فذهبا بي اليه ، فقال يا أبا عبد الرحمان[2] تصلي متسلياً ؟ فقلت يا أبا عبدالله إنه كان يوماً حاراً كما رأيت فثقل ردائي عليّ ، فقال : الله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليهم . قلت : الله . فقال خلياه . قال سفيان بن عيينة سألت مالكاً عمّن أحرم من المدينة وراء الميقات . فقال هذا مخالف لله ورسوله أخشى عليه الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة . أما سمعت قوله تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ

(١) ر – بصاحب .
(٢) ص – يا عبد الرحمان .

فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١). ومن أمر النبي ﷺ أن يهلّ من الميقات وسأل رجل مالكاً عن الشيء من علم الباطن ، فغضب وقال : علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر ، فمتى عرف علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن . ولا يكن ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره . ثم قال للرجل عليك بالدين المحض . وإياك وبنيات الطريق وعليك بما تعرف واترك ما لا تعرف . قال ابن وهب سمعت مالكاً يقول إذا جاءه بعض أهل الأهواء ، يقول أما أنا فعلى بينة من ربي وأما أنت فشاك فاذهب الى مثلك(٢) فخاصمه . ثم قرأ : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إلى اللهِ... الآية(٣). قال مطرف سمعت مالكاً اذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء يقول : قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها اتباع لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، ليس لأحد بعد هؤلاء تبديلها ولا النظر في شيء خالفها . من اهتدى بها استنصر ومن انتصر بها فهو منصور ، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً . وكان مالك اذا حدّث بهذا ارتجّ سروراً ، وسأل رجل مالكاً مَنْ أهل السنة يا أبا عبدالله ؟ قال : الذين ليس لهم لقب يعرفون به ، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري . قال ابن نافع وأشهب وأحدهما يزيد على الآخر . قلت يا أبا عبدالله : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٤). ينظرون إلى الله . قال نعم بأعينهم هاتين . فقلت له فان قوماً يقولون لا ينظر الى الله إن ناظره بمعنى منتظرة

(١) النور – ٦٣ .
(٢) ر – شاك مثلك .
(٣) يوسف – ١٠٨ .
(٤) القيامة – ٢٢ و ٢٣ .

الى الثواب . قال كذبوا بل ينظر الى الله أما سمعت قول موسى عليه السلام : رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ[١]. أفترى موسى سأل ربّه محالاً ؟ فقال الله لَنْ تَرَانِي في الدُّنْيَا لِأَنَّهَا دارُ فناءٍ ولا ينظر ما بقي بما يفنى فاذا صاروا الى دار البقاء نظروا بما بقي الى ما بقي . وقال الله : كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ[٢] . قال زهير بن عبّاد قلت لمالك ما قولك في صنفين عندنا بالشام اختلفوا في الإيمان ؟ فقالوا يزيد وينقص . قال بئس ما قالوا قلت قالوا إنا نخاف على أنفسنا النفاق . قال بئسما قالوا . قلت فان قالوا نحن مؤمنون إن شاء الله قالت الاخرى الإيمان واجب وإيمان أهل الأرض كإيمان أهل السماء . قال لا تقولوا . قلت فان قالوا نحن مؤمنون حقاً . قال لا تقولوا قلت فما ينبغي للطائفتين ان يقولوا ؟ قال يقولون نحن مؤمنون : فيكفوا عما سوى ذلك من الكلام . فان النبي ﷺ قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث . وقال تعالى : لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً[٣]. قال زهير فقلت له فان الطائفتين عادت بعضها بعضاً . فاسترجع وتعجب وقال لي وقد أفلح الناس يصلون الى بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم أمروا بالصلاة الى البيت الحرام فقال الله : وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ[٤]. يعني صلاتكم الى بيت المقدس واني لأنكر بهذه الآية قول المرجئة إن الصلاة ليست من الإيمان . قال زهير وقد كان دخل على مالك من سأله عن نحو هذا فأمر به فأخرج وكأنه لخزياً[٥] قال غير واحد سمعت مالكاً يقول الإيمان قول

---

(١) الاعراف – ١٤٣ .
(٢) ليست واضحة في – ص – وفي – ر – لخزياً .
(٣) المطففين – ١٥ .
(٤) النساء – ٩٤ .
(٥) البقرة – ١٤٢ .

وعمل يزيد وينقص وبعضه أفضل من بعض . قال والله في السماء وعمله في كل مكان . قال ابن القاسم كان مالك يقول الايمان يزيد وتوقف عن النقصان وقال ذكر الله زيادته في غير موضع . فدع الكلام في نقصانه وكُفَّ عنه . وقال مالك أنا مؤمن والحمد لله . قال ابن أبي أويس قال مالك القرآن كلام الله وكلام الله من الله وليس من الله شيء مخلوق . زاد غيره عنه ، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر ، والذي يقف أشد منه يستتاب وإلا ضُربَتْ عنقه . وفي رواية ابن نافع عنه يجلد ويحبس من قال ذلك. وفي رواية بشر بن بكير التنسي يقتل ولا تقبل توبته . قال البركاني والتستري من شيوخنا العراقيين معنى الجوابين المستبصر الداعية ويضرب غيره وسئل عن حديث التنزيل ينزل أمره كل سحر وأما هو دائم فلا يزول . وقال الوليد بن مسلم سألت مالكاً عن هذه الأحاديث فقال اقرأها كما جاءت . فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء . قال في رواية ابن القاسم وابن وهب إنه كان لا يعرف هذه الأشياء . وكره مالك ان يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه ولا تبلغه عقولهم فينكروه او يضعوه في غير موضعه . وجاء الى مالك رجل فقال له ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق . قال زنديق فاقتلوه . فقال يا أبا عبدالله ليس هو كلامي ، إنما هو كلام سمعته . قال لم أسمعه أنا إلا منك . قال أشهب كنا عند مالك اذ وقف عليه رجل من العلويين وكانوا يقبلون على مجلسه فناداه يا أبا عبدالله فأشرف له مالك ولم يكن اذا ناداه احد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه . فقال له الطالبي إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله ، اذا قدمت عليه فسألني قلت مالك قال لي . فقال له قل قال مَنْ خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر قال العلوي ثم من؟ قال مالك ثم عمر . قال العلوي ثم من؟ قال الخليفة المقتول ظلماً

عثمان . قال العلوي والله لا أجالسك أبداً . قال له مالك فالخيار اليك . قال عبد الرحمان بن القاسم عنه ما ادركت أحداً إلا وهو يرى الكف بين عثمان وعلي ولا شك في أبي بكر وعمر انهما أفضل من غيرهما . زاد ابن وهب عنه وعلى هذا مضى الناس وفي رواية أبي مصعب سئل مالك من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ وقال مالك أبو بكر ثم قال ثم من؟ قال عمر ثم قال ثم من ؟ قال عثمان . قيل ثم قال ها هنا وقف الناس . هؤلاء خيرة رسول الله ﷺ أمر أبا بكر على الصلاة واختار أبو بكر عمر وجعلها عمر الى ستة فاختاروا فوقف الناس ها هنا . زاد في رواية وليس من طلب الأمر كمن لم يطلبه . وفي رواية ابن وهب أفضل الناس أبو بكر وعمر قلت ثم من ؟ فأمسك . قلت إني امرؤ أقتدي بك في ديني فقال وعثمان في رواية أبي مصعب ثم استوى الناس وقال البزاز سألت أبا عاصم النبيل عن التقدمة في السلف . قال حمزة وجعفر . قلت إنما نحن في العشرة فسكت ثم قال : كان مالك يقدم حمزة . قال مصعب الزبيري وابن نافع دخل هارون المسجد فركع ثم أتى قبر النبي ﷺ ثم أتى مجلس مالك فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقال مالك وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم قال لمالك هل لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق ؟ قال لا ولا كرامة قال من أين قلت ذلك ؟ قال قال الله : لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ . فمن عابهم فهو كافر ولا حق للكافر في الفيء واحتج مرة اخرى في ذلك بقوله تعالى : لِلفُقَراءِ المُهَاجِرِين الذين... الآيات قال فهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه وأنصاره الذين جاءوا من بعده يقولون ربَّنا اغفِرْ لَنَا ولإخْوانِنَا... الآية . فما عدا هؤلاء فلا حق له فيه . قال اسحاق بن عيسى رأيت رجلاً من أهل المغرب جاء مالك بن أنس فقال إن الاهواء كثرت قبلنا فجعلت على نفسي أن آتيك إن أنا رأيتك آخذ بما تأمرني به . فوصف

له مالك شرائع الاسلام الصلاة والزكاة والحج والصوم ثم قال خُذْ بها ولا تخاصم أحداً . قال ابن وهب وغير واحد سئل مالك عن أهل القدر أيكف عن كلامهم ؟ قال نعم . إذا كان عارفاً بما هو عليه . قال ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ؟ ويخبرهم بخلافهم ولا يواضع القول ولا يصلي عليهم، ولا تشهد جنائزهم ولا أرى ان يناكحوا زاد في رواية غيره ، قال الله ولَعَبْدٌ مُؤمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ . قال في رواية أشهب ولا يصلى خلفهم ولا يحمل عليهم الحديث وإن وافيتموهم في ثغر فاخرجوهم منه . قال ابن القاسم عنه ولا يسلم عليهم ولا يعاد مرضاهم . قال الواقدي ولا تجوز شهادة القدري الذي يدعو او الخارجي والرافضي . وقد روي عن مالك منع شهادته مجملاً وروي عنه اذا كان داعية . قال مصعب سأل رجل مالكاً فقال الفواحش كتبها الله علينا . قال نعم : قبل ان يخلقنا . ولا بد لكل من كتب الله عليه ذلك ان يعلمها ويصير الى ما قدر عليه وكتب . قال الكرابيسي سمعت مالكاً وسئل عن القدرية من هم ؟ قال من قال : ما خلق المعاصي . وقال القاسم بن الحكم سألت مالكاً عن القدرية من هم ؟ فقال سألت أبا سهيل كما سألتني فقال الذين يقولون الاستطاعة اليهم ان شاءوا أطاعوا وإن شاءوا عصوا . قال الفروي سمعت ابن أبي حنيفة يقول لمالك إن لنا رأياً نعرضه عليك فان رأيته حسناً مضينا عليه وإن رأيته سيئاً تنكبنا عنه لا نكفّر أحداً بذنب . المذنبون كلهم مسلمون قال ما أرى بها بأساً . فقال له داود ابن أبي زنبر وابراهيم بن حبيب وابن نافع الصائغ يا أبا عبد الله إن هذا يسوق الكلام الى ان ديني دينُ الملائكة ، وجبرائيل وميكائيل . فقال لا والله الدين يزيد . قال الله : لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ[١]. وقال ابراهيم

---

(١) الفتح — ٤ .

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى..(١) الآية . قد أثبت زيادة في دينه قال ابن وهب سمعت مالكاً يقول إن المرجئة أخطأوا وقالوا قولاً عظيماً . قال إن أحرق الكعبة أو صنع كل شيء فهو مسلم . فقيل لمالك ما ترى فيهم ؟ قال ، قال الله تعالى : فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين(٢). قال ابن وهب سمعت مالكاً وقيل له إن أهل الأهواء يحتجون علينا بحديث كل مولود يولد على الفطرة . الحديث فقال احتجوا عليهم بأخرى الله أَعْلَمُ بِمَا كانوا عاملين . قال ابن نافع سألت مالكاً يقول إن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد ان لا يشرك بالله شيئاً ثم نجي من الأهواء رجوت ان يكون في أعلا الفردوس . لأن كل كبيرة بين العبد وربه هو منها على رجاء وكل هوى ليس هو منه على رجاء ، إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم . قال مالك أهل الأهواء كلهم كفار وأسوأهم الروافض . قيل فالنواصب ؟ قيل لهم الروافض رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء معناه ان الأربعة اهل الحق فمن رفض واحداً منهم فقد ناصب الحق قال مطرف رأيت مالكاً يحتجم يوم الأربعاء ويوم السبت منكراً لما روي في ذلك .

باب

في ذكر عبادة مالك وورعه وعزلته وإجابة دعائه

قال القاضي عياض رضي الله عنه قال الزبير بن حبيب كنت أرى مالكاً إذا دخل الشهر أحيا أول ليلة منه . وكنت أظن إنما يفعل هذا ليفتتح به

(١) البقرة ٢٦٠ .
(٢) التوبة – ١١ .

الشهر . وقالت فاطمة بنت مالك كان مالك يصلي كل ليلة حزبه فاذا كانت ليلة الجمعة أحياها كلها . قال المغيرة خرجت ليلة بعد ان هجع الناس هجعة فمررت بمالك بن أنس فاذا أنا به قائم يصلي فلما فرغ من الحمد لله ابتدأ بالهاكُمُ التّكاثرُ حتى بلغ ثم لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عن النّعيم فبكى بكاءاً طويلاً وجعل يرددها ويبكي وشغلني ما سمعت ورأيت منه عن حاجتي التي خرجت اليها فلم أزل قائماً وهو يرددها ويبكي حتى طلع الفجر . فلما تبين له ركع فصرت الى منزلي فتوضأت ثم أتيت المسجد فاذا به في مجلسه والناس حوله فلما أصبح نظرت فاذا أنا بوجهه قد علاه نور حسن . قال محمد ابن خالد بن عتمة كنت اذا رأيت وجه مالك رأيت أعلام الآخرة في وجهه ، فاذا تكلم علمت ان الحق يخرج من فيه . قال أبو مصعب كان مالك يطيل الركوع والسجود في ورده واذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء . فلما ضرب قيل له لو خففت في هذا قليلاً . فقال ما ينبغي لأحد ان يعمل لله عملاً إلا حسنه ، والله تعالى يقول : لِيَبْلُوكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . قال ابن وهب : ما رأت عيني قط أروع من مالك بن أنس . وذكر ابن القاسم ان خادم مالك قالت له : إن لمالك اليوم بضع وأربعين سنة . قلما يصلي الصبح إلا بوضوء العتمة . قال ابن المبارك رأيت مالكاً فرأيته من الخاشعين وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه ، وذلك أني كثيراً ما كنت اسمعه يقول من أحب ان يفتح له فرجة في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن عمله في السر اكثر منه في العلانية وروى نحوه عن مطرف . قال ابن مهدي : ما رأيت أحداً الله في قلبه أهيب منه في قلب مالك بن أنس . وفي رواية أجل مكان أهيب . قال ابن أبي أويس كان مالك يأمر بالمعروف ويحث عليه . قال مصعب بن عبدالله كان مالك اذا ذكر النبي ﷺ عنده تغير

لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه . فقيل له يوماً في ذلك . فقال لو رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون كنت آتي محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله على حديث إلا بكى حتى نرحمه ، ولقد أتى جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسم فاذا ذكر عنده النبي ﷺ اخضرّ واصفرّ. قال مالك ولقد اختلفت اليه زمان فما كنت اراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلياً ، وإما صائماً ، وإما يقرأ القرآن . وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على الطهارة : ولا يتكلم فيما لا يعنيه . وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله وما أتيته قط إلا ويخرج الوسادة من تحته ويجعلها تحتي وأخذ يعدد فضائله . وما رواه من فضائل غيره من أشياخه في خبر طويل . قال بعضهم رأيت مالكاً صامتاً لا يتكلم ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً ، إلا أن يكلمه انسان فيسمع منه ثم يجيبه بشيء يسير . فقيل له في ذلك فقال وهل يكب الناس في جهنم إلا هذا وأشار الى لسانه . ولقد بلغني ان رجلاً دخل على أبي بكر الصديق وهو يجبذ[1] لسانه ويقول هذا الذي[2] أوردني الموارد فاذا قال هو فكيف بنا إلا أن يتغمدنا الله برحمته . وقال مالك كلما أجد في قلبي قسوة آتي محمد بن المنكدر فأنظر اليه نظرة فأتّعظ أياماً بنفسي . قال بشر بن عمر كان مالك لا يضحك فقيل له في ذلك فقال الضحك يدعو الى السفه وقد بلغني ان ضحك النبي ﷺ تبسم . قال ابن وهب كان في كمّ مالك منديل مطوي على أربع طاقات فاذا سجد سجد عليه فقيل له في ذلك فقال أفعله لئلا يؤثر الحط على جبهتي فيظن الناس أني أقوم الليل . قال ابن وهب وكان اكثر عبادة مالك في

---

(١) ص — يجذب .
(٢) ساقطة من — ص .

السر بالليل والنهار حيث لا يراه أحد . قال أبو بكر الأوسي كان مالك قد أدام النظر في المصحف قبل موته بسنين وكان كثير القراءة طويل البكاء. وقال ابن مهدي سمعت مالكاً يقول لو علمت أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها . قال مطرف كان مالك يستعمل في نفسه ما لا يلتزمه الناس ويقول لا يكون العالم عالماً حتى يكون كذلك وحتى يحتاط لنفسه بما لو تركه لا يكون عليه فيه إثم . قال الشافعي رأيت بباب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر فقلت ما أحسنها ! فقال هي هبة مني اليك . فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها . قال أنا أستحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة . قال أبو عمران الصدفي دخلت على مالك وعليه ثياب صوف . فقال أخرجوه فقلت لا تفعل يا أبا عبدالله إنما أتيتك لأنك من ورثة الأنبياء . فسألته عن جوائز السلطان فكرهها ، فقلت له فانك تقبل ؟ فقال أتريد أن تبوء بإثمي وإثمك ؟ فقال المسيبي : كنا عند مالك وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين يا أبا عبدالله عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون فقال مالك : أصبيان هم ؟ قال لا . قال : أمجانين ؟ قال لا ، قوم مشائخ وغير ذلك عقلا . قال مالك ما سمعت أن أحداً من أهل الاسلام يفعل هذا . قال الرجل بل يأكلون ثم يقومون فيرقصون نوائب ويلطم بعضهم رأسه وبعضهم وجهه فضحك مالك ثم قام فدخل منزله . فقال أصحاب مالك للرجل لقد كنت يا هذا مشؤوماً على صاحبنا ، لقد جالسناه نيفاً وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم . قال يحيى بن الزبير قال لي مالك اعتزلت أنت وعبدالله بن عبد العزيز ؟ قلت نعم . قال عجلتم ، ليس هذا أوانه . ثم لقيت مالكاً بعد عشرين سنة فقال هذا أوانه ثم اعتزل ولزم بيته . قال بعضهم لم يشهد مالك الجماعة والجمعة سنين . قال محمد بن عمر

لما خرج محمد بن الحسن لزم مالك بيته فلم يخرج منه حتى قفل محمد . قال الواقدي ومصعب بن عبدالله كان مالك يحضر المسجد ويشهد الجمعة والجنائز ويعود المرضى ويجيب الدعوة ويقضي الحقـوق زماناً ، ثم ترك الجلوس في المسجد فكان يصلي وينصرف ثم ترك عيادة المرضى وشهود الجنائز فكان يأتي أصحابها ويعزيهم ، ثم ترك مجالسة الناس ومخالطتهم والصلاة في مسجد النبي ﷺ ، حتى الجمعة ولا يعزي أحداً ولا يقضي له حقاً ، فكان يقال له في ذلك فيقول ما يتهيأ لكل أحد أن يذكر ما فيه . وفي بعض الرواية من الأعذار أعذار لا تذكر . فاحتمل الناس له كل ذلك ، وكانوا أرغب من كانوا فيه وأشده تعظيماً له حتى مات على ذلك . قال عتيق بن يعقوب ومصعب فلما حضرته الوفاة سئل عن تخلفه عن المسجد قال عتيق بن يعقوب وكان تخلفه عنه قبل موته بسنين فقال لولا أني في آخر يوم من الدنيا وأوله من الآخرة ما أخبرتكم ؟ سَلَسَ بَولي . فكرهت أن آتي مسجد رسول الله ﷺ على غير طهارة استخفافاً لرسول الله ﷺ وكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربي . وفي طريق آخر أنه قال خيفة أن آتي منكراً وفي رواية خلف بن محمد عنه أني ضعفت عن ذلك . وقيل بل كان عراه فتق من الضرب الذي ضرب فكانت الريح تخرج منه فقال كرهت أن أوذي مسجد رسول الله ﷺ وقال يعقوب بن عبدالرحمان كان مالك لا يتكلم عند طلوع الشمس ولا عند غروبها . وقال ابن وهب كان لا يفتي ولا يتكلم حتى تطلع الشمس . زاد مروان بن محمد وسعيد بن الجهم وكان يسبح ويذكر الله إذا طلعت الشمس . قال مروان قام الى حلقته وذاكر أصحابه[١] الى حلقته وقال السلام عليكم . قال مطرف لقد رأيته يوماً وهو جالس في

---

(١) بياض في – ر – و – ص .

المجلس بعد الصبح يدعو ووجهه يصفرّ ويخضرّ حتى أطال الدعاء فأتاه سائل عن مسألة فقطع عليه فالتفت مغضباً ، فقال يأت أحدكم الرجل وهو في دعائه وقد فتح الله عليه منه ما شاء أن يفتحه مما يستدعي به الإجابة فيقطع ذلك عليه فلا يعود أبداً . قال ابن أبي حازم كان بين رجل من قريش ومالك كلام ، فقال له مالك إن كنت تريد عيبي فسلط الله عليك من يخرجك من بيتك شر مخرج فلما صلى بنا إمامنا الصبح جلس في محرابه ، فقام فيه فرأى عمر بن الخطاب معه حرسي يقول اخرج الحمار الضال من المسجد . ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه بل حلاله وحرامه وسنن نبيه ، وما يقرّب اليه فانتبه الإمام لينبه الناس على الرجل ، وقد أخرج من المسجد ووضع في عنقه حبل . وجيء به الى دار السلطان فأخبر الناسَ الإمامُ برؤياه فأخبر الرجل بالقصة فجعل يضرع لمالك ويقول خلّني يا خير من يقول حدثنا . فاستغفر له مالك . قال أبو مصعب سمعت مالكاً يقول إني لأذكر وما في وجهي طاقة شعر وما منا أحد يدخل المسجد إلا معتماً إجلالاً لرسول الله ﷺ . قال بشر بن عمر جئت مع مالك من منزله حتى دخل المسجد فانتهى الى جماعة فوسع له في صدرها فأبى وجلس حيث انتهى به المجلس فقلت في نفسي هذا رجل منصف كنا لا نوسع لأحد في مجلسه لا يقعد في صدور مجالس الناس . قال الحارث بن مسكين رحم الله مالكاً ، ما كان أصونه للعلم وأصبره على الفقر ولزوم المدينة . أمر له بجوائز ثلاثة آلاف دينار فما استبدل منزلاً غير المنزل الذي كان فيه ولا استفاد منه غلة ولا صنعة ولا تجارة . قال ابن القاسم كان لمالك رحمه الله تعالى أربعمائة دينار يتّجر له بها ، فمنها كان قوام عيشه ومصلحته . قال ابن أبي أويس كان مالك قد أكثر النظر قبل موته بسنين وكان كثير القراءة طويل البكاء رحمه الله .

باب

(شدة[1]) مالك في إقامة حدود الله تعالى

قال القاضي رضي الله تعالى عنه قال البهلول بن عبيدة كنت عند مالك فأتى برجل ملباً[2] فقالوا له : الأمير يقرئك السلام ويقول لك هذا خنق رجلاً فقتله . فقال مالك اخنقوه حتى يموت كما فعل به وركبت مالك صفرة وتشوق حتى مدّ به بصره فأخبروه أنهم خنقوه فرجع الى وجهه الدم . فقال ابن كنانة في ذلك : فقال أظننتم أني ندمت ؟ لكني خفت ان يبطل حكم من أحكام الله تعالى . قال عبد الجبار بن عمر حضرت مالكاً وقد أحضره الوالي في جماعة من أهل العلم فسألهم عن رجل عدى على أخيه حتى اذا أدركه دفعه في بئر وأخذ رداءه وأبَوَا الغلامين حاضران فقال جماعة من أهل العلم الخيار للأبوين في العفو أو القصاص . فقال مالك أرى أن تضرب عنقه الساعة . فقال الأبوان ليقتل ابن بالأمس ونفجع في الآخر اليوم ؟ نحن أولياء الدم وقد عفونا . فقال الوالي يا أبا عبدالله ليس ثم طالب غيرهما . وقد عفوا . فقال مالك : والله الذي لا إله إلا هو لا تكلمت في العلم أبداً أو تضرب عنقه ، وسكت . وكُلِّم فلم يتكلم فارتجّت المدينة وصاح الناس إذا سكت مالك فمن يسأل ومن يجيب ؟ وكثر اللغط وقالوا لا أحد بمصر من الأمصار مثله ، ولا يقوم مقامه في العلم والفضل . فلما رأى الوالي عزمه على السكوت قدّم الغلام فضرب عنقه فلما سقط رأسه

---

(١) ساقطة في – ر .
(٢) بالأصل ملبّبٍ وفي – ر – ملبّاً .

التفت مالك الى من حضر وقال : إنما قتلته بالحرابة حين أخذ ثوب أخيه ولم أقتله قوداً إذ عفا أبواه ، فانصرف الناس وقد طابت نفوسهم حين رأوه برّ في يمينه إذ كان يعلم انه لا يحنث . قال حفص بن عياث : كان مالك يجلس عند الوالي فيعرض عليه أهل السجن فيقول اقطع هذا ، واضرب هذا مائة ، وهذا مائتين ، واصلب هذا . كأنه أنزل عليه كتاب . قال أشهب دعا بعض الأمراء مالكاً يستشيره في شيء فدخل عليه وأشار بقطع قوم وقتل قوم وخرج علينا وهو يتبسم ويقرأ : لَكُمْ في القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ .

باب

في حكمه ووصاياه وأدابه

قال الفقيه القاضي رضي الله عنه قال مالك رحمه الله إنما التواضع في الدين والتقى لا في (كذا)[1] قال التواضع ترك الرياء والسمعة . وقال شر العلم الغريب وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس . وقال زيد بن الحسن سمعته يقول الزهد في الدين ، طيب المكسب ، وقصر الأمل . وقال الدنيا صحة البدن وطيب النفس من النعيم . وقال التواضع في التقى والدين وليس في اللباس . وروى ابن المبارك عنه أنه قال له فرجة في قلبه أفضل منه في العلانية . وقال ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب . وقد روي هذا الكلام عن ابن مسعود . وقال ابن وهب عنه

(١) زائدة من — ر .

طلب العلم حسن . لمن رزق خيره ، وهو قسم من الله ، ولكن انظر ما يلزمك حين تصبح الى حين تمسي فالزمه . وقال العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع . وروى ابن عبد الحكم سئل مالك عن طلب العلم أفريضة هو ؟ قال : لا . ولا يطلب إلا ما ينتفع به ولا يطلب الأغاليط والإكثار . وفي رواية أشهب سئل مالك عن طلب العلم أفريضة هو ؟ قال لا والله . ما كل الناس عالم وإن منهم من لا آمره بطلبه . ثم قال : أما على كل الناس فلا . قال ابن وهب : قال مالك : خير الأمور ما كان منها ضاحياً بيّناً أمره وإن كنت في أمرين أنت منهما في شك فخذ بالذي هو أوفق . وقال لابن وهب أدّ ما سمعت وحسبك ولا تحمل لأحد على ظهرك فانه كان يقول أخسر الناس من باع آخرته بدنياه . وأخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره . وقال ينبغي للرجل إذا خُوّل علماً وصار رأساً يُشار اليه بالأصابع أن يضع التراب على رأسه ويمتهن[١] نفسه إذا خلا بها ولا يفرح بالرئاسة . فاذا اضطجع في قبره ووسد التراب رأسه ساءه ذلك كله . وقال لأبي مسهر : لا تسأل عما لا تريد فتنسى ما تريد ، فانه من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه . وقال من إذالة العلم أن تجيب كل من سألك ولا يكون إماماً من حدث بكل ما سمع . ومن إذالة العلم أن ينطق به قبل أن يسأل عنه . وقال إن المسألة إذا سئل فيها الرجل ولم يجب واندفعت عنه فانما هي بلية صرفها الله عنه . وقال لا يصلح طلب لمفلس ولا لغني متكبر . وقيل له ما أفضل ما يصنع العبد ؟ قال طلب العلم . وقال لولا النسيان لكان أكثر الناس علماء . وقال إنما أهلك الناس تأويل ما لا يعلمون . وقيل له العالم يخطىء قال الذي دل عليه من الخير اكثر ، ومن

---

(١) ص — يمقت .

ذا الذي ليس فيه شيء ؟ ولو لم يأمر بالمعروف إلا لمن ليس فيه شيء ما أمر أحد . وقال من شأن ابن آدم أن لا يعلم ممن يعلم . أما سمعت قول الله تعالى إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً . وقال إنما الحكمة مسحة ملك على قلب العبد . وقال ايضاً الحكمة نور يقذفه الله في قلب العبد . وقال أيضاً يقع في قلبي أن الحكمة الفقه في دين الله . وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله . وقال أيضاً الحكمة التفكير في أمر الله تعالى والاتباع له . وقال في سماع ابن وهب وابن القاسم الحكمة طاعة الله والاتباع لها ، والفقه في الدين والعمل به . وقال الفروي سمعته يقول لا خير في شيء من الدنيا وإن كثر بفساد دين الرجل أو مروءته وقال تعلموا الحلم قبل العلم . وقال نقاء الثوب وحسن الهمة وإظهار المروءة جزء من بضع وأربعين جزء من النبوة . وقال لبعض بني أخيه : إذا تعلمت علماً من طاعة الله فلْيُرَ عليك أثره ، ولْيُرَ فيك سمته ، وتعلم لذلك العلم الذي علمته السكينة والحلم والوقار ، وقال حقاً على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية ، وأن يكون متبعاً لآثار من مضى ، وينبغي لأهل العلم أن يخلوا أنفسهم من المزاح وبخاصة إذا ذكروا الله . وقال أدب الله القرآن وأدب رسوله السنّة وأدب الصالحين الفقه . وقال لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يحرز لسانه . وقال لبعض أصحابه لا تكثر الشخوص من بيتك إلا لأمر لا بد منه ، ولا تجلس في مجلس لا تستفيد منه علماً . وقال سفيان دخلت على مالك فقلت له ان العلم كثير . فقال العلم شجرة أصلها بمكة وأغصانها بالمدينة وأوراقها بالعراق وثمرتها بخراسان . فقال اكتب يا غلام فهذه من طرائف مالك . قال الزبيري : قلت لمالك : إن من الناس من إن أمرتهم ليطيعوني ومنهم من إن أمرتهم أتأذى منهم . الشعراء يهجوني والشاطرون يضربوني ويحبسوني فكيف أصنع . فقال إن

خفت وظننت أنهم لا يطيعونك فدع، وانكر بقلبك ، ولك في ذلك سعة . ومن لم تخش منه فأمره وانهه وخاصة إذا أردت به الله تبارك وتعالى، فاذا كنت كذلك لم تر إلا خيراً وبخاصة اذا كان فيك شيء من لين . ألا ترى قول الله تعالى الى موسى وهارون فقولا له قولاً ليناً .. الآية . ينظر في أمرك ويقبل منك . تعوضت[1] وخرجت من جملة أهل القرآن ، وقال في سماع أشهب وابن القاسم من صدق في حديثه متّع بعقله ولم يصبه ما يصيب الناس من الهرم والخرف . وقال له رجل خرفت فقال له إنما يخرف الكذابون . وقال ابن المبارك سمعته يقول لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه ، فاذا كان كذلك أوشك ان يفتح الله في قلبه . وروى ابن أبي أويس عنه أنه قال بغيتك منها ما يكفيك ، فأقل عيشها يغنيك ، وما قل وكفى غير مما أكثر وألهى . قال ابن وهب سمعته يقول ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة . وقال خالد بن حميد : سمعته يقول عليك بمجالسة من يزيد في علمك قوله، ويدعوك لحال الآخرة فعله، وإياك ومجالسة من يعللك قوله ويعيبك دينه ويدعوك الى الدنيا فعله . وقال ابن القاسم ذكر مالك القصد وفضله ثم قال إياك من القصد ما تحب أن تُرفع به . قيل له لم ? قال تعجب به . قال مطرف : قال رجل لمالك أوصني قال : إذا هممت بأمر من طاعة الله فلا تحبسه إن استطعت فواقاً حتى تمضيه ، فانك لا تأمن الأحداث ، فاذا هممت بغير ذلك فان استطعت أن لا تمضه فواقاً فافعل ، لعل الله يحدث له تركه ، ولا تستحي اذا دعيت لأمر ليس بحق أن تقول قال الله تعالى في كتابه : والله لا يَستَحيي مِنَ الحقّ . وطهر ثيابك وأنقها عن معاصي الله وعليك بمعالي الأمور وكرائمها واتّق رذائلها وما

(١) هكذا .

سفسف منها فان الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها ، واكثر تلاوة القرآن واجتهد ان تأتي عليك ساعة من ليل أو نهار إلا ولسانك رطب في ذكر الله . ولا تمكن الناس من نفسك ، واذهب حيث شئت . وقال ما أسرّ عبدٌ سريرة خيرٍ إلا ألبسه الله رداءها . ولا أسرّ سريرة سوءٍ إلا ألبسه الله رداءها . وقال مالك للقعنبي مهما تلاعبت بشيء فلا تلعبن بدينك . وقال لابني أخيه إن أحببتما أن ينفعكما الله بهذا الأمر فأقلاً منه وتفهما فيه . وقال ما أكثر أحد قط فأفلح . قال ابن وهب : قال لي مالك إنه لم يكن يسلم رجل حدّث بكل ما سمع . ولا يكون إماماً أبداً . ومن أذل إهانة العلم عند من لا يطيعك . قال ابن نافع قال مالك كل شيء ينفع فضله إلا الكلام . قال مطرف وكان مالك اذا ودعه أحد من طلبة العلم عنده ، يقول لهم : اتقوا الله في هذا العلم ولا تنزلوا به دار مضيعة ، وبثّوه ولا تكتموه . قال مصعب كان مالك اذا أتاه موت أحد قال الحمد لله رب العالمين الذي أبقانا بعده ، اللهم لا تجعله لنا فتنة . قال ابن عبدالحكم وابن وهب سمعت مالكاً يقول أول المعاصي الكبر والحسد والشحّ. حسد ابليس وتكبر فقال خلقتني نار وخلقته من طين وقال الله تعالى فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ . فشَحّ آدم حتى أكل منها . وقال أبو قرة : سمعت مالكاً يقول من علم أن قوله من عمله قلّ كلامه . والقول من العمل . قال أبو قرة هو أشدّ من العمل ، به يكون الإيمان والكفر . وقال ابن وهب سمعت مالكاً يقول من رضي بشيء كفاه وفيه يعني القناعة منفعة لأهل الورع . وقال مالك : خرق المرء أشد من العدم . والخرق لا يُنمي له شيئاً . قال ابن وهب وقال لمالك رجل أوصني . فقال : أوصيك أن تعمل صالحاً وتأكل طيباً . وقال سمعته يقول : من أراد الله به خيراً أجمع عليه شمله ومن نعم الله تعالى على العبد أن يجمع عليه

أمره ومن بلواه عليه أن يشتت عليه أمره . وسمعته يقول التقرّب من أهل الباطل هلكة . القول الباطل يصد عن الحق . ومن سعادة المرء أن يوفق للخير ، ومن شقاوة المرء أن لا يزال يخطىء وسمعته يقول إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في الارض ، وقليل الباطل وكثيره هلكة ، وإن لزوم الحق نجاة . قال وسمعته يقول حقاً على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية ، وأن يكون متبعاً لآثار من قبله . وقال من آداب العالم أن لا يضحك إلا تبسماً . وقال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر ما يعقل يعبد ربه . وقال الاسلام واسع اذا لم يرده بالحق فالاسلام أوسع من ذلك . فلا ينبغي أن يضيق ، زاد في موضع آخر اذا أقيمت حدوده . قال وسمعته يقول إن المؤمن حسن المعونة يسير المؤونة والفاجر بضده ، وفي سماعه عنه . قال كنت أسمع أن الرجل يخطىء الخطيئة فيكون من رأس عمله في الخير ، زاد في سماع أشهب ينيب الى الله تعالى . وقال القعنبي سمعته يقول : اذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه . قال ابن وهب : وسمعته يقول الكلام في هذه المسائل المعضلة تزيل الفتيا وتفسدها . وسمعته يقول كثرة الكلام تمج العلم وتذله وتنقصه . قال وذكر الكلام ومراجعة الناس فقال من صنع هذا ذهب بهاؤه ، وكان يكره كثرة الكلام ويعيبه . وقال لا يوجد إلا في النساء والضعفاء . وكان يقال نعم الرجل فلان إلا أنه يتكلم كلام شهر في يوم . قال خالد بن خراش : قلت لمالك : أوصني . قال عليك بتقوى الله وطلب العلم عند أهله . قال ابن القاسم : كنا اذا ودعنا مالكاً يقول : اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلموه ولا تكتموه . وقال لن ينال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر . قال أبو قرة سمعت مالكاً يقول تعلموا من العلم حتى لُبْس[١] نعله. وقال أشهب سمعته يقول

(١) هكذا في – ر – وهي ليست مفهومة في – ص .

لا خير في رفع الصوت في المسجد لا في العلم ولا في غيره . أدركت الناس قديماً يعيبون ذلك . وقال ابن وهب عنه إذا كَثُرَ الكلام كان فيه الخطأ وإذا أصيب الجواب قل الخطاب . وكان يقول حين يسأل ويستفتى الكلام بالباطل يصد عن الحق . وقال لابن وهب اتق الله واقتصر على علمك فانه لم يقتصر أحد على علمه إلا نفع وانتفع ، فان كنت تريد لما طلبت ما عند الله فقد أصبت ما تنتفع به وإن كنت تريد بما تعلمت الدنيا فليس في يدك شيء . وفي رسالة الى أبي قرة إني أرى الصواب في ترك تعلم المسائل التي قد ينتفع ببعضها اذا كان فيه من المضرة ما يخاف على صاحبها الخطأ والفتنة ، فكيف بغيرها من المسائل ، التي لا منفعة فيها . قال ابن وهب قال مالك إنما قُبحت الأشياء حين يُتعدى بها منازلها . وقال : طلب الرزق من شبهه أحسن من الحاجة الى الناس . وقال الزهد في الدنيا طيبُ المكسب وقِصر الأمل . وقال الناس في العلم أربعة : رجل علم فعمل به فمثله في كتاب الله قوله : إنما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماء . ورجل علم به ولم يعلمه فمثله في كتاب الله : الذين يَكْتُمُونَ ما أنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهُدَى... الآية . ورجل علم علماً وعلّمه ولم يعمل به فمثله في كتاب الله : إنْ هُمْ إلاَّ كالأنْعَام . وقال من عيب القاضي إذا عزل لم يرجع لمجلسه الذي كان يتعلّم[١] وأفتى مالك لبعض الشعراء بما لا يوافقه فقال يا أبا عبدالله أتظن الأمير لم يكن يعرف هذا القضاءَ الذي قضيته . بلى . وإنما أرسلنا اليك لتصلح بيننا فلم تفعل بالله لأقطعنّ جلدك هجاءاً . فقال له مالك يا هذا أتدري ما وصفت به نفسك ؟ وصفتها بالسفه والدناءة وهما اللذان لا يعجز عنهما أحد فان استطعت فأت غيرهما مما تنقطع دونه

---

(١) هكذا في — ص — و — ر .

الرقاب من الكرم والمروءة . وقال ابن وهب قال مالك كفى بك ظالماً ألاّ تزال مخاصماً . وقال من روى عن ضعيف فقد بدأ بنفسه وقال الإعراب جُلِيّ اللسان . وقال أهوال الدنيا ثلاثة ركوب البحر وركوب فرس عربي وتزويج حرة .

باب

ذكر الموطأ وتأليف مالك إياه

قال الإمام القاضي رضي الله عنه . قال ابن مهدي ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ . وقال لا أعلم من علم الاسلام بعد القرآن أصح من موطأ مالك . قال ابن وهب من كتب موطأ مالك فلا عليه أن يكتب من الحلال والحرام شيئاً . وقال الشافعي ما في الأرض كتاب من العلم أكثر صواباً من كتاب مالك . وقال ما على الأرض كتاب أصح من كتاب مالك وفي رواية أفضل وما كتب الناس بعد القرآن شيئاً هو أنفع من موطأ مالك . وإذا جاء الأثر من كتاب مالك فهو الثريا . قال سعيد بن أبي مريم وكان ابنا اخته بالعراق ولو جمعا عمرهما بالعراق ما أتيا بعلم يشبه موطأ مالك . وقال في رواية اخرى : ما جاء بسنة مجمع عليها خلاف ما في الموطأ . وقال ما أحسن لمن تديّن به . قال الدراوردي : كنت نائماً في الروضة بين القبر والمنبر فرأيت النبي ﷺ قد خرج من القبر متكئاً على أبي بكر وعمر ثم رجع فقمت اليه فقلت له يا رسول الله من أين جئت ؟ قال مضيت الى مالك بن أنس فأقمت له الصراط المستقيم . قال فأتيت مالكاً فأصبته يدون الموطأ فأخبرته بالخبر فبكى ، وروى أبو مصعب

أن أبا جعفر قال لمالك ضع للناس كتاباً أحملهم عليه . فكلمه مالك في ذلك فقال ضعه فمـــا أحد أعلم منك . فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر . وقال أبو مصعب سمعت مالكاً يقول دخلت على أبي جعفر بالغداة حين وقعت الشمس بالأرض وقـد نزل عن شماله الى بساط وعلى البساط برذونان قائمان من حين دخلت الى حين خرجت لا يبولان ولا يروثان أدباً وإذا بصبي يخرج ثم يرجع، فقال أتدري من هذا ؟ قلت لا . قال هو ابني وإنما يفزع من شيبتك وفي رواية إنه استنكر قرب مجلسك مني ولم يربه أحد قط ، وحقيق أنت بكل خير وخليق بكل إكرام ، وقد كان أدناه اليه وألصق ركبته بركبته فلم يزل يسألني حتى أتاه المؤذن بالظهر فقال لي أنت أعلم الناس وفي رواية أهل الأرض . فقلت لا والله يا أمير المؤمنين . قال بلى . ولكنك تكتم ذلك . وفي رواية فما أحد أعلم منك اليوم بعد أمير المؤمنين . ولئن بقيت لأكتبنّ كتابك بماء الذهب ، وفي رواية كما تكتب المصاحف ثم أعلقها في الكعبة وأحمل الناس عليهـا . فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل فان في كتابي حديث رسول الله ﷺ وقول الصحابة وقول التابعين ورأياً هو إجماع أهل المدينة لم أخرج عنهم ، غير أني لا أرى أن يعلق في الكعبة . قال : وقال له أبو جعفر وهو بمكة اجعل العلم يا أبا عبدالله علماً واحداً . قال فقلت له يا أمير المؤمنين إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرّقوا في البلاد فأفتى كلّ في مصره بما رآه ، وفي طريق ، إن لأهل هذه البلاد قولاً ولأهل المدينة قولاً ولأهل العراق قولاً تعدوا فيه طورهم . فقال أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ، وإنما العـلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم وفي رواية فقلت له إن أهل العراق لا يرضون علمنـا . فقـال أبو جعفر يضرب عليه عامتهم بالسيف وتقطع عليـه ظهورهم بالسياط وفي بعضه إن أبا جعفر قال له إني عزمت أن أكتب كتبك هذه

نسخاً ثم أبعث الى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة آمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها الى غيرها من هذا العلم المحدث فانني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم . فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل فان الناس قد سبقت لهم أقاويل وسمعوا أحاديث وروايات وأخذ كل قوم بما سبق اليهم وعملوا به ودالوا له من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم وإنّ ردهم عما اعتقدوا شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم . فقال : لو طاوعتني على ذلك لأمرت به . وفي رواية إن المنصور قال له : يا أبا عبدالله ضُم هذا العلم ودوّن كتباً وجنب فيها شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود واقصد أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة . وروي ان المهدي قال له ضع كتاباً أحمل الأمة عليه ، فقال له مالك أما هذا الصقع يعني المغرب، فقد كفيته وأما الشام ففيه الأوزاعي وأما أهل العراق .. فهم أهل العراق . قال عتيق الزبيري وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة الاف حديث فلم يزل ينظر فيه سنة ويسقط منه حتى بقي هذا ولو بقي قليلاً لأسقطه كله . قال القطّان كان علم الناس في الزيادة وعلم مالك في النقصان ... ولو عاش مالك لأسقط علمه كله . يعني تحرياً . قال سليمان بن بلال لقد وضع مالك الموطأ وفيه اربعة آلاف حديث أو قال أكثر . فمات وهي ألف حديث ونيف يلخصها[١] عاماً عاماً بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين . وقال مالك وقد ذكر له الموطأ فيه حديث رسول الله ﷺ وقول الصحابة والتابعين ورائى وقد تكلمت برأي على الاجتهاد وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا . ولم أخرج عن جملتهم الى غيره . وقال أبو موسى الانصاري وقعت نار[٢] في منزل رجل

(١) في – ص – يخلصها .
(٢) ص – النار .

فاحترق كل شيء في البيت إلا المصحف والموطأ . قال ابن أبي أويس قيل لمالك[١] ما قولك في الكتاب الأمر المجتمع عليه عندنا وببلدنا وأدركت أهل العلم وسمعت بعض أهل العلم ، فقال أما أكثر ما في الكتاب فرأي فلعمري ما هو رأيي ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المقتدى بهم الذين أخذت عنهم وهم الذين كانوا يتّقون الله فكثر علي فقلت رأيي ، وذلك اذا كان رأيهم مثل رأي الصحابة أدركوهم عليه ، وأدركتهم أنا على ذلك . فهذا وراثة توارثوها قرناً عن قرن الى زماننا وما كان أرى[٢] فهو رأي جماعة ممن تقدم من الأئمة وما كان فيه الأمر المجتمع عليه[٣] فهو ما اجتمع عليه من قول أهل الفقه والعلم لم يختلفوا فيه . وما قلت الأمر عندنا فهو ما عمل[٤] الناس به عندنا وجرت به الأحكام وعرفه الجاهل والعالم . كذلك ما قلت فيه ببلدنا وما قلت فيه بعض أهل العلم ، فهو شيء استحسنته في قول العلماء وأما ما لم أسمعه منهم فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته حتى وقع ذلك موضع الحق أو قريب منه حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وآرائهم وإن لم أسمع ذلك بعينه فنسبت الرأي إليّ بعد الاجتهاد مع السنة وما مضى عليه[٥] أهل العلم المقتدى بهم ، والأمر المعمول به عندنا ، من لدن رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين مع من لقيت فذلك رأيهم ما خرجت الى غيرهم . وذكر أحمد بن عبد الله الكوفي في تاريخه أن كل ما قال فيها مالك في موطأه الأمر المجتمع عليه

---

(١) ساقطة من — ص .
(٢) أي قوله أرى ، وهي مستعملة في الموطأ كثيراً .
(٣) لفظة كثيراً ما يستعملها مالك في الموطأ الأمر المجتمع عليه عندنا أي في المدينة .
(٤) ص — علم . وأظنه خطأ من الناسخ .
(٥) ص — نظر .

عندنا فهو من قضاء سليمان بن بلال وهذا لا يصح قال : وما أرسله فيه عن ابن مسعود ، فرواه عبد الله بن إدريس الأودي وما أرسله عن غيره فعن ابن مهدي . قال الدراوردي اذا قال مالك على هذا أدركت أهل العلم ببلدنا والأمر عندنا فانه يريد ربيعة وابن هرمز . قال عمر بن أبي سلمة ما من مرة أقرأ الجامع من الموطأ إلا رأيت في منامي رجلًا يقول لي هذا حديث رسول الله ﷺ . قال : فلما قدمنا المدينة بوسيلة الى مالك ، قال لي احضر غداً بكتاب المدبر والمكاتب فانهم اجتمعوا على أن يقرأوه فبت ليلتين فرأيت قائلًا يقول ، وأنا نائم : غداً يقرأ على مالك حديث رسول الله ﷺ فغدوت الى مالك ومعي الكتابان فلما رآني قال لي أي شيء معك ؟ قلت المكاتب والمدبر . فقال انهم قد بدا لهم وأجمعوا على قراءة الجامع فذكرت له الرؤيا فقال لي صدّق ، وهو حديث رسول الله ﷺ . قال صفوان بن عمر بن عبد الواحد عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يوماً فقال كتاب الفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوماً قلّ ما تتفقهون فيه . قال غيره أول من عمل الموطأ عبد العزيز بن الماجشون عمله كلاماً بغير حديث فلما رآه مالك قال ما أحسن ما عمل ولو كنت أنا لبدأت بالآثار ، ثم شددت ذلك بالكلام ثم عزم على تصنيف الموطأ . فعمل من كان بالمدينة يومئذٍ من العلماء الموطئات فقيل لمالك شغلت نفسك بهذا الكتاب وقد شاركك فيه الناس وعملوا أمثاله . فقال ائتوني بها فنظر فيها ثم نبذها وقال لتعلمنّ ما أريد به وجه الله تعالى . قال مطرف قال لي مالك ما يقول الناس في موطأي قلت الناس رجلان محب مطرٍ ، وحاسد مفتر . فقال إن مدّ بك العمر فسترى[1] ما يراد به الله . قال فكأنما

(١) الفاء ساقطة من — ص .

ألقيت تلك في الآبار . ما سمع منها شيء بعد ذلك . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما وضع مالك الموطأ جعل أحاديث زيد في آخر الأبواب فقلت له في ذلك فقال إنها كالشرح لما قبلها . قال أبو داود قيل لمالك ليس في كتابك حديث غريب . قال سررتني . وقال أبو زرعة لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التي بالموطأ أنها صحاح كلها لم يحنث ، ولو حلف على حديث غيره كان حانثاً . قال ابن أبي[١] سوار الجدي سمعت مالكاً يقول الأمر عندنا كذا فأخبرت به ابن أبي ذئب فقال ما يحل لمالك أن يقول هذا ، ليس هذا مما نحن عليه . قال فأعلمت مالكاً . فقال أنا لا أعتدّ برأي ابن أبي ذئب أعتدّ بمن أدركت من أهل العلم .

ذكر ما قيل في الموطأ من الشعر

من ذلك قول سعدون الورجيني :

أقول لمن يروي الحديث ويكتب ... ويسلك سبيل الفقه فيه ويطلب
اذا أحببت أن تدعى لدى الخلق عالماً ... فلا تعدُ ما تحوي من العلم يثرب
أتترك داراً كان بين بيوتها ... يروح ويغدو جبرئيل المغرب
ومات رسول الله فيها وبعده ... بسنّته أصحابه قد تأدّبوا
وفرق شمل العلم في تآليفهم ... وكل امرىء منهم له فيه مذهب
فخلصه بالسبك للناس مالك ... ومنه صحيح في المجسّ وأجدب
فأبرى بتصحيح الرواية داءه ... وتصحيحها فيه دواء مجرب
ولو لم يلح نور الموطا لمن يرى ... بليل عماه ما درى أين يذهب

(١) ساقطة من — ص .

فبادر موطأ مالك قبل فوته فما بعده إن مات للخلق مطلب
ودع للموطأ كل علم تريده فإن الموطأ الشمس والغير كوكب
هو الأصل طاب الفرع منه لطيبه ولم لا يطيب الفرع فالأصل طيب
هو العلم عند الله بعد كتابه وفيه لسان الصدق بالحق معرب
لقد أعربت آثاره ببيانها فليس لها في العالمين مكذّب
ومما به أهل الحجاز تفاخروا بأن الموطأ في العراق محبب
ومن لم تكن كتب الموطأ ببيته فذاك من التوفيق بيت مخيّب
فيعجب منه إذ علا في حياته تعاليه من بعد المنية أعجب
جزا الله عنا في الموطأ (١) مالكاً بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب
لقد أحسن التحصيل في كل ما روى كذا فعل من يخشى الأحدّ ويرهب
لقد فاق أهل العلم حيًّا وميّتاً فأضحت به الأمثال في الناس تضرب
وما فاقهم إلا بتقوى وخشية وإذ كان يرضى في الإله ويغضب
فلا زال يسقي قبرَه كلُّ عارضٍ بمندفق ظلت غزاليه تسكب
وتسقي قبوراً حوله دون سقيه فيصبح فيها بينها وهو معشب
وما بي بخلٌ أن تسقّى كسقيه ولكن حق العلم أولى وأوجب

وقال أبو الطاهر أحمد بن محمد الأصفهاني في ذلك :

وأعمّ الكتب نفعاً للفقيه موطأ مالك لا شك فيه
فلا تبدأ بشيء من سماع سواه عن إمام ترتضيه
وصاحبْ من يعظمه وجانبْ كتاب جميع من قد يزدريه

---

(١) ص — في موطاه وكذلك — ر .

وقال القاضي المؤلف رضي الله تعالى عنه في ذلك :

اذا ذكرت كتب العلم فخيرها كتاب الموطأ من تصانيف مالك
أصح أحاديثاً وأثبت سنـــة وأوضحها في الفقه نهجاً لسالك
أسانيـد أمثال الرواسي صحيحـة ورأي كأنوار النجوم الشوابك
هو الحجـة الغراء والعصمـة التي ينجي هداها من جميـع المهالـك
به يهتدى في كل أمر ويقتدى وفيه جلاء المشكلات الحوالـك
عليه مضى الإجماع في كل أمـة على رغم خيشوم الحسود المهالـك
وأول تصنيف تهـذب فاغتـدى يعـلم كلًا نهج تلـك المسالـك
بتأليف أشكال وحسن عبارة وإتقان ترتيب لتلـك المدارك
فجاء كما جـاء الوشام منظماً وخلص محض التبر تخليص سابك
فعنه فخـذ عـلم الديانة خالصـاً ومنه استفـد عـلم النبيّ المبـارك
وشدّ به كف الضنانة تحتوي فمن حـاد عنه هالـك في المهالـك

باب

في اعتناء الناس بكتاب الموطأ وتهمّهم به = (هكذا ؟)

قال القاضي رضي الله تعالى عنه لم يُعتنَ بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ فان الموافق والمخالف اجتمع على تقديره وتفضيله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه ، وقـد ذكرنا ذلك في باب قبـله طرفاً ونذكر بعد هذا باباً فيمن رواه من الجملة عن مالك إن شاء الله تعالى ، فأما من اعتنى بالكلام على رجاله وحديثه والتصنيف في ذلك فعدد كثير من المالكيين وغيرهم من أصحاب الحديث والعربية وجمع كثير منهم حديث مالك

من الموطأ وغيره فممن ألف في ذلك القاضي اسماعيل صنع موطأ المسند على رجاله الى مالك بن أنس من موطئات مالك وسائر حديثه . وألف مسند حديث مالك وألف أيضاً شواهد الموطأ وألف مسند الموطأ قاسم بن أصبغ وأبو القاسم الجوهري ، وأبو الحسن القابسي في كتابه الملخص وألف مسند الموطئات أبو ذر الهروي وألف حديث مالك أبو بكر القبّاب وألف مسند الموطأ أيضاً أبو الحسن علي بن خلف السجلماسي روى عنه عبدوس وأبو محمد ومثله للمطرز ولأبي عبيد الله الجيزي ولأحمد بن سدّاد الفارسي والقاضي ابن مفرّج ولابن الأعرابي ومسند حديث مالك رواية محمد بن شروس الصنعاني وحديث مالك رواية ابن نافع الزبيري وألف مسند حديث مالك أبو عبدالرحمان النسائي وأبو أحمد بن عدي الجرجاني ، وأحمد بن ابراهيم بن جامع البكري وبندار وابن الأعرابي وابن عفير وأبو عبدالله السراج النيسابوري ، وأبو بكر ابن زيد النيسابوري وأبو العرب التميمي وأبو حفص بن شاهين وعبد العزيز ابن سلمة وأبو القاسم الحافظ الأندلسي ، وأبو عمر بن عبد البر ، والقاضي ابن مفرج ، ومحمد بن عيشون الطليطلي ، وألف أبو القاسم الجوهري أيضاً مسند حديث مالك خارج الموطأ ، وأبو بكر محمد بن عيسى الحضرمي ، وعبدالغني ابن سعيد ، وأبو الفضل بن أبي عمران الهروي . وألف أبو الحسن الدارقطني أيضاً وله في اختلاف الموطئات ، وألف غريب حديث مالك دعلج بن أحمد وابن الجارود وقاسم بن أصبغ ولأبي الحسن الدارقطني تأليف في الأحاديث التي خولف فيها مالك والبزاز تأليف في نحو هذا ، ومحمد بن المظفر الحافظ كتاب فيما وصله مالك مما ليس في الموطأ وألف مسند الموطأ رواية القعنبي أبو عمر بن خضر الطليطلي وابراهيم بن نصر السرقسطي ولأبي بكر بن أحمد ابن سعيد بن فرضخ الإخميمي مسند الموطأ أيضاً . وألف مسند حديث مالك أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبر وأسامة بن علي بن زيد المصري

وموسى بن هارون الحامل وأبو نعيم الجيلي القلانسي وللقاضي أبي بكر ابن السليم كتاب التوصيل مما ليس في الموطأ ، ولأبي الحسن بن أبي طالب العابر كتاب الموطأ ولأبي بكر بن ثابت الخطيب كتاب طرق الموطأ وصنع يحيي ابن يزيد عليه كتابه في شرحه وكتابه المسمى بالمستقصية في علله ، واقتصر محمد بن أبي زمنين شرحه في كتابه المسمى بالمغرب . ولابن مزّين أيضاً كتاب في رجاله ولابن وهب فيه شرح ، وكذلك لعيسى بن دينار ولعبدالله بن نافع الصائغ ولحرملة بن يحيي ولمحمد بن سحنون ولابن حبيب ولمسلم تأليف في شيوخ مالك وللبرقي كتاب في رجال الموطأ وكذلك لأبي عمر الطلمنكي وكذلك للقاضي أبي عبدالله بن الحذاء ولأبي عبدالله بن مفرّج كتاب في ذلك ، وللبرقي أيضاً شرح تغريبه ولأحمد بن عمران الأخفش كتاب في غريبه ولابن القاسم العثماني المصري شرح غريبه أيضاً ولأبي جعفر الدراوردي كتابه النامي في شرحه ، ولأبي مروان القنازعي كتابه المشهور في شرحه أيضاً . ولعبد الملك القنازعي البوني كتابه في شرحه[1] المشهور ايضاً . ولابن خوصا جمع الموطأ من رواية ابن وهب وابن القاسم . ورأيت بقَبرة جمعاً من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي وأبي مصعب ولأبي عمر بن عبد البر كتاباه الكبيران المشهوران في الكلام عليه وشرح معانيه كتاب التمهيد وكتاب الاستذكار ، وله كتاب التقصي في مسند حديثه ومرسله وكتاب في حديث مالك خارج الموطأ وللقاضي أبي الوليد الباجي كتابه المشهور أيضاً عليه المنتقى وكتا الإيماء وكتاب الاستيفاء . لكن هذا لم يتم . وهو كان أكبرها وأجمعها . وله كتاب اختلاف الموطئات وللقاضي أبي الوليد بن الصفار[2]

---

(١) ص — بدون ل .

(٢) ر — السفاري .

كتاب المرغب في شرحه المسمى بالحلي ولأبي بكر بن سائف المغلي كتابه في شرحه المسمى بالمسالك ولأبي محمد بن حزم الظاهري كتاب في شرحه أيضاً . ولابن أبي صفره فيه شرح . وكان شيخنا الفقيه أبو الوليد بن العواد ألف تأليفاً جمع فيه بين الاستذكار والتمهيد . توفى رحمه الله قبل تمامه . ولأبي محمد بن السيد البطاليسي النحوي كتاب في شرحه كبير سمّاه المقتبس. وتوجيه الموطأ لأبي عبدالله بن عيشون الطليطلي ولأبي سعيد عمران بن عبد ربه المعافري الاندلسي المعروف بالدبّاغ عمل في دلائل أبي محمد الأصيلي وتأليفه على أبواب الموطأ ، وقفت عليه . ولأبي القاسم بن الجدّ الكاتب كتاب في اختصار التمهيد لابن عبد البر في حديث الموطأ، وبعضهم ينسبه الى أبي عبدالله مالك بن وهب ، وللشيخ حازم بن محمد بن حازم كتابه المسمى بالسائر على آثار الموطأ في أربعين جزءاً . وفي الموطأ تفسير أيضاً لرجل قرطبي يعرف بأبي الحسن الاشبيلي ، ولرجل آخر يسمى بابن شراحيل ولأبي عمر الطلمنكي فيه تعبير لم يكمله . وكذلك القاضي أبي عبدالله بن الحذاء . وشرح مسند الموطأ للقاضي يونس بن مغيث وهو شرح الملخّص . وشرحه أيضاً أبو القاسم المهلب ابن أبي صفرة وأخوه أبو عبدالله . وصنع القاضي أبو بكر العربي كتاباً سماه القبس . ولأبي محمد بن يربوع المحدّث الشهير ممن نسيناه كتاب في الكلام على أسانيده سماه تاج الحلية وسراج البغية . وللشيخ عاصم النحوي كتاب في شرحه لم يكمله أيضاً . وشرح الملخّص أبو بكر بن موهب الغبري في أسفار كثيرة .

باب

في ذكر من روى الموطأ من الجلة[1] والأئمة المشاهير والثقات عن مالك رحمه الله تعالى

وروى عن أكثرهم في المشرق والمغرب منهم : عبد الرحمان بن القاسم وعبدالله بن وهب ، ومطرف بن عبد الله ، وأبو مصعب الزهري ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وعبد الله بن عبد الحكم ، ويحيى بن بكير ، ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، ومصعب بن عبدالله الزبيري وأخوه بكار ، ويحيي ابن يحيى النيسابوري ، ويحيى بن يحيى الاندلسي ، وشبطون بن عبد الله الاندلسي ، ومحمد بن طاوس الصنعاني ، وأبو قرة السكسكي ، ومحمد بن المبارك الصوري ، وعبد الله بن سلمة القعنبي ، وعبدالله بن يوسف التيسي ، وأبو حذافة السهمي بغدادي ، وأحمد بن منصور التامراني ، وقتيبة بن سعيد خرساني ، ومعمر بن عيسى مدني ، وعتيق بن يعقوب الزهري ، وأسد بن الفرات القروي واسحاق بن عيسى الطبّاع شامي ، وجرير المعني بغدادي ، وحفص بن عبدالسلام أندلسي ، وأخوه حسان ، وحبيب بن أبي حبيب كاتبه ، وخلف بن جرير بن فضالة قروي ، وخالد بن نزار الايلي ، والغازي بن قيس الاندلسي ، وقرعوس ابن العباس أندلسي ، ومحمد بن يحيى أندلسي ، ومحرز المدني ، وأراه بن هارون ابن عبدالله الهديري ، ويحيى بن مالك وأخته فاطمة ، ويحيى بن صالح الرّحّاضي شامي ، ويحيى بن مضر أندلسي ، وسعيد بن الحكم ، وابن أبي مريم مصري ، وسعيد بن كثير بن عفير مصري ، وسعيد بن أبي هند أندلسي ، وسعيد بن

---

(١) ر – الأجلة .

عبدوس أندلسي ، وسليمان بن برد مصري ، وعبد الأعلى بن مسهر الدمشقي ، وعبد الرحيم بن خالد المصري ، وسويد بن سعيد الحدثاني ، واسماعيل بن أبي أويس وأخوه أبو بكر ، وعلي بن زياد التونسي ، وعباس بن ناصح أندلسي ، وعيسى بن شجرة التونسي ، وأيوب بن صالح المزني ، وسكن الرملة . عبد الرحمان بن هند طليطلي أندلسى ، وعبد الرحمان بن عبيد الله أشبوني أندلسي ، وعبد الله بن جبار الدمشقي وسعيد بن داود بن سعيد بن أبي زبير مدني . قال القاضي رضي الله تعالى عنه فهؤلاء الذين حققنا أنهم رووا عنه الموطأ ونص على ذلك أصحاب الأثر والمتكلمون في الرجال وقد ذكروا أيضاً أن محمد بن عبدالله الأنصاري البصري أخذ الموطأ عنه كتابة واسماعيل ابن صالح أخذه عنه مناولة وأما أبو يوسف القاضي فرواه عن رجل عنه ، وذكروا ان الرشيد وبنوه الأمين المأمون والمؤتمن أخذوا عنه الموطأ وقد ذكر عن المهدي والهادي انهما سمعا منه ورويا عنه ، وأنه كتب الموطأ للمهدي ولا مرية إن رواة الموطأ من هؤلاء من جلة أصحابه ومشاهير رواته ولكن إنما ذكرنا من بلغنا نصاً سماعه له منه وأخذه له عنه ، أو من اتصل إسنادنا له فيه عنه ، والذي اشتهر من نسخ الموطأ مما رويته أو وقفت عليه أو كان في روايات شيوخنا رحمهم الله تعالى أو نقل منه أصحاب اختلاف الموطئات نحو عشرين نسخة وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة وبالله التوفيق .

باب

ذكر تآليفه[١] غير الموطأ

قال القاضي الإمام رضي الله تعالى عنه اعلموا وفقكم الله تعالى أن لمالك رحمه الله تعالى أوضاعاً شريفة مروية عنه ، أكثرها بأسانيد صحيحة في غير فن من العلم ، لكنه لم يشتهر عنه منها ولا واظب على إسماعه وروايته غير الموطأ حذفه منه وتلخيصه له شيئاً بعد شيء وسائر تآليفه ، إنما رواها عنه من كتب بها اليه أو سأله إياها أحد[٢] من أصحابه ولم تروها الكافة فمن أشهرها رسالته الى ابن وهب في القدر والرد على القدرية وهو من خيار الكتب في هذا الباب الدالة على سعة علمه بهذا الشأن رحمه الله وقد حدثنا بها غير واحد من شيوخنا بأسانيدهم المتصلة الى مالك رحمه الله تعالى ، منهم الفقيه أبو محمد بن عتاب حدثنا بها هو وغيره عن حاتم بن محمد عن أبي محمد ابن دنير الطليطلي ، عن أبي الفرج عبدالله بن عبد الوارث عن محمد بن أحمد ابن سعدون ، عن محمد بن سحنون ، عن عبدالعزيز بن يحيى القرشي ، عن ابن وهب وأخبرنا بها القاضي أبو علي الصدفي عن القاضي أبي الوليد الباجي عن أبي محمد بن الوليد عن أبي محمد بن أبي زيد عن سعدون بن أحمد الخولاني عن عبد الرحمان عن ابن وهب . وهذا سند صحيح مشهور الرجال وكلهم ثقات ومنها كتاب في النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر ، وهو كتاب جيد مفيد جداً قد اعتمد الناس عليه في هذا الباب وجعلوه أصلاً

---

(١) ص – تواليف .

(٢) ص – احاد .

وعليه اعتمد أبو محمد عبدالله بن مسرور الفقيه القروي في تأليفه في هذا الباب ، وصدر بفصوله وقد أدخل جميعها صاحب كتاب أقوال مالك أبو عبد الله المعيطي وأبو عمر بن المكوى في جامع كتابهما الكبير . قال سحنون سمعته من ابن نافع وهو مما انفرد بروايته (عن مالك)[١] عبد الله ابن نافع الصائغ . قال سحنون سمعته من ابن نافع وهو في رواتنا عنه من طرق غير واحد من شيوخنا عن أبي القاسم الطرابلسي عن ابن دنير عن أبيه عن عبد الرحمان عن بعض أصحابه عن محمد بن ميمون عن ابراهيم بن هلال ومطرف بن قيس عن سحنون عن عبد الله بن نافع الصائغ عن مالك وعن غير واحد ، عن أبي عبدالله بن عتاب عن أبي القاسم بن يحيى عن أبي جعفر تميم بن محمد عن أبيه عن عبد الجبار بن خالد وأحمد بن أبي سليمان عن سحنون قال أبو القاسم وحدثنا به أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خالد عن ابراهيم بن هلال عن سحنون ، وهذا أيضاً سند صحيح رواته كلهم ثقات ومن ذلك رسالة مالك في الأقضية كتب بها الى بعض القضاة ، عشرة أجزاء أخبرنا بها الفقيه ابو اسحاق بن جعفر عن ابن سهل عن حاتم بن محمد عن ابن دنير عن أبي جعفر بن رحمون عن سعيد بن شعبان عن محمد بن يوسف بن مطروح عن عبد الله بن عبد الجليل مؤدب مالك بن أنس ومن ذلك رسالته الى أبي غسان محمد بن مطرف في الفتوى وهي مشهورة يرويها عنه خالد بن نزار ومحمد بن مطرف وهو من كبار أهل المدينة قريناً لمالك يروي عن أبي حازم وزيد بن أسلم وروى عنه الثقات ووثقوه . وقد نقل أبو اسحاق بن شعبان أقوال مالك في هذه الرسالة منها في كتابه ومن ذلك رسالته الى هارون الرشيد المشهورة في الآداب والمواعظ حدث بها بالأندلس أولاً ابن حبيب

---

(١) ما بين القوسين ساقط من — ص .

عن رجاله عن مالك . وحدث بها آخراً أبو جعفر بن عون الله والقاضي أبو عبدالله بن مفرّج عن أحمد بن زيدويه الدمشقي ولم يرجع السند وحدثنا شيوخنا[١] بذلك عن أبي عمر الطلمنكي عنهما ولم يرجع سند هذه الرسالة من هذا الطريق وأما من غيره فقد أخبرنا به القاضي الشهير أبو علي وغير واحد من شيوخنا عن أبي الحسن بن الغيور البغدادي عن أبي الحسن العبيدي عن ابي عمر بن حيوه عن ابي عمر وعبيدالله بن عثمان العثماني عن أبيه عن عبدالله ابن نافع عن مالك . وأخبرنا بهذا أيضاً أبو محمد بن عتاب عن أبي عبد الله بن نبات عن ابن مفرج عن أبي جعفر محمود بن عبد الحميد الفرغاني عن عثمان ابن عبدالله بن سعيد بن المغيرة العثماني . قال حدثنا عبدالله بن نافع الزبيري قال هذا كتاب وضعه مالك بن أنس أدباً للناس ، قال أبو عبدالله بن عتاب هذا الاسناد وهم . ولا شك في سقوط رجل محدث منه ، وقد أنكرها بعض مشائخنا اسماعيل القاضي والأبهري وأبو محمد بن أبي زيد وقالوا إنها لا تصحّ وإن طريقها لمالك ضعيف وفيه أحاديث لا نعرفها . قال الأبهري فيها أحاديث منكرة تخالف أصوله ، قالوا وأشياء فيها لا تعرف من مذهب مالك ورأيه[٢] . وقد أنكرها أصبغ بن الفرج أيضاً ، وحلف ما هي من وضع مالك . ومن ذلك كتابه من التفسير لغريب القرآن الذي يرويه عنه خالد بن عبد الرحمان المخزومي أخبرنا به أبو جعفر أحمد بن سعيد عن أبي عبد الله بن محمد بن الحسن المقرىء عن محمد بن علي بن العلا المصيصي عن أبيه عن أبي الحسن علي بن أحمد الرزاز عن أبي بكر الجعدي عن أبي العباس محمد بن أحمد بن هانىء عن يحيى بن عتيك القروي عن خالد بن عبدالرحمان

---

(١) شيخنا في — ص .

(٢) ص — قال الأبهري : فيها أحاديث لو سمع مالك من يحدث بها أدّبه ، وأحاديث تخالف أصوله . من — ر .

المخزومي عن مالك وذكر الخطيب أبو بكر في تاريخه الكبير عن أبي العباس السراج النيسابوري أنه قال هذه سبعون ألف مسألة لمالك وأشار الى كتب منضدة عنده كتبها . قال القاضي المؤلف رضي الله تعالى عنه هي جواباته في أسمعة أصحابه التي عند العراقيين وقد نسب الى مالك أيضاً كتاب[١] يسمى كتاب السر من رواية ابن القاسم عنه حدثنا به بالإجازة أبو محمد بن عتاب عن أبي عمر بن الحذاء عن أبيه أبو عبدالله عن أبي القاسم الحسين بن عبدالله بن أحمد العثماني عن محمد بن عبدالعزيز بن الوزير بن ضافي الحراني يعرف بالجروي عن الحارث بن مسكين عن ابن القاسم عن مالك . وأما رسالته الى الليث في إجماع أهل المدينة فقد رويناها أيضاً وذكرناها أول الكتاب بنصها لأنها صغيرة واحتجنا الى ذكرها في موضعها والله ولي التوفيق بعزته .

باب

في أخبار مالك مع الملوك ووعظه إياهم وحسن مقامه عند الولاة وزيارته لهم وأخذه منهم جوائزهم

قال القاضي رضي الله تعالى عنه . سئل عيسى بن عمر المدني ، أكان مالك يغشى الأمراء؟ قال لا . إلا أن يبعثوا اليه فيأتيهم وقيل لمالك تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون؟ فقال : يرحمك الله وأين المتكلم بالحق؟ وقال مالك حق على كل مسلم أو رجل فعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه أن يدخل الى ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه حتى

---

(١) ص – كتب .

يتبين دخول العالم على غيره ، لأن العالم إنما يدخل على السلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر فاذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل . قال عتيق بن يعقوب : كان مالك اذا دخل على الوالي وعظه وحثه على مصالح المسلمين ، ولقد دخل يوماً على هارون الرشيد فحثه على مصالح المسلمين قال له لقد بلغني أن عمر بن الخطاب كان في فضله وقدمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القدور يخرج الدخان من لحيته وقد رضي الناس منكم بدون هذا . ودخل عليه مرة وبين[1] يديه شطرنج منصوب وهو ينظر فيه فوقف مالك ولم يجلس[2] وقال أحق هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال لا . قال : فما بعد الحق إلا الضلال فرفع هارون رجله وقال لا ينصب بين يدي بعد . وقال (لبعض الولاة)[3] يوماً افتقد أمور الرعية فانك مسؤول عنهم فان عمر بن الخطاب قال والذي نفسي بيده لو هلك حمل بشاطىء الفرات ضياعاً لظننت ان الله يسألني عنه يوم القيامة . وقال الحنيني سمعت مالكاً يحلف بالله ما دخلت على أحد منهم يعني السلاطين إلا أذهب الله هيبته من قلبي ، حتى أقول له الحق . قال خلف بن عمر قلت لمالك الناس يكثرون أنك تأتي الأمراء . فقال إن ذلك بالحمل من نفسي وذلك أنه ربما استشير من لا ينبغي . قال لي آخر لولا أني آتيهم ما رأيتَ للنبي ﷺ في هذه المدينة سنّة معمولاً بها . قال ابن وهب وابن عبد الحكم : قال مالك دخلت على أبي جعفر فرأيت غير واحد من بني هاشم يقبّل يده المرتين والثلاث فرزقني[4] الله العافية من ذلك فلم أفعل . وروى أنه كان جالساً مع أبي جعفر فعطس

---

(١) ص – بيده .
(٢) ص – يفعل .
(٣) ساقطة من – ص .
(٤) ر – رزقنا .

أبو جعفر فشمته مالك فلما خرج أنكر عليه الحاجب ذلك وتهدده إن عاد لتشميته فلما كان بعد ذلك جلس عنده فعطس أبو جعفر فنظر مالك للحاجب ثم قال للمنصور أي حكم تريد يا أمير المؤمنين أحكم الله أم حكم الشيطان ؟ قال لا بل حكم الله . قال يرحمك الله . قال يعيش بن هشام الخابوري : كنت عند مالك اذ أتاه رسول المأمون ويقال الرشيد وهو الصحيح ينهاه[1] ان يحدث بحديث معاوية في السفرجل . قال : ثم تلا مالك قول الله تعالى إنَّ الذينَ يَكتُمُونَ مَا أنزَلنَا .. الآية . ثم قال والله لأخبرنَّ بها في هذه الصرفة واندفع فقال : حدثنا نافع عن ابن عمر ، قال كنت عند رسول الله ﷺ فأهدي اليه سفرجل فأعطى أصحابه واحدة واحدة وأعطى معاوية ثلاث سفرجلات وقال القن بهن في الجنة . وقال رسول الله ﷺ السفرجل يذهب طحاء القلب . قال المؤلف رحمه الله تعالى لم يدرك مالك أيام المأمون توفى قبلها وذكر المأمون هنا وهم . قال الزبيري عن مالك لما دخلت على أبي جعفر وذكر قصته معه في حمل الناس على كتبه نحو القصة التي قدمها . قال كلمته في الناس وحضضته عليهم وجعل يسألني عن بني وعن ابني وعن أهلي فأخبره ، فقال لي أترى أني اعرف منزلك ولا أعرف أمر الناس ؟ ثم قال لي إن رابك ريب في عامل المدينة أو عامل مكة أو أحد من عمال الحجاز في ذاتك أو ذات غيرك أو سوء سيرة في الرعية فاكتب الي بذلك أنزل بهم ما يستحقون ، وقد كتبت الى عمالي بهذا أن يسمعوا منك ويطيعوا في كل ما تعهد اليهم فانههم عن المنكر وأمرهم بالمعروف تؤجر على ذلك وأنت حقيق أن تطاع ويسمع منك ثم خرجت فتبعتني صلته ذكر أنها كانت خمسة آلاف وكسوة حسنة ولابنه محمد الف . قال فلما لحقه

---

(١) ص – فنهاه .

الخصي جعلها على منكبه وكذلك كانوا يفعلون يخرج بها على الناس فانحنى مالك عنها كراهية لذلك فناداه أبو جعفر بلّغها الى رجل أبي عبدالله . ولما قدم المهدي الى المدينة جاءه الناس مسلمين عليه فلما أخذوا مجالسهم استأذن مالك فقال الناس اليوم يجلس مالك آخر الناس فلما دنى ونظر الى ازدحام الناس ، قال يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك ؟ فناداه عندي يا أبا عبدالله . فتخطى الناس حتى وصل اليه ، فرفع المهدي ركبته اليمنى وأجلسه ثم أتى المهدي بالطست والإبريق فغسل يده ثم قال للغلام قدمه الى أبي عبدالله فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ليس من الأمر المعمول به ارفع يا غلام فأكل معه غير متوضىء فذكر قصته معه في الموطأ وروى ان مالكاً دخل على عبد الملك بن صالح أمير المدينة فجلس ساعة ثم دعا بالطعام والوضوء فقال ابتدىء أولاً بأبي عبدالله . فقال له مالك إن أبا عبدالله يعني نفسه لا يغسل يده . فقال لم ؟ قال ليس هذا هو الذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا إنما هو من زي الأعاجم وقد نهى عمر عن أمر الأعاجم وكان عمر اذا أكل مسح يده بباطن قدمه . فقال له عبد الملك أأترك يا أبا عبد الله ؟ فقال اي والله . فما عاد الى ذلك عبد الملك بن صالح . قال مالك ولا آمر الرجل ان لا يغسل يده ولكنه اذا جعل ذلك كأنه واجب عليه فلا . أميتوا سنّة الأعاجم واحيوا سنن العرب . أما سمعت قول عمر تمعددوا واخشوشنوا وامشوا حفاة وإياكم وزي العجم . قال حسين بن عروة ولما قدم المهدي المدينة بعث الى مالك بألفي دينار او بثلاثة آلاف دينار مع الربيع فلما خرج من عنده قال يا جارية لا تمسي هذا المال فاني (قد)[١] تفرست حين نظرت وجه الربيع ورأيت فيه أمراً منكراً، ولهذا المال سبب

---

(١) ساقطة من — ص .

فلما حج المهدي وقدم المدينة أتاه الربيع بعد ذلك فقال له أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويحب ان تعادله الى مدينة السلام . فقال مالك اقرىء امير المؤمنين السلام وقل له : قال رسول الله ﷺ والمَدينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُون . والمال عندي على حاله اخرجيه يا جارية . اخرجيه . فأبى الربيع ان يقبله فلم يزل به مالك حتى اخذه فأتى الربيع المهدي فغمّه رد المال. فلما كان وقت رحلته شيعه الناس فوصلهم ووجّه الى مالك فودعه ولم يأمر له بشيء فلما اتى منزله وجّه له ستة آلاف دينار . فالتفت الى من كان حاضراً وقال من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً مما ترك . وقال مالك لبعض ولاة المدينة : لم لا تخضب كما يخضب أصحابك ؟ فقال مالك لم يبق عليها من العدل إلا ان اخضب ؟ وأثني على والي المدينة بحضرته عند مالك فغضب مالك . ثم التفت اليه وقال إياك ان يغرّك هؤلاء بثنائهم عليك ، فان من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك فاتّق الله في التزكية منك لنفسك وترضى بها من يقولها لك في وجهك فانك أنت أعرف بنفسك منهم . فانه بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ قطعتم ظهره أو عنقه لو سمعها ما أفلح . وقال النبي ﷺ احثوا التراب في وجوه المداحين وناظر ابو جعفر المنصور مالكاً في مسجد النبي ﷺ فرفع أبو جعفر صوته ، فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ان الله تعالى أدّب قوماً فقال : لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبي ﷺ .. الآية ومدح قوماً فقال إنَّ الَّذينَ يَغُضُّونَ أَصواتَهُمْ.. الآية ، وذم قوماً فقال : إنَّ الَّذينَ يُنَادُونَكَ.. الآية وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً . فاستكان أبو جعفر وقال له ابو جعفر أدعو مستقبلاً القبلة ام مستقبلاً رسول الله ﷺ . فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله تعالى

يوم القيامة بل استقبله واستشفع به الى ربك[١] يشفعك قال الله تعالى : وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ..[٢] الآية . قال أسامة بن زيد : لما قدم ابو جعفر دخلنا مسلمين عليه وأخذنا مجالسنا فبينا نحن كذلك إذ دخل مالك فقال له ابو جعفر الى ها هنا يا أبا عبدالله . ولو تركتم قول علي وابن عباس، واخذتم بقول ابن عمر ، قال لأنه آخر من مات من اصحاب رسول الله ﷺ . فقال المنصور والله يا أبا عبدالله[٣] ما بقي على الأرض أعلم مني ومنك . خذ بقول ابن عمر ودعني مما سواه . قال مصعب لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال ، فلما أبصر بمالك انحرف المهدي اليه فعانقه وسلم عليه وسايره . فالتفت مالك الى المهدي فقال : يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم اولاد المهاجرين والأنصار فسلم عليهم فان ما على وجه الارض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة . فقال له ومن اين قلت ذلك يا أبا عبدالله ؟ قال لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الارض غير قبر محمد ﷺ ، ومن قبر محمد عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم . ففعل المهدي ما أمره به مالك . فلما دخل المدينة ونزل وجه ببغلة الى مالك ليركبها ويأتيه فرد البغلة وقال إني لأستحي من الله أن أركب في مدينة ، فيها جثة رسول الله ﷺ وأتاه ماشياً . وكانت به علة فاتكأ على المغيرة المخزومي وعلى ابن حسن العلوي وعلى ابن أبي علي اللهلي[٤] وهؤلاء علماء المدينة وأشرافها . فلما بصر به المهدي قال يا سبحان الله ترك ركوب البغلة إجلالاً لرسول الله ﷺ

---

(١) ر – واستشفع به ربه تشفعك .
(٢) النساء – ٦٣ .
(٣) ر – يا أبا عبدالله والله ما بقي .
(٤) غير واضحة في – ر – وص – وع .

فقيض الله تعالى له هؤلاء فاتكأ عليهم ، والله لو دعوتهم أنا الى هذا ما أجابوني . فقال المغيرة يا أمير المؤمنين نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا . واستسقى مالك عند المهدي فأتي بقدح زجاج في أذنه حلقة فضة فأبى أن يشرب فأتي بكوز فخار فشرب فأمر المهدي بالحلقة فقلعت. قال معن دخل ابراهيم بن يحيى العباسي أمير المدينة يوماً على مالك ومالك حدث عهد بعلة فثبت مالك في مجلسه لم يقم له ولم يوسع ، فجلس ابراهيم على أقل فراش مالك ، ومالك لا يتزحزح فحادثه ساعة ثم قال له : ما تقول يا أباعبدالله في محرم قتل قملة ؟ قال لا يقتلها . قال فانه قتلها فما فديتها ؟ قال مالك لا يفعل . قال فعل . قال لا يفعل . قال أقول لك قد فعل فتقول لي لا يفعل . قال نعم . فقام ابراهيم مغضباً وسكت مالك ساعة ثم قال : إنما يريدون أن يعبثوا بالدين ، إنما الفدية على من قتلها غير عامد لقتلها . وهذا يريد ان لا يبقى في عسكره قملة على احد من حشمه . قال معن وسأل ابراهيم هذا مالكاً لأن يكتب له كتاباً فكتب له ، ثم دخل عليه مالك يوماً فقال له ابراهيم احب أن تكتب لي كتاباً مكان ذلك الكتاب فقد ضاع . فقال مالك لم يضع أصلحك الله قال بلى ، وحقك لقد ضاع ، فعجّل علي كتاباً مثله . قال ما أنا بفاعل . قال له لم ؟ قال لأنه لا يضيع كتاب مثلك . مُرْ به يطلب تجده إن شاء الله . ثم عاد اليه بعد فقال علمت يا أباعبدالله أنا طلبنا الكتاب فوجدناه . فقال الحمد لله أصبت حين[١] طلبته . قال عتيق بن يعقوب خرجنا مع مالك الى المصلّى يوم عيد ومالك يمشي ، وخرج عبد الملك بن صالح أمير المدينة في سلاح وتعبيه ورايات وأعلام فنظر اليهم مالك فقال إنا لله وإنا اليه راجعون

---

(١) ص – عين .

ما هكذا كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون . فبلغ ذلك عبدالملك فأتاه في المصلى . فقال يا أبا عبدالله ما الذي أنكرت ؟ قال ما رأيت معك . إنما أتى الناس الصلاة خاشعين يرجون المغفرة ولقد أخبرني يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ دخل عام الفتح مكة في عشرة آلاف أو اثني عشر الفاً وكان راكباً وحط راحلته وتحته قطيفة قيمتها أربعة دراهم منكس الرأس وهو يقول الملك لله الواحد القهار . وكان يأتي المصلى للعيدين والاستسقاء متوكئاً على عصا أو قوس منكساً رأسه خاشعاً . قال عتيق بن يعقوب دخل مالك يوماً على عبد الملك بن صالح وقد غضب على بعض أهل المدينة حتى بلغ ذلك منه . فقال له مالك قال كعب لعمر في التوراة مكتوب ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء . فقال عمر : إلا من حاسب نفسه . فقال كعب ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه . ووعظ المنصور في افتقاد أحوال الرعية فقال أليس اذا بكت ابنتك من الجوع جعلت الخادم تحرك الرحى لئلا يسمعها الجيران ؟ فقال مالك والله ما علم بهذا إلا الله . فقال له فعلمت هذا ولا أعلم حال الرعية ؟ قال بعضهم لما قدم الرشيد المدينة وقال آخر : بعض الخلفاء أراد أن ينقض منبر النبي ﷺ فقال لمالك ما ترى ؟ فقال ما أرى . فغضب وقال : لقد زاد فيه معاوية . فقال مالك إن المنبر إذ ذاك كان صلباً فلست آمن إن نقضته أن تذهب البركة منه . وفي رواية ان يتهافت فيتشاءم الناس منك ، ويقولون زال على يده أثر من آثار رسول الله ﷺ . فقال أحسن الله جزاءك . فترك ما كان نواه . قال وشاور المهدي مالكاً في ثلاثة أشياء في الكعبة ان ينقضها ويردها على ما كانت عليه فأشار عليه ان لا يفعل ، وفي المنبر ان ينقضه ويرده على ما كان عليه وذلك حين أراد ان يرد المنابر كلها صغاراً على منبر النبي ﷺ ، فقال له مالك إنما هو من طرفاء وقد سُمِّر الى هذه العيدان يعني التي زادها معاوية،

وأخشى إن نقضته أن يخرب وينكسر ولولا ذلك لرأيت أن ترده الى حالته الأولى ، وشاوره في نافع بن أبي نعيم القارىء أن يقدمه للصلاة فأشار عليه أن لا يفعل . وقال : هو إمام أخاف أن يكون منه شيء من الغفلة فيحكى عنه . قال ابن عبد الحكم : استأذن المهدي على مالك فحبسه ساعة ثم أذن له ، فلما دخل قال يا أمير المؤمنين إن العيال سمعوا بمجيئك فأحبوا ان يصلحوا من منزلهم . قال سعيد بن ابي زنبر : كتب مالك رحمه الله الى بعض الخلفاء كتاباً يعظه فيه : أما بعد فاني كتبت اليك كتاباً لم آل فيه رشداً ولم أدخر فيه نصحاً . تحميد الله وأدب رسول الله ﷺ فتدبر ذلك بعقلك ورد فيه بصرك وأوعه سمعك واعقله بعقلك واحضره فهمك ولا تغيّبنّ عنه ذهنك ، فان فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة . ذكّر نفسك غمرات الموت وما هو نازل بك منه وما انت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله تعالى ثم الحساب ثم الخلود بعد الحساب إما الى الجنة وإما الى النار وأعدّ له ما تسهّل به عليك اهوال تلك المشاهد وكربها ، فانك لو رأيت اهل سخط الله وما صاروا اليه من انواع العذاب وشدة نقمة الله وسمعت زفيرهم في النار وتنهيقهم مع كلوح وجوههم وطول غمّتهم وتقلّبهم في أدراكها على وجوههم لا يسمعون ولا يبصرون يدعون بالثبور وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى بوجهه وانقطاع رجائهم من روحه وإجابته إياهم بعد طول الغم أن اخسئوا فيها ولا تكلمون لم يتعاظمك شيء من الدنيا اردت به النجاة من ذلك ولا آمنك من هوله ولو قدمت في طلب النجاة جميع ما لأهل الدنيا كان ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله وما صاروا اليه من كرامة الله ومنزلتهم مع قربهم من الله تعالى ونضرة وجوههم ونور ألوانهم وسرورهم بالنظر اليه والمكانة منه ، والجاه عنده مع قربه منهم لتقلّل في عينك عظيم ما طلبت به الدنيا، فاحذر

على نفسك حذراً غير تقرير وبادر الى نفسك قبل ان تسبق اليها وما تخاف الحسرة فيه عند نزول الموت وخاصم نفسك لله تعالى على مهل وأنت تقدر باذن الله تعالى على جر المنفعة ، وصرف الحجة [١] عنها قبل ان يوليك الله حسابها ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها ولا جر المنفعة اليها . اجعل الله من نفسك نصيبها بالليل والنهار ، إن عمرك ينقص مع ساعات الليل . وأنت قائم على الارض وهو يساربك ، فكلما مضت ساعة من أجلك ، والحفظة لا يغفلون عن الدق والجل من عملك حتى تملأ صحيفتك التي كتب الله عليك فعليك بخلاص نفسك ان كنت لها محباً ، فاحذر وما قد حذرك الله منه تعالى فانه يقول : ويحذركم الله نفسه ، ولا تحقر الذنب الصغير مع ما علمت من قول الله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . وقال : ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وحافظ على فرائض الله واجتنب سخط الله واحذر دعوة المظلوم واتّق يوماً ترجع فيه الى الله والسلام . وقال ابن نافع الصائغ كتب مالك الى بعض الخلفاء كتاباً فيه : إعلم ان الله تعالى قد خصك من موعظتي إياك بما نصحتك به قديماً وأتيت لك فيه ما ارجو ان يكون الله تعالى جعله لك سعادة وأمراً جعل به سبيلك الى الجنة فلتكن رحمنا الله وإياك فيما كتبت اليك مع القيام بأمر الله وما استدعاك الله في رعيته فانك المسؤول عنهم صغيرهم وكبيرهم وقد قال النبي ﷺ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، وروي في بعض الحديث أنه يؤتى بالوالي ويده مغلولة الى عنقه فلا يفك عنه إلا العدل ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول والله إن هلكت سخلة بشط الفرات ضياعاً لكنت أرى الله تعالى سائلاً عنها عمر . وحج

(١) ص – المحجة .

عشرة سنين وبلغني أنه كان ما ينفق في حَجّة إلا اثني عشر ديناراً . وكان ينزل في ظل الشجرة ويحمل على عنقه الدرة ويدور في الاسواق يسأل عن احوال من حضره وغاب عنه . وبلغني انه وقت أُصيب حضر اصحاب النبي ﷺ فأثنوا عليه ، فقال المغرور من غررتموه ، لو أن ما على وجه الارض ذهبا لا افتديت به من أهوال المطلع . فعمر رحمه الله تعالى كان مسدداً موفقاً مع ما قد شهد له النبي ﷺ بالجنة ، ثم مع هذا خائف لما تقلد من أمور المسلمين فكيف من قد علمت . فعليك بما يقربك الى الله وينجيك منه غداً ، او احذر يوماً لا ينجيك فيه إلا عملك . ويكون لك أسوة بما قد مضى من سلفك وعليك بتقوى الله فقدمه حيث هممت وتطلع فيما كتبت به اليك في أوقاتك كلها وخذ بنفسك فتعاهدها والأخذ به والتأديب عليه واسأل الله تعالى التوفيق والرشاد إن شاء الله تعالى . قال عبدالله بن مسلم الخياط لما قدم الرشيد لبست ثياباً وغدوت على مالك وقلت يتوكأ علي فأصيب بسببه من أمير المؤمنين مالاً . فغدا مالك متوكئاً علي يرافقه يحيى . فأجاز مالكاً بأربعة آلاف دينار وأجاز ابنه بخمسمائة دينار وجاءته من الرشيد صلة ، وقال له رجل خراساني ما تقول يا أبا عبد الله في رجل يقوم عليه ديناً اعطى بعضاً وترك بعضاً أله ان يأخذ منه ؟ فقال مالك اذا كان الرجل يغني عن المسلمين ما لا يغنيه المسلمون عن نفسه أخذ منه ، ولقد كنت أنظر البارحة في قصة المحبين الى ان طلع الفجر . وقال الحارث عن ابن القاسم كان مالك يقول أما الخلفاء فلا شك يعني انه لا بأس به ، وأما من دونه فان فيه شيئاً . وقال ابن ابي زنبر أجازه هارون بثلاثة آلاف فقال له رجل من الزهاد يا اباعبدالله ثلاثة آلاف تأخذها من امير المؤمنين كأنه يستكثرها . فقال مالك : اذا كان مقدار ما لو كان إمام عدل . فأنصف اهل المروءة اصابه شبيه لذلك لم أرَ به بأساً وإنما اكره الكثير

الذي لا شبيه ان يستحقه صاحبه . وسأله غير واحد عن جائزة السلطان فقال لا تأخذها فقال انت تقبلها فقال أتريد ان تبوء بإثمي وإثمك . وقال لآخر أجئت تبكّتني بذنوبي[١] . وقال محمد بن سلمة دخل مالك على المهدي فقال له اوصني . فقال اوصيك بتقوى الله وحده والعطف على اهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه فانه بلغنا ان رسول الله ﷺ قال المدينة مهاجري وبها قبري وبها بعثتي وأهلها جيراني وحقيق على أمتي حفظي في جيراني فمن أحفظهم كنت له شهيداً او شفيعاً يوم القيامة ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال . فأخرج المهدي عطاءاً كثيراً وطاف بنفسه على دور المدينة فلما أراد الخروج دخل عليه مالك فقال له يا مالك أما أني محتفظ بوصيتك التي حدثتني بها ولئن سلمت لا غفلت عنهم . وقال ابو مصعب قال لي مالك دخلت على المهدي فذكر له ان النبي ﷺ قال أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنقي الناس كما ينقي الكير خبث الحديد . فأخذ المهدي زعبرة[٢] من فراشه وقال والله لا واسيتهم ولو بهذه . قال مالك ثم دخلت على هارون فسألني عن اهل المدينة فحدثته بأحاديث المهدي فقال لي : ما قال المهدي ؟ فأعلمته بما كان فقال انا ابن أبي قال هارون الزهري سمعت مالكاً يقول : لما قدم هارون كنت ممن لقيته فقلت يا أمير المؤمنين ان لأهل المدينة حقاً فاستوص بهم خيراً . فقال وما حقهم ؟ فقلت هل تعلم أنه يعرف على وجه الأرض قبر نبي غير نبيك محمد ﷺ ؟ قال لا . قلت فلو ان أهل المدينة خرجوا عنها وجب عليك أن تجيء بمن يسكنها ويجاور قبره ، وتجري عليه الرزق ؟ فقال لي لو لم أملك

(١) في – ص – بذنبي .
(٢) ليست واضحة بالنسخ .

من الدنيا إلا ردائي هذا لواسيتهم به . قال مصعب وابن زنبر استفتى والي المدينة مالكاً في مسألة فأبى ان يجيبه وقال كيف أجيبك وقد وليت على المسلمين خيثم بن عراك ؟ فعزله وأفتاه . قال يحيى بن بكير جئت الرشيد في يمين فجمع العلماء فأجمعوا ان عليه عتق رقبة ، وسأل مالكاً فقال صيام ثلاثة أيام . فقال لم أأنا معدم ؟ وقال الله فَمَنْ لَمْ يَجِدْ . فأقمتني مقام المعدم . قال نعم يا أمير المؤمنين كل ما في يديك ليس لك فعليك صيام ثلاثة أيام . قال عبد الرزاق دخل مالك على أبي جعفر ، فقال من بالباب من أصحاب نافع ؟ فقال مالك وعبيد الله بن عمر وابن أبي ذئب[1] . قال أوليس يزن بذلك الرأي؟ يعني القدر . قال يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي أسمعناها منك إن كنا لنزنك بها . قال المفضل بن محمد بن حرب دخل مالك والقاضي ابن عمران في أشراف المدينة على المنصور فكان كل من أراد الانصراف ألقى ابو جعفر كمه فقبّله فقال بعضهم لأقتدينّ اليوم بهذا الشيخ يعني مالكاً فان قبّل الكم قبّلت وإن لم يفعل لم أفعل . فقام مالك وانصرف ولم يقبّل وأردت ذلك فلم تقلني ركبتاي حتى قبّلت . قال معن أفتى مالك عند والي المدينة بقتل رجل فأمر الوالي بضرب وسطه . فتهيأ مالك للقيام وقال لا أقعد بمكان يمثل فيه بأحد . قال الله تعالى (فَضَرْبُ الرِّقاب) قال الوالي اقعد أباعبدالله لا تضرب وسطه أضربوا عنقه .

(١) ص – ذؤيب .

باب

من أخبار مالك رحمه الله تعالى مع العلماء ومناظرته معهم[١]

قال القاضي رضي الله تعالى عنه : قال عبد العزيز بن يحيى لما قدم أمير المؤمنين المدينة ومعه ابو يوسف والبرمكي وكان قاضياً ، لمالك (كذا) يحب خطه ووقعه . فقال يحيى : يا امير المؤمنين إن مالكاً حمل الناس على رأيه ورأى الاستخفاف برأي اهل العراق ، فلو جمعت بينه وبين أبي يوسف فان كان الحق بيده ، عرفت ذلك وإن كان الحق بيد غيره عرفت ذلك . فوجه أمير المؤمنين اليه يقرؤه السلام ويأمره بالمشي اليه . فكتب اليه مالك إن كان أمير المؤمنين اراد ان يسألني عما أشكل عليه فأرى ان يكتب الي بذلك ليأتيه فيه الجواب فاني ضعيف البدن لا تحملني رجلاي . فقال له يحيى يسمع الناس أنك وجهت الى مالك فلم يأتك فاكتب اليه بعزيمة . ففعل . فجاء مالك فدخل عليه متوكئاً على ثلاثة نفر من اصحابه ، المغيرة المخزومي وعبدالرحمان بن عبدالله العمري وسعيد بن سليمان المساحقي العامري . فلما جلسوا وكان هؤلاء الثلاثة يومئذ أشراف المدينة والمنظور اليهم فجاء أبو يوسف حتى جلس مستقبل مالك . فقال يا امير المؤمنين أتأذن لي في مناظرة ابي عبدالله ؟ فقال : ناظره . فقال ابو يوسف : إن أبا عبد الله يقول لو أن رجلاً أخذ لوزة فحلف بالطلاق ان فيها توأماً[٢] ثم كسرها كسراً عنيفاً فلم يعرف ما فيها لكان حانثاً . فقال المساحقي أتأذن لي يا أمير

(١) ص – لهم .
(٢) ر – تؤماً .

المؤمنين في الكلام فلصقت بمالك فقلت له إن هذا يعنتك فلا تجبه وأمير المؤمنين لا يكره ذلك ، فلما انصرفنا عاد ابو يوسف فلم يجبه مالك وقال إنما حسبته مسترشداً وأظنه إنما يسأل معنتاً فلا أجيبه . قال بعضهم سأل أبو يوسف الرشيد ان يأمر مالكاً يناظره فقال ناظره يا أباعبدالله . فقال مالك إن العلم ليس كالتحرّش بين البهائم والديكة . فلم يعف هارون عنه وجعل يقول ناظره . ومالك ساكت . فقال عبد الملك بن الماجشون إن شيخنا يا أمير المؤمنين قد جل عن المناظرة والكلام ونحن تلاميذه نقوم مقامه فنحن نناظره ونتكلم عنه فان رأى خطأ لم يسكت عليه . فقال هارون : ذاك . فلما تناظرا ذكر أبو يوسف صداق المرأة وقال لها ان تصنع به ما شاءت (إن شاءت)[1] رمت به وجاءته في قميص وإن شاءت جعلته في خيط الدوامة . فقال مالك لو أن أمير المؤمنين خطب امرأة من اهله وأصدقها مائة الف درهم فجاءته في قميص لم يحكم لها بذلك . ولكن يأمرها ان تتجهز وتتهيأ له بما يشبهه مما يتجهز به النساء فقال هارون أصبت قال وأخذ الحديث الى ان قال ابو يوسف أجرى النبي ﷺ الخيل في الغابة ؟ فقال لا يا امير المؤمنين إنما هي الغابة . وهي وراءك . قال ابو محمد الزهري وقال أبو يوسف لمالك ما تقول في رجل بعث مع رجل ديناراً وبعث معه آخر دينارين فخلّطها ، ثم سقط له منها دينار . فقال مالك : أما واحد فلصاحب الاثنين لا شك فيه وواحد فيه شك فيتشاطرانه . قال عبد الملك ابن الماجشون سأل رجل من اهل العراق مالكاً عن صدقة الحبس . فقال اذا حيزت مضت . فقال العراقي : إن شريحاً قال : (لا حبس عن كتاب

---

(١) زيادة من — ر .

الله . فضحك مالك وكان قليل الضحك ثم قال : رحم الله شريحاً ، لم يدر)[١] ما صنع أصحاب رسول الله ﷺ هنا . وقال سعيد بن داود بن ابي زنبر : دخل هارون المدينة ومعه أبو يوسف فأتى اليه مالك ، فسلم عليه وأبو يوسف عن يسار الرشيد وأبناؤه الأمين والمأمون تجاهه ، فلما دخل مالك غمز ابنيه فقال قوما بين يدي عمكما ، حتى يخرج . يعني مالكاً . قال أبو يوسف : فدخل وكان على مالك ثياب عتيقة سود ، فوالله ما رأيت قط أحسن منه فيها . فتزحزح هارون له حتى أجلسه معه على المنصة فكأن أبا يوسف حسده فقال له ما تقول يا أبا عبد الله في محرم كسر ثنية ظبي ؟ فقال مالك عليه الفدية . فضحك أبو يوسف وقال : وهل للظبي ثنايا ؟ فرفع مالك رأسه الى هارون وقال له يا سبحان الله ما علمت ان احداً يذكر العلم فيضحك . فلا وقّر العلم ولا مجلس أمير المؤمنين وإنما أجبته إن كان الظبي في حالة يكون له سنّ في موضع الثنايا ، ففعله محرم فعليه الفدية وإلا فقد علمت منه ما علم ، وليس هذا ينبغي للناس ان يعلموه ولا هو واجب عليهم . ولكن ما تقول في إمام عرفة اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة . هل عليه ان يجهر بالقراءة فان هذا واجب على المسلمين ان يعلموه . فقال ابو يوسف يجهر بها . فقال مالك أخطأت والله ما يذهب هذا على صبيان مكة وسودانهم دون غيرهم ، الجمعة اذا وافقت عرفة لا يجهر فيها يتوارثها الابناء عن الآباء من لدن رسول الله ﷺ الى زماننا هذا . ثم التفت الى هارون وقال يا أمير المؤمنين سفيه سأل عن مسائل لسفهاء ، توليه على أمور المسلمين ، وقام فلما كان وقت الرواح عاد اليه وهو متكىء على المغيرة والمساحقي فسلم عليه فالتفت ابو يوسف الى هارون فقال يا امير المؤمنين ابو عبدالله لا يحدث عن

---

(١) ما بين القوسين ساقط من – ر .

آباء أمير المؤمنين العباس وعبدالله وعلي ، وإنما يحدث عن معاوية ومروان[١] وابنه ، قد جعل أحاديثهم سنناً . قال ، ومالك ساكت . فقال المغيرة يأذن لي أمير المؤمنين في الكلام ؟ قال تكلم . قال إن أبا عبدالله يحدث عن آباء أمير المؤمنين العباس وابنه وعن بني أعمامه علي واولاده وعن أعطاف أمير المؤمنين معاوية ومروان وابنه ولا يحدث عن فلان الفلاني ولا (يحدث)[٢] عن فلان القتّات ولا فلان صاحب الشعر وهؤلاء معروفون لا شك فيهم . يعني الذين روى مالك عنهم . فنكّس أبو يوسف رأسه وسكت . فقام مالك ، فقال يا أمير المؤمنين قد حضرتني العلة التي ذكرتها لتسعفني . وأما أبو يوسف فرجل بطال ومن علم ان الزمان يفنى والموت يأتي يكون عمله بخلاف عمل يعقوب . قال سعيد بن أبي مريم ومصعب بن عبد الله : قدم هارون المدينة ومعه أبو يوسف فدخل عليه مالك فرفعه فوق أبي يوسف . وقال مصعب : فقال مالك أين يجلس الشيخ فقال هارون حيث شاء فجلس فوق أبي يوسف . فقال له : يا يعقوب ناظر أبا عبدالله . فقال أبو يوسف ما تقول في رجل قال لامرأته أنت طالق ملء سكرجة فأطرق مالك ساعة ثم رفع رأسه ، فقال له هارون : أجبه يا أبا عبدالله . فقال مالك : نظرت مسألة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وقول الصحابة والتابعين فلم أجد أصل مسألته فيها ، ولا خير في علم لا يكون فيما ذكرته . فالتفت هارون الى أبي يوسف وقال له يا يعقوب إن أبا عبدالله اجتث مسائلك[٣] من أصلها . قال مصعب ، فقال : يا أمير المؤمنين ليس عنده في ذلك شيء . ولو كان لأجاب ، وضحك . فالتفت اليه مالك وقال : ساء ما أدّبك أهلك أتضحك

---

(١) الواو ساقطة من – ص .

(٢) زائدة في – ر .

(٣) ص – مسألتك .

في مجلس أمير المؤمنين ؟ فخجل أبو يوسف ثم سأل أمير المؤمنين مالكاً عن مسائل فأجابه فيها فسرّ بذلك . وكان في المجلس رجل يقال له سندل فقال إن أبا عبدالله مرة يخطىء ومرة لا يصيب . فقال مالك كذا الناس . فلما فكر في قوله غضب غضباً شديداً ثم قال يا أمير المؤمنين . قال الله : أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله .. الآية . وما ظننت أن أحداً من المسلمين يذكر الله ورسوله فلا يمرض قلبه خوفاً لهما . قال الله وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ .. الآية . فلا عرفتم حق عظمة الله ولا عرفتم قدر رسوله ولا عرفتم حق مجلس أمير المؤمنين ثم قام مغضباً يقول : بليتم وبلي بكم أهل الاسلام وخرج . فصعب ذلك على هارون وقال لأبي يوسف قم والحق الشيخ وارضه وخرج فوجد مالكاً قد جلس في حانوت صديق له سراج يستريح فيه وأبو يوسف على فرس فحل بين يديه ، وقال كيف تراني يا أبا عبدالله فنظر اليه وقال مثل قيصر في قومه . فخجل ومضى . قال أبو مصعب قال أبو يوسف تؤذّنون بالترجيع وليس عندكم عن النبي ﷺ فيه حديث . فالتفت مالك اليه وقال يا سبحان الله ما رأيت أمراً أعجب من هذا ينادى على رؤوس الإشهاد في كل يوم خمس مرات يتوارثه الأبناء عن الآباء من لدُن رسول الله ﷺ الى زماننا هذا، أيحتاج[1] فيه الى فلان عن فلان . هذا أصح عندنا من الحديث . وسأله عن الصاع فقال خمسة أرطال وثلث فقال ومن أين قلتم ذلك ؟ فقال مالك لبعض أصحابه : أحضروا ما عندكم من الصاع فأتى أهل المدينة أو عامتهم ، من المهاجرين والأنصار وتحت كل واحد منهم صاع . فقال : هذا صاع ورثته عن أبي عن جدي صاحب رسول الله ﷺ . فقال مالك هذا الخبر الشائع عندنا أثبت من الحديث .

---

(١) ص – يحتاج بدون استفهام .

فرجع أبو يوسف الى قوله . قال معن : دخل مالك على هارون وعنده أبو يوسف فلم يزل هارون يدنيه حتى أخذ بيده وأجلسه الى جنبه ، وجعل يسأله يا أباعبدالله يا أباعبدالله . فقال له أبو يوسف كيف أنت يا أباعبدالله ؟ فأعرض عنه فقال له هارون هـذا قاضينا . فأعرض عنه . وسأله أبو يوسف عن مسألة فلم يجبه . فقال له هارون أجبه . فقال مالك وهو معرض عنه إذا رأيتنا جلسنا الى[1] أهل الباطل فتعالى حتى اجيبك . قال ابن حنبل : سأل أبو يوسف مالكاً عن مسألة عند هارون ، فقال أبو يوسف لهارون قل له يجيبني . فقال ساء ما أدّبك أهلك . ودخل محمد بن عجلان على مالك وكانت فيه حدة . فقال له وهو قائم : أرأيت الذي يفتي الناس فيه أن محرم رسول الله ﷺ من ذي الحليفة ؟ فقال له مالك : إن جلست فاستمعت كلمتك . فجلس . فقال له مالك : أرأيت إن كان ما قلت أن محرم رسول الله ﷺ من البيداء ، أليس يأتي على ذلك ويدخل فيه ما أقول ؟ قال بلى . فقلت أفرأيت ما أقول إن محرمه ﷺ من المسجد أليس يخرج من ذلك من عمل بما تقول ، وقد اختلف في ذلك ؟ فالحيطة في مسجد ذي الحليفة والحديث فيه أقوى ، وقد قال ابن عمر بيداؤكم هذه التي تكذبون فيها على رسول الله ﷺ ، وكان ابن عمر من الاسلام مكانه ، وقد صحب رسول الله ﷺ وأكثر الرواية عنه وكان معه في صحبته يدوّن أفعاله ليفعلها ويستقريها حتى ان كان ليخرج الى الحج والعمرة فيتحرى في بعض المواضع التي عرف مواطىء أخفاف راحلة النبي ﷺ ، وعاش بعده ثلاثاً وستين سنة ، ويرى ما فعل أصحاب رسول الله ﷺ . فلم يزل يكلمه حتى تبين لابن عجلان قوله . فقام الى رأس مالك فقبّله . قال حامد بن يحيى

---

(١) لأهل الباطل في — ص .

وغيره وبعضهم يزيد على بعض : فأتينا بالخبر كاملاً بزيادته . اجتمع عند أمير مكة مالك بن أنس وعمر بن قيس المعروف بسندل أخو حميد بن قيس فقيل لعمر : هذا رجل من ذي أصبح . قال وأنا رجل من ذي أمسى . وأقبل على مالك ، فقال له : ما تقول فيمن كسّر ثنية ظبي ؟ فقال عليه ما نقصته . فقال عمر : الأحيان يخطىء والأحيان لا يصيب . فقال مالك هكذا الناس . ثم فطن فقال عمر : لا ولكن هذا أنت فقام مالك على الأمير وقال ما ظننت ان الأمير يُحضر مجلسه اللعابين . ثم قال من هذا قيل عمر بن قيس أخو حميد . فقال لو علمت ان لحميد أخاً مثل هذا ما رويت عنه . قال ابو داود السجستاني : أسقطه عمر بن قيس بهذا المجلس . وقال غيره : حج مالك فجلس عند الميزاب في ظل الكعبة وكثر الناس عليه يستفتونه ، فاذا جاءه يسأله عن الحج فقال أفرد أفرد هي سنة النبي ﷺ فأتاه عمر بن قيس فوقف عليه وقال : يا مالك أنت هالك . جلست في حرم الله تضل حجاج بيت الله تقول أفردوا أفردوا أفردك الله . فقام اليه الناس فقال مالك دعوا المسكين فهو في شرّ من هذا إنه يشرب الخندريس وفي رواية يستحل شرب الخندريس يعني المسكر من النبيذ . زاد بعضهم إنه باع مصحفاً فاشترى كلباً ، فولى عمر وقد اسودّ وجهه ، فوضعه الله الى يوم القيامة . وقال أبو مصعب أرسل الوالي الى مالك بغلام شاب شهد عليه بالسرقة وقد كان أفتى المغيرة بحبسه قال وابن ابي حازم بقطعه ، ومدت يده للقطع ثم قال الوالي : اذهبوا الى مالك فأدخل عليه وقرأت عليه قصة طويلة وشهادات قوية ، ثم مر به شاهد شهد انه نظر اليه يوم سرق فوجده قد أنبت فقال انظروا مع الشاهد غيره . فلم يوجد فقال أرى شاهداً واحداً على الانبات ولم ينظر فيه حتى شك لا قطع عليه . فقال له الرسول بكم ترى يضرب قال خمسة وسبعين سوطاً ولو احتمل لزدت . وقدم ابو عبدالرحمان

السروجي فأتى مالكاً فجلس بين يديه وعلى مالك رداء عدني اشتراه بخمسمائة درهم فسأله عن رجل مات ولم يحج حجة الاسلام ولا أوصى بها أيحج عنه؟ فقال مالك لا . فقال له أبو عبدالرحمان ما هكذا يقول علماؤنا . قال وما يقول علماؤكم ؟ فقال حدثنا هشام وذكر الحديث ان النبي ﷺ سمع رجلاً يلبي عن شبرمة فقال له النبي ﷺ عن نفسك لا عن شبرمة . فقال مالك علماؤنا أعلم من علمائكم تحدثني عن البقالين قال الله تعالى (وأنْ لَيْسَ لِلإنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى) ثم قال أقيموه فأقاموني فبودي لو سكت حتى اسمع منه . قال الحارث بن مسكين كان ابن هرمز قد أوصى مالكاً وعبدالعزيز فقال اذا أدخلتما على السلطان فكونا من آخر من يتكلم عنده . قال ابو عمر فلعمري لقد لزم مالك ذلك ، ولقد بلغني ان بعض الأمراء حضره في جماعة فيهم ابن أبي ذئب فأخرج عليهم قصة قرئت عليهم في رجل أقرّ على نفسه بالقتل عمداً فقالوا بأجمعهم نرى عليه القتل ويدفع الى وُلاة المقتول فان شاءوا قتلوا او عفوا . ومالك ساكت . فقال له الأمير ما تقول يا أبا عبدالله فقال منذ كم حبس فقال منذ كذا فاذا إقراره كان قبل ان يحتلم . قال بعضهم اجتمع مالك والاوزاعي فتناظرا فجعل الاوزاعي يجر مالكاً الى المغازي والسير فقوي عليه فلما رأى مالك ذلك جره الى (غيرها من الفقه)[1] فقوي مالك عليه .

---

(١) زائدة في – ر – ساقطة في – ص .

باب

ذكر محنته رضي الله تعالى عنه

قال القاضي رضي الله تعالى عنه : قال الطبري اختلف فيمن ضرب مالكاً وفي السبب في ضربه وفي خلافة من ضرب . فقيل إن ابا جعفر نهاه عن الحديث ليس على مستكره طلاق ثم دسّ اليه من يسأله عنه فحدثه به على رؤوس الناس فضربه بالسوط . وقاله مصعب إلا انه قال ان الذي نهاه جعفر بن سليمان . وقال الواقدي لما سود مالك وسمع منه وقبل قوله حسده الناس وبغوا عليه ، فلما ولى جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به اليه وأكثروا[١] عليه عنده وقالوا لا يرى أيمان بيعتكم هذه شيئاً . ويأخذ بحديث ثابت الأحنف في طلاق المكره انه لا يجوز . فغضب جعفر ودعا به فاحتج عليه[٢] فما رفع اليه . ثم جره ومده فضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه[٣] وفي رواية عنه ومدت يداه حتى انخلع كتفاه وكذلك اختلف على مصعب الزبيري . وقال الحنيني بقي مالك بعد الضرب مطابق اليدين لا يستطيع ان يدفعهما وارتكب منه أمر عظيم فوالله لمالك بعد ذلك الضرب في رفعة في الناس وعلو وإعظام حتى كأنما كانت تلك الأسواط حلياً حلي بها . وقيل إن هذا كان في ايام الرشيد . قال ابو الوليد الباجي ولما حج المنصور قاد مالكاً من جعفر بن سليمان وأرسله اليه ليقتص منه فقال أعوذ بالله . والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وأنا أجعله في

---

(١) ص — وكثروا عليه .
(٢) ر — اليه .
(٣) ر — كتفاه .

حِلّ من ذلك الوقت لقرابته من رسول الله ﷺ . قال غيره : لما دخلت على ابي جعفر وقد عهد الي أن آتيه بالموسم فقال لي والله الذي لا إله إلا هو ما أمرت بالذي كان ولا علمته وإنه لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم وإني أخالك أماناً لهم من عذاب الله . وقد رفع الله بك عنهم سطوة عظيمة فانهم أسرع الناس للفتن ، وقد أمرت بعد والله أن يؤتى به من المدينة الى العراق على قتب وأمرت بضيق حبسه ، والاستبلاغ في امتهانة ولا بد ان انزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه . فقلت عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه . قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله ﷺ وقرابته منك . فقال لي : عفا[1] الله عنك ووصلك . قال القروي والعمري وأحدهما يزيد على الآخر : لما ضرب مالك رحمه الله تعالى ونيلَ منه حمل مغشياً عليه فدخل الناس عليه فأفاق فقال : أشهدكم اني جعلت ضاربي في حلّ. فعدناه في اليوم الثاني فاذا به قد تماثل . قلنا له ما سمعنا منه ، وقلنا له قد نال منك . فقال تخوفت أن أموت أمس فألقى النبي ﷺ فأستحي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي فما كان إلا مدة حتى غضب المنصور على ضاربه وضرب ونيل منه أمر شديد . فبُشِّر مالك بذلك فقال سبحان الله أترون حظنا مما نزل بنا الشماتة[2] به . إنا لنرجو من عقوبة الله اكثر من هذا ، ونرجو من عفو الله اكثر من هذا ، وقد ضربت فيما ضرب فيه محمد بن المنكدر وربيعة وابن المسيب ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر ، وقيل ان الذي تولى ذلك عامل جعفر بن سليمان وإن جعفر هو الذي صنع بعامله النكال ما تقدم ، والأول أشهر . قال مطرف : جلد جعفر بن سليمان مالكاً

---

(١) ن – فعفى الله عنك .

(٢) ن – أترون حظنا مما نزل به منا من الشماتة به ؟

ثمانين سوطاً وقاله ابن القاسم . قال مطرف ومصعب ، بسبب محمد بن عبد العزيز الزهري حمله عليه في عمله الأول أنه يفتي الناس ان ليس على من أكره على بيعة شيء . قال مطرف : فرأيت آثار السياط في ظهره قد شرحته تشريحاً . وكان حين مدّوه في الحبل بين يديه خلعوا كتفيه حتى كان ما يستطيع ان يسوي رداءه . فلما ولي جعفر عمله الآخر ودخل عليه مالك سأله جعفر ان يجعله في حل ، وقال اني جهلت واستزللت والله ما جلدك الا القرشيون . فقال له مالك انك ترى أن قد ظلمتني . قال نعم . قال فأنت في حل ، فوسّع الله عليك . قال ابراهيم بن حماد الزهري رأيت مالكاً يحمل احدى يديه بالأخرى وقيل لمالك هذا ابن عبد العزيز الزهري قد وقف في المسجد وكان قاضي المدينة وهو الذي بغى بمالك . فقال مالك ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم ذكر محنة محمد بن المنكدر وربيعة ثم قال : قال عمر بن عبد العزيز ما أغبط أحداً لم يصبه في هذا الأمر أذى . قال الدراوردي لما أحضر مالك لضربه في البيعة التي أفتى بها وكنت أقرب الخلق منه سمعته يقول كلما ضرب سوطاً : اللهم اغفر لهم فانهم لا يعلمون حتى فرغ من ضربه ، وذكر عنه انه أفتى الناس عند قيام محمد بن عبدالله بن حسن العلوي المسمى بالمهدي بأن بيعة أبي جعفر لا تلزم لأنها على الإكراه . قال الليث إني لأرجو ان يرفع الله مالكاً بكل سوط درجة في الجنة . وخالف هذا كله ابن بكير ، فقال : ما ضرب إلا في تقديمه عثمان على علي فسعى به الطالبيون حتى ضرب . قيل لابن بكير خالفت أصحابك هم يقولون ضرب في البيعة . قال أنا أعلم من أصحابي . وقال احمد بن صالح إنما ضرب مالك في الطلاق قبل النكاح ، كان لا يراه ثم رآه . قال ابو داود ولم يصنع احمد شيئاً . وقال ابن كنانة ضرب في أيمان السلطان إنها لا تلزم . وفي دفع الصدقات اليهم . وقال مصعب ضرب

مالكاً جعفرُ بن سليمان ثلاثين سوطاً . وقيل نيفاً وثلاثين ويقال ستين وقال بكير بن ابراهيم سبعين سوطاً وقيل نيف وسبعين سوطاً وقيل مائة سوط من رواية الحارث عن ابن القاسم . قال مالك ما كان علي يوم ضربت أشد من شعر كان في صدري وكان في إزاري خرق ظهر منه فخذي فجعلت لله عليّ إن استجدّ الإزار ولا أترك علي شعري . قال مصعب وكان ضربه سنة ست وأربعين ومائة وقيل سنة سبع وأربعين . قال محمد ابن خالد : كنا عند جعفر بن سليمان في مرضه الذي مات فيه ، فدخل عليه حماد بن زيد ، فقال له يا أبا اسماعيل رأيت في منامي مالك بن أنس فسلمت عليه فلم يرد فأعدت عليه فرد ، وقال إن لي ولك غداً مقاماً عند الله فأرقت لذلك وغمّني . قال حماد إن مالكاً من الاسلام بمكان جليل وما هو إلا الندم والاستغفار . وفي رواية وإن تعتق فاعتق عن كل سوط رقبة . قال الأصمعي : وأنا مشيت بين جعفر بن سليمان ومالك حتى حلله. قال المنذر : الذي أغرى بمالك جعفر بن سليمان رجل من بني مخزوم صاحب أدب ، وذكر ، خبر فتياه في الأيمان فكتب بذلك جعفر الى الخليفة فكتب اليه : أن اجلده . فجلده ومد يده بين العقابين فلذلك كان لا يأتي المسجد لإنزال[١] ريح تخرج من موضع الكتف ثم عزل ثم ولي ثانية فأكرم مالكاً وقربه وتباعد منه مالك حتى كف عنه فحج ، فبينما مالك في الموقف قال جعفر لأصحابه لا تحركوا وسار فلم يشعر مالك إلا بانسان ضرب بسوطه محمله ، فرفع مالك رأسه فقال يا مالك هذا يوم عظيم ينظر الله الى عباده ويغفر لهم فاجعلني في حل مما ارتكبت . فقال : لا والله حتى ألتقي أنا وأنت بين يدي الله . فرجع .

---

(١) لا تزال — ع — ن .

باب

في صدق فراسته[1] وركنه رحمه الله تعالى

قال القاضي رضي الله تعالى عنه : كان الشافعي صاحب فراسة ، فقيل له في ذلك ، فقال : أخذتها من مالك . قال أسد بن الفرات : لزمت أنا وصاحب لي مالكاً ، فلما اردنا الخروج الى العراق أتيناه مودعين له ، فقلنا له أوصنا . فالتفت الى صاحبي وقال أوصيك بالقرآن خيراً . والتفت الي وقال أوصيك بهذه الأمة خيراً . قال أسد فما مات صاحبي حتى أقبل على العبادة والقرآن ، وولي أسد القضاء . قال الشافعي لما سرت الى المدينة ولقيت مالكاً وسمع كلامي نظر الي ساعة وكانت له فراسة ثم قال لي ما اسمك ؟ قلت محمد . قال يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فانه سيكون لك شأن من الشأن . قال غيره كانت لمالك فراسة لا تخطىء . نظر يوماً الى ثلاثة من أصحابه من اهل افريقية : ابن فرّوخ ، وابن غانم ، والبهلول ابن راشد . فقال في ابن غانم هذا قاضي بلده ، وفي البهلول هذا عابد بلده وفي ابن فروخ هذا فقيه بلده .

---

(١) ن – صدق فراسة وكنه .

باب

في نوادر وملح من اخبار مالك رحمه الله تعالى

قال القاضي رضي الله تعالى عنه قال معن جاء ابن سرجون الشاعر الى مالك رضي الله عنه فقال له قلت شعراً أحب ان تسمعه فقال لا . وظن انه هجاء فقال لتسمعنه فأنشد :

سلوا مالك المفتي عن الهوى والغناء   وحب الحسان المعجبات العوارك
فيفتيكم أني مصيب وإنما   أسلّي هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى   أثامٌ وهل في ضمّة المتهالك[1]

قال فسري عن مالك وضحك وكان قليل الضحك ، وقال الزبير بن بكار سأل محمد بن عبدالله مالكاً عن امرأة اراد تزويجها وذكر قصة . فقال له مالك تربص فانها لا تحل لك الآن فقال :

سأخطبها جهدي وإني مخالف   لما قال لي حبر المدينة مالك
يقول وقد حلت تربص فإنما   تربص مثلي لو علمت المهالك
أحرّمت تزويج المحبين بينهم   وأنت امرؤ فيما يرى الناس ناسك

وقال محمد بن الفضل المكي مر مالك بقينة تغني وتقول :

أنت أختي[2] وأنت حرمة جاري   وحقيق علي حفظ الجوار
أنا للجار ما تغيب عني   حافظ للمغيب في الأسرار
ما أبالي أكان بالباب ستر   مسبل أم بقي بغير ستار

---

(١) ن — فهل في محب يكتب الحب والهوى   أثام وهل في صحة المتهالك .
(٢) في النسخ أنت اخي والتصحيح من — ن .

فقال مالك لو غني به حول الكعبة لجاز . وفي رواية يا أهل الدار علموا فتيانكم مثل هذا . وقال مالك : قال أبو حازم كان اهل الجاهلية أحسن جواراً منكم وإلا فبيننا وبينكم قول الشاعر :

ناري ونار الجار واحدة   وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضرّ جارٌ لي أني أجاوره   أن لا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما جارتي برزت   حتى يواري جارتي الخدر

قال مالك لا بأس بالغناء بمثل هذا . قال ابن أبي أويس كنت أمشي مع مالك إذا مولاتي تحمل جرة ماء وتقول :

ليتني أرض لسلمى   فتطأني قدماها
ليتني درع لسلمى   ترتديني من وراها
ليتني خادم سلمى   قاعد حيث أراها

فقال لي : يا إسماعيل ، رجل أو امرأة . قلت : هي غزال خادم بني عمارة . قال إنها لفصيحة اللمحة حسنة التأدية . قال : وسمعني مالك وأنا أنشد :

ودع هريرة إن الركب مرتحل . فوقف ولا أعلم به ، حتى بلغت قوله: علقتها عرضاً... الأبيات . فقال : هؤلاء خمسة مرجومون . قال مطرف : جاء رجل من أهل الكوفة الى مالك : فأقام نحو الستين او السبعين يوماً ، فسمع عددها أحاديث ، فشكى ذلك الى مالك وقال : نحن بالعراق نكتب من الحديث في ساعة اكثر من هذا . فقال له : يا ابن أخي ، بالعراق عندكم دار الضرب ، يضرب بالليل ويخرج بالنهار . ثم قال مالك : كانت العراق تجيش علينا بالدنانير والدراهم ، فصارت الآن تجيش علينا بالحديث . وقيل

له : ان اهل الشام يقرأون ابراهام . فقال عليهم بأكل البطيخ . قال ابن ابي مريم ، قال لي مالك : يا مصري ، هل على مسجدكم بواب ؟ فقلت نعم . قال هذا سجن وليس بمسجد . وقال ابن ابي أويس ، قال مالك : قدم ابن شهاب الزهري المدينة فغلسْتُ اليه ، فوجدته في طريق المسجد ومعه غلامه أنس وكان قد زوجه أمة له ، فقال له : كيف وجدت اهلك ؟ فقال : وجدتها يا مولاي جنة . فقال ابن شهاب : الحمد لله . ففطنت وضحكت ، فسألني ، فقلت : انه يقول ، إنها لم توافقه . ان في الجنة سعة وبرداً . فقال كذلك يا أنس ؟ قال : إي والله ، يا مولاي . فما زال يضحك ويعيدها الى ان فاتته الجماعة فصلى في منزله . قال ابن ابي أويس : جاء رجل وامرأته الى مالك ، وكل واحد منهما يشكو صاحبه . فقال مالك للرجل : ما نقمت عليها ؟ فقال : تضحك اذا خرج مني ريح . قال مالك : فتباعد عنها اذا كان منك ذلك . فقالت المرأة : هو أصيح من ذلك . وهو رعد كرعد الخريف . فقال مالك : احشي اذنيك قطناً . فقالت والله لو جعلت في اذني سندان حداد ، لنفذه . فقال مالك : اذهبي فاضحكي حيث شئت . وقال للرجل عليك بالصعتر تداوم عليه . فانقطع عنه . وسأل رجل جهني مالكاً عن يمين حلف بها ، فأفتاه بطلاق زوجه البتة . فقال :

أفض عبرات العين مخضلة تترى　　بكا جازع لا يفقه اللوم والزجرا
بكا ذي تميات بكى غير نازع　　بكا نازع في شجوه قد بكى غمرا
فما بعد بتّ الحبل عن أم معمر　　على خلة أبكي واستعتب الدهرا
ولكن سأبكيها واعصارها التي　　لهون بها سَقْياً لأعصارها عصرا
فلولا اتقاء الله والموت مدركي　　وشيكا وبعد الموت أنتظر الحشرا

لبتلت[١] دعوى مسلم متبَهّـل — فقـد يعـلم الله السريرة والجهرا
على مالـك أيام يفتيـك مالـك — ولم يبل عهداً من مشيء ولا أمرا
ليس التي لو كنت خيرتُ بينها — وبين يدي لاخترت تب يدي بترا
عشية يفتيني ويزعم أن بي — عزاءاً على هجران رامة أو صبرا
فقد جار في اليوم[٢] المدينة مالك — وأجرى لقتلي وهو يلتمس الأجرا
فرحت وقد أجزت مشورة مالك — نوافـذ تحتـل الجوانح والصدرا
فما ان أبالي بعد ما صرت محرماً — بعاقبة لو جاب لي رامس قبرا
وأفنيت عبرات الدموع عليكم — وغادرت دمع العين منحدراً بترا

قال عمر بن سليم : رأى مالك فتى يمشي مشية منكرة ، فقام مالك ، فجعل يمشي الى جنبه يحكيه ، فوقف الفتى . فقال له مالك : مشيتي حسنة ؟ قال لا . قال فلم تمشيها أنت ؟ قال لا أعود . قال ابو عوف عبد الرحمان ابن مرزوق ، وذكر لعبيد الله بن محمد قاضي طرسوس عن بكر المزني ، انه قال : أحق الناس بلطمة من أكل طعاماً لم يدع اليه . وأحق الناس بلطمتين من قال له صاحب المنزل : أقعد ها هنا . وأحق الناس بثلاث لطمات من قال لصاحب المنزل : ادع ربة المنزل تأكل معنا . فقال لي : عندي أعجب من هذا ، وأطرف من هذا . كان مالك يوماً جالساً فاستأذن عليه صديق له ، فأذن له ، وكان لمالك بطيخة في ناحية ، فرمى بنديل عليها . فدخل الرجل ، فقال له مالك : ها هنا . فأبى ان يقعد إلا على المنديـل ، فتفتحت تحته البطيخة . فقال له مالك : يرحمك الله كنا أبصر بعوار منزلنا منك . وسأله رجل عمن قال لآخر : يا حمار . قال يجلد . قال فان قال

(١) لبتة — ص .
(٢) ص — بدون ال .

له يا فرس . قال تجلد أنت . ثم قال يا ضعيف وهل سمعت أحداً يقول لآخر يا فرس ؟ قال ابن مهدي : قلت لمالك : ارفق علي قد طال مقامي وما ادري ما حدث على اهلي بعدي . فتبسم وقال : يا ابن اخي ، اهلي بالقرب مني ، وما ادري ما حدث عليهم .

باب

ذكر وفاة مالك رحمه الله واحتضاره ومرائي دلت على فضله عند الله تعالى

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه : قد قدمنا تاريخ وفاته ، وان الصحيح من ذلك في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة . يوم الأحد ، ولتمام اثنين وعشرين يوماً من مرضه . وغسّله ابن كنانة وابن أبي زنبر ، وابنه يحيى وكاتبه حبيب ، يصبّان عليه الماء . ونزل في قبره جماعة ، وأوصى ان يكفن في ثياب[١] بيض ، وأن يصلى عليه في موضع الجنائز . فصلى عليه عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن علي بن عبد الله بن عباس . وكان خليفة ابيه على المدينة . ومشى في جنازته وحمل نعشه ، وبلغ كفنه خمسة دنانير ، وقد ذكرنا في المرائي الدالة على علمه وإمامته جملة ، ونقتصر ها هنا على الغرض مما نذكره قبل . قال بكر بن سليمان الصواف : دخلنا على مالك ابن انس في العشية التي قبض فيها . فقلنا : يا أبا عبدالله كيف تجدك ؟ قال ما أدري ، ما نقول إلا انكم ستعاينون غداً من عبد الله من لم يكن في

---

(٢) ص – أثواب .

حساب . ثم ما برحنا حتى غمضناه . وقيل إنه تشهد ثم قال : لِلّٰهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ . ورأى عمر بن يحيى بن سعيد الانصاري في الليلة التي مات فيها مالك قائلًا يقول :

لقد أصبح الإسلام زعزع ركنه غداة ثوى الهادي لدى منحدر القبر
إمام الهدى ما زال للعلم صائناً عليه سلام الله في آخر الدهر

قال وانتبهت وكتبت البيتين في السراج ، واذا الصارخ على مالك رحمه الله تعالى . قال حبيب كاتب مالك : كنا عند مالك يوم مات ، في جماعة من اخواننا اذ أتاه ابن حازم ، فقال يا أبا عبدالله ، رأيت في هذه الليلة رؤيا احببت ان اقصها عليك . قال قص . قال رأيت السماء انفجرت فهبط منها ملك بيده طومار وهو يقول : يا معشر الناس هذه براءة مالك من الناس . ثم إنا لجلوس ما برحنا ، حتى دخل والي المدينة ابن ابي زينب ومعه مؤدبه فقال : يا أبا عبدالله ، إن مؤدبي رأى الليلة رؤيا ذكر مثلها سواء . فقال له مالك : سبقك بها ابو تمام . ثم خرجنا من عنده . فلما بلغنا باب الدار أغلق وسمعنا صوائح ورجعنا ، فما لبثنا أن خرج ابنه يقول : قد قبضه الله اليه . قال الشافعي : قالت لي عمتي ونحن بمكة : رأيت في هذه الليلة عجباً . قلت : وما هو ؟ قالت : كأن قائلًا يقول : مات الليلة ، أعلم اهل الارض ، فحسبنا تلك الليلة ، فاذا هي ليلة مات فيها مالك . قال الحسن بن حمزة الجعفري : كنت اشتم مالكاً ، فأقمت عشيتي على ذلك : فنمت فرأيت الجنة فتحت فقلت ما هذا ؟ قالوا الجنة . قلت فما هذه الغرف ، الغرفة فوق الغرفة ؟ قالوا لمالك بن أنس بما ضبط على الناس دينهم . فلم أنتقصه بعد ، وصرت اكتب عنه . ورأى آخر كأن قائلًا يقول : ليعلم من صدق الله ، فقام مالك بن أنس . قال بعضهم : رأيت مالك بن أنس في النوم ،

فقلت : قد نفع الله بك ونفعت اهل بلدك . فقال : أما والله ما أردت بذلك إلا الله . قال اسد بن موسى : رأيت مالك بن أنس بعد موته وعليه طويلة وثياب خضر ، وهو على ناقة تطير بين السماء والأرض ، فقلت : يا أبا عبدالله ، أليس قد مت ؟ قال بلى . فقلت فإلى ما صرت ؟ قال قدمت على ربي فكلمني كفاحاً ، قال : سلني أعطيك ، وتمنّ علي أرضيك . وذكر ان الفُضَيل بن عياض رأى انه دخل الجنـة ، قال : بينما أنا في طرقها إذ مررت بزيد بن أسلم بين غرفة من غرفها وعليه قلنسوة طويلة . فقلت زيد؟ قال نعم . قلت له سكّنك الله وشرّفك ، فأين مالك لا أراه ؟ قال : اين مالك ؟ مالك فوق ذلك . فما زال يقول فوق حتى وقعت قلنسوته ، وراَه آخر ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي . قال لماذا ؟ قال : بكلمة عثمان التي كان يقولها اذا رأى الميت : سبحان الحي الذي لا يموت . قال ابن ابي أويس : كان يحيى بن يزيد النوفلي[١] من الزهاد العباد وكان لا يكلم مالكاً ولا ابن أبي ذئب[٢] ولا ابن عمران ، وكتب الى كل واحد منهم كتاباً يعظهم في إقبالهم على الدنيا . فأما مالك فأجابه احسن جواب ، وأما الآخران فأغلظا عليه[٣] في القول ، فقدم بعـــد موتهم من الغابة الى المدينة فلم يتخلف عنه احد فحضرته يوماً وهو يتحدث وعنده خلق كثير وهو يبكي ويقول : رأيت في هذه الليلة كأني في موضع نخيل وبساتين وخضرة وقصور وأنهار تجري فاعتمدت الى قصر رأيت انه أفضلها ، فلما ذهبت لأدخله اذا على بابه انسان فمنعني الدخول وقال : حتى استأذن لك ، فذهب ثم أذن لي ، فأدخلني ، اذا بقصر لم يرَ الراؤون مثله حسناً ، واذا

(١) ص – التومي .
(٢) ص – ذؤيب .
(٣) ص – له .

فيه مالك بن أنس جالس وسطه وفي حجره مصحف وعليه ثياب خضر أحسن ما تكون ، فلما وقفت سلمت عليه وقلت : قد مت ؟ قال : بلى . قلت : فيم صرت الى ها هنا ؟ قال : بعفو الله وتجاوزه عني وسعة رحمته لا بعملي. قلت : فما رأيت في شأن العلم ؟ قال أكثر ما نجونا بالتوقف عنه . قلت : اين زيد بن اسلم ؟ وفي رواية عبد الرحمان بن زيد بن اسلم . فرفع رأسه الى السماء وأشار باصبعه وقال : هيهات ذلك في عليين مع البكائين .

فلم تزل رؤياه في رقعة بين يديه مع اجوبتهم له يقرأها للناس ويبكي ويترحم على مالك في كل مجلس . وعن بشير بن بكر : رأيت أو رأى الاوزاعي والثوري وهما في الجنة ، فقلت اين مالك ؟ فقال لي : ان مالكاً في أعلى ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوته . قال التستري : رأى ابو زرعة الرازي فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال لي أكثرت علي يا أبا زرعة ، وكيف يكثر مخاصمة في النوم أصحاب المقالات وقال : فقلت الى ربي انهم حاولوا دونك . فقال اجعلوه مع ابي عبدالله وأبي عبدالله وأبي عبدالله . مالك والثوري وابن حنبل .

باب

في رؤيا اهل العلم الدالة على علمه وإمامته

قال الدراوردي : رأينا النبي ﷺ في المنام جالساً في الروضة بين القبر والمنبر الى الاسطوانة المغلقة ، فأتيناه وجلسنا اليه ، إذ أقبل مالك آخرنا وسلم ، فأجلسه رسول الله ﷺ الى جنبه ، ثم نزع خاتمه من يده ﷺ وقال به (هكذا) بين أصابعه وجمعهن ، فليس احد منا الا تشرف اليه ، فأخذ

بيد مالك ووضعه في اصبعه ، فلو كان يصلح للخلافة قلنا خليفة ، ولكنه العلم . وقد رويت هذه الرؤيا عن الدراوردي بغير هذا اللفظ والمعنى متقارب . وفي خبر آخر : كنت انتقصه ، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم ، فقال لي : الزم ما أمرك به مالك بن أنس ، فانه يريد بما فيه الله تعالى . قال الزبير بن حبيب : كنت أتناول مالكاً فرأيت النبي ﷺ عند الاسطوانة المغلقة وأنا معه ، إذ أتى رجل يسأله عن مسألة فقال له النبي ﷺ ائت مالكاً فاسأله فما على ظهر الأرض أعلم منه . وقال محمد بن رمح رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله إن مالكاً والليث يختلفان . فقال رسول الله ﷺ : عليك بما يقول مالك، وَرِثَ وحي . وفي رواية : جِدّي . قال الحسن بن علي الأشناني : معنى جدّي : قيل جدي ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقيل : جِدّي ، ديني . وقيل سنتي . وعن ابن سرح أيضاً : رأيت النبي ﷺ وأنا شاب والناس مجتمعون عليه يسألونه ، فقال : قد أعطيت مالكاً كنزاً وأمرته ان يصدقه عليكم .

وجاء رجل الى مجلس مالك فقال : ايكم مالك ؟ فقالوا هذا . فسلم عليه واعتنقه وضمه الى صدره ، وقال : والله لقد رأيت رسول الله ﷺ البارحة جالساً هنا ، فقال : هاتوا بمالك فجيء بك ترتعد فرائصك ، فقال : ليس بك بأس يا أبا عبدالله ، اجلس . فجلستَ . فقال : افتح حجرك . ففتحتَ . فملأه مسكاً منثوراً ، وقال : ضمه اليك وبثه في أمتي . فبكى مالك وقال : الرؤيا تسرّ ولا تغرّ . إن صدقت رؤياك ، فهو العلم الذي أودعني الله .

قال أبو هاشم : رأى رجل النبي ﷺ على المنبر يخطب اذ جاء مالك فقال يا مالك ، خذ هذه الصرة وضعها تحت قبري . قال ابو هاشم : هو العلم

الذي به . قال أبو بكر بن سعدون صليت بصر الضحى ، فرأيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إن مالكاً والليث اختلفا في الضحى ، فمالك يقول اثنتي عشرة ركعة ، والليث يقول ثمان . فضرب بيده بين وركي وقال : رأي مالك هو الصواب . قال خلف بن عمر : كنت عند مالك فأتاه ابن ابي كثير قارىء المدينة فناوله رقعة ، فنظر فيها وجعلها تحت مصلاه ، فلما قام من عنده[1] ذهبت لأقوم ، فقال : اثبت فناولني الرقعة . رأيت (الليلة) في منامي كأنه يقال : رأى هذا رسول الله ﷺ ، فأتيت المسجد فاذا ناحية من القبر انفجرت وإذا رسول الله ﷺ جالس والناس يقولون يا رسول الله اعطنا يا رسول الله من لنا ؟ فقال لهم : اني كنزت تحت المنبر كنزاً ، وقد أمرت مالكاً يقسمه بينكم فاذهبوا اليه . فانصرف الناس وبعضهم يقول لبعض ما ترون مالكاً يفعل ؟ فقال بعضهم يقصد لما أمره به رسول الله ﷺ قال فرقّ مالك وبكى . قال : ثم خرجت وتركته على حاله . قال يحيى ابن يزيد النوفلي : رأيت رسول الله ﷺ ومالك يمشي بين يديه بشمعة يحملها . وفي رواية اخرى عنه : رأيت كأننا في الجنة واذا مالك بن أنس بين يديه عمود من نور وقال ابن ابي الكرام : رأى رجل من اصحابنا النبي ﷺ في النوم وهو يقسم قسماً ، قال : فبسطت يدي اليه وقلت : يا رسول الله اعطني . فقال قد خبأت لكم خبأ تحت منبري هذا . قلت وما هو يا رسول الله ؟ قال مالك بن أنس . وقال زيد بن ثابت : رأيت في منامي كأن القبر انفتح عن رسول الله ﷺ والناس قد اجتمعوا عليه ، فصاح صائح بمالك بن أنس ، فجاء مالك اليه ، فأعطاه شيئاً فأولناه : العلم الذي به . وقال آخر : كانت في نفسي مسألة دقيقة كنت أحب ان ارى النبي ﷺ

---

(١) ساقطة من — ص .

في النـوم فأساله عنهـا . فرأيته ، فقلت : يا رسول الله ، في نفسي مسألة دقيقة احب ان أسألك عنها . فقال ائت مالكاً فاسأله عنها ، فانه يخرجها وإن كانت أدق من شعرة .

قال حجاج بن سليمان الرعيني : رأيت النبي ﷺ في النوم فسألته عن مسألة . فقال له : أكنز تحت قبري كنزاً ، وأمرت مالكاً يفرقه عليكم .
قال محمد بن ابي بشر : كنت في مجلس ابن حنبل فطعن قوم على مالك وآخرون على الثوري فانصرفت وفي قلبي من الغم ما لا أصفه ، فقمت فرأيت رجلاً من أحسن من رأيت وأطيبه رائحة وأنقاه ثوباً عن يمينه رجل وعن يساره آخر وكلاهما في هيئة جميلة غير انه أعلاهم حالاً ، فقال : هل تعرفني ؟ فقلت لم أرك قبل فأعرفك . لا أخالك إلا مشهوراً لما أرى من هيئتك وحسن وجهك . فقال : أنا نبيك محمد . فقلت صلى الله عليك بأبي أنت وأمي . فمن هذا ؟ فقال إمام داري ، مالك بن أنس . وأشار عن الذي عن يمينه ، وهذا إمام اهل العراق ، سفيان الثوري . وأشار عن الذي عن يساره . فاشهد بالصدق لهما واحببهما فاني احبهما والله ما تكلما برأي إلا أصابا فيـه سنتي ، ونصحـا فيما اجتهدا فيه أنفسهما بجميـع أمتي ، وإنهما تأخرا عن القرن الأول لغير مختلفين عن منازلهما بلزوم السنة ، وضبط الأثر أقد حفظت ؟ فقلت نعم . فغدوت على ابن حنبل فأخبرته ، فقال : وددت أني رأيت ما رأيت ، وليس لي قوت يومي ، هذا والله (رأيي)[1] فيهما .

قال ابن القاسم : رأيت بالاسكندرية ، كأني صدت بازياً ففضضته ، فاذا جوفه مملوء جوهراً فعبرت رؤياي على زيد بن شعيب ، فقال لي : لعلـك

---

(١) ساقطة في — ر .

حدثت نفسك بشيء من طلب العلم ؟ قلت هو ذلك . قال فمن ذكرت ؟ قلت مالكاً . قال : هو بازيك الذي صدت ، والباز هو سيد الطير والجوهر الذي وجدت في جوفه ، هو العلم الذي تسأله عنه . وقال عمار بن يزيد بن الخشاب ، رأيت كأني دخلت مدينة اختلطت علي أزقتها ، فصرت لقوم ، فقام اليّ شيخ فأخذ بيدي حتى اخرجني الى طريق واسع واضحة وقال خذ عليها . فسألت عنه فقيل لي هذا مالك . قال ابن اللباد وبلغني ايضاً ان رجلًا اعرفه كان ينتحل مذهب أبي حنيفة ، رأى في نومه النبي ﷺ فسلم عليه وصافحه فأردت معانقته فأعرض عني ، فقلت في نفسي ما أراه إلا لاستحلالي النبيذ . فقال قائل : وددنا لو سألناه ما ننتحل ، فقال عليه الصلاة والسلام : ألا إن الحق في قول مالك ، ما يتعداه . فصار الرجل الى مذهب مالك وترك مذهبه . وروي ان مالكاً قال لابن هرمز : رأيت كأني انظر في مرآة . فقال ابن هرمز من رأى هذا فهو ينظر في امر دينه . ثم قال : يا مالك ، انت اليوم مملك ، فاتق الله في هذه الأمة ، إن كنت لها مالكاً . وقال العامري : بينما انا في المسجد وهو غاص بأهله ، إذا انا برسول الله ﷺ قد خرج من قبره ، وبيده قارورة مسك فوقف ثم قال أيكم مالك ؟ فقال مالك : ها أنا ذا بأبي انت وأمي يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : خذ هذا ، وناوله القارورة ، فاقسم بين الناس . فجاء العامري يخبر بها مالكاً . فقال له مالك : لا تخبرني فقد رأيت مثل ما رأيت . قال ابراهيم بن ابي يحيى : نمت فرأيت الشمس قد كسفت وقد علت الأرض ظلمة حتى إن الناس لا ينظر بعضهم الى بعض ، فقلت لرجل بجنبي[1] : أقامت القيامة ؟ فقال : ولم لا تقوم ، وقد مات عالم الآفاق . قلت ومن هو قال : مالك .

---

(١) ص – الى جنبي .

فانتبهت وفزعت فاذا أنا به قد مات . وقال ابن مزاحم : رأيت النبي ﷺ في الناس ، فقلت يا رسول الله من نسأل بعدك ؟ قال مالك بن أنس . فقال ابن القاسم : بينما أنا نائم ، أتاني آت ، فقال لي : إذا اردت العلم فعليك بعالم الآفاق فقلت : من هو ؟ فقال لي : هذا الشيخ انظر اليه ، فنظرت اليه فاذا شيخ اشقر طويل حسن اللحية ، فاستيقظت وقد مضى اكثر شوال فاكتريت الى مكة وحججت فلما أتينا المدينة اغتسلت ودخلت مسجد النبي ﷺ ، فنظرت[١] ، فاذا بالصفة التي في النوم ، وإذا هو مالك . فعرفت انه هو الذي قيل لي فيه عالم الآفاق فلزمته . ورأى بعضهم ان الناس اجتمعوا في جبانة الاسكندرية يرمون غرضاً ، كلهم تخطاه ، واذا رجل يرمي ويصيب . قال ، فقلت : من هذا ؟ قيل مالك بن أنس .

باب

في تركة مالك بن أنس رحمه الله تعالى

قال ابن القاسم : مات مالك رحمه الله تعالى عن مائة عمامة فضل عن سواها . وقال ابن أبي أويس : جميع ما في منزل مالك يوم مات رحمه الله تعالى من منصات وبرادع وبُسُط ومخادد محشوة بريش وغير ذلك ، ينيف على خمسمائة دينار . قال محمد بن عيسى بن خلف : خلف مالك خمسمائة زوج من النعل ، وقد اشتهى يوماً كساء[٢] قومسياً ، فما بات الا وعنده

---

(١) ص – نظرت .
(٢) ص – كُسىً .

منه سبعة بعثت اليه . وأهدى اليه يحيى بن يحيى النيسابوري هدية وجدت بخط بعض مشائخنا الثقات ، أنه باع من فضلها بثمانين الفاً . قال ابو عمر وترك من الناض الفي دينار وستمائة دينـار وتسعاً وعشرين ديناراً ، والف درهم . فاجتمع في تركته ثلاثة آلاف وثلاثمائة ونيف .

باب

ما قيل في مالك من الشعر في حياته وبعد وفاته

قال القاضي رضي الله تعالى عنه من مشهور ذلك قول ابن المبارك :

صموت إذا ما الصمت[1] زيّن أهله   وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة   ونيطت الآداب باللحم والدم

وقال ابن مناذر :

ومن يبغي الوصاة فان عندي   وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون   ولا ترووا احاديث ابن داب

وقال عبد الله بن سالم الخياط :

أدب الوقار وعز سلطان التقى   فهو المهيب وليس ذا سلطان

وأنشدوا لأبي المعافى في مالك وبعضهم يزيد فيها على بعض ويذكر بعضها لأبي المعافى :

ألا ان فقد العلم في فقد مالك   فلا زال فينا صالح الحال مالك

---

(١) ر – الصمّ .

فلولاه ما قامت حقوق كثيرة ولولاه لانسدت علينا المسالك
يقيم سبيل الحق سراً وجهرة ويهدي كما تهدي النجوم الشوابك
عشونا اليه نبتغي ضوء[١] ناره وقد لزم العيّ اللجوج المماحك
فجاء برأي مثله يقتدى به كنظم جمان زينته السبائك

وحكى التستري ان مالكاً كان جعل لأبي المعافى ان يُجَرِّحَ من شهد عليه، فشهد عليه المغيرة، فلما مات مالك قال: ألا قل لقوم .. الأبيات:

ألا قل لقوم حُيِّرٍ مرحباً بكم لمن سال عن فتوى فقد مات مالك

وأنشد الزبير لأبي المغامي أو ابن ابي المغامي يرثي مالكاً:

ألا قل لقوم سرهم فقد مالك ألا ان فقد العلم إذ مات مالك[٢]
وما لي لا أبكي على فقد مالك إذا عد مفقود من الناس مالك

وأنشد أصبغ لامرأة ترثيه:

بكيت بدمع واكف فقد مالك ففي فقده سدت علينا المسالك
وما لي لا أبكي عليه وقد بكت عليه الثريا والنجوم الشوابك
حلفت بما أهدت قريش وجللت صبيحة عشر حين تقضى المناسك
لنعم وعانا العلم والفقه مالك إذا عد مفقود من الناس هالك

أنشد أبو محمد الضرّاب لبعضهم:

إذا ما عُدّت العلماء يوماً فمالك في العلوم هو الضياء
تبوّأ ذروة العلماء قوم فهم كالأرض وهو لهم سماء

---

(١) ص – نوره – ر – ناره .
(٢) ص – هالك .

وأنشدوا :

وفقيه الحرمين مالـــك كان إذ يأمر بالأمر يطاع

وأنشد لطالب بن عصمة الأندلسي :

إمام الورى في الهدى والسمت مالك وفي الفقه والآثار ما أن يدارك
فآراؤه في الفقـــه يسطع نورها وتسهد من إيضاحهن المسالـــك
وآثاره يهدي العبـــادَ وميضُها كما تهديهم زهر النجوم الشوابك
له من ذرا العلم السنام وشلوه وفي سائر الناس الشظا والسوابك

وأنشد الزبير أيضاً لأبي المعافى :

فدا مالـــك قوم تمنوا بموته وما فيهم لو مات عوض ولا خلف
تحمل علم الدين نوراً مثقفـــاً باسناد أقوام ثقـــات من السلف
فلما أقام الأود من ذي قسيمهم وكان اليه غاية الرمي[1] والهدف
فمـــا ساعد منهم يقاوم ظفره اذا قست منهم ساعداً ببنان كف

وقيل ان مالكاً لما سمع هذا الشعر قال : الله المستعان . وقال أبو محمد ابن ابي زيد لبعض من ناقض قول مالك رحمه الله تعالى :

تخطيت حفظ نجوم السماء وهذا هو الأمل الكاذب
تروم إمام الهدى مالكاً وذاك هو الجبل الراهب
فما أثر الدر في ضحوة ومجهـوده قائم راتب
بدون منالك من مالك فدونك هذا الرجاء الخائب
ودونك من دون ما رمته بعيد كما بعد الثاقب

(١) ر — الدين .

وأنشد[١] عبد السلام بن سليمان :

عادني مالك فلست أبالي بعد ما عادني ومن لم يعدني

وأنشد أبو مصعب لبعضهم :

ومن لم يجالس مالكاً فهذا نشا ولما يجالس غيره فهو جاهل

وأنشد التستري لمحمد بن عبد الرحمان البغدادي المعروف بأبي الحسن الصالحي يرثي مالكاً بقصيدة أولها :

قضى وطراً من غمه فهو جازع ولج به طرف من الميل دامع
وأبصر بالأميان عودة دينه فبات سهيراً والعيون هواجع
رأى ان ايام الصبا ليس راجع وان الهوى في حلة الشيب ضائع
فلا اللهو محمود ولا العيش راجع ولا الحلم مذموم ولا الجهل نافع
تذكر ان العلم ينهي عن الهوى وراعته أعلام المشيب الروائع

وبعد هذا أبيات كثيرة، وذكر فيها المدينة فقال :

حرام رسول الله فيها وأمنه وللزجر والدجال فيها موانع
ويأزر إيمان البلاد اليهم إذا ظهرت فيها الهنات الفظائع
ومنها أتى الله البـــلاد بدينه كذاك إيمان الى الدين[٢] راجع

ثم قال بعد أبيات :

سقى الله ما ضم النبي محمداً من الأرض ما يسقي الغمام الهوامع
الى روضة التقوى الى القبلة التي بها نحر التقوى مصلٍ وراكع

---

(١) ص — وقال .
(٢) ر — الى الدار راجع .

الى خيرة الأصحاب والتابع الذي به وصلته في الكتاب الذرائع
وجاء لقبر فيه أكفان مالك أفاويقه والمسبلات المدامع
فنعم أمام العلم والكوكب الذي أتى نوره في صفحة الدين ساطع
عقيد الهدى فينا ومصباح ديننا ومن قوله بالحق والرشد واقع
ومن عروة الاسلام في بطن كفه هي العروة الوثقى وبالحق ساطع
ومن هو خير الناس والعلم هديه ومن عنده أركانه والشرائع
فان لم تكن فيما قضى الله صاحباً فانك للأمّيّ بالحق تابع
أقمت لنا دين النبي محمد وجاريه والصهرين مذ أنت يافع
وعلمك أعلى العلم فرعاً ومخرجاً كذا كل علم دونه متواضع
اذا قرع الاذان سوّيت قلبها وأصغت اليه بالرقاب المسامع
وما علم من لم يستمع قول مالك ولم يعتقده قلبه فهو ضائع
ولم يهد بالبرهان من علم مالك وما طويت[1] أخباره والجوامع
لعمري قد أورثتنا العلم خالصاً وقد أوحشت منك الديار البلاقع
تعلت الينا عن مصابيح ديننا بتوفيق رب فضل جدواه واسع
فان لم تكن فينا فعلمك بيننا ندافع عنه من نشا ونصارع
بكل بيان من كتاب وحجة لها في قلوب المؤمنين مواقع
ستبكيك أرض الناس والناس فوقها وتبكيك في الجو النجوم الطوالع

وحكى التستري ان أبا المعافى سجنه والي المدينة العباس بن محمد في أمر رجع اليه فكتب الى مالك رحمه الله تعالى بشعر يقول فيه :

ألا ان عمر العلم في عمر مالك فلا زال فينا صالح الحال مالك

---

(١) ص – وطئت .

.. الابيات . فما فرغ منها حتى رُئي الحياء في وجه مالك، ثم أطرق فرفع رأسه وقال : ان الله فرض الفرائض وجعل حد الزاني الرجم اذا أحصن وجلد مائة اذا لم يحصن وجلد ثمانين اذا قذف محصنة وإذا سرق ما فيه القطع قطع ، ولم أسمع الله حكم بالسجن في شيء من حدوده . فرجع ذلك الى العباس فأرسل الى مالك ليسأله ، فقال اليوم بعد ثلاثة أشهر أرى ان يفتح عليه الباب وتستحله فيما مضى ، فخلى سبيله . فكان أبو المعافى ينشد ويعرض بالقريشيين[1] الذين أفتوا بحبسه : فدا مالكاً قوم .. الأبيات .
وأنشد لابن سليمان أخو بني خضرة في مالك :

كم فقه الله من جاب بمجلسه   وزاد فقهاً به من فقه عباس
ما ينتهي الناس في الفتوى اذا اجتهدوا   وقايسوك لذي النوكى بقياس
أنت الفقيه اذا ودت بقيتنا   لا الضارب (فيه) أخماساً بأسداس

وقال الفقيه محمد بن عمار الكلاعي الميّورقي أيضاً من قصيدة منها :

وكن في ذي المذاهب مالكياً   مدينياً وسنياً متينا
مدينة خير من ركب المطايا   ومهبط وحي رب العالمينا
بها كان النبي وخير صحب   وأكثرهم بها أضحى دفينا
ومالك الرضى لا شك فيه   وقد سلك الطريق المستبينا
نظرنا في المذاهب فما رأينا   كمذهب مالك للناظرينا
ومذهبه اتباع لا ابتداع   كما اتبع الكريم الأكرمينا
وعندي كل مجتهد مصيب   ولكن مالكاً في السابقينا
وقد دل الدليل على صواب   يقول به لدى المتحققينا

---

(١) ر – القرشيين .

وقال الفقيه أبو حفص بن عبدالنور الصقلي المعروف بابن الحكار في ذلك :

تأملت علم المرتضين أولي النهى فأفضلهم من ليس في جده لعب
ومن فقه مستنبط من حديث رواه بتصحيح الرواية وانتخب
وما مالك إلا الهدى ولذا اهتدت به أمم من سائر العجم والعرب

وقال ايضاً :

ومالك هو نور قد أضاء لنا بعلمه فجلونا ظلمة السدف
لا يبتدي سائلًا بالوعد[1] يصرفه ولا يحيل على الأوراق والصحف
ولا يجيب جواباً ثم يتبعه نقضاً ولكن برأي غير مختلف

وقال الفقيه أبو الفضل ابن النحوي في ذلك :

إن الإمام الأصبحي من النجوم الباهرات
حفظ الله به الحديث وعده في الحافظات
وتصرفت آراؤه في المبدآت[2] المبدعات
ومشى على الهدي الذي يمشي عليه أخو الثبات
أهل المدينة يهتدى بهم وهم أعلى الرواة
ويحيل بعد قياسه في المحدثات المشكلات
طلب المعالي فاستوى فوق المعالي المشرفات
وتشرفت أنواره لحق البلاد القاصيات
فاطلب منها من يوفق للصواب وللهداة

---

(١) ر – بلا وعد يضربه .
(٢) ر – في المبرآت .

وللقاضي المؤلف رحمه الله تعالى ورضي عنه :

يا سائلاً عن عميد الهدى والسنن أطلب هديت علوم الفقه والسنن
وعند قلبك فاشدده على ثلج لا تطوينه على شكّ ولا تَخُن
واسلك سبيل الأُلى حازوا تقى ونهى كانوا فبانوا حسان السر والعلن
هم الأئمة والأقطاب ما انخدعوا ولا شروا دينهم بالبخس والغبن
أصحاب خير الورى أخيار ملّته خير القرون نجوم الدهر والزمن
من اهتدى بهداهم مهتدٍ وهم نجاة من بعدهم من غمرة الفتن
وتابعوهم على الهدي القويم هم أهل النهى والتقى والعلم والفطن
واختر لدينك ذا علم تقلّده مشهّر الذكر في شام وفي يمن
حوى أصولهم ثم اقتفى أثراً نهجاً الى كل معنى رائق حسن
ومالك المرتضى لا شك أفضلهم إمام دار الهدى والوحي والسنن
وعنه خذ علمهم إن كنت متبعاً ودع زخاريف كالأحلام في الوسن
فهو المقلّد في الآثار يسندها خلاف من هو فيها غير مؤتمن
وهو المقدّم في فقه وفي نظر والمقتدي بالهدى في ذلك الزمن
وعالم الأرض ضراب الذي حكمت شهادة المصطفى بالفضل والمتن
ومن اليه بأقطار البلاد غدت تقضي المطايا وتصبي يده البدن
من أشرف الخلق طرّاً حبه فجرى طي القلوب كجري الماء في الغصن
وقال كل لسان في فضائله قولاً وإن نحروا في الوصف عن لسن
عليه من ربه أضفى عوائده ومن رضاه كصوب العارض الهتن
وجاد مَلحَدَهُ وطفاء هاطلة[1] تسقي لرحماه مثوى ذلك الحنن

---

(١) ر — وجاء ملحده وطفاء هائلة .

باب

مشاهير الرواة عن مالك، من شيوخه وأقرانه ممن مات قبله بمدة وتقارب موته

قال القاضي رضي الله تعالى عنه: كنا قديماً جمعنا الرواة عن مالك على حروف المعجم، على ما أشرنا اليه أول الكتاب، فاجتمع لنا[١] منه نيف على الألف اسم وثلاثمائة اسم، وذكرنا في كتابنا هذا منهم في الطبقات الثلاثة الفقهاء منهم، إذ هو الغرض الذي بنينا عليه هذا الكتاب، وأردنا أن نذكر في هذا الباب نبذة من مشاهير مَن روى عن مالك من شيوخه وأقرانه، وكبراء الآخذين عنه، ومشاهير من سائر الناس ليتبين عظيم منزلته في وقته، واقتداء الجماهير به ومعرفتهم حقه، مقتصرين على الأسماء والوفاة لتقدمهم دون الخبر والقصص وعند تمام هذا الباب نرجع الى غرضنا في تطبيق أصحابه الفقهاء وذكر أخبارهم على ما شرطنا أول الكتاب.

باب

من روى عن مالك من شيوخه وأقرانه الذين تعلم منهم وروى عنهم

فمن التابعين محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، روى عنه حديث الفريعة بنت سنان في الطلاق. ومات سنة أربع وعشرين ومائة

---

(١) ر – له.

قبل الخمسين[1] سنة . أبو الأسود يتيم عروة ومات قريباً من وفاة الزهري أيوب بن أبي تميمة السختياني توفى سنة ١٣١ إحدى وثلاثين ومائة قبل مالك بتسع وأربعين سنة . ربيعة بن أبي عبدالرحمان توفى سنة ست وثلاثين وقيل سنة اثنتين وأربعين ، روى عنه حديث المتعة وغير ذلك . يحيي بن سعيد الأنصاري ، روى عنه كثيراً من حديث ابن شهاب توفى سنة ١٤٣ ثلاثة وأربعين ومائة ، وقيل سنة أربع وأربعين قبل مالك بست وثلاثين سنة . موسى بن عقبة ، توفى سنة ١٤١ إحدى وأربعين ومائة وروى عنه حديث (النهي عن)[2] بيع التمر قبل بدو صلاحه ، وذكر أبو محمد الحسن بن اسماعيل الضراب وغيره ، أن من روى عن مالك من شيوخه من التابعين هشام بن عروة ، وتوفى سنة ست وأربعين ومائة وذكر غيرهم منهم زيد بن أسلم وسؤاله إياه ، ويزيد بن عبدالله بن قسيط[3] الليثي ومن غير التابعين من شيوخ مالك الذين روى عنهم وغيره ورووا عنه الحديث ، عمر بن الحارث المصري توفى قبله بثلاثين سنة . وزيد بن أنيسة الجريزي توفى قبله بخمس وخمسين سنة ، سنة موت ابن شهاب ، لكنه توفى شاباً ابن ست وثلاثين سنة . قاله كله البخاري ، روى عنه مالك في الموطأ ، وروى هو عن مالك حديث رحم الله من كانت عنده لأخيه مظلمة .. الحديث . نافع القاري ابن أبي نُعيم توفى قبله بعشر سنين قرأ عليه مالك القرآن . محمد بن عجلان . زياد بن سعد . سالم بن أمية . أبو النصر مولى عمر بن عبيد الله بن أسامة ابن الهادي توفى قبله بأربعين سنة ، روى عنه لا يحلُبُ أحدكم ماشيةَ أخيه

---

(١) ص — بخمس وعشرين وهو خطأ .
(٢) ساقط من — ص .
(٣) ر — قسيط . ص — قسط .

إلا بإذنه . عمر بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب روى حديث المتعة وغيره .

طبقة أخرى

من الأكابر من طبقة متأخري شيوخه من التابع التابعين ومن مات قبله بزمن ممن لم يروِ عنه مالك وروى هو عن مالك ، وفيهم من عاصره وتوفى قبله بزمن : محمد بن عبد الرحمان بن أبي ذئب[1] القرشي توفى قبله بعشرين سنة . عبد الملك بن جريج توفى قبله بثلاثين سنة . محمد بن اسحاق صاحب المغازي توفى قبله بنحو ثلاثين سنة . ذكر أبو محمد الضراب أنه روى عنه ، وفيه نظر[2] . ومحمد بن اسحاق المدني رجل آخر روى عن مالك بغير شك . سليمان بن مهران الأعمش توفى قبله بإحدى وثلاثين سنة .

طبقة أخرى

من الرواة عنه من أقرانه من الرواة والمشاهير الذين تقاربت موتاتهم معه ومن ساواه في السماع معه من أشياخه كثير منهم من مات قبله بسنين كثيرة . سفيان بن سعيد الثوري توفى قبله بنحو عشرين سنة . الليث بن سعد مصري توفى قبله بأربع سنين . شعبة بن الحجاج توفى قبله بعشرين سنة . ابو عمرو الأوزاعي توفى قبله بثلاثة وعشرين سنة . ابراهيم بن طهمان يروي

---

(١) ص — ذؤيب .

(٢) يعسر ان يروي مالك عن ابن اسحاق للخلاف والعداء المعروف بينهما . انظر رأي الإمام في ابن اسحاق عند ابن خلكان وفيات ج ٣ ص ٤٠٥ وياقوت ، أدباء ، ط ، الرفاعي ج ١٨ ص ٥١٦ امين الخولي، مالك ٤٨١ والمالكية بالمشرق للناشر ص ٧٣ بالفرنسية

ابراهيم بن محمد أبو اسحاق الفزاري توفى بعده بثمان سنين . ابراهيم بن محمد الشافعي مكي . أنس بن عياض مدني . أبو قرة توفى بعده بعشرين سنة . أسامة بن زيد الليثي . جويرية بن أسماء بصري مات بعده بثلاث عشرة سنة جرير بن عبد الحميد الضبي . القاضي بن مسلمة بصري . حماد بن زيد بصري توفى معه في عام واحد . سفيان بن عيينة مكي ، توفى بعده بإحدى عشر سنة أبو حنيفة كوفي توفى قبله بثلاثين سنة . ابنه حماد . أبو يوسف القاضي، توفى بعده بثلاث سنين . جعفر بن عون المخزومي كوفي . حفص بن عمر بن ميسرة الصنعاني . الحسن بن زياد اللولوي كوفي . حميد بن عبد الرحمان الرواسي كوفي توفى بعده بعشرين سنة . روح بن القاسم البصري . عباد ابن عباد المهلّبي ، توفى بعده بسنة . فليح بن سليمان مدني ، توفى قبله باثني عشر عاماً وأخوه عبد الحميد . القاسم بن سرور الإيلي . محمد بن عمران القاضي . محمد بن أبي سبرة توفى قبله بسبع سنين . محمد بن اسماعيل بن أبي فديك . اسماعيل بن ابراهيم بن عُلَيّه بصري ، توفى قبله بسنتين . محمد ابن الحسن التل . اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الغازي مدني ، وأخوه محمد . موسى بن أعين الجزري توفى قبله بسنتين . الضحاك بن عثمان بن عبد الله الحزامي الأكبر وابنه عثمان وابن ابنه الضحاك بن عثمان بن الضحاك وهو الأصغر من كبراء أصحابه ، وتوفى هذا الأصغر بعد مالك بسنة . عبدالله بن جعفر المدني والد علي توفى قبل مالك بسنة . مسلم بن خالد الزنجي توفى سنة وفاته . عبدالعزيز بن سلمة الماجشون توفى قبله بنحو عشرين سنة . وكيع بن الجراح توفى بعده بمدة . نافع بن يزيد مصري . المغيرة بن عبد الرحمان الحزاعي توفى سنة وفاته . معمر بن راشد توفي قبله بست وعشرين سنة . ورقاء بن عمر . ابراهيم بن محمد بن أبي يحيي مدني . عبدالله ابن لهيعة مصري ، وتوفى قبله بنحو الخمس سنين . حفص بن ميسرة الصنعاني

الشامي توفى بعد مالك بسنتين . عبد الرحمان بن أبي الزناد وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم توفى بعده بثلاث سنين . وهيب بن خالد البصري توفى قبله بخمس عشرة سنة . يونس بن يزيد الإيلي، مات قبله بعشرين سنة، وعبدالله بن ادريس الاودي . أبو عون عبدالله بن عون بن أرطبان بصري توفى قبله بنحو ثلاثين سنة . العطاف بن خالد المخزومي . معاوية بن صالح الحمصي قاضي الأندلس توفى قبله بنحو العشر سنين .

طبقة اخرى

بعد هؤلاء ممن روى عنه العلم من مشاهير الأئمة وتفقه عنده وجالسه من جلّة العلماء دون هؤلاء، منهم من شاركه في شيوخه، ومنهم من ظهر في حياته وأفتى في زمانه . فمن أهل المدينة: المغيرة بن عبدالرحمان المخزومي توفى بعده بسبع سنين . وسليمان بن بلال توفى قبله بأربع سنين . وعبدالعزيز ابن أبي حازم توفى قبله بأربع سنين وعبد العزيز بن الدراوردي توفى بعده بست سنين ومحمد بن مطرف أبو غسان وزكريا بن منظور ويحيي بن عبدالملك الهديري ومحمد بن مسلمة المخزومي .

من أهل العراق والمشرق

عبدالله بن المبارك توفى بعده بسنتين . ويحيي بن سعيد القطان وتأخرت وفاته بعده . وعبد الرحمان بن مهدي[١] كذلك . ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وتوفى بعده بثمان سنين . والحسن بن زياد اللؤلؤي صاحبه وحفص ابن غياث .

---

(١) ص - ابن أبي مهدي .

ومن أهل الحجاز واليمن

أبو قرة موسى بن طارق القاضي ، ومن أهل مصر عبد الرحيم بن خالد توفى قبله بثماني عشرة سنة . وعثمان بن الحكم توفى قبله بخمس وأربعين سنة وسعد بن عبدالله توفى قبله بست سنين . وزيد بن شعيب توفى بعده بسبع سنين . طُلَيْب بن كامل الاسكندري واسمه عبدالله .

ومن أهل القيروان

البهلول بن راشد ، توفى بعده بأربع سنين ، وعلي بن زياد مثله وأبو مسعود بن أشرس وعبدالله بن فروخ توفى قبله بأربع سنين، وأبو محرز القاضي محمد بن عبدالله . وعبدالله بن أبي حَيّان اليحصبي مدني . وعبدالله بن غانم القاضي ، توفى بعده بسنتين على ما ذكره الشيرازي ، والصحيح ان وفاته بعده بعشر سنين .

ومن أهل الأندلس

محمد بن يحيي السبائي وحفص بن عبدالسلام السرقسطي وزياد بن عبدالرحمان ابن محمد وسعيد بن عبدوس وسعد بن أبي هند توفى قبله بنحو ثلاثين سنة .

ومن أهل الشام

الوليد بن مسلم توفى قبله بأربع سنين . ومن بعد هؤلاء من المشاهير طبقة اخرى ممن حمل عنه الفقه والحديث ويندرج بعدهم من صَغُرَت أسنانهم عنهم وجئنا بهم على حروف المعجم تقريباً وترتيباً والله سبحانه المستعان .

باب الألف

أحمد بن محمد بن مالك حفيده . أحمد بن أبي بكر الزهري . أبو مصعب مدني . أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي . أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي مكي . أحمد بن منصور .

حرف الخاء

خلف بن هشام البزّاز المقريء[١] بغدادي . خلف بن جرير بن فضاله قيرواني . خلف بن حجاج الأزرق كوفي . خلف بن أيوب بلخي . خلف ابن موسى بلخي . خلفة بن خليفة أبو أحمد الأشجعي بصري . خالد بن عبد الرحمان أبو الهيثم خراساني . خالد بن خراش بصري . خالد بن عثمان العثماني . خالد بن مخلد القطواني كوفي . خالد بن يزيد العمري مدني . خالد العبدي بصري . خالد بن حميدة أبو حميد المدني . خالد بن نجيح . خالد ابن سالم . خالد بن يزيد الفارسي اللؤلؤي قروي . خالد بن نزار يروي رسالته الى محمد بن مطرف . خالد بن سليمان أبو معاذ (البلخي)[٢] . خالد ابن يزيد الأرقطي بصري . خالد بن يزيد المكي . خالد بن عبد الرحمان المخزومي . خارجة بن مصعب بن الحجاج سرخسي . خصيب بن ناجح مصري . خداش بن الدحداح . خليل بن كريز كوفي .

---

(١) ص – المقري . ر – المغربي .
(٢) ساقط من – ص .

حرف الدال

داود بن الزبرقان بصري . داود بن عبدالله بن أبي الكرام الجعفري مدني . داود بن مهران الدباغ . داود بن عبد الجبـــار . داود بن سعيد ابن أبي زبير مدني . داود بن سليان بن فلح مدني . داود بن منصور قاضي المصيصة . داود بن ابراهيم القزويني التميمي أندلسي . دعبل الخزاعي الشاعر.

حرف الذال

ذؤيب بن عمامة السهمي مدني . ذو النون بن ابراهيم الإخميمي مصري .

حرف الراء

ربيـع بن عبدالله بن يعقوب . الربيـع بن الربيـع بن الركين بن الربيـع ابن عليـة الفزاري كوفي . داود بن الجراح عسقلاني . روح بن القاسم بصري . روح بن عبادة بصري . روح بن زيد يمني . روح بن ثابت قروي .

حرف الزاي

زيد بن يحيي بن عبيد دمشقي . زيد بن الحباب العكلي كوفي . زيـد ابن أبي الزرقاء موصلي . زيد بن الحسن بصري . زيد بن عون (مصري)[١] . زيـد بن داود مدني . زيد بن بشر مصري نزل افريقيا . زياد بن موسى مصري . زياد بن عبدالله طليطلي . زياد بن الهيثم . زكريا بن نافع . زكريا

(١) ساقطه من — ص .

ابن يحيى النسوي . زكريا بن يحيى بن الحكم قروي . زكريا بن دريد بن الأشعث . زهير بن محمد مكي . زهير بن عباد الرواسي . الزبير بن بكار . الزبير بن الزبير بن حبيب بن ثابت الزبيري . زنبر بن أبي الأزهر . رقعة ابن أبي عبد الله بن ربيعة . زرارة[1] بن عبد الله افريقي . زياد بن حبيب ابن زفان . زهر بن معبد . زياد بن سعد .

حرف الطاء

طلحة بن يحيى بن النعمان الزرقي مدني . طاهر بن مدرار الطنافسي كوفي . طاهر بن عمر نصيبيني . طفيل بن عبد الله أنصاري . طلق بن غانم[2] كوفي .

حرف الضاد

الضحاك بن عثمان مدني . الضحاك بن مخلد أبو عاصم النبيل بصري . ضمرة ابن ربيعة رملي . ضرام بن اسماعيل مصري .

حرف الصاد

صالح بن بيان السيرافي القاضي . صالح بن محمد الخوارزمي . صالح بن عبد الله القيرواني . صباح بن عبدالله أبو بشر بصري . صباح بن محارب داري . صقلاب بن زياد قيرواني . الصلب بن محمد بن همام الحاركي بصري . صدقة بن عبد الله السمين دمشقي . صخر بن محمد الحاجبي .

---

(١) ص — زوارة .

(٢) ر — غنّام .

حرف الكاف

كامل بن طلحة[١] الجحدري بصري . كثير بن هشام . كثير بن الوليد .

حرف اللام

ليث بن خالد الخرساني . ليث بن بكر الهذلي . ليث بن عاصم النسائي الغيّاني[٢] أبو زرارة .

حرف الميم

محمد بن مالك ابنه . محمد بن إدريس الشافعي . محمد بن مليح مدني . محمد بن صدقة فدكي . محمد بن الضحاك بن عثمان بن الضحاك الخزامي مدني وهؤلاء الأربعة في نسب كلهم[٣] . ورووا عنه وصحبوه . محمد بن حبيب شامي . محمد بن عمر الواقدي بغدادي . محمد بن النعمان بن شبيل بصري . محمد بن عبد الرحمان الصنعاني . محمد بن خالد بن حرملة البصري . محمد بن عبد الله بن القاسم العمري . محمد بن عبد الله القادري . محمد بن أبي نوح قراد بغدادي . محمد بن عبد الله الزبيري كوفي . محمد بن مسلمة الحراني . محمد بن عبد الرحمان الرداد بن الرداد مدني . محمد بن يزيد الأنصاري . محمد بن موسى الأنصاري أبو غزية . محمد بن سليمان بن يونس . معاذ القريشي بصري . محمد بن سليمان ابن أخي داود الحراني . محمد بن خالد بن عثمة

---

(١) ر — ظلمة .
(٢) ر — القيرواني .
(٣) ر — علمهم .

بصري . محمد بن خالد العمري مدني . محمد بن خالد الجندي . محمد بن جعفر بن صبيح مصري . محمد بن حاتم بن صبيح خرساني . محمد بن عبدالله ابن ريسان . محمد بن صالح بن فيروز مروزي . محمد بن الحسن بن خالد الترمذي . محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري القاضي بصري . محمد بن عبدالله بن سنان الحارثي . محمد بن عبد الله الرقاشي والد أبي قلابة بصري . محمد بن عون الزيادي . محمد بن ابراهيم بن أبي سكينة الحلي . محمد بن أيوب الرقي . محمد بن المجير[1] بن علي الرعيني مصري . محمد بن جعفر الجعفري مدني . محمد بن جعفر عنوي بصري . محمد بن جعفر الوركالي . محمد بن مخلد أبو مسلم الرعيني شامي . محمد بن شجاع بن نبهان الخراساني . محمد بن مسلمة المزني . محمد بن اسحاق اللؤلؤي . محمد بن أبي فديك . محمد بن محمد ابن أسماء بن عبيد أخو جويرة . محمد بن أبي فديك . محمد بن أسامة مزني . محمد بن الحجاج المخزومي . محمد بن الحجاج المصفر بغدادي . محمد بن مصعب الفرفساني . محمد بن رمح مصري . معاوية النيسابوري . محمد بن زنبور بن أبي الأزهر المكي . محمد بن عبد الرحمان بن شروس الصنعاني . محمد بن المبارك الصوري . محمد بن كثير بن أبي عطاء الصنعاني . محمد بن محمد المقدسي . محمد بن يسوقا قروي . محمد بن عمر العنزي . محمد بن مسكين بن الرحال . محمد بن يحيى بن عبد الحميد أبو غسان مدني . محمد بن أبي بلال . محمد بن مسلم المدني . محمد بن جعفر المدني . محمد بن عمر البلقاوي دمياطي . محمد ابن أبي موسى الرعيني برقي . محمد بن مروان أسدي كوفي . محمد بن زيد أبو زيد الأنصاري مدني . محمد بن مزاحم المروزي . محمد بن أبي الخطيب انطاكي . محمد بن عمر بن الوليد . محمد بن عيسى الطباع . محمد بن المغيرة

---

(١) ليست واضحة في النسخ هل هي محير بالحاء أو مجير بالجيم .

المخزومي . محمد بن أبي مقاتل . محمد بن حيان أبو الأحوص البغوي . محمد ابن عثمان بن ربيعة الرأي . محمد بن يحيى الاسكندراني . محمد بن حرب ابن سليمان المكي . محمد بن حرب بن قطر بن قبيصة الهمامي بصري . محمد ابن سعيد السبابي أندلسي . محمد بن حرب الأبرش . محمد بن عيسى بن القاسم ابن سميع . محمد بن أبي عثمان مصري . محمد بن الفضل مكي . محمد بن مسلمة الحراني . محمد بن عثمان بن خالد العثماني . محمد بن أبي المطيع بصري . محمد بن أبي الوزير مصري . محمد بن أحمد بن حماد زغبة بصري . محمد بن عمران بن أبي ليلى كوفي . محمد بن بكير بن واصل الحضرمي بغدادي . محمد بن عتاب أبو الوليد السرخسي . محمد بن خلف البلخي . محمد بن بشر التنسي . محمد بن يحيى الأسلمي بصري . محمد بن حكم اللخمي افريقي . محمد بن معاوية الاطرابلسي . محمد بن بشير القاضي أندلسي . محمد بن عبد الأعلى أبو الخطاب افريقي . محمد بن ربيعة الحضرمي اطرابلسي . محمد بن عبد الله بن حكيم برقي . محمد بن عبد الله بن قيس الكناني برقي . محمد بن عليم . محمد بن اسماعيل حمصي مدني . محمد بن مخلد الحضرمي . محمد بن قعنب مدني . محمد بن الحسن ابن أتيش صنعاني . محمد بن عبد الله الحطاطي أندلسي . محمد بن زكريا ابن يحيى المعافري اسكندراني . محمد بن بكر البلوي . موسى بن جعفر الجعفري . موسى بن أعين الجزري . موسى بن محمد الأنصاري كوفي . موسى بن محمد بن عطاء البلقاوي . موسى بن مسلمة مصري . موسى بن عبدالله بن أبي علقة القروي . موسى بن ابراهيم المروزي . موسى بن ابراهيم العثماني . موسى بن أبي بكر البكري . موسى بن تميم مصري . مُعافر بن عمران الظهري موصلي . مخلد بن يزيد الحراني . مخلد بن أبان البناء . مخلد

ابن خداش أبو خداش بغدادي . (مروان بن محمد الطاطوي)[١] . مروان ابن محمد السنجاري . منصور بن مزاحم بغدادي . منصور بن سلمة أبو سلمة الخزاعي بصري . منصور بن يعقوب بن أبي نويرة كوفي . منصور بن اسماعيل التل حراني . محمد بن عون بصري . محمد بن سلمة العدوي . محرز المدني . معلى بن منصور الرازي . معلى المفضّل البصري . مالك بن اسماعيل أبو غسان كوفي . مالك بن سليمان الهروي . مالك بن حويص الهروي . مالك بن ابراهيم النخعي . مالك بن عثمان المعافري . أبو طالب قروي . مالك بن هارون الاسواني . المغيرة بن الحسن خال سعيد بن جعفر المغيرة بن صقلاب حراني . المغيرة بن الحسن الهاشمي مدني . مسلمة بن سليمان أندلسي . مسلمة بن علي بن الحسن شامي . معن بن عيسى . مطرف ابن عبد الله مكي . مكي بن ابراهيم الرحميني بلخي . محمود بن ميمون كوفي . منبه بن عثمان دمشقي . مسكين بن بُكير حراني . مجاعة بن الزبير . معمر بن خالد السروجي . مفضل بن فضالة مصري . مفضل بن صدقة . معمر بن سليمان بصري . مسيّب بن شريك . مقاتل بن ابراهيم بلخي . مهدي بن ابراهيم شامي . مهدي بن هلال . مصعب بن عبد الله الزبيري . مصعب بن عثمان الزبيري . مصعب بن ابراهيم القرشي . مهران ابن أبي عمران الرازي . مبشر بن اسماعيل الحلبي . مبارك بن مهاجر أبو الأزهر الرازي . منجاب بن الحارث بصري . مرداس بن محمد أبو هلال الأشعري . منيع بن ماجد أبو مطرف صنعائي . معاوية بن هشام أنصاري كوفي . مسعدة بن اليسع كوفي . معاوية بن حفص السبْعي حمصي . معاوية ابن المفضل قيرواني . مندل بن علي القمزي[٢] . مغيث بن بديل سرخسي .

---

(١) ساقط من – ص . وفي – ر – الطاطري .

(٢) ر – العمري وهو أقرب .

المنذر بن علي الخزامي مدني . الماضي بن محمد بن مسعود بصري . مرحوم ابن عبد العزيز العطار مصري . مسلم ويقال سلم بن ميمون الخوّاص شامي مطرف بن الأقرع قروي .

حرف النون

النعمان بن عبد السلام الأصبهاني . النعمان بن شبل بصري . نوح بن أبي مريم أبو عصمة بلخي . نوح بن يزيد المؤدب بغدادي . نوح بن مريم . النضر بن شميل مروزي . النضر بن شميل[1] مكي . النضر بن الطاهر[2] بصري . نضر بن باب خرساني . نضر بن طريف بصري . أبو حربة بصري . نصر بن ابراهيم . نافع بن يزيد بصري . نعيم بن حماد خراساني .

حرف العين

عبدالله بن نافع الصائغ مدني . عبدالله بن نافع الزبيري مدني . عبد الله ابن سلمة القعنبي بصري . عبدالله بن وهب مصري . عبد الله بن عبد الحكم مصري . عبدالله بن عثمان بن أبي واد بصري . عبد الله بن عون الخرازني بغدادي . عبد الله بن محمد بن أبي الوزير طائفي . عبد الله بن ميمون الرمام بلخي . عبدالله بن عثمان المعافري قروي . عبد الله بن عباد أبو عباد البصري ابن اخت حماد بن سلمة . عبدالله بن عبد الوهاب الجحفي . عبدالله

---

(١) ص - شبل .
(٢) ر - طاهر بدون أل .

ابن عنبسة العثماني . عبد الله بن عمرو بن أمية المغربي . عبد الله بن أمية النخاس . عبد الله بن ابراهيم الغفاري مدني . عبد الله بن عمر الفهري . عبد الله بن ادريس الجعفري . عبد الله بن ابراهيم البياض . عبد الله بن عبد الملك . عبد الله بن يزيد القصير مكي . عبد الله بن الحارث المخزومي مكي . عبد الله بن عثمان بن أبي اسحاق بن سعد بن أبي وقاص . عبد الله ابن مهران كوفي . عبدالله بن حكيم أبو بكر الداهري . عبدالله بن داود الجريجي بصري . عبدالله بن داود التمار واسطي . عبدالله بن نمير العمراني كوفي . عبد الله بن الوليد العدني . عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان مدني . عبد الله بن الربيع . عبد الله بن محمد بن أبي فروة . عبد الله بن مطيع بغدادي . عبد الله بن مسلم بن رشيد الهاشمي مولاهم . عبد الله بن محمد بن زمعة العداي[1] مصيصي مولاهم . عبد الله بن مسلم . عبدالله بن محمد بن عمارة الفراح . عبدالله بن واقد الحراني . عبدالله بن العلاء بن زيد دمشقي . عبد الله بن الجراح القومتاني . عبد الله بن رجاء المكي مصري . عبدالله بن مسوار العنبري القاضي بصري . عبدالله بن مالك الخزاعي . عبد الله بن يوسف التنيسي . عبد الله بن محمد بن حُميد بن الأسود ابن أخت ابن مهدي . عبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري . عبد الله ويقال عبد الرحمان بن يحيى بن سعيد القدري مدني . عبد الله بن عمر بن قاسم العمري . عبد الله بن معاذ صنعائي . عبد الله بن النضر بن أنس بن مالك بصري . عبد الله بن أبي حسان قيرواني . عبدالله بن صالح كاتب الليث . عبدالله بن أسمح مصري . عبدالله بن محمد البيطاري مصري . عبد الله بن حماد الخولاني مدني . عبد الله بن أبي غسان قروي . عبد الله

---

(١) ر – عدّائي .

ابن عبد الحميد الحنفي بصري . عبد الله بن عثمان أبو طالب الابزاري . عبد الله بن عياد القلزومي . عبد الله بن داود الطيالسي . عبد الله بن عبد الجليل مؤدّبه . عبدالله بن حازم الرملي . عبدالرحمان بن القاسم مصري . عبد الرحمان بن محمد المحاربي . عبد الرحمان بن عمر الحراني . عبد الرحمان ابن عبد الله بن عمر العمري . عبد الرحمان بن عبد الله أبو سعيد الهاشمي مكي . عبد الرحمان بن أبي جعفر الدمياطي . عبد الرحمان بن محمد الحمدي مدني . عبد الرحمان بن مسلم بن واقد . عبد الرحمان بن غزوان قراد أبو نوح . عبد الرحمان بن المغيرة الحزامي . عبد الرحمان بن دبيس الملامي كوفي . عبد الرحمان بن يونس الجعفري كوفي . عبد الرحمان بن يحيى بن ريسان بغدادي . عبدالرحمان بن مقاتل أبو سهل خال القعنبي . عبدالرحمان ابن المبارك العيشي . عبد الرحمان بن ابراهيم الراسبي . عبد الرحمان بن الجهم قيرواني . عبد الرحمان بن زيد بن أسلم مدني . عبد الرحمان بن عبد الله بن تيم اليشكري قاضي نيسابور . عبد الرحمان بن عبد الله العمري نيسابوري . عبدالرحمان بن هند أندلسي . عبدالرحمان بن موسى الهواري . عبد الرحمان بن عبد الله الأشبوني أندلسي . عبيد الله بن عبد الحميد ويقال عبد الله أبو علي الحنفي بصري . عبد الله بن سفيان القداني بصري . عبيد الله ابن محمد بن عائشة التميمي . عبيد الله بن عمر الأموي . عبيد الله بن حيان دمشقي . عبيد بن أبي قرة بغدادي . عبيد بن عبيد الله مروزي . عبيد ابن عبد الرحمان اليامي . عبيد بن هشام الحلبي القلانسي أبو نعيم . عبدالعزيز ابن عمران الزهري . عبد العزيز بن عبد الملك الأوسي[1] . عبد العزيز بن

(١) ص — الأريسي ؟

يحيى مدني . عبد العزيز بن عبد الله الأنيسي . عبد العزيز بن الحصين[١] بن الترجمان خراساني . عبد العزيز بن أبي رزمه مروزي . عبد العزيز بن أبي رجاء . عبد العزيز بن يحيى الهاشمي مولاهم . عبد العزيز بن عبدالله العامري بغدادي . عبد العزيز بن أبي رواد خراساني . عبد الملك بن الماجشون . عبد الملك بن مسلمة القعنبي بصري ، أخو عبد الله . عبد الملك بن مسلمة القريشي مصري . عبدالملك بن زياد النصيبيني . عبدالملك بن قريب الأصمعي . عبدالملك بن يزيد الحرزي . عبدالملك بن عمر بن عامر القعدي . عبدالملك ابن عبدالعزيز النسائي أبو نصر التمار . عبدالملك بن مهران الرفاعي . عبدالملك ابن أبي كريمة قاضي القيروان . عبدالملك بن يزيد القرقساني . عبدالملك بن الحكم الرملي . عبد السلام بن سلمة بن (يرداد) مدني . عبد السلام بن صالح أبو الصلق الهروي . عبدالحميد بن أبي أويس أبو بكر مدني . عبدالحميد ابن سليمان الخزاعي أخو فليح بن سليمان مدني . عبدالحميد بن عبدالرحمان ابن فروة . عبدالحميد بن يحيى مدني . عبدالحميد بن صالح البرجمي كوفي . عبدالوهاب بن نافع مدني . عبدالوهاب بن عطارد الخفاف العجلي بصري . عبدالوهاب بن موسى الزهري . عبدالكريم بن روح بن عنبسة . عبدالحكم ابن أعين مصري . عبدالأعلى بن حماد الراسبي بصري . عبدالأعلى بن مسهر دمشقي . عبدالرحيم بن موسى العتاد . عبدالرحيم بن واقد الواقدي بغدادي . عبدالرحيم بن أشرس قروي . عبدالكبير بن عبدالحميد بن أبي رواد مكي . عبد الغفار بن داود بن مهران حراني . عبد العظيم بن حبيب بن زغبان أبو بكر الحمصي . عبدالرزاق بن همام صنعاني . عبدالجليل بن سعيد الساحقي . عبد المنعم بن بشر أبو الخير مدني . عبد المتعال بن صالح . عبد الأحد بن

---

(١) ص — الحصير بالراء .

أبي زرارة الغساني . عبد القدوس بن الحجاج أبو المغيرة حمصي . عبد العظيم ابن عبدالله النقعي . عبد الحكم بن ميسرة المروزي . عمر بن هارون البلخي. عمر بن راشد ويقال عمرو الرملي . عمر بن أبان بن عثمان . عمر بن عصام مدني . عمر بن ابراهيم بن مالك الكردي كوفي . عمر بن محمد بن يحيى ابن عمر بن أبي مسلمة بن عبد الرحمان حجازي . عمر بن أيوب المدني . عمر بن نعيم بن ميسرة الرازي . عمر بن خالد مصري . عمر بن أيوب البرقي . عمر بن أيوب المعافري . عمر بن سميك ويقال سمك قروي[1] . عمر السهيمي . عمر بن سعيد أبو داود كوفي . عثمان بن عمر بن فارس بصري . عثمان بن عمر بن سلاح حراني . عثمان بن عبد الرحمان الطرابلسي حراني . عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي . عثمان بن عثمان بن خالد العثماني . عثمان بن عبد الله القرشي . عثمان بن عبد الله النصيبيني . عثمان بن صالح بن حبان مصري . عثمان بن عبد الله بن محمد الأموي . علي بن زياد الفقيه التونسي . علي بن زياد المحتسب الاسكندراني . علي بن الجارود النيسابوري . علي بن أبي علي اللهبي . علي بن هشام بن البريد كوفي . علي بن عبيد الله ابن محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب . علي بن يونس البلخي . علي ابن عبد الحميد المعي الكوفي . علي بن الماع المروزي ، علي بن الحسن بن أبان الرازي كراع . علي بن أبي بكر الاسباطي رازي . علي بن ثابت الجزري . علي بن محمد أبو الحسن المدائني الاخباري . علي بن الجعد الجوهري بغدادي . علي بن الربيع بن الركين الفزاري كوفي . علي بن محمد بن الحسن العلوي بن يوسف البصري . علي بن سالم الجمحي . علي ابن قتيبة الرفاعي . علي بن سعيد المؤذن . علي بن سعيد الترمذي . علي

(١) ص – فروي بالفاء وفي – ر – بالقاف .

ابن عيسى الغساني . علي بن معبد بن شداد العبيدي مصري . علي بن هارون الزينبي . علي بن الحسن الساسي صعيدي . علي بن زادويه . علي ابن أبي الوزير . علي بن يونس القروي[١] . علي بن مقدم بصري . عمر ابن سعد أبو داود الجعدي كوفي . عمر بن عمران المدني . عمر بن عثمان الزهري مدني . عباس بن أبي سلمة مدني . عباس بن الوليد القرشي مصري . عباس بن ناصح الجزري . عباس بن الوليد الفارسي تونسي . عمر بن حفص الإيلي . عمر بن اليتيم القطيعي بصري . عمر بن حكام بصري . عمر بن محمد المنقري كوفي . عمر بن أبي سلمة تنيسي . عمر بن مزرق بصري . عمر بن زياد الثوباني . عمر بن يزيد مصري . عمر بن مروان الإيلي . عمر بن زياد الباهلي بصري . عمر بن محمد العثماني . عيسى بن زيد بن علي الحسيني . عيسى بن الجعفري . عيسى بن يونس بن أبي اسحاق السبيعي . عيسى بن ميمون المكي . عيسى بن موسى مدني . عيسى بن موسى الصفار . عيسى بن خالد اليامي . عيسى بن واقد الحنفي . عيسى بن أبي فاطمة الرازي . عيسي ابن شجرة التونسي . عيسي بن موسى بن حميد مدني . عيسى بن يونس الرملي. عيسى بن خالد دمشقي . عاصم بن مهجّع أبو الربيع البصري . عاصم بن أبي بكر الزهري أبو قمرة[٢] مدني . عاصم بن علي بن عاصم الواسطي . عاصم ابن عبد العزيز الأشجعي . عقبة بن خالد السكوني كوفي . عقبة بن علقمة المعافري مروي . عقبة بن حسان العجري . عقبة بن عبد الحميد مروزي . عتبة بن حماد أبو جليد المكي القاري . عتبة بن محمد مروزي . عامر بن صالح بن عبد الله الزبيري مدني . عامر بن أبي عامر الخراز مصري . عامر

---

(١) ساقطة من — ر — بدون أل في — ص .
(٢) ر — ضمرة .

ابن أبي جعفر الأندلسي . عامر بن يسار . عامر بن عبدالله الغافقي . عباد ابن كثير عباد بن عباد بن المهلب أبو معاوية بصري . عباد بن صهيب أبو بكر الكلبي . العلاء بن عبد الجبار مكي . العلاء بن كثير مصري . علي ابن الفضل أبو حاتم البصري . عمارة بن زيد . علي بن مطر الرهاوي . عمران ابن ابان الواسطي . عمر بن يزيد بن جرجيس الفارسي مصري . عطاف بن خالد المخزومي . عتيق بن يعقوب بن صُديّق الزبيري . عمير بن عمار الهمداني كوفي . عمامة بن عمر السهمي . عون بن عمارة مصري . عفيف بن سالم موصلي . عفان بن يسار[١] الجرجاني . عنبسة بن داود قروي . عبيد بن عثمان دمشقي .

حرف الغين

غياث بن ابراهيم . غياث بن الحسيب . غسان بن مالك . الغازي بن قيس اندلسي .

حرف الفاء

فضيل بن عياض مكي . فتيان بن أبي السمح مصري . فضيل بن صالح المعافري . الفضيل بن ذكين أبو نعيم كوفي . فضيل بن غانم القاضي بغدادي . الفضل بن يحيي بن المروح[٢] أنباري . الفضل بن العباس . الفضل بن منصور . فضيل بن اسحاق . فياض بن محمد الرقي . فرج[٣] بن مرزوق أبو مسلم .

---

(١) ر – سيار .
(٢) ر – المورخ .
(٣) ر – فرح .

فهر بن حيان الأقطف بصري . فرات بن زهير بن أبي عيسى الجزري . فطر ابن حماد بن واقد الصفار بصري . فطر بن محمد الكواري .

حرف القاف

قاسم بن معن بن عبد الرحمان المسعودي كوفي . قاسم بن الحكم ابن أبي أوس مدني . قاسم بن مزيد الحرمي . القاسم بن عبيد الله العمري . القاسم بن نافع مدني . القاسم بن سليمان الطائفي . قتيبة بن سعيد خراساني . قيس بن الربيع كوفي . قطن بن صالح دمشقي . قدامة بن شهاب . قدامة بن محمد بن خيثم . قرعوس بن العباس اندلسي .

حرف السين

سعيد بن عفير مصري . سعيد بن الجهم مصري . سعيد بن عثمان مصري . سعيد بن الحكم بن أبي مريم . سعيد بن داود بن ابي زنبر مدني . سعيد بن مسكين بن أبي زرد . سعيد بن هشام . سعيد بن موسى شامي . سعيد بن ابي هلال . سعيد بن عبد الرحمان الجمحي . القاضي سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي بصري . سعيد بن سالم القداح . سعيد بن سالم العطار مكي . سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بصري . سعيد بن منصور مكي . سعيد بن محمد ويقال ابن موسى الأزدي . سعيد بن عمر الزبيري . سعيد ابن معن مدني . سعيد بن عيسى . سعيد بن منصور بلخي . سعيد بن المغيرة الصياد مصّيصي . سعيد بن الصباح نيسابوري . سعيد بن عون بصري . سعيد بن عبد الجبار أبو غنام حمصي . سعيد بن عمر بن الزبير مدني . سعيد بن عبد الرحمان المساحقي مدني . سعيد بن عبد الرحمان بن

جعفر بصري . سعيد بن ميسرة أبو هبيرة كوفي . سعيد بن عبد الحميد بن جعفر أبو معاذ مدني . سليمان بن برد مصري . سليمان بن داود الزهراني . سليمان بن حيان أبو خالد الأحمر كوفي . سليمان بن داود العسفاني . سليمان ابن محبوب العباداني . سليمان بن فريع[١] مصري . سليمان بن عيسى الشجري . سليمان بن بُريد بن المغني مدني . سلمة بن العبار دمشقي . سلم بن قتيبة الشعيري بصري . سلم بن المغيرة الأزدي ، ابو خميصة . سويد بن سعيد الحدثاني كوفي . سويد بن عبد الله كوفي . سويد بن عبد العزيز الدمشقي . سويد بن محمد قروي . سهل بن حماد أبو عتاب الدلال بصري . سهل بن مزاحم المروزي . سهل بن زياد الباهلي أبو عمرو . سهيل ويقال سهل بن قدامة الخاطبي . سلام بن واقد . سريح بن يونس بغدادي . سريح بن النعمان . سوار بن عمار رملي ، سنان بن عبد الله ، سحبل[٢] خادمه . سليمان ابن عبد الله بن كعب . سالم القداح مصري . سلامة بن زياد بن يونس مصري .

حرف الشين

شعيب بن يحيى اسكندراني . شبابة بن شبابة بن سوار مدائني . شعيب ابن اسحاق دمشقي . شعيب بن حرب ابو صالح بغدادي . شعيب بن الليث ابن سعد مصري . شجرة بن عبد الله بن عيسى قروي . شبطون بن عبد الله اندلسي .

---

(١) في – ر – بزيع .
(٢) ر – سلجم .

حرف الهاء

الهيثم بن عدي الطائي بغدادي . الهيثم بن جميل انطاكي . الهيثم بن خارجة خراساني . الهيثم بن حبيب بن غزوان أبو سالم خراساني . الهيثم بن عبد الله القرشي الفقيه . الهيثم بن خالد الخشاب كوفي . الهيثم بن حيان ابو بشر الرازي . هشام بن عبد الملك المدائني . ابو الوليد الطيالسي بصري[١] . هشام ابن بهرام المدائني . هشام بن عمار السلمي[٢] دمشقي . هشام بن عبد الله الرازي . هشام بن اسحاق بن عمرو ابو ربيعة مصري . هشام بن يوسف القاضي الصنعاني . هاشم بن القاسم أبو النضر بغدادي . هشام بن محمد الربعي . هانىء بن المتوكل اسكندراني . هياج بن بسطام هروي . هشام بن مسلم . هشيم بن بشير بغدادي . هارون بن صالح الطائي . هارون بن أبي الهيدام[٣] . هارون بن عبد الله الزهري القاضي بغدادي . هارون بن معروف[٤] بغدادي .

حرف الواو

ورقاء بن عمرو السكوني مدائني . الوليد بن سلمة الطغرائي . الوليد ابن كثير رازي . وهب بن المبارك ابو اليسع . وهب بن عطية بصري . وهب بن وهب أبو البختري القاضي . وبرة بن داود اندلسي .

---

(١) ساقطة من — ص .
(٢) ر — السهمي .
(٣) ر — الهيام .
(٤) ر — مكروه .

حرف الياء

يحيى بن مالك ابنه . يحيى بن يحيى التميمي نيسابوري . يحيى بن يحيى الليثي اندلسي . يحيى بن بكير مصري . يحيى بن نضر[١] اندلسي . يحيى بن سعيد بن أبان أموي . يحيى بن سليمان الطائفي . يحيى بن أيوب المصري . يحيى بن أبي زائدة كوفي . يحيى بن عبد الله بن سالم العمري مدني . يحيى بن نصر بن حاجب القرشي . يحيى بن عبد الله الضحاك البابلي[٢] . يحيى بن عبد الصمد بن معقل بن وهب بن منبّه الصنعاني شامي . يحيى بن حمزة الدمشقي . يحيى بن محمد العمري . يحيى بن ثابت الجندي، يحيى كاتبه . يحيى بن المبارك الصنعاني . يحيى بن صالح الوحاظي شامي . يحيى بن ابراهيم بن داود بن أبي فتيلة مدني . يحيى بن محمد بن قتيبة مدني . يحيى بن سالم البصري، سكن افريقية . يحيى بن عبد الله بن غيلان الجوهري بغدادي . يحيى بن السكن . يحيى بن عبد الحميد الحمامي كوفي . يحيى بن ترعة القرشي مدني . يحيى بن أبي عمر المدني . يحيى بن ابي المتوكل الباهلي . يحيى بن محمد الجارمي حجازي . يحيى بن عنبسة البغدادي . يحيى بن حسان الحراني ويعرف بالتميمي . يحيى بن مسلمة بن قعنب . يحيى بن أبي عباد . يحيى بن راشد . يحيى بن الضريس رازي . يحيى بن العريان الهروي ابو زيد . يحيى بن عبيد الشافي . يحيى بن زياد بن ضماد المرادي اسكندراني . يحيى ابن سابق مدني . يحيى بن عباد الزبيري مدني . يحيى بن كثير العنبري . يحيى بن يزيد[٣] الحنبلي . يوسف بن عدي كوفي . يوسف بن عمر بن يزيد

---

(١) ر — مضر .
(٢) ر — البائلي .
(٣) ر — أبي يزيد .

مصري[١] . يوسف بن شعيب اللاذقي . يوسف بن يونس ابو يعقوب الأفطسي شامي . يوسف بن الطرق . يعقوب بن الوليد المدني . يعقوب بن ابراهيم الحضرمي . يعقوب بن ابراهيم بن مطرف . يعقوب بن اسحاق بن أبي عباس القلزمي . يعقوب بن كاسب مدني . يونس بن يحيى أبو نباتة مدني . يونس ابن محمد بغدادي . يونس بن هارون شامي . يونس بن عبد الله بن سالم الخياط عصبة مالك . يونس بن عبد الله الليثي العمري بصري . (يونس بن تميم مصري . يزيد بن ابي حكيم المدني . يزيد بن ابراهيم (التستري)[٢]) . يزيد بن هارون الواسطي . يزيد بن هارون ابو خالد الأصبحي ويقال الصباحي . يزيد بن الخلال بغدادي . يزيد بن مغلس الباهلي . يزيد بن وهب ابو موهب شافعي . يزيد بن محمد الجمحي افريقي . يزيد بن عبد الأعلى ابن سويد الحبشاني . يعيش بن هشام القرقساني شامي .

حرف الكنى

ابو بكر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . ابو بكر بن شعيب المدني . ابو طلحة القاضي المدني . ابو طالب بن عثمان المعافري قروي ، وهو والله اعلم ابو طالب الابزاري وسنذكره والخلاف فيه . ابو محمد الحكيمي مدني . ابو موسى القاضي ، أراه هارون الزهري ولكنه كنيته ذلك المعروفة والله اعلم . ابو يحيى ابو المطرف بن ابي الوزير بصري . ابو علي صاحب محمد بن الحسن . ابو نصر التمار كوفي . ابو نضلة الاوسي . ابو السمح ويقال ابو السمحاء والد فتيان مصري . ابو سهل ابن اخي عتبة بن محمد اليامي .

---

(١) ص — يوسف بن محمد يزيد بن مرخس ومصري (هكذا) .
(٢) ما بين القوسين ساقط من — ص .

ابو سعيـد مولى بني هاشم[١] أبو الهيثم العبدي . أبو سوار ويقـال ابن سوار الجوني . ابو نبيل عبد الله بن مالك . ابو سلمة الخزاعي . ابو سليمان البلخي كاتب ابن الرماح . قال الإمام الحافظ رضي الله تعالى عنه ، قد ذكر ما في هـذه الحروف مع التراجم التي قبلها من اسماء الرواة عن مالـك للفقه والاثر من الاكابر والمشائخ قبله وبعـده ومعه ، ومشاهير الرواة نيفـاً على الف اسم وتركنا كثيراً ممن لم يشتهر بذلك او من جهل ولم يعرف من هو او لم يذكر له عنه رواية الا حكاية حالة او وصف قصة ، او ذكر في رواية ولم تصح روايته عنه عند اهل المعرفة بالأثر ولاحظنا ذلك من كتابنا الآخر الجامع لجمهرة رواته الذين قدمنا ذكرهم واقتصرنا فيه على مجرد أسمائهم والتعريف بهم ، دون التعرض لما رووه عنه ، ولا شيء من اخبارهم إذ اخبار الفقهاء منهم تأتي مستوعبة مبسوطة بعد هذا الجزء إن شاء الله تعالى، وغيرهم ليس من غرضنا في هذا التأليف فلم نشتغل به ، فنخرج عن اسلوبه ونخالف مقتضى تبويبه والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

تم الجزء الثاني من المدارك والحمد لله على ذلك .

---

(١) ص – هشام .
(٢) زائدة في – ص – ساقطة من – ر .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ابتداء الطبقات

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رضي الله عنه :

وهذا حين ابتدىء لي ترتيب الطبقات المقصودة على العهود الموعودة وقد وجدنا أصحاب مالك من الفقهاء ثلاث طبقات . اولها ، من كان له ظهور في العلم مدة حياته وقاربت وفاته مدة وفاته . وثانيها قوم بعد هؤلاء ، فمن عرف بطول ملازمته وصحبته وشهر بعده بتفقهه عليه وروايته . ثالثها ، قوم صحبوه صغار الأسنان وأخرجهم بعده الزمان ، فقاربوا اتباع اتباعه وفضلوا بشرف مجالسته وحرية سماعه ، فرتبناهم على هذا التطبيق وجئنا بمن بعدهم فريقاً بعد فريق والله ولي التوفيق[١] .

---

(١) ر — الموفق .

الطبقة الاولى من أصحاب مالك

فمنهم من اهل المدينة : **المغيرة بن عبد الرحمان (المخزومي)**[١] قال الزبير ابن بكار هو المغيرة بن عبد الرحمان بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر[٢] بن مخزوم . قال ابو القاسم الإلكاني : ويقال في نسبه أيضاً ابن عبد الرحمان بن الحارث بن عياش . وقاله البخاري : ويقال ابن عبد الرحمان بن عبد الله بن عياش كنيته أبو هاشم . قال : وأمه قروية بنت محمد بن عمر بن ابي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، سمع أباه وابن عجلان وعبد الله بن سعيد بن ابي هند ، وهشام بن عروة وموسى بن عقبة وأبا الزناد ويزيد بن أبي عبيد ومالكاً ، روى عنه ، ابناه عبد الرحمان وعياش ومصعب بن عبد الله ، وابو مصعب الزهري وابراهيم بن حمزة الزبيري وقتيبة ابن سعيد ، ويحيى بن بكير وسعيد بن ابي مريم وابن مهدي وابن كاسب والداروردي . قال أبو زرعة : لا بأس به . والمغيرة احبّ إليّ في ابي الزناد من ابنه ، خرج عنه البخاري وقال يحيى فيه : ثقة . وقال احمد بن حنبل لا بأس به .

ذكر مكانته من العلم والثناء عليه

قال الزبير : كان المغيرة ، فقيه المدينة بعد مالك . قال أبو عمر بن عبد البر : كان مدار الفتوى في زمان مالك وبعده علي المغيرة ومحمد بن دينار . حكى ذلك عبد الملك بن الماجشون ، وكان ابن ابي حازم ثالثهم في

(١) ساقطة في — ر .
(٢) ر — محمد بن مخزوم .

ذلك ، وعثمان بن كنانة وابن نافع . قال ابن بكير كان المغيرة يفتي في حياة مالك وللمغيرة كتب فقه قليلة في ايدي الناس ، قال الواقدي : كان المغيرة فقيه اهل المدينة بعد مالك . قال غيره : كان بين المغيرة ومالك اول امره معارضة ثم زالت آخراً وجالسه . قال محمد بن عبدالله البكري : رأيت المغيرة يأتي مالكاً فيستند في المجلس وما يرتفع الى مجلس مثله . وقال غيره : وكان لمالك مجلس كالدكة يقعد فيه والى جانبه المخزومي لا يقعد فيه سواه ، وإن غاب المخزومي . قال الزبير : وعرض عليه امير المؤمنين الرشيد قضاء المدينة وجائزة اربعة آلاف دينار فامتنع ، فأبى إلا ان يلزمه ذلك ، فقال والله يا امير المؤمنين لئن يخنقني الشيطان أحب الي من ان ألي القضاء . فقال الرشيد ما بعد هذا شيء ، وأعفاه . وأجازه بألفي دينار . وقال الواقدي : لما جمع الرشيد بين مالك وأبي يوسف وأبى مالك ان يناظره ، قام المغيرة وقال : يا امير المؤمنين ، منا من يكفي ابا عبد الله الجواب إن أذن امير المؤمنين . قال من هو ؟ قال : أنا . فأذن له فناظره المغيرة في مسألة من الرهن ، وكان فقيه المدينة بعد مالك ، فقويت حجة المغيرة على ابي يوسف فتناظرا الى المغرب حتى خرجوا . قال الواقدي : فقال لي يحيى بن برمك : يا واقدي ماذا لقي صديقك ابو يوسف من المغيرة ؟ لقد حيّره حتى جعلت اتمنى ان يؤذن المؤذن بالمغرب فيتفرق المجلس لِما لقي ابو يوسف منه . وقال المغيرة لمالك حين خرجوا : كيف رأيت[١] مناظرتي للرجل ؟ قال رأيتك مستعلياً عليه ، غير انك كنت تترك شيئاً . قال وما هو ؟ قال كنت اذا ظهرت عليه في مسألة فضاقت به ،

(١) بالنسخ – ص – و – ر – كيف نظرت مناظرتي وبالأصل كيف رأيت .

أخرجك الى غيرها وتخلص منها بذاك ، وكان ينبغي ان لا تفارقه فيها حتى يفرغ منها .

ذكر نوادره وأخباره

قال الزبير بن بكار : قرأ الدراوردي على المغيرة فجعل يلحن لحناً منكراً فقال : ويحك يا دراوردي ، انت كنت بإقامة لسانك قبل طلبك هذا الشأن أحرى . وقال : ما كانت لنا حرمة إلا عاد عليها اللسان . وحكى ابو بكر الخطيب عن ابن الماجشون ، قال : دخل ابي وأصحابه على المهدي بالمدينـة وفيهم المغيرة بن عبد الرحمان وأبو السائب ، وابن اخت الأحوص ، فقال لهم : انشدوني . فأنشد عبد العزيز بن الماجشون :

وللنـــاس بدر في السماء يرونه ... وأنت لنا بدر على الأرض مقمر
فبالله يا بدر السماء وضوءهـــا ... تراك تكافي عشر مالك آخر
وما البدر إلا دون وجهك في الدجا ... يغيب فتبدو حين غاب فتقمر
وما نظرت عيني الى البدر طالعاً ... وأنت تمشي في الثياب فتسحر

وأنشد ابن اخت الأحوص :

قالت كلابة ما هذا فقلت لها ... هذا الذي انت من اعدائه زعموا
إني امرؤ لج في حب فأحرقني ... حتى بليت وحتى شفّني السقم

وأنشد المغيرة :

رمى البَيْنُ من قلبي السوادَ فأوجعا ... وصاح فصيح بالرحيـــل فأسمعا
وغرد حاوي البين وانشقت العصا ... وأصبحت ملهوف الفؤاد مفجعـــا
كفى حزناً من حادث الدهر انني ... ارى البين لا اسطيع للبين موقعا

وأنشد أبو السائب :

أصيخا لداعي حبّ ليلى ميمّما صدور المطايا نحْوها وتسمعـــا
خليليّ إنْ ليلى أقامت فانني مقيم وإن بانت فبينا بنا معا
وإن أثبتت ليلى بربع غدوها فعوذا لهـــا بالله ان تتزعزعا

فقال المهدي والله لأغنيتكم (الأربعة)[1] فأجاز الأربعة بعشرة آلاف دينار . وقال المغيرة : كنت اسأل مالكاً ، عن القول يقوله من اين قاله ، فصلى يوماً الى جانبي فقال لي : يا أبا هاشم ، إنك تكرم عليّ وتسألني عما لا أجيب فيه الناس ، فان اجبتك اجترأوا عليّ ، وأحب ان تفعل ، ولكن اكتب ما تريد من المسائل وابعث بها تحت خاتمك اجيبك فيما امكنني إن شاء الله . فانصرفت مسروراً وقلت لأصحابنا اكتبوا مسائل فكتبناها في نصف طومار وختمت عليه ووجهتها اليه ، فقامت عنده اربعة اشهر فجاءتني بخاتمه بعد ذلك وقد أجاب في ثلث ذلك المسائل ، قال في باقيها لا ادري . ومعه دخل مالك على الرشيد متوكئاً على المساحقي وعبد الرحمان بن عبيد الله العمري ، وربما كان مع المغيرة بن سلمة وكان ما بينهما قبل هذا بعيداً جداً (هكذا) . ولما جلس المغيرة إذ ذاك للناس ، قيل لمالك : إن المغيرة قد بسط في داره وأتاه الناس ، قال : الناس ليسوا بحمقى . وقد ذكر انه عرض به أبو المعافى في شعره الكافي ، وكان قد سجن فجعل له مالك ان يخرج من شهد عليه وشهد عليه المغيرة فقال :

ألا قل لقوم سرهم فقد مالك ... الأبيات . مولد المغيرة سنة اربع وعشرين ومائة ، وتوفى فيما قاله الزبير وعمه مصعب سنة ثمان وثمانين ومائة ،

---

(١) زائدة في – ر .

وقال البخاري وابن وضاح : في صفر سنة ست وثمانين ، قال البخاري : يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر ، وابنه ابو القاسم عبد الرحمان بن المغيرة . قال ابو القاسم الإلكاني يروي عن مالك وابنه يروي عنه ابن المنذر، والحزامي وعبد الرحمان بن شيبة .

عبد العزيز بن أبي حازم

واسم ابي حازم سلمة بن دينار الفقيه الأعرج مولى أسلم ، وقال ابن شعبان : مولى بني ليث كنّاه غير واحد أبو تمام وكنّاه أبو اسحاق الشيرازي ابو عبدالله ، والاول أصح . وقال آخر : أبو اليمان وهو تصحيف من أبي تمام والله اعلم تفقه مع مالك على ابن هرمز وسمع أباه والعلاء بن عبد الرحمان ، وزيد بن أسلم ، وسهيل بن ابي صالح ، وثور بن زيد ، ويزيد بن المناذر ومالكاً ، وكان من جلة اصحابه ، روى عنه ابن وهب وابن ابي أويس وقتيبة وعبد العزيز الأوسي وابن مهدي والقاضي هارون الزهري وابن المديني والقعنبي ويحيى بن يحيى التميمي ، ومصعب الزبيري ، قال ابن معين فيه : صدوق ثقة ليس به بأس . قال النسائي ليس به بأس . وقال ابو حاتم الرازي هو صالح الحديث قال[1] : هو وأبو زرعة افقه من الدراوردي والدراوردي اوسع حديثاً منه . قال ابن حارث : كان امام الناس في العلم بعد مالك ، وحكاه ابن وضاح عن بعضهم وشُوّر مع مالك اخرا . قال احمد بن حنبل لم يكن يعرف بطلب الحديث إلا كتب ابيه فانه سمعها منه ، وكان رجلاً تفقه ، وكان يقال لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه

---

(١) ص – قيل .

منه . قال : ويقال ان كتب سليمان بن بلال رفعت اليه ولم يسمعها منه . وقد روي عن اقوام لا يعرف له منهم سماعاً . قيل لمصعب بن عبد الله : ابن ابي حازم ضعيف إلا في (حديث)[١] ابيه . قال ، وقد قالوها ، اما ابن ابي حازم فسمع من سليمان بن بلال ، فلما مات سليمان أوصى بكتبه اليه، فكانت عنده، وقد بال عليها الفأر فذهب بعضها فكان يقرأ ما استبان ويدع ما لا يعرف . وأما حديث أبيه فكان يحفظه ، خرج عنه البخاري ومسلم . قال احمد كان يتفقه ، لم يكن بالمدينة بعد مالك افقه منه ، قال مصعب : ابن ابي حازم فقيه . وقال ابن السكري : هو مدني ثقة . وقال مثله ابن نمير . قال الدراوردي : شهد عند قاضي المدينة فقال ما اسمك ؟ قال عبد العزيز بن ابي حازم ، قال : الاسم عدل ، ولا اعرف وجهك . وكلف المشهود له من يعرف وجهه ، قال فاستحسن ذلك العلماء . قال المؤلف مثل هذه الحكاية لابن القاسم وهي به أشبه لخموله وقلة مواصلته القضاة ، وأما ابن ابي حازم فاشهر بالمدينة ومجالس أعيانها من ان يجهل . وحكى الشيرازي ان مالكاً قال فيه : انه لفقيه . وقال مالك قوم فيهم ابن ابي حازم لا يصيبهم العذاب . وقال ما يرفع عن المدينة إلا بابن ابي حازم . وقال ابن ابي ضمرة وغيره : ذكر قوم عند مالك الموت فبكى ، فقلنا له ارأيت ان نزل بك الموت فالى من نفزع ومن نشاور ؟ فقال : إن قوماً فيهم ابن ابي حازم فيصدرون عن رأيه ارجو ان يوفقوا . وحكى الدراوردي ، ان مالكاً سئل حين احتضر من ترى لنا ؟ قال ابو تمام ، يعني ابن ابي حازم . قال ابن مهدي : سأل رجل مالكاً عن مسألة فلم يجبه فيها ، قال له : فمن نسأل يا ابا عبدالله ؟ قال سل ابن ابي حازم، فانه نعم المرء . قال ابن مليح لمالك

---

(١) ليست في – ر .

الانفس يقرى عليها ويراح فمن تأمرنا يا اباعبدالله ؟ قال : بابن ابي حازم.[١] وقال ابو مصعب : إن مالكاً وعمر بن حسين كانا يجلسان عند الوالي فكان يرفع صوته على عمر وكان فيه لين ، فلما مات جلس مكانه ابن ابي حازم فرفع صوته على مالك ، فقال مالك يوم بيوم . قال ابن شعبان وغيره : توفي فجأة بالمدينة في سجدة سجدها بالروضة بمسجد النبي ﷺ يوم الجمعة ، في آخر سجدة منها غرة صفر سنة خمس وثمانين وكذا قال الزبيري وغيره . قال ابن سعد الجارودي والقعنبي والباجي : سنة اربع . قال ابن سحنون[٢] سنة ست وثمانين ومائة . وذكر البخاري ايضاً ان موته سنة اثنتين وثمانين ومائة ، ومولده سنة سبع ومائة وكان رحمه الله يخضب بالحناء .

عبد العزيز بن الدراوردي

ابو محمد هو عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن ابي عبيد ، ويقال الاندراوردي ايضاً ، منسوب الى دراوند في بلاد فارس ، وقال ابن سعد : دراورد قرية بخراسان . وذكره ابن ابي خيثمة وغيره ، مولى جهينة ، وبها كان منزله . ويقال مولى لبرمك بن وبرة اخي كلب بن وبرة ومن قضاعة ، مدني ، مولده بها . روى عن هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر ، والعلاء بن عبد الرحمان ، ومحمد بن اسحاق ، وسهيل بن ابي صالح ، وثور بن زيد ، وحميد الطويل ، وعمر بن يحيى المازني ، ومحمد بن عبد الله بن حسن المهدي ، وصحب مالكاً وغلب عليه الحديث وروى عنه ، ابن وهب وأبو نعيم والقعنبي وقتيبة وأبو

---

(١) زائدة في — ر .
(٢) بياض في — ص .

مصعب ويحيى بن يحيى ، اخرج له مسلم وروى[١] له البخاري، قال ابن معين ليس به بأس[٢] وما روى في كتابه فهو اثبت في حفظه . قال ابن ابي حازم ومصعب : كان مالك يوثق الدراوردي . قال ابن بكير واحمد بن صالح هو ثقة . قال الكوفي : هو ثقة ، وكان يلحن لحناً قبيحاً . قال احمد : اذا حدث في كتابه فهو صحيح ، وإذا حدث في كتب الناس اوهم . واختلف فيه قول النسائي فقال مرة ليس به بأس[٣] صالح . وقال مرة ليس بذاك . قال مصعب : ليس صاحب فتوى ، كان صاحب حديث . قال محمد بن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث يغلط . قال الشافعي رأيت المغيرة وابن ابي حازم والدراوردي يذهبون مذهب مالك . وعدّه ابن حبيب في طبقاته خير فقهاء المدينة بعد مالك . قال مصعب وابن دينار : أمر هارون والي المدينة ان يولي الصدقات التي جعلها هارون لأهل المدينة خير رجلين بالمدينة ، فلم يوجد يومئذ افضل من الدراوردي وسلمة بن عكرمة المخزومي فأقرأهما الوالي كتاب هارون فأبيا عليه ، فكتب الى هارون فأجابه : تالله لئن ولينا أعمالنا اشرارنا[٤] ليرون ذلك من حيفنا وجورنا، ولئن وليناها خيارنا ليأبون علينا . اضرب كل واحد منهم ثلاثين سوطاً في كل يوم حتى يلياها . وكان سلمة قد انهكته العبادة وما بقي فيه شيء ، فقال لهما الوالي : والله إنكما لمن اجل اهل[٥] المدينة عندي ، والله لأنفذنّ فيكما كتاب أمير المؤمنين أو تليانها . فبكى سلمة ، وقال الدراوردي : والله إن ضُربت

---

(١) بياض في – ص – و – ر .
(٢) ص – لا بأس به .
(٣) ص – صالحاً لا بأس به .
(٤) ص – شرارنا .
(٥) ص – هذه المدينة .

ثلاثين سوطاً لأموتن . فقال له الدراوردي : ويحك يا سلمــة تموت تحت السياط خير لك من النار . فقال سلمة: إنك والله قد وجدت مس" السياط، فأنت لا تباليها . فكلم الناس الدراوردي ، وقالوا اليه : إنما هي صدقة على المساكين وأنت فيها مأجور فولياها جميعاً ، وقد كان هارون حلف على الدراوردي قبل هذا في عمل اراد ان يستعمله فيه فأبى فحلف ليضربنه او ليلين" ، فحلف الدراوردي فضربه اثنين وثلاثين سوطاً موجعة فما ولي . توفي سنة ست وقيل خمس وقيل سبع وثمانين ومائة بالمدينة .

زكريا بن منظور بن ثعلبة

ويقال عقبة بن ثعلبة بن ابي مالك القرضي الأنصاري ابو يحيى جليسه ، ويحيى من اصحابه ، سمع منه ومعه ، من زيد بن اسلم وأبي حازم وهشام ابن عروة ، وسمع ابن ابي سبرة وعبيد الله بن عمر ومحمد بن عقبة وعطاف بن خالد وثابت بن يزيد المحاربي وعمر بن حسين . روى عنه عبدالله بن عبد الوهاب وعبد العزيز الأوسي وهارون بن معروف والحميدي ومحمد بن ذبالة وأبو ابراهيم الترجماني واسحاق بن ابي اسرائيل وعباد بن موسى الختلي وأبو ثابت المدني وهشام بن عمار وابراهيم بن المنذر وعتيق بن يعقوب وهارون بن يحيى القاضي وبه تفقه . قال يحيى بن معين : فيه حدة ليس بشيء ، وليس بثقة هو ضعيف . وقال ابو حاتم : ليس بالقوي ، ضعيف الحديث منكره ، لم يكتب حديثه . وقال ابو زرعة ليس بالقوي ، واهي الحديث منكره . وذكر يحيى بن معين انه سكن بغداد ، وقال ايضاً : لا بأس به . وقال مثل ذلك فيه احمد بن صالح . قال الخطيب : اختلف قول يحيى فيه . قال ابن رشدين ولي القضاء وحمله هارون الى الرقة ، لقضية قضى بها ، قال : وليس

بثقة . قال ابن رشدين : سألت يحيى عنه ، فقال : لا بأس به . قلت له : لم أرك فيه قبل جيد الرأي . فقال : ليس به بأس ، إنما زعموا انه كان طفيلياً . وقال ابن حنبل : زكريا بن منظور شيخ ، وليّنه . وقال فيه المدني ضعيف . وقال مثله العلا والنسائي والساجي . وقال الدارقطني : مدني متروك . وقال محمد بن سعد : كان أعور .

محمد بن دينار

هو محمد بن ابراهيم بن دينار الجهيني، مولاهم . من ولد دينار بن النجار . كنيته ابو عبدالله . قال القاضي ابو الوليد : كذا نسبه اصحاب الحديث . وقال عبد الرحمان الفقيه في روايته عنه : محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن دينار يروي عن ابي ذئب وموسى بن عقبة ويزيد بن ابي عبيد وعبدالعزيز بن المطلب وكان فقيهاً فاضلًا له بالعلم رواية وعناية . قال ابن حبيب : كان هو والمغيرة افقه اهل المدينة . قال ابن ابي حاتم الرازي عن ابيه ، وكان من فقهاء المدينة زمان مالك ، وهو ثقة . قال يحيى : وهو ثقة . قال البخاري : هو معروف الحديث . أخرج عنه البخاري . قال اشهب : ما رأيت في اصحاب مالك افقه من ابن دينار . وقال ابن شعبان : لا احسبه اراد غير المدنيين . قال ابن حارث : كان من قدماء اصحاب مالك وكبارهم وشركه في بعض رجاله . وقال ابن القاسم : كبير[1] من اصحاب مالك ، وهو ابن دينار . وقال الشافعي : ما رأيت في فتيان مالك افقه من ابن دينار . قال الشيرازي درس مع مالك على ابن هرمز . قال الحارث من مسكين كان ابن دينار ممن يقدم من اصحاب مالك . قال : جاء رجل الى مالك يوماً اثر صلاة

---

(١) ص — كثير في اصحاب مالك .

الصبح وكان مالك لا يتكلم حتى تطلع الشمس فجلس الرجل ما شاء الله ثم قام يذهب فقال له ابن دينار ما شأنك ؟ فأخبره . فأفتاه ابن دينار . فلما فتل قال مالك : يا محمد تفتي ؟ قال اصلحك الله لم يطمع الرجل فيك وقام ليذهب ، فخشيت ان يذهب بحاله فأفتيته بما أعلم من مذهبك . فقال له مالك : عجلت .

قال سحنون كان مالك وعبد العزيز وابن ابي سلمة ومحمد بن دينار يختلفون الى ابن هرمز ، فيسألونه ، فيجيب مالكاً وعبد العزيز ، ولا يجيب الآخر . فتعرض له ابن دينار وقال له لم تستحل ما لا يحل لك ؟ وذكر له القصة . فقال له : اني كبرت سني وأخاف ان يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في جسمي[١] ومالك وعبد العزيز فقيهان عالمان يسألاني عن الشيء فأجيبهما فما رأياه من حق قبلاه ، وما رأياه من خطأ تركاه . وأنت وذووك ما اجبتكم به قبلتموه . وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثمانين ومائة .

عثمان بن عيسى بن كنانة

قال ابن شعبان : يكنى أبا عمرو . وكنانة مولى عثمان بن عفان ، قال ابو عمر بن عبد البر : كان من فقهاء المدينة ، اخذ عن مالك وغلبه الرأي ، وليس له في الحديث ذكر . قال الشيرازي كان مالك يحضره لمناظرة ابي يوسف عند الرشيد ، وهو الذي جلس في حلقة مالك بعد وفاته . قال ابن بكير لم يكن عند مالك اضبط ولا أدرس من ابن كنانة وكان مالك اذا مل من حبس الكتاب علينا اسلمه الى حبيب كاتبه ، وربما الى ابن كنانة

(١) ص — وأخاف ان يكون خالط عقلي مثل الذي خالط جسمي .

وهو الذي قعد في مجلس مالك بعد وفاته ، وقيل بل جلس فيه يحيى بن مالك اولاً ، وجلس فيه بعد ابن كنانة عبد الله بن نافع الصائغ . قال غيره : وكان ابن كنانة ممن يخصه مالك بالاذن عند اجتماع الناس على بابه . فيدعى باسمه هو وابن زنبر وحبيب اللثالي المعروف ببابين . فاذا دخلوا ودخل غيرهم ممن يخصه أذن للعامة . قال يحيى : كان يجلس ابن كنانة عن يمين مالك لا يفارقه . وقال ابن مفرج وابن القرطبي : توفي ابن كنانة سنة ست وثمانين ومائة . وقال ابن سحنون وابن الجزار سنة خمس وثمانين . وقال ابن بكير : كان بين موت ابن كنانة ومالك عشر سنين ، وكانت وفاته بمكة وهو حاج .

عثمان بن الضحاك وبنوه

قال الفقيه الإمام القاضي المؤلف ابو الفضل : هو عثمان بن الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بنَ حزام . زاد ابن ابي حاتم ، ابن حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزيز بن قصي ، يكنى بأبي عثمان . قال الزبير : كان هو وابنه الضحاك بن عثمان بن الضحاك من اكبر اصحاب مالك ، وكانا جميعاً يجالسانه . روى عن عثمان هذا الحديث سمع منه ابن غانم وابن نافع الصائغ وأنس بن عياض . يروي عن ابيه والثوري والقطان وزيد ابن حباب وأنس بن عياض . يروي عن مالك وسالم ابي النضر ونافع وبكير ابن الاشج وعبدالله بن عروة . قال مصعب بن عبدالله كان علامة قريش بالمدينة بأشعار العرب وأيامها . له مروءة وفضل وفقه ، ومن كبراء اصحاب مالك ، وأمه ام عبد الله بن خالد بن حزام ، وله اخ اسمه الضحاك ، روى عنه العلم . ذكر ابن ابي حاتم : قال الزبير : وكان ابنه الضحاك علامة

قريش بالمدينة بأخبارها وأشعارها وأيامها وأشعـار العرب وأيامها وأحاديث الناس . قيل لابن معين : كيف حديثه ؟ قال : ليس به بأس . وقال : هو ثقة . وعثمان ابوه ثقة . قال ابن نمير هو مدني ثقة لا بأس به ، وفي حديثه اختلاف . قال ابن حنبل هو مدني ثقة . وقال ابو زرعة ليس بقوي . وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به . وابنه محمد بن الضحاك من اصحاب مالك ايضاً كثير الرواية عنه والمجالسة . قال الزبير هلك شاباً وقد ظهرت مروءته وخلف اباه في العلم والادب وكان ممدحاً . أمه أرْوى من بني عامر بن صعصعة . روى عنه الزبير كثيراً ، وابراهيم بن المنذر وابنه احمد بن محمد جالس الواقدي . وقال الواقدي : هـذا الفتى ، يعني احمد ، خامس خمسة جالستهم على طلب العلم كما ترون : هو وأبوه وجده الضحاك وأبوه عثمان بن الضحاك ، وأبوه الضحاك وعثمان بن عبد الله . ولما استعمل الرشيد عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبـير على اليمن ، وجّه عبد الله بن الضحاك بن عثمان خليفة له عليها ، وأعطاها رزقه الف دينار كل شهر ، الى ان يقدم عليه ، وكلم له الرشيد فأعانه على سفره بأربعين الف درهم وكان محمود السيرة وقال (وهو)[1] باليمن :

اقول لصاحبي إذ عيل صبري وحن الى الحجاز نبات[2] صدري
لعمرك ما العقيق ومـا يليه احب إلي من صلع وصهر

صلع وصهر ، موضعان باليمن . قال الزبير : قال عمي مصعب : اظن ان البيت الاول من البيتين له ، والآخر لغيره ، ورواهما جميعاً غير عمي له

---

(١) ساقطة من – ر .
(٢) ر – نبات صبري .

ومات الضحاك بمكة منصرفه من اليمن يوم التروية سنة ثمانين ومائة . فقال المنذر بن عبد الله الخزاعي يرثيه :

أعينيّ اسكبا غلبت عزائي حرارة بطّنت حشائي
على الضحاك اني ارى قليلا وقد بكى الحمام له بكائي
ولا تستبقيا دمعاً لشيء لعلّ الدّمع يبرد حرّ دائي

سعيد بن سليمان المساحقي

قال القاضي الإمام ابو الفضل : هو سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق ابن عبد الله بن مخرمة . وقال ابن شعبان : ليس في رواة مالك سعيد بن عبد الرحمان المساحقي ، وإنما هو ابن سليمان . كان من جلساء مالك واصحابه، وعليه دخل مالك على الرشيد متوكئاً وعلى المخزومي والعامري . وإنما سعيد ابن عبد الرحمان جمحي اخذ عنه ايضاً ، وذكره ابن شعبان ايضاً . قال الزبير : كان المساحقي من سراة قريش عقلًا وجلداً وجمالاً وشعراً وأدباً ، وعارضة . وكان مسدداً في قضائه . قال ابن شعبان هو من وجوه اصحاب مالك المدنيين . قال القاضي ابو بكر بن محمد بن خلف المعروف بوكيع في طبقات القضاة : هو اول قاض استقضاه المهدي بالمدينة وأقرّه الرشيد صدراً من ولايته . قال ابن الماجشون شهد سعيد بن سليمان عند ابن عمران الطلحي وهو قاض ، فرد شهادته . فلما ولي سعيد شهد عنده ابن عمران فنظر في شهادته ففكر قليلاً ثم قال لكاتبه : أجز شهادته يا ابن دينار . فان المؤمن لا يشفي غيظه . وكتب العباس بن محمد الى سعيد بن سليمان ، وكان ينقلب الى الحجاز والى ماله بالجفر :

أليس الى نجد وبرد مياهه الى الحول أن حُمّ الإياب سبيل

وقال له زد اليه . فقال سعيد :

وان مقام المرء في طلب الغنا ببـــاب امير المؤمنين قليل

وذكر المصعب بن عبد الله في كتابه هذه الحكاية فقال : فلما وفد على الرشيد وكان منقطعاً الى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فنزل عليه ، وجعل يتقلب الى المدينة والى ماله بالجفر بناحية ضرية واشتكى عند العباس فجعل (العباس)(١) يمازحه ويدفعه عن الخروج الى الحج . قـال مصعب : فكتب العباس الى ابي بيتاً مازح به سعيداً وقال له زدنا عليه بيتاً ، وذكر البيت الاول إلا انه قال : الحج مكان الحول . قال : فزاد ابي وذكر البيت الثاني وقال الحول، فكان المرء وهو أصح في المعنى وأولى. وقال المساحقي :

وذي إحنة قد قلت اهلاً ومرحباً له حين يلقاني بجيّا ومرحبا
وأعطيته من ظاهري قسمة الرضى وأدنيتـــه حتى دنا وتقرّبا
فصلت به مستكمل الكف صولة شفيت به اضغان من كان مغضبا

وله الى عمرو بن عبد الرحمان العامري :

بلوت إخاء الناس يا عمرو كلهم وجربت حتى احكمتني تجاربي
فلم أرَ ودّ الناس إلا رضاهم فمن يذر أو يعتب فليس بصاحبي
فخذ عفو من احببت لا تحوجنه فعند بلوغ الكدّ رِتق المشارب
فهَوّنْكَ في حب وبغض فربما بدا جانب من صاحب بعد جانب

وأنشد ابن الجراح في كتاب الورقة(٣) هاته البيتين لابنه عبد الجبار :

(١) زائدة في — ر .
(٢) التجارب — ر .
(٣) ص — الورقتين .

إن لنا مجلساً نسر به عند احتضار الهموم والحزن
ما به من خلة يعاب بها إلا حنين الفؤاد للوطن

وابنه عبد الجبار يأتي ذكره في طبقة بعد هذا إن شاء الله تعالى . قال مصعب: ومات سعيد وهو عند العباس وأمه أمة الوهاب ابنة عمر بن مساحق .

سليمان بن بلال

أبو أيوب . قاله البخاري . قال مسلم : ويقال أبو محمد وهو قول الواقدي . مولى عبد الله بن ابي عتيق (وهو محمد بن عبد الرحمان بن ابي بكر الصديق ابن الحارث وابن قتيبة)[١] هو مولى القاسم بن محمد ، مدني سمع يحيى بن سعيد وزيد بن أسلم وعبد الله بن دينار وربيعة وشريك بن ابي نمير ، وصالح بن كيسان . روى عنه ابن إدريس وخالد بن مخلد المقري[٢] وابن وهب ويحيى ابن يحيى النيسابوري وأشهب وابن القاسم والقعنبي وابنا أبي أويس ، ويحيى ابن حسان . قال ابن معين : هو ثقة أروى الناس عن يحيى بن سعيد وهو أحب الي من الدراوردي . قال ابن حنبل : وكان كاتب يحيى بن سعيد ، وإنما كان وضع منه عند اهل المدينة أنه ولي السوق[٣] . قال ابو عمر بن عبد البر : هو احد ثقات اهل المدينة . وقال ابن حنبل والنسائي : هو ثقة . وقال ابن قتيبة : كان وضيئاً جميلًا . قال محمد بن يحيى : هو احفظ من الدراوردي . وقال ابو حاتم : هو مقارب . وقال ابو زرعة : هو أحب إلي من هشام بن سعد . قال ابن مهدي : ندمت ألا اكون اخذت عنه .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من — ص .
(٢) ص — والمقري .
(٣) ص — اي الحسبة .

وخرج عنه البخاري ومسلم وعده ابن حبيب في الطبقة التي صار اليها الفقه بالمدينة بعد طبقة مالك ، وشارك مالكاً في كثير من رجاله . وكان من أجل اصحابه وأخصهم به . وهو اول من جلس معه حين انعزل عن مجلس ربيعة ، وعمل لنفسه مجلساً . قال مطرف : قال لنا مالك : لما اجمعت تحولاً من مجلس ربيعة جلست انا وسليمان بن بلال في ناحية المسجد ، فلما قام ربيعة عدل الينا وقال : يا مالك تلعب بنفسك ! زفنت وصفق لك سليمان ابن بلال ، بلغت ان تتخذ مجلساً ، ارجع لمجلسك . وقد ذكرنا هذا الخبر بتمامه وسببه في اخبار مالك ، وولي سليمان بن بلال سوق المدينة . وقال احمد بن صالح الكوفي : انه ولي قضاءها . وقال ابن قتيبة : ولي خراجها. والأول أصح . وقد قال بعضهم : اذا قال مالك الامر عندنا والامر المجتمع عليه عندنا فانما يعني ما به الحكم أيام سليمان بن بلال . وهذا غير صحيح . وقد شرحنا هذا الفصل في اخبار مالك وولي ابن بلال القضاء ببغداد للرشيد وتوفي وهو عليه . وصلى عليه الرشيد وذلك في سنة ست وسبعين ومائة قبل وفاة مالك بثلاث سنين . وقد قال البخاري : توفي سنة سبع وسبعين . وقال ابن قتيبة : سنة اثنتين وسبعين . وقال محمد بن المثنى سنة ثلاث وسبعين .

محمد بن مطرف

(هو)[1] أبو غسان الليثي ، المزني صاحبه . وله كتب مالك رسالته في الفتوى وهو يرويها عنه ، وحكى البخاري ان اسحاق قال فيه : محمد بن طريف . قال البخاري : والأول اصح ، مدني ، نزل عسقلان . سمع زيد ابن اسلم وأبا حازم ومحمد بن المنكدر وشاركه مالك في كثير من رجاله .

---

(١) زائدة في – ر .

سمع من ابن المبارك ويزيد بن هارون وابن ابي يحيى وعيسى بن يونس وعلي ابن عياش . قال ابو حاتم فيه[١] : ثقة . وقال ابن معين والنسائي والبزّاز وابن السكري لا بأس به . وقال ابن السكري وابن بكير لا بأس[٢] به وقال ابن الرقي : احتملنا حديثه لأنه روى عنه الثقات .

يحيى بن كثير بن درهم

ابو عمران ، ويقال ابو الهياج ، ويقال ابو الهراج والأول اشهر[٣] وهو قول البخاري مولى العمريين . ذكره الدارقطني وابن شعبان وابن مفرّج رواه مالك : قال الدارقطني وابن شعبان وهو مدني ، وقال ابن مفرج : مصري . وقال البخاري وغيره : (هو)[٤] بصري . قال ابن عبيد : كان من كبراء اصحاب مالك المتقدمين . حدث عنه ابن سفيان عن سعيد وعبد العزيز بن مسلم وأبي حفص بن العلا . روى عنه ابراهيم . خرج عنه البخاري ومسلم . قال ابو حاتم هو صالح الحديث .

ومن اهل اليمن يحيى بن ثابت

من قدماء اصحاب مالك هو ظيني جندي[٥] . قال احمد بن خالد : قال لنا عبيد بن محمد الكشوري : يحيى بن ثابت من أقدم أصحاب مالك . وهو

---

(١) ص — فقيه .
(٢) ص — هو ثقة عوض لا بأس به .
(٣) ص — أصح .
(٤) زائدة في — ر . وقوله وابن مفرج ... الى ابن شعبان ساقط منها .
(٥) بفتح الجيم والنون .

أول من وطّأ له كتبه . وحدثنا أحمد بن خالد عن ابن الكشوري عن عبد الله بن الصباح ، قال : حدثنا يحيى بن ثابت عن مالك ، قال : سمعت ربيعة يقول لا يحل لأحد عنده موضع العلم إلا طلبه يريد العقل (هكذا) قال غيره : كان كاتب مالك أولاً .

ومن اهل المشرق عبد الله بن المبارك

وهو مولى بني تميم . ثم لبني حنيفة مروزي وكنيته أبو عبد الرحمان . سمع من ابن أبي ليلى وهشام بن عروة والأعمش وسليمان التيمي وحميد الطويل ويحيى بن سعيد وابن عون وموسى بن عقبة والسفيانين والاوزاعي وابن أبي ذئب ومالكاً ومعمراً وشعبة وحيوة بن شريح وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والليث وغيرهم . روى عنه ابن مهدي وعبد الرزاق ويحيى القطان وابن وهب وغيرهم . قال ابن وهب : ما فات ابن المبارك من مشيختنا إلا عمرو بن الحارث . قال الشيرازي تفقه بمالك والثوري ، وكان أولاً من اصحاب أبي حنيفة ثم تركه ورجع عن مذهبه . قال ابن وضاح : ضرب آخراً في كتبه على ابي حنيفة ولم يقرأه للناس .

ذكر مكانته من العلم والثناء عليه

قال ابو اسحاق الفزاري : ابن المبارك إمام المسلمين . وكان الفزاري يجلس بين يديه فيسأله . وقال شعبة : ما قدم من ناحيته مثله . قال ابن مهدي : لقيت أربعة من الفقهاء : مالكاً وشعبة وسفيان وابن المبارك . وفي بعضها : حماد ، مكان شعبة . فما رأيت أنصح للأمة من ابن المبارك وحديث لا يعرفه ابن المبارك لا نعرفه . وسئل ابن مهدي عنه وعن الثوري أيهما

أفضل ، فقال : ابن المبارك . فقيل له : إن الناس يخالفونك . قال : الناس لم يجربوا . ما رأيت مثل ابن المبارك . وكان ينسخ وحده . ولما نُعِيَ ابن المبارك الى سفيان بن عيينة قال : رحمه الله . لقد كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً سجيناً شجاعاً شاعراً . وقال أيضاً : ما قدم علينا أحد يشبه ابن المبارك وابن أبي زائدة . قال محمد بن المعتمر : قلت لأبي لما مات الثوري : من فقيه العرب ؟ قال ابن المبارك . قال الأوزاعي لأبي عثمان الكلبي عنه : لو رأيته لقرت عينك . وقال علي : هو ثقة . قال أبو حاتم : هو إمام . قال أبو زرعة : اجتمع فيه فقه ومروءة وشجاعة وسخاء وأشياء . وقال داود العطار : هو رجل طلع علينا من ناحية المشرق . وقال النسائي : ولا يعلم أحد في عصر ابن المبارك أجل منه ولا أعلى ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه . وقال سلام بن مطيع : ما خلق بالمشرق مثله، وابن المبارك أحب إليّ من الثوري . وقال ابن وضاح : سمعت جماعة من أهل العلم يقولون : اجتمع في ابن المبارك العلم والفتيا ، والحديث والمعرفة بالرجال، والشعر والسخاء والعبادة والورع .

ابتداء طلبه وسبب زهده وجمل من فضائله وعلمه

قال الإمام القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى : ذكر الصدفي ، قال : لما بلغ ابن المبارك دفع اليه أبوه خمسين الف درهم يتجر بها ، فطلب العلم حتى أفقدها ، فلما انصرف لقيه أبوه ، فقال : ما جئت به فاخرج اليه الدفاتر ، فقال هذه تجارتي . فدخل أبوه المنزل فأخرج له أبوه ثلاثين الف درهم أخرى ، وقال : هذه تمّم بها تجارتك ، فأنفقها . قال ابن المبارك طلبت الأدب ثلاثين سنة وطلبت العلم عشرين سنة . وقال ابن حنبل : لم يكن في زمن ابن المبارك أحد أطلب للعلم منه ، دخل اليمن ومصر والشام والحجاز

والبصرة والكوفة ، وكان من رواة العلم وكان أهلًا لذلك ، كتب عن الصغار والكبار ، وما أقلّ سَقْطه . كان يحدث من كتاب ، قال ابن وضاح : كان ابن المبارك يروي نحواً من خمسة وعشرين الف حديث . وقيل له الى متى تطلب العلم ؟ قال أرجو أن تروني فيه الى أن أموت . وذكر أبو عمرو في كتابه في طبقات المقرئين ، وذكر انه يقرأ بالاختلاف: إن ابنك سرق . وقال يحيى بن يحيى الليثي أقبل يوماً الى مالك رجل عليه سمت حسن : فكنت أراه ، يعني مالكاً ، يقول له : ها هنا . ثم تزحزح له في مجلسه ، وما رأيته تزحزح لأحد غيره . فأجلسه في جواره ، وكان ربما سأل مالكاً عن المسألة فيجيب فيها ثم يميل الى الرجل ويقول له : ما يقول أصحابك فيها ؟ فيقول الرجل جواباً خفياً لا نسمعه ولا نفهمه ، فرأيته فعل ذلك أياماً ، فأعجبني أدب الرجل ، ولم أره يسأل عن شيء حتى انصرف كان يجيز بما سمع . فقال لنا مالك : هذا ابن المبارك فقيه خراسان . وصلى ابن المبارك يوماً الى جنب أبي حنيفة فجعل ابن المبارك يرفع يديه في كل ركعة تكبيرة . فقال له أبو حنيفة أتريد أن تطير ؟ فقال : لو شهيت لطرت في الأولى . وكان يقول الزاهد الذي اذا أصاب الدنيا لم يفرح ، وإذا فاتته لم يحزن . وقال ابن شاهين : حضر ابن المبارك عند حماد بن زيد مسلماً عليه ، فذهب أصحاب الحديث الى حماد أن يسأل ابن المبارك أن يحدّثهم . فقال ابن المبارك : يا سبحان الله أحدّث وأنت حاضر . قال : أقسمت عليك لتفعلن أو نحوه . فقال : حدثنا أبو اسماعيل حماد بن زيد وما حدثهم بحرف إلا عنه ، وكان ابن المبارك يقول أول العلم النية، ثم الاستماع ثم الفهم ثم العمل ثم الحفظ ثم النشر . ويقال انه كان يحج عاماً ويغزو عاماً لا يمر بمدينة إلا قال لمشيختها من أهل العلم والاقلال : ليخرج معي من أراد الحج ، نكفيهم مؤونتهم . ويفعل مثل ذلك اذا أغزى .

قال أحمد بن شجاع : رأيت سفرة ابن المبارك على عجلة ، وقال على عجلتين . ومن كتاب أبي عمرو الصدفي قال : قدم الرشيد الثغر فجاء الفزاري وفرج أبو سليمان الى ابن المبارك ، فقالا له : قدم هارون وهو يريد لقاءك والسلام عليك . فقال : إذاً أكلمه بلساني كله . فقال أحدهما للآخر : قم بنا لعله يجيء منه ما يكرهه الآخر بسببنا . قال العسولي العابد : كنت مع ابن المبارك في غزاة في ليلة ذات برد ومطر فبكى . فقلت أتبكي من مثل هذا ؟ فقال : إنما أبكي على ليال سلفت ليس فيها مثل هذا من الشدة لنؤجر عليها . قال ابن الحسين : أرسل ابن المبارك الى أبي بكر بن عياش بأربعين الف درهم ، وقال سدّ بها خلّة القوم عندك . قال نعيم بن حماد : كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له : لا تستوحش ؟ فقال كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه ، وحكى : ان ابليس جاء الى ابن المبارك وهو يتوضأ فقال انك لم تمسح . فقال بلى قد مسحت . قال بل لم تمسح . فقال : أنت المدعي فأقم البينة . قال منصور بن عمار : ثلاثة تفتتت أكبادهم من الخوف ، الفضيل[1] وعيسى بن يونس وابن المبارك . وقال ابن المبارك لبعض أصحابه ، لا تغفل عن يوم ذكره الله في كتابه في ثلاثة وستين موضعاً[2] وقال رجل لابن المبارك : قرأت البارحة كذا وكذا . فقال ابن المبارك : لكني أعرف رجلاً لم يزل يقرأ البارحة التكاثر الى الصباح ما جاوزها . يعني نفسه . وذكر هو وغيره : ان ابن المبارك سئل عن ابتداء طلبه العلم فقال : كنت شاباً أشرب النبيذ وأحب الغنا وأطرب بتلك الخبائث ، فدعوت إخواناً حين طاب التفاح وغيره الى بستان

---

(١) ابن عياض .

(٢) يعني يوم القيامة .

لي ، فأكلنا وشربنا حتى ذهب بنا السكر ، فانتبهت آخر السّحر فأخذت العود أعبث به وأنشد :

ألم يَأنِ لي منك أن ترحما ونعصي العواذل واللوما

فاذا هو لا يجيبني الى ما أريد . فلما تكررت عليه بذلك وإذا هو ينطق كما ينطق الانسان : أَلَمْ يَأْنِ لِلّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ . قلت بلى ، يا رب . فكسرت العود ومرقت النبيذ وجاءت التوبة بفضل الله بحقائقها ، وأقبلت على العلم والعبادة . وروي أن عبد الله ابن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج ، فاذا بامرأة جالسة على مزبلة وهي تنتف بطة ، فوقع في نفسه أنها ميتة ، فوقف على بغلة وقال لها : ما هذه البطة أميتة أم مذبوحة ؟ قالت : ميتة . قال فلم تنتفيها ؟ قالت لآكلها أنا وعيالي . فقال لها يا هذه إن الله قد حرّم عليك الميتة ، وأنت في بلد مثل هذا . قالت ، يا هذا انصرف عني . فلم يزل يراجعها الكلام وتراجعه الى أن قال : وأين تنزلين من الكوفة ؟ قالت في قبيلة بني فلان . فقال لها وبأي شيء نعرف داركم ؟ قالت ببني فلان . فانصرف عنها وسار الى الخان ، ثم سأل عن القبيلة فدلوه عليها . فقال لرجل لك عليّ درهم وتعال معي الى الموضع . فمضى حتى انتهى الى القبيلة التي ذكرت المرأة فقال للرجل: انصرف . ثم دنا الى الباب فقرع الباب بمقرعة كانت معه ، فقالت العجوز من هذا ؟ فقال افتحي الباب ففتحت بعضه ، فقال افتحيه كله . ففتحته كله . ثم نزل عن البغل ثم ضربه بالمقرعة فدخل البغل الى الدار ، ثم قال للمرأة : هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد فهو لكم ، وأنتم منه في حل الدنيا والآخرة . ثم جلس ابن المبارك مختفياً حتى رجع الناس من الحج ، فجاءه قوم من أهل بلده يسلمون عليه ويهنئونه بالحج ، فأقبل

يقول لهم : انه كانت بي علة ولم أحج هذه السنة . فقال بعضهم : يا سبحان الله ، ألم أوادعك نفقتي ، ونحن بمنى ونحن نذهب الى عرفات . وآخر يقول : ألم تشتر لي كذا . فأقبل يقول : لا أدري ما تقولون . أما أنا فلم أحج في هذا العام . فرأى في الليل في منامه آت ، فقال : يا أبا عبدالله ، ابشر فان الله قد قبل صدقتك وبعث ملكاً على صورتك فحج عنك .

ذكر قطع من حكمه وشعره وملحه

قال رحمه الله تعالى :

تعاهد لسانك إن اللسان   سريع الى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد   يدل الرجال على عقله

وقال رحمه الله تعالى :

أرى لي أناسا بأدنى الدين قد قنعوا   ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغنِ بالله عن دنيا الملوك كما   استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل   وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

وقوله أيضاً رحمه الله تعالى :

تنعّم قوم بالعبادة والتقى   ألذ النعيم لا اللذاذة بالخمر
فقرت بهم طول الحياة عيونهم   وكانت لهم والله زاداً الى القبر
على برهة نالوا بها العز والتقى   ألا ولذيذ العيش بالبر والصبر

وكان فتى يصحب ابن المبارك يسمع منه كل يوم شيئاً يسيراً ، فسافر

ابن المبارك وسافر معه ، فورد على ابن المبارك رجل في منزله فحدثه ابن المبارك بحديث كثير فوجد الفتى في نفسه فكتب اليه :

كنت زواراً لكم في أرضكم   وأنا اليوم رفيق في السفر
ذان حقان عظيمان معاً   ليس كالطير الذي جاء فمر

فكتب ابن المبارك رحمه الله تعالى اليه :

غاية الصبر لذيــذ طعمها   ورديء الذوق منه كالصبر
إن في الصبر لفضلاً بيّناً   فاحمل النفس عليه تصطبر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

كل عيش قد أراه نكداً   غير ركن الرمح في ظل الفرس
وقيــام في ليـال دجن   حارساً للناس في أقصى الحرس

وجاء رجل الى ابن المبارك فقال له : رضي الله عنك صف لي الوالهين بالله فقال هم (كما أقول لك)[1] :

مستوفدين على رحل كأنهم   ركب يريدون أن يمضوا وينتقلوا
عفت جوارحهم عن كل فاحشة   فالصدق مذهبهم والخوف والوجل

وسأله آخر عن صفة الخائفين فقال :

إذا ما الليل أظلم كابدوه   فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا   وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود   أنين منه تنفرج الضلوع
وخرس بالنهار لطول صمت   عليهم من سكينتهم خشوع

(١) زائدة — ر .

وكان ينشد أيضاً :

اغتنم ركعتين زلفى الى الله   إذا ما كنت فارغاً مستريحا
وإذا ما هممت يوماً بنطق   فاجعل في مكانه تسبيحا
واغتنام السكوت أفضل من   خوض وإن كنت في الكلام فصيحا

ورأى أبا العتاهية يلبس الصوف فقال :

أيها القارىء الذي لبس الصوف   وأضحى يعد في الزهاد
إلزم الثغر والتعبد فيه   ليس بغداد منزل العباد
إن بغداد للملوك محل   ومناخ للقارىء الصياد

ومما استحسن له من الشعر قوله :

قرب طعامك وابذله لمن دخلا   واحلف على من أبى واشكر لمن أكلا
ولا تكن سامري العرض محتشما   من القليل فلست الدهر محتفلا

وشعر ابن المبارك كثير في غير باب وله أرجوزة في الصحابة والتابعين وقصائد طوال في التثبت والجهاد مشهورة ، وله كتاب الرقائق مشهور ، وكتاب رغائب الجهاد . وسئل ابن المبارك فقيل له : من الناس ؟ قال : العلماء . قيل فمن الملوك ؟ قال الزهاد . قيل : فمن الغوغاء؟ قال : هرثة وخزيمة . وقيل من السفلة ؟ قال من باع آخرته بدنيا غيره . وكان يقول : إن أثر الحبر في ثوب صاحب الحديث أحسن من الخلوق في ثوب العروس . وقيل له من أحسن الناس حالاً ؟ فقال : من انقطع الى ربه . وقال ابن المبارك : مررت بحائك وقد انقطع شسع نعلي فلقيني بنعال ، فقلت للثواب فعلتها ؟ قال نعم . فكنت إذا أجزت به ملت اليه فسلمت عليه . ثم افتقدته فأصبته قد أغلق حانوته ، فسألت عنه بعض جيرانه ، وقلت : إن

كان مريضاً عدناه أو مشغولاً أعناه أو فقيراً واسيناه . فقالوا لا علم لنا به . فاستأذنت على منزله فخرج اليّ ، فسألته ما شغلك عن حانوتك ؟ فقال لي : أنت يا ابن المبارك ، يراك الناس تميل اليّ فألبستني قميصاً ليس عليّ منه شيء . فأخذت بكمه فسرت به الى المقابر فقلت له : هذا قبر فلان ، كان من شأنه كذا . وهذا قبر فلان ، كان من شأنه كذا . فقال لي يا ابن المبارك ما أعرف ما تقول ، ليس الرجل كل الرجل من وصفته الألسن ولا الرجل كل الرجل من رمقته الأعين ، إنما الرجل من ستر الله عليه في حياته فأدخله قبره مستوراً ثم أبرزه يوم القيامة ليس عليه ذلة معصية فذلك الرجل .

وحكى أبو بكر بن الخطيب ان الحسن بن عيسى بن سرجس كان يجتاز وهو إذ ذاك على نصرانيته بابن المبارك ، وكان الحسن من أحسن الناس وجهاً فسأل عنه فقيل له : هو نصراني فقال : اللهم ارزقه الاسلام . فاستجاب (الله)[١] دعوته وحسن اسلام الحسن ورحل في طلب العلم ، فكان أحد علماء الأمة ، وممن رحل في طلب العلم والتسنن في الآفاق . وأخذ الناس عنه مع ورع وعقل وثقة ، ومال الى الدنيا رجل ممن كان يصحب ابن المبارك وصحب السلطان فلقيه يوماً فسلم عليه فقال له يا أخي :

كل من الأرز والبر ومن خبز الشعير واجعلن ذاك حلالاً تنجُ من حر السعير
وقِ يا هذا هداك الله عن دار الأمير لا تزرها واجتنبها إنها شر المزور
تذهب الدين[٢] وتدنيك من الحرب الكبير

فاستحى الرجل وترك مصاحبة السلطان ورجع الى صحبته .

---

(١) زيادة من تاريخ بغداد .
(٢) ر — تذهب الدنيا .

ذكر مذهبه في الرواية والحديث

كان ابن المبارك ينكر التدليس في الحديث . وقال له بعض الصوفية وسمعه يصف بعض الرواة : يا أبا عبد الرحمان تغتاب . قال : اسكت ، إذا لم نبين فمن أين يعرف الحق من الباطل ؟ توفى ابن المبارك بهيت منصرفه من الغزو في سفينة . فدفن بهيت في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة . قال البخاري : ومولده سنة ثمان عشرة ومائة ولما حضرته الوفاة قال لنصر مولاه : اجعل رأسي على التراب . فبكى نصر . فقال ما يبكيك ؟ قال ذكرت ما كنت عليه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيراً غريباً . فقال له : اسكت . فاني سألت الله ان يحييني حياة الأغنياء ويميتني ميتة الفقراء . ثم قال : لقني ولا تعد عليّ إلا أن أتكلم بكلام ثان . ولقني حتى يكون آخر كلامي . قال بشر بن قعنب : رأيت في النوم قائلًا يقول : عبد الله ابن المبارك وفلان وفلان في الفردوس الأعلى .

ومن أهل مصر عثمان بن عبد الحكم الجذامي من بني نصر

مشهور في أصحاب مالك المصريين . قال ابن شعبان : هو أول من أدخل علم مالك مصر . وقال ابن أبي مريم : لم تنبت مصر أنبل من عثمان ابن عبد الحكم . قال ابن أبي حاتم : فسألت أبي عنه فقال : شيخ ليس بالمتقن . قال الأمير : كان فقيهاً له روايات مشهورة عن مالك . قال ابن مفرج : وله عن مالك نحو سبعة عشر حديثاً . يروي عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفد وموسى بن عقبة وزهير بن محمد ويونس بن يزيد وابن جريج وعبيد الله بن محمد . روى عنه سعيد بن أبي مريم ، وأبو زرعة عبد الأحد بن

الليث ، وروى عنه ابن وهب كثيراً في موطإه وفي المدونة . قال أبو الربيع الرشيديني في كتاب عباد مصر : أشار الليث بن سعد ان يولي عثمان بن الحكم القضاء أو غيره ، فوقف عثمان عليه فقال : يا ليث رميتني بمشاقص الحتوف لا كلمتك بعد يومي هذا أبداً . فجاءه الليث يعوده في مرضه فقال : حولوا وجهي الى الحائط . قال ابن المفرج وابن الجزار توفي سنة ثلاث وستين ومائة . وقال ابن شعبان سنة ست وثلاثين ومائة . والأولى أشبه .

عبد الرحيم بن خالد بن يزيد مولى الجمحيين

قال أبو عمر الكندي مولى أبي الضبيع ، مولى عمر بن وهب الجمحي اسكندراني يكنى أبا يحيى . قال الدارقطني : عبد الرحيم وعثمان بن عبد الحكم أول من قدم مصر بمسائل مالك . قال الشيرازي : كان من إخوان بني أبي حاتم ونظرائه ، وعنده تفقه ابن القاسم بمصر قبل رحلته الى مالك وكان جمع بين الزهد والعلم . وقد روى عن مالك الموطأ ، وقد روى عنه الليث وابن وهب ، وروى ابن وهب عن سعيد بن أبي أيوب . قال ابن بكير : بلغني ان مالكاً كان يعجب به ، وكان فقيهاً . قال ابن القاسم : تذاكرنا مع عبد الرحيم بن خالد إيمان الكافر ورجوعه الى الاسلام ، مع ما ذكر الله في كتابه : قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ .. الآية[1] . وذنوب أهل الاسلام . فقال : إني لأرجو أن يكون أهل الاسلام أفضل حالاً من أهل الكفر . ولقد بلغني أن توبة المسلم كالاسلام بعد الاسلام . وكان أبوه خالد من فقهاء مصر وقضاتها ، يروي عن عطاء وأبي الزبير يروي عنه الليث وابن لهيعة والفضل . ووثقه أبو زرعة .

(١) الأنفال ٣٨ .

وقال أبو حاتم لا بأس به . وقال ابن القاسم لمالك يوماً : ما قدم أعلم بهذه البيوع من أهل مصر . فقال مالك : وأنّى لهم بذلك ؟ فقال : من قبل عبد الرحيم . ذكر الرشديني عن عبد الرحيم قال : بعثني أبي في حاجة ، فجاءه إنسان فسأله عن مسألة فأجاب فيها ، فقال له الرجل : مد الله للأمة في عمرك . وسمعته يقول وهو لا يراني لنفسه : خالد مولى أبي الضبيع مد الله للأمة في عمرك ومن أنت لولا نعمة ربك ، ومن أنت لولا ستر ربك وهو يبكي فلما أحس بي سكت . قال الرشديني : قال لي ادريس : لما مات عبد الرحيم عرف اليتم على ابن شريح . توفي سنة ثلاث وستين ومائة (قال العقدي وابن شعبان وابن الجزار وذلك بالاسكندرية وسنّه ثلاث وخمسون سنة)[١] .

سعد بن عبد الله بن سعد المعافري

أبو عمرو . وقيل أبو محمد . وقيل أبو عثمان ، من أقران عبد الرحيم من كبراء أصحاب مالك من المصريين . سمع منه ابن القاسم وأشهب وابن وهب وابن عبيد وابن بكير وغيرهم . قال الشيرازي : وبه تفقه ابن وهب وابن القاسم . قال ابن القاسم : ما خرجت الى مالك إلا وأنا عالم بقوله . قال سحنون يريد انه تعلم من عبد الرحيم وطليب وسعد وكانوا عنده أوثق أصحاب مالك . قال ابن بكير : هو ثقة . قال ابن حارث : كان فاضلًا مأموناً ، ووصّى لابن القاسم مع ابن وهب بابنته . قال ابن شعبان : وهو الذي أعان ابن وهب على تآليفه . قال ابن حارث : كان معلم ابن القاسم في العبادة . قال سليمان بن داود المقري في كتابه : أخبرني فتح بن حماد ،

(١) ما بين القوسين ساقط من — ص .

قال : لقيت الليث بن سعد عند قدومي من الاسكندرية فقال لي : كيف تركت إخواننا بالاسكندرية ؟ فقلت له مات سعد بن عبد الله . فاسترجع وقال لو كان في عدوة وكنت أنا وسعد في عدوة لرجوت أن أكون به مليئاً . قال ابن حارث : وكان فاضلاً مأموناً، خطب ابنة سعد رجل موسر، لكنه يعيبه أهل الدين ، فقال ابن وهب أزوجها منه . وقال ابن القاسم لا أزوجها منه . ثم قال أرأيت لو كان سعد حياً لكان يفعل ؟ قال ابن وهب لا . قال : فانما نفعل كما يفعل . قال سعد عن مالك : ليس على الفقيه ضيافة .. ولا مكافآت ، يريد عن هدية ، ولا شهادة بين اثنين . وذكر ابن وضاح أخبرني محمد بن يحيى وغيره : ان ابن القاسم أعطى سعداً معلمه صاحب مالك سبعين ديناراً . توفي بالاسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومائة .

زين بن شعيب بن كريب[١] المعافري ثم الخامري

بخاء معجمة ، من الاخمور ، بطن من المعافر ، ابو عبد الملك ، ويقال أبو عبد الله . كذا قال الأمير أبو نصر[٢] اسكندراني مصري . وآخر اسم زين بالنون : روى عن مالك وقاسم العمري وأسامة بن زيد وغيرهم . روى عنه ابن وهب وسيد بن تليد وابن بكير ومرة البرالسي وعبد الأعلى بن عبد الواحد ، قال ابن شعبان : كان مالك إذا فقده قال : كيف الشيخ الصالح ؟ وكان فقيهاً فاضلاً عابداً وكان يعبر الرؤيا ، وهو (الذي)[٣] عبر رؤيا ابن القاسم التي نذكرها في خبره . قال الحارث بن مسكين : كان زين ، من علية

(١) ر – خريب .
(٢) ابن ماكولا .
(٣) ساقطة من – ر .

أصحاب مالك . حكى سليمان بن داود العنبري عن عمه أبي الاصبع قال : كنت مع زين بن شعيب في الحرس ، وكان إنما نام هجعة أول الليل ثم لا ينام حتى يصبح ، يحرس وسط الليل وآخره ووسطه ، أشد ما يكون . وإذا كان قبل الفجر بمنزلتين إنما تراه هكذا راحتاه الى وجهه رافعاً يديه داعياً ثم يقلب بطونهما يسأل ويتعوذ الى الفجر ، قال : وعادلته الى مكة فذكر من فضله . حكى الحارث بن المسكين أن رجلاً سأل زين بن شعيب عن الواطي في الدبر . فتناول وسادة من وسائد الحرس فضرب بها رأسه . قال وكان زين ، من علية أصحاب مالك . قال الدارقطني توفي بالاسكندرية بعد الثمانين ومائة . قال الاخير سنة أربع وثمانين . وقال غيره سنة تسع وثمانين .

عبد الحكم بن أعين بن الليث القرشي مولاهم

يقال هو مولى عثمان بن عفان ويقال مولى عفيرة ، امرأة من موالي عثمان ويقال مولى رافع مولى عثمان . قاله ابن شعبان . والد بني عبد الحكم من فقهاء مصر . ويكنى عبد الحكم هذا أبو عثمان . وله رواية عن مالك في مسائل من المدبّر وغيرها . ذكر ابن القاسم في المدونة عنه مسألة . قال ابن أبي حاتم : يروي عن أبي حنيفة اليماني . روى عنه ابن وهب وعبد الله بن صالح كاتب الليث ، وابن القاسم . قال بعضهم : كان عاقلاً أديباً أعجلته المنية عن إتقان مذهب مالك . (مسائل) سكن هو وأبوه اسكندرية . ويقال أصلهم من أيلة . قال ابن بكير كان مداعباً للناس ، ورفع اسمه في تاريخ احمد بن سعيد سماه عبد الحكم بن اعين وتوفي سنة إحدى وسبعين ومائة .

طليب بن كامل اللخمي

من كبار أصحاب مالك وجلسائه . كنيته أبو خالد وهو أيضاً أبو عبدالله له اسمان قاله ابو سعيد حفيد مؤنس في تاريخه . قال وأصله اندلسي سكن الاسكندرية . روى عنه ابن القاسم وابن وهب وبه تفقه ابن القاسم قبل رحلته الى مالك مع سعد وعبد الرحمان . قال ابن حارث : وكانوا عنده أوثق اصحاب مالك . قال ابن وضاح : كان طليب بن كامل نبيلاً وهو من العرب من لخم ، وهو مصري اسكندراني . قاله سحنون . وذكر ابن شعبان في المصريين عبد الله بن كامل . وفي الاسكندرانيين طليباً بن كامل فجعلهما رجلين وهما واحد كما تقدم . وتوفي طليب بالاسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومائة في حياة مالك .

أبو السمح عبد الله بن السمح

ابن اسامة بن زنبر مولى بني عامر بن عدي بن نجيب المصري ، والد فتيان الفقيه . كذا كناه ونسبه ابو عمرو الكندي في كتاب اعيان موالي مصر فيمن روى عن مالك . قال : وكان ابو السمح فقيهاً ، روى عن مالك. وكان ابن وضاح ابو السمحاء . قال ابن حزم الصدفي : قال سحنون : رأى ابن السمحاء في منامه ، نعم العمل الحج لولا المناهل . قال المؤلف رحمه الله تعالى : ابو السمحاء ليس بوالد فتيان . وإنما والد فتيان ابو السمح المذكور . وقد وصفه ابن القاسم بالفقه والثقة في المدونة ، في كتاب الحج في مسألة الامام يذكر صلاة نسيها . قال : ولقد سألني رجل عن هذه المسألة ما يقول مالك فيها . وكان من اهل الفقه ورواته الثقة . فأخبرته ان مالكاً يرى

ان تنتقض عليهم ، كما تنتقض عليه ، فلا أعلمه الا قيل لي ، وهذا الرجل هو ابو السمح والد فتيان . قال الكندي وُلد ابو السمح سنة خمس وعشرين ومائة وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة .

خالد بن حميد بن أبي ثعلبة

ويقال خالد بن ابي ثعلبة ابو حميد مولى حرة اسكندراني . قال الكندي كان فقيهاً من اصحاب مالك ، روى عنه هانىء بن المتوكل وسعيد بن سابق ابن عابد مولده سنة ثلاث عشرة وتوفي سنة تسع وستين ومائة .

يحيى بن أزهر أبو عبد الله مولى قريش

قال الكندي : كان فقيهاً من أكابر اصحاب مالك وغلبت عليه العبادة . قال الحارث : كان ابن ازهر من خيار المسلمين ، وقدماء اصحاب مالك . وقال عبد الرحمان بن القاسم : كان العباد يأتون يحيى فينظرون صلاته لحسنها . قال غيره : كان يتيماً وكان له مال في بيت المال ، فلما كبر وقبض ماله أدى منها اربعمائة دينار او نحوها عن زكاة تلك السنين . وقال سليمان بن القاسم : ترك يحيى الف دينار ، كالخائف عليه . وكان قد اشترى تجارة بثمن فبيعت بعد موته بألف . توفي سنة احدى وستين ومائة في حياة مالك .

موسى بن مسلمة بن أبي مريم مولى أبي الضبيع

هو خالد سعيد بن ابي مريم ، كان من اكبر اهل مصر طلباً للعلم، توفي سنة ثلاث وستين ومائة في حياة مالك .

ومن أهل افريقيا عبد الله بن غانم القاضي

قال القرطبي هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شراحيل[١] بن ثوبان بن محمد بن شريح بن شراحيل بن الخنف بن أيمن بن ذي النبط بن فوز بن ذي رعين . كنيته ابو عبد الرحمان ، كذا نسبه ابن شعبان وابن حارث وأبو العرب . وقال البخاري في التاريخ : عبد الله بن عمر النميري عن يونس بن عبد الله ، سمع من الثوري وحجاج بن منهال ، وقال في الصحيح : حدثنا عبدالله (بن عمر النميري حدثنا يونس حديث الافك في باب من شهد بدراً ، قال ابن هنده)[٢] عبدالله هذا هو ابن غانم الافريقي . روى عنه القعنبي وابن القاسم . قال ابو العرب التميمي : كان ثبتاً ثقة فقيهاً عدلاً في قضائه . قال ابو علي ابن ابي سعيد في كتابه المغرب في اخبار المغرب : كان ابن غانم رجلاً كاملاً فقيهاً مقدماً مع فصاحة لسان وحسن بيان وبصر بالعربية ورواية الشعر ، ترى له ابيات مستحسنة وكانت فيه تهتهة[٣] . وكان ابوه مذكوراً قديماً في عرب افريقية وأبنائها قبل دخول (المذهب)[٤] . قال غيره : كان من أهل العلم والدين والفضل والورع والتواضع والفصاحة والجزالة . قال ابو سعيد ابن يونس : كان احد الثقات الأثبات ، ولم يعرفه ابو حاتم لبعد قطره ، وقال : مجهول . قال الشيرازي : كان ابن غانم من نظراء ابن ابي حازم وأقرانه . قال المؤلف رحمه الله تعالى : سمع ابن غانم من ابن أنعم ، وخالد ابن ابي عمران . ودخل الى الحجاز والشام والعراق فسمع من مالك وعليه

---

(١) هكذا في – ر . و – ص .
(٢) ما بين القوسين ساقط من – ص .
(٣) في – ص – تمتمة .
(٤) بياض في – ر . و – ص .

اعتماده ، ومن سفيان الثوري ومن ابي يوسف وعثمان بن الضحاك واسرائيل ابن يونس ، وداود بن قيس وغيرهم . سمع منه القعنبي وغيره . قال ابن عمران كان يجل ابن غانم وإذا جاءه اقعده الى جنبه ويسأله عن اخبار المغرب وإذا رآه اصحابه قالوا شغله المغرب عنا . ولما ولي القضاء أعلم مالك بذلك اصحابه ، وسر به . ويقال ان مالكاً عرض عليه ان يزوجه ابنته ويقوم عنده ، فامتنع من المقام ، وقال له : إن اخرجتها الى القيروان تزوجتها . وله سماع من مالك مدون انقطع . ومنه في المجموعة مسائل . وسمع الموطأ. قال وجاء رجل مرة بوثيقة الى اسد بخط ابن غانم فجعل اسد يعرضها ثم تعربها[1] باصبعه ، وقال : ما كان افقهه . قال سليمان بن عمران : ابن غانم كاملاً متكملاً فصيحاً حسن البيان جيد الترتيل ، لولا تمتمته ما قام بطلاقة[2] لسانه احد . قال احمد بن الجزار : وهذه التمتمة الباقية في ولده الى زمننا . قال اسد : كان ابن غانم فقيهاً . قال معمر : كان ابن غانم يقرئنا[3] كتب أبي حنيفة في الجمعة يوماً . ولما بلغت وفاته ابن وهب استرجع وترحم عليه ، ثم قال : لقد كان قائماً بهذا الامر . قال ابن غانم : لما دخلت مع البهلول ابن راشد على سفيان الثوري وكان معهم عبد الله بن فروخ ، قال : ليقرأ عليّ افصحكم لساناً . فاني اسمع اللحنة فيتغير لها قلبي . فقرأت عليه الى ان فارقته ، ما رد عليّ حرفاً . قال ابو العرب ومناقب ابن غانم كثيرة وذكر ابن حارث ان علي بن زياد كان يسيء القول فيه ويغمزه في كتبه ، ويقول ما صدق والله . حدث عنه سحنون وداود بن يحيى .

---

(١) ص – نقرها .
(٢) ساقطة من – ص .
(٣) ص – يقرأ لنا .

ذكر ولايته القضاء وسيرته

قال الشيرازي : ولى الرشيد لابن غانم قضاء افريقية . وقيل ولاه أمير افريقية روح بن حاتم المهلبي . اشار عليه ابن فروخ الفقيه لما امتنع هو ان يلي . وقيل ان ابا يوسف قال لروح عند خروجه الى القيروان : ان بمدينة القيروان فتى يقال له عبدالله بن غانم ، قد فقه فولّه قضاء افريقية . وكانت ولايته في رجب سنة احدى وسبعين ومابة ، وهو ابن اثنتين واربعين سنة في حياة مالك رحمه الله تعالى . ولما بلغت مالكاً ولايته سر بها ، وأعلم بذلك اصحابه . ولما اتاه ابن ابي حسان سأل عن ذلك ابن ابي حسان فأعلمه فقال ما ذلك كثير له . وكان الرشيد يكاتبه فكان يُعدّ قضاؤه من قبله . وتشاجر اصحاب ابن غانم في ولايته فقال بعضهم : هي من المسودة (كذا) دون امير المؤمنين . فقال ابو عثمان المعافري : امرأته طالق ثلاثاً ومماليكه احرار ، إن كان ولاه إلا امير المؤمنين ، ثم جاء الى ابن غانم فأخبره الخبر ، فقال لا يا اباعثمان ، كم صداق امرأتك ؟ فقال مائتا دينار . قال خذها فقد بانت منك امرأتك واعتق مماليكك . ولم يزل ابن غانم على القضاء الى ان توفي ، فكانت ولايته نحواً من تسعة عشر عاماً . وكان ابن غانم يوجه أبا عثمان هذا بمسائله ايام قضائه الى مالك فيما ينزل به من نوازل الخصوم ، فيأخذ له عليها الأجوبة ، وكان يكتب الى كنانة فيأخذ له الأجوبة من مالك . وكان يكتب ايضاً الى ابي يوسف . قال السيوري ولم يزل الامر يتراقى بابن غانم في الرفعة والسمو في أحكامه وأموره ، فكان من اكرام الخليفة له اذا كتب كتاباً لابراهيم بن الاغلب[١] يقول له فيه وأنا لا افك

---

(١) ص — أغلب بدون أل .

لك كتاباً حتى يكون مع كتابك الي كتاب ابن غانم . فكان ابراهيم اكثر الناس مداراة وتعظيماً له ، وكان ابن غانم يلبس من الثياب ارفعها ويجعل لخصومات النساء يوماً يجلس فيه للنظر بينهن ، فيلبس يومئذ الفرو الخشن وخلق الثياب، وينظر ببصره الى الارض فلا يشك من لا يعرفه انه اعمى ، ويزيل الحجّاب والكتّاب عنه ، وكان له حظ من صلاة الليل فاذا قضاها وجلس في التشهد آخرها عرض كل خصم يريد ان يحكم له ، على ربه ، يقول في مناجاته : يا رب فلان منازع فلاناً وادعى عليه بكذا فأنكر دعواه فسألته البينة فأتى ببينة شهدت بما ادعى ، ثم سألته تزكيتها فأتاني بمن زكاهم وسألت عنهم في السر فذكر يعني خيراً ، وقد أشرفت ان آخذ له من صاحبه حقه الذي تبيّن لي انه حق له ، فان كنت على صواب فثبتني وان كنت على غير صواب فاصرفني ، اللهم لا تسلمني . اللهم سلمني . فلا يزال يعرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم . وابن غانم هذا هو الذي أوقف الأحميّة التي كانت بمراسي افريقية ، لمرافق المرابطين . وكان ابن غانم اذا جلس رمى اليه الخصوم الشقاف فيها قصصهم مكتوبة ، فوجد يوماً شقفة فيها قصة النخاسين البغال فدعاهم ، فأخبروه ان اباهارون مولى ابراهيم بن الأغلب الاكبر صاحب امره ابتاع منهم بغالاً بخمسمائة دينار ، ولم يدفع لهم شيئاً. فضم ديوانه ونهض الى ابراهيم ، وكان قد أباح له الدخول عليه دون اذن، فكان القاضي اذا اتى تنحنح فاذا قيل له ادخل ، دخل . ففعل كعادته ، فسأله ابراهيم ما وصيته ، فذكر له شأن المتظلمين . فأحضر أبا هارون فاعترف وقال حتى يجيء الخراج وقد بعثت في طلبه . فقال ابن غانم : لا ابرح حتى تدفع اليهم أموالهم . فما برح حتى دفعت اليهم . ودعا الامير ابراهيم ابن الأغلب ابن غانم يوماً فقرأ عليه كتاب الرشيد يأمره بإحضار رجل يقال له حاتم الإبزاري ، ويقول إن لفرج مولى امير المؤمنين عليه عشرة

آلاف دينار ، ويأمر ابراهيم بقبضها ويوجهها مع رسول له خراساني . ويقول في آخر الكتاب : واحضر ابن غانم القاضي ، وقد أُحضر المطلوب ترعد فرائصه فلما اكمل ابراهيم قراءة الكتاب قال لابن غانم سمعت ما فيه ؟ قال نعم . قال ابن غانم وما احضرت إلا لتحمل[١] على قولي فيما في هذا الكتاب . قال ابراهيم : ولم أمرت باحضارك . اذا قال فأول ذلك ان يثبت الرسول بعدلين استخلاف امير المؤمنين له على قبض هذا ، وأن المال لأمير المؤمنين او لمولاه ، فقال الرسول ويكتب امير المؤمنين بالباطل ؟ قال معاذ الله ، امير المؤمنين اكرم أن يأخذ مالاً من غير حله ، ولكن قد تنخرق الأشياء دونه . قال الخراساني ما تقول ايها الامير ؟ قال ما قال القاضي . وتحمل . فقام ابن غانم وحمل الابزاري معه . فقال ابراهيم : ما أنفذ بصيرته وأمضى عزيمته . وراكب ابن غانم ابراهيم يوماً فزادت دابة ابراهيم في المشي فحول ابن غانم دابته ، وعرج الى داره ، فعاتبه ابراهيم على ذلك ، فقال ابن غانم اصلح الله الامير إنما نفوذ احكام القاضي على قـــدر جاهه ، ولو ساعدتك وحركت دابتي سقطت قلنسوتي فلعب بها الصبيان . وراكبه مرة ، فشق ابراهيم زرعاً فـلم يسلك ابن غانم معه . ودخل عليه يوماً وفي يـد ابراهيم قارورة فيها دهن يسير ، قال كم تظن ايها القاضي يساوي هذا ؟ قال تافه ، فـكم عسى ان يبلغ ؟ قال ابراهيم فان ثمنه كذا وكذا . قال ابن غانم : ما هو ؟ قال السم . قال أرنيه . فدفع اليه ابراهيم القارورة فضرب بهـا عموداً في المجلس فكسرها . ودعاه ابراهيم يوماً الى صعود الصومعة فأبى ، وقال : نكشف حرم المسلمين ، فلم يصعد معه . ودخل يوماً على ابراهيم فوردت عليه كتب من الرشيد ، فقرأ ابراهيم كتابه ثم دفعه الى ابن غانم

---

(١) ر – التحمل .

فقرأه ورده على ابراهيم . فقال له ابراهيم هات كتابك أقرأه قال لا افعل. قال له : فلم قرأت انت كتابي . قال انت دفعته الي ومددت يدك به فكرهت ردها . وقد أسرّ امير المؤمنين في كتابه ما لا اريد ان اطلع[١] عليه احداً . فقال له ابراهيم : أما علمت ان ابراهيم امير افريقية يقتل عبدالله قاضيها ؟ فقال : يُذكر ذلك . ولكن لست ذلك الامير ، هو ابنك ولست ذلك القاضي ، هو غيري . فقُدّر ان الخبر بعد هذا ، صَدَق في ابي العباس عبدالله بن طالب القاضي قتله الامير ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بعد هذا مسموماً في سجنه . وسيأتي ذكره بعد هذا إن شاء الله . قال ابن غانم : دخلت مجلس ابراهيم بن الاغلب ، إذ اشرف علينا ابراهيم فقام اليه من كان في البيت غيري . فجلس مغضباً ثم قال لي : يا أبا عبد الرحمان ما منعك ان تقوم كما قام اخواك ؟ فقلت ايها الامير : حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب ان يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار . فنكس ابراهيم رأسه وأطرق . ومرّ رباح بن يزيد الزاهد وبيده قسط زيت على ابن غانم وهو قاض ، فقال له ابن غانم : احمله لك . فقال رباح شأنك . فرفع القسط اليه وجعل يشق به مجامع الناس فسلك به حوانيت البزازين حتى انتهى الى داره . فقال رباح إنما فعلت هذا ، لأنه بلغني عنك انك تجد بنفسك ، فاحببت ان اضع منك . فجزاه ابن غانم خيراً وكان رباح بن يزيد يأتي كل (يوم)[٢] جمعة الى ابن غانم فيَدْعُوَا . وكان نحيلًا دقيق العروق فجعل يوماً يدعو فاستضحك ابن غانم وتمادى رباح في الدعاء ، وابن غانم في الضحك حتى نهض رباح فعذل ابن غانم

---

(١) ص — بما لم اطلع عليه احداً .

(٢) ساقطة من — ص .

جلساؤه في ذلك ، وقالوا له : مثل رباح يضحك عليه ؟ فقال لهم ابن غانم : امسكوا عني ، إنما غمني ان العدو لما علم ما نحن فيه من الخير ، اراد ان يقطعه بما رأيتم او نحوه . فلما كان الجمعة جاء رباح فأخذ في الدعاء وهجم على ابن غانم من الرقة والخشوع اكثر ما كان منه ، فلما قضى دعاءه قال ابن غانم جزاك الله خيراً يا ابا يزيد . فقال له رباح قد علمت ان الذي كان منك إنما حرّكك عليه العدو ليقطع ما نحن فيه من الخير . ومرّ يوماً بالسوق والبهلول بن راشد يشتري لحماً من جزار فنزل ابن غانم عن دابته وعانقه وقرب اليه دابته تعظيماً له ، فامتنع البهلول فأقسم عليه ابن غانم ، فقال له اني اشتريت لحماً قال احمله لك . فقال البهلول اني اجلك ان تمشي راجلًا فقال اركب خلفك . فركب البهلول على السرج وركب القاضي خلفه على كفل الدابة وقد حمل اللحم فشقا السماط حتى وصلا الى دار البهلول فعجب الناس من تواضعه وشرفه .

بقية اخباره وكرمه وحلمه

قال ابن البصري : ذكر ان ابناً لابن غانم جاءه من عند معلمه ، فسأله عن سورته فقرأ عليه فأحسن ، فدفع اليه عشرين ديناراً او نحوها . فلما جاء بها الصبي الى المعلم أنكرها وظن بالصبي ظناً . فجاء بها الى ابن غانم ، فقال ابن غانم : لعلك استقللتها ؟ قال لا . فقال له حرف واحد مما علمته يعدل الدنيا وما فيها . وذكر ان رجلًا يقال له ابن زرعة كان ابن غانم قد حكم عليه ، فبلغ ذلك من ابن زرعة كل مبلغ ، فلقي ابن غانم في طريق ضيقة فسبّه وقال له : يا فاعل يا ابن الفاعلة ، وبالغ . فلما كان بعد ذلك لقيه في طريق ضيقة ، فسلم عليه ابن غانم وحمله معه الى منزله فأحضر

طعاماً وأكل معه ، وأقاما الى قرب المساء ثم انصرفا . فلما اراد مفارقته استغفره ابن زرعة واعترف له بالخطأ ، فقال اما هذا فلست اجعله حتى نخاصمك بين يدي الله ، وأما ان ينالك منه شيء مكروه في الدنيا فلا . ومن طريق آخر ان الجند نزلوا في دار ابن زرعة بعد سبه له وملأوها سلاحاً . فلجأ الى ابن غانم ، فلما دنا من الباب تذكر ، وقال بعد ان سبته أستنصره ، فانصرف ، ثم أعظم ما نزل به فرجع اليه ، فلما دنا انصرف ثم رجع ، فلما رآه ابن غانم قال مرحباً بابن زرعة وأوسع مجلسه وقال له : ما جاء بك ؟ فأخبره فقال يا غلام الرداء والنعال . فلبسها ثم مضى الى الامير ، فسأله إخراج الجند من داره ، ففعل . وخرج ابن غانم مع جماعة الى منزله ومعه سليمان بن زرعة وخرج بزوائله ومطانجه[1] فنزل وقرب اليهم الطعام وفيه كنافة فجرّ رجل من القوم الزبد الى جهته ، فقال ابن زرعة : أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها ؟ فقال ابن غانم : استهزاء بكتاب الله تعالى ؟ لله علي ان كلمتك ابداً . وانصرف راجعاً الى القيروان . وهجا أبو المضرجي الشاعر بني غانم فاتصل ذلك بالقاضي فضجر منه واشتهر الشعر فقيل لابن غانم : ليس لك إلا أبا الوزن ، فانه يلقاه بكل ما يكره . وكان أبو الوزن مضحكاً ضعيف الشعر . فأتي به ، فقال ابن غانم : بلغني انك بعيد الصوت ونحن نريد من يؤذن في الجامع . وقال لبعض خدمه : ادفع لأبي الوزن خمسة أقفزة قمحاً وخمسين قفيزاً زيتاً ومائة درهم ، حتى ننظر في أمره . فلما قبض ذلك ابو الوزن قال للذي اتى به للقاضي : والله قصة ، فاني لا اصلح ان اكون مؤذناً ، فاخبر بالأمر ، فقال : قد كفي . فدخل يوماً على ابراهيم بن الاغلب في جملة الشعراء فنظر الى الامير ثم أنشده :

---

(١) ص – مطانج .

إني وإني وإنني وإنـــا وأهل بيتي معظمو الأمرا[١]

ثم أشار الى ابي المضرجي وقال :

إن ابا المضرجي شاعركم يضرط في الشعر كلما شعرا

قال القاضي : وبعد هذا بيت قبيح تركناه لفحشه ورفثه ، وإن كان بيت الابيات الثلاثة في بابه . فضحك الامير ومن حضر وانكسر خاطره ، وعلم من حيث اتى . فجاء الى ابن غانم معتذراً مقسماً انه ما هجا احداً من أهل بيته : فأظهر ابن غانم ألاّ علم عنده من شيء من القضية . فسأله كف ابي الوزن عنه ، فأمره بذلك . فقال لا والله حتى أُعطى مثل ما اعطيت حين هجوته . فأمر له بذلك . وكان ابن غانم يكثر إنشاد هذين البيتين :

اذا انقرضت عني من العيش مدتي فان عناء الباكيات قليل

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليـل خليـل

وكان لابن غانم اخ اسمه سعيد ، سمع من اخيه عبد الله وكتب عنه . وكان لابن غانم ابنان جليلان أبو عمر[٢] غانم وأبو شراحيل فقيهاً نظاراً ورعاً أديباً شاعراً ، اخذ عن الكوفيين ومال الى رأيهم . وتوفى ابن ست وثلاثين سنة . مولده سنة تسع ومائتين وكان لابنه أبي عمر غانم ولد يكنى أبا عبد الرحمان وهو القائل في شعر له يفتخر بآله رحمهم الله تعالى :

ولينا قضاء الغرب[٣] عشرين حجة فعز بعـــدل عندنا مستلينها

---

(١) ص – الدهرا .
(٢) عمرو – ر .
(٣) ر – المغرب .

وأمضى أبونا الحق في الناس فاستوت رعيته في العـــدل فاعتز دينها
فصلى عليــــه الله في مستقره وسقـاه من غرّ السحاب هتونّها

قال القاضي أبو الفضل : ودخل على ابن غانم أبو الوليد المهدي اللغوي في مرضه الذي مات فيه ، فقال له رفع الله ضجعتك من هذه العلة الى إفاقة ، وراحة ، وأعاد عليك ما عودك من الصحة والسلامة ، فطالما صححت وعوفيت أصلحك الله فاصبر لحكم ربك ، فان الله يحب ان يشكر على نعماه . فقال ابن غانم هو الموت والغاية التي اليها نهاية الخلق وما لا بد منه فصبر يؤجر صاحبه عليه خير من ضرع لا يقي عنه ثم تمثل :

فهل من خالد اما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار

وتوفى في ربيع الآخر سنة تسعين ومائة ، وقيل ست وتسعين من فالج أصابه وقيل ان بصره كان قد كف والاول أصح ، ويشهد له شعر حفيده قوله ولينا قضاء الغرب عشرين حجة وكان ولي القضاء سنة إحدى وسبعين وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وتوفي وهو قاض كما قدمناه ومولده سنـة ثمان وعشرين ومائة مع البهلول بن راشد في ليلة واحدة . وذكـر بعضهم انه سمع عند موته صوتاً لا يرون شخصاً يقول :

زارت ذئاب بعد طول عوائها لما تضمنه الضريح الملحــــد

وقيل بل رآه بعضهم في النوم ولما مات بكى عليه ابن الأغلب وجلس على كرسي ينتظر وقته ، ووقف على قبره معه ابن عقال خال ابراهيم بن الأغلب ، وجزع عليه ، فسأله ابراهيم عن ذلك ، فقال : كان لي صديقاً ودوداً . فقال ابراهيم والله ما ولينا افريقية ولا أمِنّا حتى مات . وكان علي الهمة لما مات قومت كسوة ظهره بألف دينار .

علي بن زياد التونسي العبسي

أبو الحسن . وقيل أصله من العجم ولد بطرابلس ، ثم انتقل الى تونس فسكنها . وقال ابن شعبان وغيره هو من عبس . قال أبو العرب علي بن زياد من أهل تونس ثقة مأمون (خير)[١] متعبد بارع في الفقه ممن يخشى الله عز وجل مع علوه في الفقه . سمع من مالك وسفيان الثوري والليث ابن سعد ، وابن لهيعة وغيرهم . وسمع بافريقية قبل هذا من خالد بن أبي عمران ، لم يكن بعصره بافريقية مثله . سمع منه البهلول بن راشد وسحنون وشجرة وأسد بن الفرات وغيرهم . وروى عن مالك الموطأ ، وكتب سماعه من مالك الثلاثة[٢] . قال أبو سعد بن يونس : هو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان المغرب ، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه . وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم وهو معلم سحنون الفقه . قال الشيرازي به تفقه سحنون وله كتب على مذهبه وتفقه بمالك وله كتاب خير من زنته . قال سحنون : كتاب خير من زنته ، أصله لابن أشرس . إلا أنا سمعناه من ابن زياد وكان يقرأه على المعنى وكان أعرف من ابن اشرس بالمعنى . قال ابن وضاح : قلت له : أوكان أكبر من ابن أشرس ؟ قال : ما[٣] كان أمرهما واحداً ، إلا ان ابن اشرس رعى سمع ، وغاب علي ، فكان علي يقرأ على المعنى ، وهو ثلاثة كتب بيوع ونكاح وطلاق ، وسماعه من مالك ثلاثة كتب . قال أبو الحسن بن أبي طالب القيرواني العابد في كتاب

---

(١) ساقطة من – ص .
(٢) هكذا .
(٣) ص – قال لا كان امرهما واحداً .

الخطاب : ان علي بن زياد لما ألف كتابه في البيع لم يدر ما يسميه به ، فقيل له في المنام سمه : كتاب خير من زنته . ورأى حبيب أخو سحنون في منامه ، خذ كتاب خير من زنته ذهباً . فانه الحق عند الله . قال أسد قال لي المخزومي ، وابن كنانة : ما طرأ علينا طارىء من بلد من البلدان كشف عن هذا الامر، في رواية عن ابن كنانة ، كشف لنا مالك عن الاصول كشف علي بن زياد ، وكان سحنون لا يقدم عليه أحداً من أهل افريقية ، ويقول ما بلغ البهلول بن راشد شسع نعل علي بن زياد . قال سحنون : وكان البهلول يأتي الى علي بن زياد ويسمع منه ، ويفزع اليه . يعني في المعرفة والعلم ، ويكاتبه الى تونس يستفتيه في أمور الديانة . وكان أهل العلم بالقيروان اذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها الى علي بن زياد ليعلمهم بالصواب . قال وكان علي خير أهل افريقية في الضبط للعلم . قال سحنون ولو ان التونسيين يُسألون لأجابوا بأكثر من جواب المصريين . يريد علي ابن زياد وابن القاسم . وفي رواية اخرى : لو كان لعلي بن زياد من الطلب ما للمصريين ما فاته منهم احد . وما عاشره منهم احد . قال ابن الحداد ، ألا إنها كلمة فضله بها عليهم . وقال سحنون : ما أنجبت افريقية مثل علي ابن زياد . وكان يقول ما فاته المصريون الا بكثرة سماعهم . وذلك اني اختبرت سره وعلانيته . والمصريون انما اختبرت علانيتهم . قال أسد : كان علي بن زياد من نقاد أصحاب مالك . قال واني لأدعو له مع والدي . وفي رواية اني لأدعو في إدبار صلاتي لمعلميَّ ، وأبدأ بعلي بن زياد ، لأنه أول من تعلمت منه العلم . قال البلخي : لم يكن في عصر علي بن زياد أفقه منه ولا أروع . ولم يكن سحنون يعدل به احداً من علماء افريقية . قال ابن حارث : كان علي ثقة مأموناً خيراً .

ذكر فضائله ومناقبه

قال بعضهم : رأيت علي بن زياد واقفاً الى سارية بجامع القيروان ، فأراد ان يكبر فارتعد خوفاً من الله ، ثم تحامل فكبر وتغير لونه . وذكر ابن اللباد عن سحنون قال : مات بعض قضاة افريقية فقدم رسول الخليفة الى افريقية لجمع العلماء واستشارتهم في قاض يوليه افريقية . فتوجه الى تونس وبعث الى واليها في علي بن زياد [فتثاقل][1]، فأخبر بذلك الوالي رسول الخليفة فقال له الرسول ، امير بلد ورسول الخليفة ، يوجه الى رجل من الرعية فيتثاقل عن المجيء . فمضى اليه الوالي معه ، فلما دخلا عليه وجداه قد حول وجهه الى الحائط ، فقال له الوالي : يا أبا الحسن ، هذا رسول الخليفة يستشيرك في قاض يلي افريقية ، فحول عليه وجهه الى القبلة وقال : ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحداً يستوجب القضاء قوموا عني . وبعث فيه روح بن حاتم ليوليه القضاء ، فقدم عليه وقدم البهلول والصالحون الى باب دار الامارة اذ بلغهم قدومه فخرج عليهم علي يمسح العرق عن جبهته ، فقالوا : ما فعلت ؟ فقال عافى الله وهو محمود . فقال له البهلول : بما عزمت عليه ؟ (قال)[2] ألاّ أبيت فيها ، فيبدو[3] له ؟ فتوجه الى تونس على حماره ، وودعوه . وجاء رجل الى البهلول وقال رأيت في المنام كأن قنديلاً دخل من باب تونس حتى دخل دار بني دراج . فقال تعرف الدار ؟ قال نعم . قال قوموا بنا فقد جاء علي بن زياد . فانتهوا مع الرجل حتى أوقفهم على الدار . فسألوا فاذا علي قد دخلها في السحر . فدخل عليه البهلول ، فقام اليه علي وسلم

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) ساقطة من — ص .
(٣) لعلها — فدعوا .

عليه ، وجعل البهلول يسأله عن مسائل ، وكتب البهلول مع سحنون الى علي ابن زياد : يأتيك رجل يطلب العلم لله . فلما وصل سحنون أتاه علي الى بيته بالموطأ . وقال والله لا سمعته عليّ إلا في بيتك . لأن اخي البهلول كتب الي أنك ممن يطلب العلم لله . وقد رأيت أنا هذه الحكاية مع غير سحنون رجل آخر من اكابر اصحاب مالك المصريين يكنى بكنيته ويسمى باسمه ، وينتسب بنسبه وهو أبو الحسن علي بن زياد الاسكندراني سيأتي ذكره في طبقته ان شاء الله تعالى .

عبد الرحيم بن أشرس

قال أبو العرب : هو انصاري من العرب من اهل تونس كنيته أبو مسعود ونسبه ولم يسمه ، وسماه المالكي العباس . وقالوا : هو مولى الانصار . وقاله أبو سعيد بن يونس . وقال اسمه عبد الرحمان ... انتهى . وكذلك قال ابن فهر ، رجح المالكي اسمه العباس ، قال : وهو ثقة فاضل . سمع من مالك بن انس ومن ابن القاسم . روى عنه عبد الرحمان حديث الموطأ . قال : وقرأت في رجال ابن وهب ، ابو الاشرس عبد الرحمان بن أشرس المقري التونسي . ولعله أخا لأبي مسعود . وكان يكنى بأبي مسعود ، وقد بين هذا ابن شعبان ، فقال عنه أبو مسعود عبد الرحمان بن الأشرس ، ويقال عبد الرحيم ، قال سحنون : كان علي بن زياد خير اهل افريقية في الضبط للعلم ، وكان ابن اشرس أحفظ على الرواية ، وكان شديد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال ابن يونس الصدفي : روى ابن اشرس عن مالك وعبد الله[1] وروى عنه ابن وهب وسعيد بن ابي جعفر وعمران بن هارون

---

(١) هكذا .

بمصر . قال موسى بن معاوية : كنت عند البهلول بن راشد ، اذ اتاه ابن اشرس ، فقال له : ما اقدمك ؟ قال نازلة رجل ظلمه السلطان فأخفيته ، وحلفت بالطلاق ثلاثاً ما أخفيته . قال له البهلول : مالك يقول : انه يحنث في زوجته . قال ابن اشرس وأنا سمعته يقول ، وإنما أردت غير هذا . فقال ما عندي غير ما تسمع . قال : فتردد اليه ثلاثة . كل ذلك يقول البهلول قوله الأول ، فلما كان في الثالثة او الرابعة قال له يا ابن اشرس ، شر ما أنصفتم الناس اذا أتوكم في نوازلهم ، قلتم : قال مالك . فاذا نزلت بكم النوازل طلبتم لها الرخص الحسن ، يقول لا حنث عليه . قال ابن اشرس الله اكبر . قلدها الحسن او كما قال . قال القاضي : كذا نقلته من كتاب ابن حارث وأراه كان بخطه . قال غيره فرجع ابن اشرس الى زوجته . وكان هو صاحب المسألة .

البهلول بن راشد

أبو عمر من أهل القيروان . قال محمد بن احمد التميمي كان ثقة مجتهداً ورعاً مستجاب الدعوة لا شك في ذلك ، كان عنده علم كثير . سمع من مالك والثوري وعبد الرحمان بن زياد ويونس بن زيد وحنظلة بن أبي سفيان وموسى بن علي بن رباح والليث بن سعد والحارث بن نبهان . وكان أولاً مشغولاً بالعبادة ، فلما احتاج الناس اليه في العلم ، سمع الموطأ من علي بن زياد وابن غانم ، وسمع جامع سفيان الصغير من ابن أبي الخطاب ، وابي خارجة ، والجامع الكبير من علي بن زياد . ودون الناس عنه جامعاً ، وقام بفتياهم ، وسمع من البهلول سحنون وعون والجعفري وعبد المتعالي وخالد بن يزيد

وأبو سنان ويحيى بن سلام وغيرهم من بعدهم . قال أبو عبد الله الاجدائي[١] وروى عن البهلول أيضاً عبد الله بن مسلمة القعنبي . وقال حدثنا البهلول بن راشد وهو وتد من أوتاد المغرب . وروى عنه يزيد الفقير ، ونظر اليه مالك بن انس فقال : هذا عابد بلده ، وجاءت الى مالك من عند ابن غانم أقضية فقال ما قال فيها المصفر ؟ يعني البهلول . وما قال فيها الفارسي ؟ يعني عبد الله بن فروخ . قال سعيد بن الحداد ما كان بهذا البلد احد اقوم بالسنة من البهلول في وقته ، وسحنون في وقته . قال ابو حاتم : هو ثقة لا بأس به . وقال العقيلي : هو شيخ من اهل المغرب ، ليس به بأس . وقال مثله علي بن الجويني . وقال ابو اسحاق البرقي : كان بهلول بن راشد من أهل الفضل والعلم والورع معروفاً بذلك مع العبادة والاجتهاد . قال سحنون : كان البهلول رجلًا صالحاً ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره ، وإنما اقتديت به في ترك السلام على اهل الاهواء .

ذكر فضائل البهلول وعبادته وورعه وتواضعه وشمائله وبقية أخباره

قال ابو اسحاق البرقي : قال البهلول بن عمر : ما رأيت احداً أخشى لله من البهلول بن راشد . قال سحنون : كنا نختلف عند البهلول نتعلم منه السمت . قال غيره : دفع الى البهلول كتاب ففضه . فاذا فيه : من امرأة من سمرقند من خرسان مجنت مجوناً لم يمجنه احد إلا هي . ثم تابت الى الله ، وسألت عن العباد في ارضه ، فوصف لها اربعة بهلول بافريقية احدهم،

---

(١) نسبة الى اجدابية بلدة قرب بنغازي من طرابلس الغرب .

فسألتك بالله يا بهلول ألا دعوت الله في ان يديم لي ما فتح لي فيه . فسقط الكتاب من يده وخرّ على وجهه وجعل يبكي حتى لصق الكتاب بطين دموعه ثم قال : يا بهلول ، سمرقند خراسان الويل لك من الله ان لم يستر عليك . قال سحنون كان الذكر لرباح فلما مات ، صار لبهلول . وما ذلك إلا من خبيئة كانت له . ومرت امرأتان وهو يصلي فقالت إحداهما للاخرى هذا البهلول . فقالت لئن تسمع بالمعيدي خير من ان تراه . فقال البهلول هذه عرفتني . وقال له رجل يوماً يا مرائي . فقال له البهلول : قد أخبرتها بذلك ، يعني نفسه ، فأبت علي ولم تقبل ، فاجتمع عليها شهادتك وعلمي . وكان عند البهلول طعام، فغلا السعر فباعه ثم أمر ان يشترى له ربع نصف قفيز ، فقيل له في ذلك ، فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن اذا حزنوا . قال جماعة : ان البهلول مضى مرة يريد الجامع ، فلما حاذى قصر الامارة اذا خدم السلطان قد خرجوا من المطبخ يحملون القدور ، فقالوا له تقدم . ووضعوا لوحاً عليه قدور على رأسه ، فلما رآه الناس قاموا من كل ناحية فأرادوا البطش بهم ، فاعتذروا بأنهم لم يعرفوه . فقال : انا فعلته بنفسي ولا ينبغي لمؤمن ان يذل نفسه . فكان بعد لا ينصرف إلا بثياب حسنة . فقال بعضهم : رأيت البهلول منصرفاً الى داره وعليه قلنسوة خز وساج طرازي ، وقميص تستري ونعل طائفي . قال عون : صنع البهلول طعاماً وأحضر له جماعة من اصحابه ، فقالوا له لم صنعت من غير سبب ؟ فقال كنت خائفاً ان اكون من البربر ، لما جاء فيهم من الحديث فأخبرني من يعلم اني لست منهم . وكان البهلول جواداً ، فبلغني انه كان لا يحبس فوق خمسمائة درهم . قال ابن الحداد : اخبرتني امي قالت : وجهت الى بهلول وانا طفلة ، فلما رآني قال تبارك الله . فزرع فيها الشبه ثم وهب لي مائة درهم . وقالت جاريته أقمت مع البهلول ثلاثين سنة فما رأيته نزع

ثوبه قط عن جسده . ولا رأيته مصلياً نافلة قط . كان يأتي فيرقدني كما ترقد الأم ابنتها ، ثم يدخل المستراح فيتهيأ للصلاة ، ثم يصعد لغرفته فيغلقها عليه ، ولا ادري أحي هو ام ميت غير اني كنت ربما اسمع سقطته في آخر الليل ، فأظن انه استثقل نوماً فسقط ، وذكر انه كان عنده شاب يطلب ثم أقبل على المجانة ، فبلغ ذلك البهلول ، (فساءه ، فبينما هو جالس يوماً إذ خطر بباله الشاب وتحته طنبور فعرف[١] ذلك) ، فذهب البهلول الى داره فاستدعاه فسلم عليه وسأله عن الذي شغله عنه ، وأقبل يعظه حتى رجع الفتى الى الخير ، وترك ما كان عليه ولازم البهلول ونفعه الله به فكان له شأن .

قال ابو عثمان بن الحداد بلغني ان بهلولاً كان ذات يوم جالساً وعنده صاحبه رباح بن يزيد الزاهد ، إذ اقبل اخ للبهلول في البادية يلهج بخبر المطر والزرع والبهلول يتقلى ويتلون اغتماماً لرباح ، لعلمه بكراهيته ذكر الدنيا وأسبابها فلما اكثر اخوه من هذا نهض وجعل يقول لبهلول : سقطت من عيني ، تُذكر الدنيا في مجلسك ولا تغير . فقال له البهلول : اذا لم أسقط من عين الله فلا أبالي من عين من سقطت . فخر رباح على رأسه يقبله . نعم يا حبيبي يا بهلول لا تبالي من عين من سقطت ، اذا المرء سقط من عين الله .

ودخل بهلول على ابن غانم القاضي وقت المغرب في رمضان فقرب الماء ليغسل من حضر ففعلوا وغسل بهلول ولم يأكل . فكلمه في ذلك ابن غانم القاضي وقال : انا سلطان طعامي حرام ؟ ألست بصائم ؟ فجعل البهلول يعتذر اليه ويقول طعام لا اجد في بيتي مثله ، وان تكلفت شق علي وأنا اكره ان اتكلف بما يشق علي . وابن غانم يهذر ويعيد كلامه الاول ، والبهلول يعتذر

---

(١) ما بين القوسين ساقط من – ص – وهنا جملة يبدو عليها النقص وهي : فتأمله ثم قال لعله ذهب ليكسره ، فلما كان ذلك ذهب البهلول الى داره الخ..

ولا يزيد على قوله الاول ، حتى فرغ القوم وخرجوا وخرج البهلول . وذكر ابن اللباد ان رجلًا سأل بهلولاً عن مسألة فأجابه فيها ثم قال له : اذهب الى الفارسي يعني ابن فروخ فاسأله ، فذهب اليه فسأله ، فأجاب بمثل قول بهلول ، فانصرف الى بهلول فسأله فيها ايضاً ، فقال ألم أدلك على ابن فروخ ؟ قال بلى . وقد أجابني . قال بهلول فما لك تفضل بعض الناس على بعض ؟ يريد نفسه . والله لو كانت للذنوب رائحة ما جلست الي ولا جلست اليك . وقال : ابن فروخ الدرهم الجيد ، وأنا الدرهم المقوى . قال بهلول لقيت رباح بن يزيد ببئر زمزم ، ومعه خراساني وقد نزعا ماءً من بئر زمزم فجعلاه في سويق فنظرته فاذا هو عسل . فقالا لا تخبر بما رأيت . فما فعلت حتى مات . قال ابن الحداد : كان لقوم من النخاسين عشرون ديناراً عند البهلول وكان له عشرون ديناراً عند دحنون فجاءه سائل فقال لدحنون ادفع اليه ديناراً من العشرين فدفعه وجاءه النخاسون فقالوا حضر فقال حضر تسعة عشر وأمر دحنون بعدّها لهم فوجد عشرين (ديناراً)[1] .

فقال لدحنون لا إله إلا الله . أراك لا تحسن العدد . قال سليمان بن سالم : جاء مغيث بن رباح الى البهلول فأخبره بعزمه على الحج ، فقال له أما كنت حججت ؟ فقال نعم . ولكني اشتقت الى بيت الله الحرام وقبر النبي ﷺ . فقال : كم عددت لخروجك ؟ فقال مائة درهم . فقال هل لك ان تأتيني بها فأصرفها في مواضع وأضمن لك على الله عشر حجج مقبولة . فأتى مغيث بالصرة فأفرغها تحت جلد وجلس معه . فلم يزل يدفع منها الخمسة والعشرة يقول لهذا تزوج بها وعش بالباقي ، وهذا انفقها على عيالك ، والآخر

---

(١) ساقط من - ر .

استر وجهك بها . حتى نفذت . فرأى بعد ذلك رجل صالح ان آتياً اتاه مرة في الليل يقول له امض الى مغيث فاخبره ان الله قد وفاه ضمان بهلول . فأخبره بذلك الرجل . قال ابو زرجونة استُقفيت ليلة جمعة وضُربت بقرعة فأخبرت بذلك البهلول من الغد فأكب علي يسألني ان اجعل ما فعل ذلك في حل . فقلت فعلوا بي وفعلوا وأجعلهم في حل . فقال أيسرّك ان يحال بين اخيك المسلم وبين الجنة بسببك ؟ فلم يزل بي حتى جعلتهم في حل . قال : وأقبل هرثمة بن أعين امير افريقية في موكبه ، حتى انتهى الى مسجد البهلول بن راشد ، وبهلول مسند ظهره الى عمود بازاء باب المسجد ، فانحنى هرثمة في السرج ، وقال لبعض من معه ادفع اليه هذا المزود بالدراهم وقل له قال لك الامير فرقها . فجاء اليه الرسول فقال له البهلول الامير أقوى على تفريقها . قال سحنون : سأل رجل البهلول وأنا عنده عن مسألة ، فأجابه بخطأ فقلت له في ذلك ، فقال : ألا ترى الى هؤلاء الاحداث يؤذوننا . وكنت اذا اجتمع لي قطعة خرجت الى علي بن زياد فخرجت (اليه)[1] فبينما انا عنده جاءه كتاب البهلول فرمى به الي . فقلت هذه مسألة اختلف فيها عندنا . فقال لي ما قالوا ؟ قلت : قال البهلول كذا . قال ومن نازعه؟ فقلت انا ، قلت فيها كذا . قال اصبت وأخطأ . اكتب اليه بهذا عني . ثم قال لي : افرح بهذا الرجل فانه صالح . قال ابن الحداد عن ابيه كان البهلول من أغير الناس ، ما كان يدخل داره رجل غيري . قال بعض اصحابه : دخلت عليه وبين يديه ابنته طفلة وعليها ثياب مصبوغة ، فقال لي ما احببت شيئاً حبي لها ، وإني لأحب لو قدّمتها لربي . فانصرفت عنه ثم رجعت اليه ، فوجدت الناس مجتمعين على بابه فسألت ، فقيل لي ماتت ابنته

(١) ساقطة من — ص .

فدخلت اليه فعزيته[١] فلما وليت لحقني وقال : بالله لا تذكر ما كان مني ، يعني امنيته ، يعني ما دمت حياً . قال زكريا بن الحكم قلت للبهلول يا أبا عمر وهذه القراءة التي نقرأ عنكم الشيء رويته عن السلف ام شيء رأيته ؟ فقال ما أخذته عن احد إلا اني كنت عند معلمي أخيط فيمر علي سافر بن سليمان الواعظ بالجامع والقراء يقرأون عليه ، فأقف اليه وأستحلي ذلك ، ثم حاسبت نفسي وقلت انا مستأجر ، فصرت آخذ من معلمي طريحة معلومة ، فاذا فرغت منها مضيت الى مجلسه فانتفعت به وبقيت حلاوة ذلك في قلبي ومنفعتها الى الآن ، ثم قال وهؤلاء القراء إن اتوني سمعت منهم ، وإن غابوا لم أرسل فيهم . وذكر رجل لبهلول انه رأى الشمس والقمر ادخلا جوفه فأفتاه بهلول بأنه يموت وتلا : وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ .

ذكر تسننه ومجانبته اهل الاهواء ومو الاته ومعاداته في الله

وخرج بهلول يوماً على اصحابه وقد غطى خنصره بيده وقد كان اهله سألوه حاجة ، فربط في خنصره خيطاً ليذكرها ثم قال : خفت ان اكون ابتدعت فغطى اصبعه لئلا يراه احد فيقتدي بـه . ثم وجه بعض اصحابه وأسرّ اليه الامر فسأل ابن فروخ وصاحبه عن ذلك ، فجاءه فأخبره عنه ان عبد الله بن عمر كان يفعل ذلك ، فنحى بهلول كفه عن خنصره : وقال الحمد لله الذي لم يجعلني ممن ابتدع بدعة في الاسلام . قال ابن الحداد : قال لي ابن سنان ربما سمعت بهلولاً في داركم وهو يهدر ويقول السنة، ويلح بها .

---

(١) ص – وعزيته .

قال سحنون : اتيت يوماً الى البهلول فوافاني رجل من اهل الأهواء على بابه يسألني عن الشيخ ، فلم أرد عليه جواباً ، والشيخ يسمع . فلما دخلت عليه سلمت فلم يرد علي وأعرض عني فلما خرج الناس جثوت بين يديه وقلت له ما قصتي ؟ فقال سلم عليك رجل من اهل الاهواء وسألك عني . فقلت له : والله ما رددت عليه جواباً . فقال مرحباً اهلاً . وسلم علي . ثم قال لي بهذا يعرف الحق من الباطل . قال ابن الحداد : أتى أبو محرز العراقي الفقيه الى البهلول يعوده فقيل ذلك للبهلول ، فقال : قولوا له ان كنت على رأيك فلا تقربنا . وقال سحنون : ما اقتديت في ترك السلام على اهل الاهواء إلا بالبهلول . قال بعضهم : دفع بهلول الى بعض اصحابه دينارين ليشتري له بهما زيتاً يستقد به[1] فذكر للرجل ان عند نصراني زيتاً أعذب ما يوجد . فانطلق اليه الرجل بالدينارين ، فأخبر النصراني انه يريد زيتاً عذباً لبهلول . فقال النصراني نتقرب الى الله ببهلول كما تتقربون انتم به اليه ، وأعطاه بالدينارين من ذلك الزيت ما يعطى بأربعة دنانير من دنيء الزيت . ثم أقبل الى بهلول فأخبره الخبر ، فقال له بهلول قضيت حاجة فاقض لي اخرى ، رد عليّ الدينارين . فقلت ولم ؟ فقال ذكري قول الله تعالى : لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ . فخشيت ان آكل زيت النصراني فنجد له في قلبي مودة فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير .

ذكر محنته ووفاته

قال القاضي رحمه الله : امتحن البهلول على يد العكي امير القيروان وقيل

(١) ر – ليستقد به .

له : انه يقع في سلطانك ، وضعف عنده امره . فأمر به فتحاشد الناس معه فزاده ذلك حنقاً عليه ، وأخرج اليهم الاجناد ففضوهم وامر بتجريده وضربه[١] بالسياط ورمى جماعةٌ أنفسَهم ، فضربوا ، وضرب هو نحو العشرين وحبسه ، وكان عندما همَّ به وسيق لقيه قوم متلثمون فشاوروه في القيام عليه وتخليصه فجعل يقول لا .. لا . قال بعضهم كنا في غزاة مع بعض الخلفاء و كنا معه في اهل الثغور اثني عشر الفاً وكان يقضي لنا كل يوم حاجتين ، فلما بلغنا ضرب العكي لبهلول اختل العسكر ، وتقدمنا الى باب الخليفة فسألنا حاجبه ، فقلنا قد جعلنا حوائجنا نصرة البهلول ، بلغنا ان العكي ضربه . فقال الحاجب اتقوا الله في دم العكي ، إن بلغ هذا الخليفة قتله ، و كيف يضرب البهلول إلا ان يكون اهل افريقية ارتدوا . وكان مما حرّك عليه العكي انه كان يهادي ملك الروم فوجّه اليه الطاغية في سلاح وحديد ونحاس فلما أراد توجيه ذلك اليه عارضه في ذلك بهلول ووعظه فيه إذ لا يجوز ذلك . قال ابو زرجونة كنت عند بهلول بعد ضربه إذ سمعت بكاء رجل داخل من الباب وإذا ابن فروخ فجلس امامه ، فبكى . فقال له بهلول : ما أبكاك يا أبا عمر ؟ قال ابكي لظهر ضرب بغير حق . فقال قضاء وقدر . وندم العكي بعد ذلك ، وقال لابن غانم هل تستطيع ان تُرِيَنيه ؟ فقال اما على ان يأتيك فلا ولكن استدعيه انا واستشرف انت من حيث تراه ، ففعل . فلما بصر به جعل يقول تبارك الله كأنه سفيان الثوري في شأنه ، فعن قريب عزل العكي اسوأ عزل وولي تمام بن تميم . وحكي انه لما مدت رجلاه للقيد قال ان هذا الضرب من البلاء الذي لم اسأل الله العافية منه خطرة . وأتاه السجان في سجن العكي فعالجه فوهب اليه ديناراً وأعطى لمن معه دراهم ، فعل بهم

---

(١) ص — وخرج بالسياط .

هذا ثلاثة أيام . كلما دخلوا عليه اعطاهم . فخاف اصحابه حاجته قبل خروجه فقالوا للسجان قد برىء فلا تعاودوه . فلما استبطأه بهلول سأل عنه اصحابه ، وكأنه فطن لهم ، فقالوا له لكل يوم دينار ؟ فقال وما في ذلك؟ فقال له حفص بن عمارة من اصحابه سمعت الثوري يقول : اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه . فخرّ بهلول على يديه يقبلها ويقول سألتك بالله انت سمعتها منه ؟ وبرىء الضرب الذي ضرب إلا أثر سوط واحد ، تنغل فصار قرحة فكان سبب موته رحمه الله . قال البهلول : أقمت ثلاثين سنة اقول اذا اصبحت وإذا امسيت : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض وهو السميع العليم .. الى آخر هذا فنسيتها[١] يومي مع العكي ، فابتليت . وذكر ان العكي وجه اليه ثياباً[٢] وكبشاً فلم يقبل ذلك . فلما أبى سأله ان يحلّه فقال له : ما وقع علي سوط إلا وأنا أستغفر لك يا أبا يسر . وفي رواية ما حللت يدي من العقالين حتى جعلتك في حل . وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة . قال سحنون : بعد علي بن زياد بخمسة وثلاثين يوماً ، كذا قال غير واحد ، وقال فرات : سنة اثنتين ومولده مع عبد الله ابن غانم في ليلة واحدة سنة ثمان وعشرين ومائة .

أبو محمد عبدالله بن فروخ الفارسي فقيه القيروان في وقته

قال ابو بكر المالكي في كتاب رياض النفوس : ان مولده بالاندلس سنة خمس عشرة ومائة ، ثم انتقل الى افريقية ، فسكن القيروان وأوطنها ، ونحو ذلك ذكر سليمان بن عمران ، فيما حكاه عنه ابن الجزار ، في كتاب

---

(١) فانسيتها – ر .
(٢) ص – ثياب .

التعريف . قال القاضي وإن اسمه كان بالأندلس عبدوساً ، وان رجلًا ناداه به في الجامع يعني بالقيروان ممن كان يعرفه به ، فقال له اناشدك الله ان تذكرني في هذا البلد[١] . ثم رحل الى المشرق فلقي جماعة من العلماء والمحدثين كزكريا بن ابي زائدة وهشام بن حسان وعبد الملك بن جريج ، والاعمش والثوري ومالك بن انس ، وأبي حنيفة وغيرهم . فسمع منهم وتفقه بهم . قال ابو بكر وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن انس . وبصحبته اشتهر ، وبه تفقه ، لكنه كان يميل الى النظر والاستدلال ، فربما مال الى قول اهل العراق فيما تبين له منه الصواب . ثم انصرف الى افريقية فأقام بالقيروان يعلم الناس العلم ويحدثهم فانتفع به خلق ، ثم رحل ثانية ، وأتى مصر فمات بها كما سنذكره . قال ابن الجزار في كتاب طبقات القضاة كان ابن فروخ فقيهاً ورعاً ، رحل في طلب العلم ، وكان يكاتب مالك بن انس في المسائل ويجاوبه مالك ، إلا ان سحنون كان يقول فيه : لا ينص الاصول ، كان يسأل في المسألة فيجيب فيها بالاقاويل المختلفة .

الثناء عليه بالعلم والعقل والدين

قال ابو بكر : كان رجلًا صالحاً فاضلًا متواضعاً قليل الهيبة للملوك لا يخاف في الله لومة لائم ، مبايناً لأهل البدع حافظاً للحديث والفقه . قال ابو العرب : كان ممن رحل في طلب العلم فلقي مالكاً وسفيان الثوري وغيرهما ، وكان يكاتب مالكاً فيجيبه عن مسائله ، وكان ثقة في حديثه . واستعفى من القضاء . قال ابن ابي مريم : هو أرضى اهل الارض عندي .

---

(١) اي بهذا الاسم .

وقد خرج له مسلم في صحيحه . وقال البخاري : عبد الله بن فروخ ، سمع منه ابن ابي مريم ، تعرّف وتنكّر ، خراساني وقع بالمغرب . قال ، قال عبد الله بن وهب : قدم الينا ابن فروخ سنة ست وتسعين بعد موت الليث ابن سعد ، فرجونا ان يكون خلفاً منه . فما لبث إلا يسيراً حتى مات . وجعلت على نفسي ألاَّ أحضر جنازة إلا وقفت على قبره ، ادعو له . قال المالكي : كانت لوفاته بمصر فجعة عظيمة ، عند اهل العلم ، وقالوا : طمعنا ان يكون خلفاً عن الليث ، وكانوا يعظمونه ويعتقدون إمامته . قال : وكان مالك بن انس يكرمه ويعظمه . وحكى الطحاوي ان ابن فروخ قدم المدينة فلبس ثيابه ، وأتى قبر النبي ﷺ فسلم عليه ، ثم اتى مالكاً فلما رآه مالك تلقاه بالسلام : وقام اليه ، وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس ، وكان لمالك موضع من مجلسه يقعد فيه ، والى جانبه المخزومي ، معروف له ، لا يستدعي مالك أحداً للقعود فيه ، فأقعده فيه وسأله عن احواله ومتى كان قدومه ، فأعلمه انه في الوقت الذي اتى اليه . فقال له مالك صدقت لو تقدم قدومك لعلمت به ولأتيتك ، وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله حاضر إلا قال : أجب يا أبا محمد . فيجيب . ثم يقول مالك : هذا كما قال . ثم التفت مالك الى اصحابه ، فقال : هذا فقيه المغرب وفي خبر آخر ، إنه اتى مالكاً فأجلسه معه على دكان . فأتاه سائل من اهل المغرب بمسائل في الجنايات فقرئت عليه ، فقال له مالك اجبهم يا أبا محمد فهم اهل بلدك ، فقال له ابن فروخ : بحضرتك . قال نعم . عزمت عليك . وكانت المسألة : رجل ضرب على رأسه وعلى حقويه فذهب أم رأسه ، وزال عقله وبصره وسمعه وأسنانه واسترخت انثياه ، حتى بلغت ركبتيه . فقال له ابن فروخ : في السمع الدية ، وكذلك في البصر والعقل والاسنان ، ويقعد في اجالة فيها ماء بارد في ليلة باردة . فان تقلصت انثياه وعادتا لحالهما

فلا شيء عليه ، وإلا ففيها الدية كاملة . وإن تقلصت إحداهما فنصف الدية. فقال السائل لمالك أهذا جوابك يا أبا عبدالله . قال هذا جوابي . وقد حدث ابن فروخ بهذه الحكاية عنه وعن مالك . قال ابو العرب ، عن ابي عثمان المعافري : أتيت الى مالك بمسائل من ابن غانم، فقال لي ما قال فيها المصفر يعني البهلول بن راشد . وما قال فيها الفارسي ، يعني ابن فروخ . ثم كتب الاجوبة وكتب في آخر الكتاب ودين الله يسر إذا أقيمت حدوده . فقال ابن حارث وسؤال مالك عن كلامه ، وكلام البهلول في المسألة يدل على انه علم انهما صاحبا فتوى القيروان في زمنه . ولم يسأل عن كلام ابن زياد وابن اشرس لأنهما لم يكونا بالقيروان كانا بتونس ، مع مناظرة ابن غانم علي بن زياد . قال وكان البهلول بن راشد ، يعظم ابن فروخ ويقلده فيما نزل من امور الديانات ويذكر انه ناظر زفر بن الهذيل في مجلس أبي حنيفة، فازدراه زفر للمغربية ، فلم يزل به ابن فروخ حتى قطعه . فقال ابو حنيفة لزفر لا خفف الله ما بك .

ذكر زهده وعبادته وورعه وقيامه بالحق

قال ابن قادم : كان ابن فروخ كثير التهجد ، وكان تهجده آخر الليل. وقال احمد بن يزيد : كان عبد الله بن فروخ اذا اخذ الجند أعطياتهم أغلق حانوته ، تلك الايام حتى يذهب ما في ايديهم . قال ابن قادم : كان الناس يتبركون بصحبة ابن فروخ ويجلسون له على طريقه اذا خرج من داره ، ويمشون معه ، ويغتنمون منه موعظة ، ودعوة ، متى يأتي الجامع ، فاذا وصل الجامع تشاغل بمسح رجليه خارج المسجد ، وقال لمن معه : ادخلوا رحمكم الله . فلا يدخل حتى لا يبقى معه احد . وحدث الاجدابي: ان روح بن حاتم

ارسل الى ابن فروخ ليوليه القضاء ، فلما جاءه قال له : بلغني انك ترى الخروج علينا . قال نعم . فعظم ذلك على روح ، ثم قال ابن فروخ : وذلك مع ثلاثمائة وسبعة عشر ، عدة اصحاب بدر ، كلهم افضل مني . فقال روح : أَمِنّاك ان تخرج علينا ابداً . ثم عرض عليه القضاء ، فامتنع ، فأقعده في الجامع وأمر الخصوم يكلمونه ، وجعل يبكي ويقول لهم : ارحموني يرحمكم الله . وذكر غيره : انه لما امتنع ، أمر به ان يربط ويصعد به على سقف الجامع ، فقال : تقبل . فقال : لا . فأخذ ليطرح . فلما رأى القوم ، قال : قبلت . فأجلس في الجامع مع حرس ، فتقدم اليه خصمان فنظر اليهما وبكى طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال لهما : سألتكما بالله الا اعفيتماني من انفسكما ، ولا تكونا أول شؤمين عليَّ ، فرحماه وقاما عنه . فأعلم الحرس بذلك روحاً فقال اذهبوا اليه . فقالوا له تشير علينا من نولي ، او فاقبل . فقال : إن يكن ، فعبد الله بن غانم . فاني رأيته شاباً له صيانة . يعني بمسائل القضاء فعليكم به ، فانه يعرف مقدار القضاء . فولي ابن غانم ، فكان ابن غانم يشاوره في كثير من أموره وأحكامه ، فأشفق ابن فروخ من ذلك ، وقال له : يا ابن اخي ، لم اقبلها أميراً ، أقبلها وزيراً . فألح عليه ابن غانم ، وشدد عليه[1] ، فلما رأى ذلك ابن فروخ ، خرج الى مصر هرباً من ذلك وورعاً . فمات بها وكان اكره الناس للقضاء[2] وكان يقول : قلت لأبي حنيفة ، ما منعك ان تلي القضاء ؟ فقال لي : يا ابن فروخ ، ان القضاة ثلاثة ، رجل يحسن العوم فأخذ البحر طويلاً[3] فما عساه يعوم ، يوشك ان يكلّ فيغرق ، ورجل لا بأس بعومه ، عام يسيراً فغرق ، ورجل لا يحسن العوم ، القى

(١) ر — وشرد اليه .
(٢) ص — في القضاء .
(٣) ر — طولاً .

بنفسه على الماء فغرق من ساعته . قال سحنون : اختلف ابن غانم وابن فروخ في الرجل يوليه امير غير عدل القضاء ، فأجاز ابن غانم له ان يلبي، وأباه ابن فروخ ، وكتبا بذلك الى مالك . فلما قرأ مالك الكتاب قال للرسول ولي ابن غانم ؟ قال نعم . قال مالك : إنا لله وإنا اليه راجعون، فألا هرب . فألا فر حتى تقطع يداه . أصاب الفارسي وأخطأ الذي يزعم انه عربي . وسأله يزيد بن حاتم الامير عن دم البراغيث في الثوب هل تجوز الصلاة به ؟ فقال له : ما ارى به بأساً . ثم قال بحضر رسوله : يسألوني عن دم البراغيث ولا يسألوني عن دماء المسلمين التي تسفك . وخرج مرة يصلي على جنازة ، فاذا باسحاق ابن الامير يزيد بن حاتم قد أغرى كلابه بظبي ، يغريها بذلك فلما انصرف استوقفه ، وقال له : يا فتى رأيتك الآن تفعل كذا ، وما احسب ذلك لك ، لان النبي ﷺ نهى عن ذلك . فقبل منه اسحاق وقال صدقت ابا محمد جزاك الله خيراً ، والله لا فعلت ذلك بعدها ابداً . قال ابن قادم : كان ابن فروخ ربما غسل الاموات ولا يولي ذلك غيره ، ويحملها الى قبرها .

ذكر رحلته وطلبه

ذكر المالكي عنه ، انه رحل قديماً فلقي الشيوخ والفقهاء ، قال وهناك سمع من ابي حنيفة مسائل كثيرة مدونة . ويقال انها نحو عشرة آلاف مسألة . قال : وفيها لقي مالكاً وتفقه عنده وسمع منه . وأما خبره المتقدم مع مالك ، فانما كان في سفرته الثانية ، بعد خروجه من القيروان ، وذكرت انه قال : سقطت آجرّة من اعلى دار ابي حنيفة وأنا عنده على رأسي فدمّي . فقال : اختر الأرش او ثلاثمائة الف حديث . فقلت الحديث . قال : فحدثني .

قال : ولما أتيت الكوفة وأكثر املي السماع من الاعمش ، فسألت عنه ، فقيل لي غضب على اصحاب الحديث ، فحلف ان لا يسمعهم مدة ، فكنت اختلف الى باب داره لعلي اصل اليه ، إذ فتحت يوماً بابه وخرجت منه جارية ، فقالت لي ما بالك على بابنا ؟ فأعلمتها بخبري . قالت وأين بلدك ؟ قلت افريقية . فانشرحت الي وقالت تعرف القيروان ؟ قلت انا من اهلها . قالت تعرف دار ابن فروخ ؟ قلت : انا . فتأملتني ، ثم قالت : عبد الله ؟ قلت نعم . وإذا هي جارية لنا بعناها صغيرة ، فصارت الى الأعمش، وقالت له : مولّدي الذي كنت اخبرتك بخبره بالباب . فأمر بإدخالي فدخلت ، وأسكنني بيتاً قبالة بيته ، فسمعت منه وحدثني .

ذكر تسننه واتباعه وبقية اخباره

قال ابو العرب : كان ابن فروخ كتب الى مالك يخبره ان بلدنا كثير البدع ، وأنه ألف لهم كتاباً في الرد عليهم . فكتب اليه مالك يقول له : إن ظننت ذلك بنفسك خفت ان تزل وتهلك ، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم ، لا يقدرون ان يعرجوا عليه فهذا لا بأس به. وأما غير ذلك فانني اخاف ان تكلمهم فتخطىء ، فيمضون على خطإك أو يظفروا منه بشيء ، فيطغوا ويزدادوا تمادياً على ذلك . قال محمد بن سحنون كانت المعتزلة تدعي ابن فروخ عندنا . فأخبرني بعض اصحاب ابي وكان صحب أبا خارجة . قال : نزل بنا ابو خارجة فسألته عن ابن فروخ وما يرمى به . فقال من قال هـذا ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، ما رأيت بهذين العينين شاباً أعبد لله من ابن فروخ . ثم قال : فوالله لقد كنت معه حتى سئل عن المعتزلة ، فقال للسائل : وما سؤالك عن المعتزلة ؟ فعلى المعتزلة

لعنة الله قبل يوم الدين ، وفي يوم الدين ، وبعد يوم الدين ، وفي طول دهر الداهرين . فقال له : وما فيهم قوم صالحون . فقال ويحك ، وهل فيهم رجل صالح ؟ قال سحنون : مات رجل من اصحاب البهلول ، فحضر هو وابن غانم وابن فروخ فصلوا عليه وجيء بجنازة ابن صخرة المعتزلي ، فقالوا لابن غانم الجنازة . فقال كل حي ميت . قدموا دابتي . وقيل لابن فروخ مثل ذلك . فقال مثله . وقيل للبهلول مثل ذلك ، فقال مثله . وانصرفوا ولم يصلوا عليه . فكان ذلك مما عرف لابن فروخ . وكان قبل هذا يرى الخروج على أئمة الجور ، اذا اجتمع ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عدة اهل بدر . فلما خرج الى مصر وشيعه الناس التفت الى من شيعه ، فقال اشهدوا اني رجعت عما كنت اقول به من الخروج على ائمة الجور ، وتائب الى الله منه . وكان قد تواعد مع قوم أيام العكي للخروج عليه ، وكان العكي رجل سوء ، وان يكون اجتماعهم بباب تونس ، فذهب ابن فروخ لمكان الموعد وتخلفوا ، فلم يوافه منهم إلا محمد بن منوتا ، من المدنيين وابن محرز القاضي من العراقيين ، فرجع .

قال سحنون : ذهبت مع اخي حبيب ، وكان يسمع من ابن فروخ ، فلما رأيته يمازح الطلبة حوله ، مجّه قلبي . وذكر ان رجلاً دعاه فأطعمه وأسقاه نبيذاً ، وكان يرى فيه رأي اهل العراق فشربه واحمر وجهه ، فقال له الذي دعاه : ألم تحدثنا ان الحسنات تتناثر من وجه الرجل اذا احمر وجهه من النبيذ ؟ فقال له ابن فروخ : قد كنا اغنياء عن طعامك .

وفاته

توفي رحمه الله تعالى بمصر إثر منصرفه من الحج ، في سنة خمس وسبعين

ومائة ، ودفن بالمقطم . قال عبد الله بن وهب قدم علينا ابن فروخ سنة ست وسبعين ومائة ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وقيل ابن ستين سنة . وكان يخضب بالحناء فما لبث إلا يسيراً حتى مات رحمه الله تعالى .

ومن اهل الاندلس ، سعيد بن عبدوس

من اهل طليطلة يعرف بالجدي مصغراً[١] ، لقي مالكاً فسمع منه الموطأ وكان مفتي بلده في وقته ، وسمع منه ، وأبوه عبدوس مولى هشام بن الحكم عتاقة . وقيل مولى الحكم . توفي سنة ثمانين ومائة من كتاب ابن الفرضي . وقال ابن حارث : ذكر لي اسحاق بن ابراهيم ، انه كان من اهل الفقه والعلم ، وكان مفتي البلد ، وولي قضاء طليطلة ، وإن اباه عبدوساً كان رأياً للأمير الحكم ، وهو الذي اعتقه ، وكان تقياً فاضلاً ، وعلى يديه تم امر اهل طليطلة وسلمهم مع الحكم . قال المؤلف رحمه الله تعالى : هو الذي[٢] ذكر هؤلاء في عتقه ، كان موجوداً بطليطلة وهو الذي اجار يحيى بن يحيى عند فراره من قرطبة ، في محنة اهل الربض ، ومنعه من الحكم ابن هشام حتى أمّنه واعتذر اليه . قال ابن وضاح لقيته بطليطلة .

الغازي بن قيس

من اهل قرطبة . اموي يكنى ابا محمد . رحل قديماً فسمع من مالك الموطأ وسمع من ابن ابي ذئب وابن جريج والاوزاعي وثور بن يزيد ومحمد

---

(١) ص – بالتصغير عوض مصغراً .
(٢) ر – يذكر .

ابن وَرْدان ، وهو اول من ادخل موطأ مالك وقراءة نافع الاندلس فيما قاله ابو عمرو المقرىء . قال : وشهد مالكاً وهو يؤلف الموطأ ظاهراً ، وانصرف الى الاندلس بعلم عظيم ، نفع الله به اهلها . وكان الغازي يقدم او يؤخر فيرد عليه ذلك . وقصد قارئاً يوماً ان يقدم من ابواب الموطأ ويؤخرها ، ليرى الناس حفظ الغازي فأنكر ذلك عليه ، وقال إن عدت ، لا تقرأ . إنما تريد ان تري الناس ما يكن يريد حفظه . روى عنه ابنه وابن حبيب وأصبغ بن خليل وعثمان بن ايوب ، وقيل إنه عرض عليه القضاء فأبى . قال اصبغ : سمعته يقول : والله ما كذبت منذ اغتسلت ولولا ان عمر بن عبد العزيز قاله ما قلته ، وما قاله عمر فخراً ، ولا رياء ، وما قاله إلا ليقتدى به . وشاوره مصعب بن عمران القاضي عند موت صعصعة بن سلام ، وأدب بقرطبة قبل رحلته ، وكان إمام الناس بها في القراءة . قال ابو عمر المقرىء : وكان جيداً فاضلاً عالماً اديباً ثقة مأموناً . قال احمد بن عبد البر : (كان)[١] عاقلاً نبيلاً يروي حديثاً كثيراً ويتفقه في المسائل ، رأساً في علم القرآن ، متهجداً بالقرآن كثير الصلاة بالليل ، وتوفي فيها قبل سنة تسع وتسعين ومائة . وروي عنه انه كان يقول : ما من يوم يأتي إلا ويقول : انا خلق جديد ، وعلى ما يفعل بي شهيد ، احذرني قبل ان ابيد ، فاذا امسى ذلك اليوم خر لله ساجداً ، وقال الحمد لله الذي لم يجعلني لليوم العقيم . وكان للغازي بن قيس ابنان عبد الله ، وكان من اهل العلم بالعربية والتأدية لقراءة نافع ، سمع من ابيه ، وروى عنه ثابت وابنه قاسم . توفي سنة ثلاثين ومائتين ، ومحمد ابو عبدالله ، صاحب عربية ولغة ، ورحل ولقي الرياشي وأباحاتم ومات بطنجة في انصرافه وقال لما حضرته الوفاة[٢] :

---

(١) ساقطة من — ص .
(٢) ر — الموت .

الحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله ماذا عن الموت من ساه ومن لاه
ماذا يرى المرء والعينان من عجب[١] عند الخروج من الدنيا الى الله

زياد بن عبد الرحمان يلقب بشبطون

قرطبي . جد بني زياد : يكنى ابا عبد الله ، وهو زياد بن عبد الرحمان ابن زهير بن ناشدة بن لوذان من حي ابن اخطب[٢] بن الحارث بن وائل اللحمي وقد قيل إنه من ولد حاطب بن ابي بلتعة . سمع من مالك الموطأ، وله عنه في الفتاوى كتاب سماع معروف بسماع زياد ، وسمع من معاوية بن صالح القاضي، وكان صهره زياد ، على ابنته . و[روى][٣] عن عبد الله بن عقبة والليث بن سعد وسليمان بن بلال وعبد الله بن عبد الرحمان وعبد الرحمان بن ابي الزناد وعبد الله بن عمر العمري ويحيى بن ايوب وأبي معشر وموسى بن علي ومحمد بن عبد الله بن عمر الليثي والقاسم بن عبد الله واسماعيل بن داود وهارون بن عبد الله ومحمد بن ابي سلمة العمري وأبي معمر صاحب انس ، وعبد الرحمان بن ابي بكر بن ابي مليكه وابن ابي داود وسفيان بن عيينة وعمرو بن قيس وابن ابي حازم ، وروى عنه يحيى بن يحيى الموطأ ، وسماعه من مالك قبل رحلته من الاندلس ، فأشار عليه زياد بالرحيل الى مالك ما دام حياً ، وأخذه عنه ، ففعل . وكان زياد اول من ادخل الى الاندلس موطأ مالك ، متفقاً بالسماع منه ، ثم تلاه يحيي بن يحيي . قال يحيى بن يحيي

---

(١) ر ـ ذو عينين .
(٢) ر ـ أخطف .
(٣) زيادة من تاريخ ابن الفرضي .

زياد اول من ادخل الاندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام ، ووجوه الفقه والاحكام وهو اول من عرّف بالسنّة في تحويل الاردية في الاستسقاء ، وصاحب الصلاة اذ ذاك المصعب بن عمران فأنكر ذلك . وقال هذا مذر مشر . قال يحيى : فخرجت بعد ذلك الى المشرق ، ولقيت مالك بن انس ، والليث بن سعد ، ومن دونهما ، فوجدت سنّة تحويل الاردية عندهم[1] معروفة فاشية . قال الشيرازي : كان اهل المدينة يسمون زياداً فقيه الاندلس . وحكى ابن حارث انه كانت له الى مالك رحلتان : احداهما حين اجتمع به معاوية بن صالح . وحكى ابو بكر المالكي ان زياداً قدم المدينة فدخل على مالك وعنده ابن كنانة . فلم يعرفه ابن كنانة . فسأله ابن كنانة عن بلده ، فذكره فقال له من فقيه بلدكم ؟ قال : انا او نحو هذا . فجادله ابن كنانة في مسائل فلم يأت منه ما احب . فقال : وإن بقوم سوّدوك لفاقة .. البيت . فقال له مالك : اخفظت الرجل وأسأت ادبه . فلما استقر المجلس بزياد جاراه ابن كنانة ففجر منه بحراً . فعلم ان ما كان اولاً انما كان هيبة المجلس .

ذكر فضائله وخبره

كان زياد اذا بعث معاوية بن صالح القاضي شيئاً وكان ابا زوجته الى داره ، لم يأكل شيئاً منه . وكان زياد ناسكاً ورعاً ، راوده الامير هشام على القضاء فأبى عليه وخرج هارباً بنفسه . فقال هشام : ليت الناس كلهم

(١) ص – معروفة عندهم .
(٢) ص – فجاراه .

كزياد[١] حتى اكفى اهل الرغبة في الدنيا . ثم امّنه فرجع الى قرطبة ، وكان هشام يقول : بلوت الناس فما رأيت رجلًا يكتم من الزهد اكثر مما يظهر إلا زياداً . وذكر يحيى بن اسحاق ان هشاماً لما ولي قيل له : لا يعتدل ما تريد ، الا بتولية زياد على القضاء . فبعث اليه فتمنع ، فألح هشام عليه ، فقال للوزراء : اما اذا عزمتم فأخبركم بما ابتدأ به ، على المشي الى مكة إن وليتموني[٢] إن جاءني احد متظلماً منكم إلا اخرجت من ايديكم ما يدعيه ، ورددته عليه وكلفتكم البينة ، لما اعرف من ظلمكم . فتركوه وأشاروا بإعفائه فعوفي ، فقيل ليحيى بن يحيى أهو وجه القضاء ؟ قال : نعم ، فيمن عرف بالظلم والقدرة . وكان الامير هشام يؤثر زياداً ويكرمه ويسهم اليه ويخلو به ويسائله عما يعن اليه من امور دينه . فيأخذ برأيه ويبالغ في بره ، ويدفع اليه المال يتصرف به ، وربما اجتاز به ليلًا فيخرج اليه ويسلم عليه ويحادثه . وذكر الصدفي : انه عرض عليه اخذ مال ليفرقه فأبى . وذكر انه حضر عنده يوماً غضب فيه على خاصة له ، أوصل اليه كتاباً كرهه ، فأمر بقطع يده ، فقال زياد : اصلح الله الامير . فان مالك بن انس حدثني في خبر رفعه الى النبي ﷺ ، ان من كظم غيظاً يقدر على انفاذه ولاّه الله امناً وإيماناً[٣] يوم القيامة . فسكن غضب الامير ، وقال له : احسنت . ان مالكاً حدثك به . فأمر الامير ان يمسك عن يد الخادم ، وعفا عنه . وذكر ان زياداً راكب الامير الحكم ، وقد أردف زياد ولده خلفه ، منصرفين من جنازة ووصل محادثته الامير الى ان وصل القنطرة ، فسمع المؤذن فقطع

---

(١) ص – مثل زياد .
(٢) ص – لله علي المشي .
(٣) ص – وأياماً .

زياد حديثه وقال : معذرة الى الامير اصلحه الله ، إنا كنا في حديث عارضه هذا المنادي الى الله تعالى . ولا يجوز الإعراض عنه ، فهو أحق بالاجابة وإن اجتمعنا قدرنا على تتميم الحديث إن كانت بنا اليه حاجة . وسلم عليه فدخل الجامع من باب القنطرة واستقام الامير الى القصر . قال يحيى : كان زياد واحد زمانه ، زاهداً ورعاً واتاه هشام ليلًا في خاصته فقرع عليه الباب فخرج فعرف به ، ففتح له وسلم عليه ، وسأله عن سبب مجيئه ، فقال : طلب التفرّد بك ، وهذا مال طيب وأشار الى مال يحمله الفتى اردت التزلف به فأتيتك به لتضعه حيث تراه . فقال له زياد : تجد من هو أقوم لك بذلك وأعرف بأهله . وسمى له قوماً من صلحاء الناس ، فأبى هشام إلا إياه ، فلم يقدر عليه الى ان حلف ان له بفعل[1] . فاستحياه هشام وخرج بماله ، وهو يقول : اللهم أعنّي على طاعتك بمثل هذا . قال حبيب : كنا جلوساً عند زياد فأتاه كتاب من بعض الملوك بعد مدة ، فكتب فيه ثم طبع الكتاب ونفذ به الرسول . فقال زياد أتدرون عمّ سأل صاحب هذا ؟ سأل عن كفتي ميزان الاعمال يوم القيامة ، من ذهب هي ام من ورق ؟ فكتبت اليه ، حدثنا مالك عن ابن شهاب ، قال : قال رسول الله ﷺ : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه . وستود فتعلم . وقال الحكم : صارت له في مصاهرته لمعاوية بن صالح نادرة مذكورة ، وذلك إنما أراد النظر الى المرأة قبل تمام نكاحها ، كما يفعل بعض الناس وقيل بعد النكاح وهو اشبه بحاله ، وآخر الحكاية فواعد اهل الدار ان يأتيهم ليلًا خفية من معاوية ، فجاء واختفى في اسطوان الدار ، وخرج معاوية فأحس من دابته قلقاً وحركة ، لمكان زياد ، فأنكر ذلك ، ودعا بالمصباح فلما نظر اذا بزياد قد انزوى في بعض

---

(١) هكذا . (ولعل تصويب العبارة : أن لا يفعل) .

زوايا اسطوانة ، فلم يزد ان قال استوصوا بضيفكم خيراً وانصرف . وله سماع من مالك ، مؤلف . وكتاب الجامع له . قال ابن عتاب : وهو كتاب غريب يشتمل على علم كثير . قال يحيى بن يحيى : عرضت سماع زياد على ابن نافع وابن القاسم ، فرد عليه ابن القاسم مسألة ، وقال لي : كذب زياد على مالك . وما سمع هذا منه قط . فأخذت الكتاب وطويته وأدخلته كمي ، فقال : اقرأ . فقلت زياد أجل في نفسي من ان اعرضه مثل هذا . فاحتشم ابن القاسم وقال لي : اقرأ فوالله لا عدت لمثلها ابداً . فقرأت . وكان محمد بن عيسى الأعشى سيء الرأي في زياد ، وكان يقول : اني لآكل التفاح الحلو وأحسو البيض الخفيف وأبول في الماء الراكد ، منذ كذا ، لينسيني الله علم زياد ويخرجه من صدري ، فما نسيته . والتزمت كل ما اعرف انه ينسي . فقيل لم ؟ قال لأن زياداً لم يكن شيئاً ، وكان علمه بارداً . وتوفي سنة ثلاث ، وقيل اربع ، وقيل تسع وتسعين ومائة . ونجب ولده بقرطبة ، وكان فيهم عدة من اهل الجلالة والفضل والقضاء والعلم والخير .

سعيد بن أبي هند أبو عثمان

أصله من طليطلة وسكن قرطبة ، ولقي مالك بن انس ، وهو الذي كان يسميه مالك ، الحكيم . قاله احمد بن عبد البر . وقال ابن لبابة : اسمه عبد الوهاب . قال بعضهم عن ابن حارث ، عبد الرحمان بن ابي هند الاصبحي من اهل طليطلة يكنى ابا هند . سمع مالكاً وكان له مكرماً ، وكان يسميه حكيم الاندلس ، وانصرف وسكن قرطبة واستوزره بعض الامراء . وفي كتاب ابي سعيد الصدفي مثله ، وكناه ابا دريد . وقال توفي سنة مائتين . وذكر غيره : ان سبب ولايته الوزارة ما امتحن به من

صدقه ، وانه لم تجرب عليه كذبة قط . فقال بعض وزراء ذلك الوقت : انا اجعله يكذب . فرصده حتى نعس ثم قال له : رقدت يا أبا هند ؟ قال : نعم . فلم يظفر منه بما يريد ، لعادة الناس الانكار في هذا . وقد اضيفت هذه القصة بعده لغيره ، فلعلهما قصتان . وقرأت في كتاب القضاة لابن حارث : سعيد بن عبد الرحمان بن أبي هند ، ابو هند الاصبحي الطليطلي روى عن مالك الموطأ . وقال القاضي ابو الوليد بن الفرضي ومحمد بن حارث : لا ادري ، أهما اثنان ام واحد . فقد قيل لي ، ان ابن ابي هند مات في ايام هشام بن عبد الرحمان ، والله تعالى اعلم . قال احمد بن سعيد : كان ابن ابي هند ولم يسمه ، فاضلاً نبيلاً عاقلاً ، له همة وهيبة . قال ابن وضاح : كان ابن ابي هند هذا شريفاً ، وكان مالك يسأل عنه ، يقول : ما فعل الحكيم عندكم بالاندلس لكلمة سمعها منه ، وهي : ان قال مالك يوماً ما احسن السكوت وأزينه بأهله . فقال ابن ابي هند : وكل من شاء سكت يا اباعبدالله . فأعجبت مالكاً كلمته . وقيل بل قال له : إنما يزين الصمت ما بعده . وعرض به رجل عند الامير عبد الرحمان بالرياء . فقال سعيد : اصلح الله الامير يظن بنا سوء السريرة مع حسن العلانية ، فما ظن الامير اعزه الله تعالى ، بسريرة رجل قد فسدت علانيته ، ورأى الناس ينظرون الى قوم كساهم الامير ويستحسنون كسوتهم ، فقال : انهم ما اخذوا ذلك إلا ببخس من الثمن . يعني انهم بذلوا فيها دينهم . حدّث عنه يحيى ، وروى ابن وهب عن مالك عن ابي هند ، قال : وجدت الصمت أشدّ من الكلام . قال يحيى بن يحيى : سمعت ابن ابي هند يقول : ما هبت احداً هيبة عبد الرحمان بن معاوية ، حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت هيبة ابن معاوية . قال : وكان له ابن شيخ لم يملك من مال ابيه شيئاً ، فقال له يا أبت ، هب لي من مالك شيئاً . فقال : وهل

استأثرت عنك منه بشيء ؟ تركب وتلبس وتأكل كما افعل انا . فقال : إن تسمي لي منه شيئاً . فقال يمنعني من ذلك انه يقال ينتقص من عقل الرجل بقدر ما ينتقص من ماله . قال احمد : وتوفي سعيد بن ابي هند صدر ايام عبد الرحمان بن معاوية قبل موت مالك بكثير .

يحيى بن مضر القيسي وقيل اليحصبي

من اهل قرطبة ابو زكرياء . ويقال ابو بكر شامي الاصل كبير من فقهاء قرطبة . سمع من سفيان الثوري ومالك بن انس وروى عنه مالك ، حكاية عن سفيان الثوري ان الطلح المنضود هو الموز . وقال : اخبرني بذلك عن سفيان يحيى بن مضر فقيه الاندلس ، وروى عنه عبدالله بن وهب ويحيى بن يحيى قبل رحلته ، وكان عالماً متقناً صاحب رأي . قال يحيى بن يحيى لبعض الكبراء ، وقال له : ان الامير اجابني ان يجلس لي الفقهاء فيما حكم به علي بن بشير ويجلسك معهم ، فقال له يحيى : عليكم إن كنتم لا بد فاعلين بشيخنا يحيى بن مضر ، وطلبه (امير المؤمنين)[1] الحكم بن هشام ابن عبد الرحمان بن معاوية بن عبد الملك بن مروان ، فيمن طلبه بسبب المهدي ، ممن أراد القيام عليه وخلعه ، سنة تسع وثمانين ومائة وكانوا قد أنكروا على اميرهم اموراً كثيرة ، من انهماكه في لذاته وفي ذلك . فأرادوا خلعه وكانوا عدة من أعيان الفقهاء وأكابر العلماء والصلحاء وأكابر الناس وبياضهم ولقوا فتى من بني عمه ، عزموا على القيام معه وتقديمه فوشى بهم الى الامير وأوقفه على صحة الحال ، بأن أدخل كاتبه وثقته قبّة له وأسبل عليه ستراً

---

(١) ساقطة من – ص .

في يوم ، وعدهم الاجتماع فيه معهم ، فلما حضروا ، اقبل يسألهم عمن معهم في هذا الامر ، والكاتب يكتب الى ان استراب بعضهم بكثرة سؤاله ، وقيل بل سمع صرير القلم وراء الستر ، فكشفوه فوقفوا على الامر ، فسقط في ايديهم، وبادروا الخروج ، فنجي من بادر وقبض على من بقي، فكان ممن نجا يحيى بن يحيى، وعيسى بن دينار، وقبض على يحيي بن مضر، فيمن قبض فأمر الامير بصلبهم على شط نهر قرطبة ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً من الفقهاء وأهل الصلاح ، وقيل كان عدة من صلب مائة وأربعين ، وقيل في شرح هذه القصة غير هذا ، فعظم ما فعل في قلوب الناس وغدوا على جدة لم يزالوا متربصين للوثوب به ، الى ان اقاموا القيامة المشهورة بوقعة الربض الذين اصطلحوا فيها سنة اثنتين ومائتين .

الطبقة الوسطى من أهل المدينة عبدالله بن نافع مولى بني مخزوم المعروف بالصائغ

كنيته ابو محمد . قاله البخاري . روى عنه مالك وابن ابي ذئب، وحسين ابن عبد الله وابن ابي الزناد وتفقه بمالك ونظرائه . قال احمد بن حنبل : كان صاحب رأي مالك ، وفقه اهل المدينة برأي مالك . ولم يكن صاحب حديث ، ولم يكن في الحديث بذاك ، وكان ضعيفاً فيه . قال ابو زرعة الرازي : لا بأس به . قال البخاري تعرّف حديثه وتنكّر . وكتابه أصح . وقال محمد بن الحسين : سألت أباعبدالله عنه ، فقال ثقة . قال ابن لبابة : اهل الحديث يقدمون ابن نافع على اصحاب مالك في الحديث والثقة قال ابن غانم : قلت لمالك : من لهذا الامر بعدك ؟ قال : رجل من اصحابي. حتى دخل رجل اعور وهو ابن نافع ، فقال : هذا . قال الشيرازي : كان

أصمّ أمياً لا يكتب ، وقال : صحبت مالكاً اربعين سنة ، ما كتبت منه شيئاً ، وإنما كان حفظاً اتحفظه . وهو الذي سمع منه سحنون ، وكبار اتباع اصحاب مالك ، والذي سماعه مقرون بسماع اشهب في العتبية ، لا كما زعم ابو عبدالله بن عتاب في فهرسته انه ابن نافع الزبيري ، وما ذكرناه غير منكر ، ولهذا مشيخة الاندلس عما يقع في سماعها ، وفي سماع الشيخين ، يعنون اشهب وابن نافع الصائغ ، وهو الذي ذكروه ، وروايته في المدوّنة نفيسة . قال اشهب : ما حضرت لمالك مجلساً إلا وابن نافع حاضر . وما سمعت إلا وقد سمع . لكنه كان لا يكتب . فكان يكتب اشهب لنفسه وله . وفي المدونه ان مالكاً سأل ابن نافع عن حديثه عن حسين بن عبدالله ابن ضميرة في القراءة في ركعتي الوتر ، قال ابن نافع حدثته به ، فأعجب مالك واستحسنه . قال قد كنا على هذا ولم يبلغني فيه شيء . وجلس مجلس مالك بعد ابن كنانة . قال ابن وضاح : كان افضل اصحاب مالك في العبادة المصريين والاسكندرانيين ، وكان ابن نافع رجلاً صالحاً لكن هؤلاء فوقه . قال محمد بن سعيد : لزم مالكاً لزوماً شديداً . وكان لا يقدّم[1] عليه احداً وهو (دون معن) قال سحنون : كان ابن نافع رجلاً صالحاً ، وكان ضيق الخلق . وكان ابوه صائغاً ، وكان اولاً في حداثته منحرفاً فبينما هو في حائط من حيطان المدينة إذ سمع رجلاً يقرأ القرآن ، قال : هذا يتلو كتاب الله وأنا مشغول في هذا الحائط . فرجع ولزم المسجد ، وله تفسير في الموطأ رواه عنه يحيى بن يحيى ، وعده ابن حبيب وابن حارث فيمن خلف مالكاً في الفقه بالمدينة . وقال مجاهد بن موسى : قال عبد الله بن نافع الصائغ : انا اجالس مالكاً منذ ثلاثين سنة او خمس وثلاثين سنة بالغداة والعشي وربما

---

(١) في – ر – لا يقدم و – ص – لا يقوم .

هجرته ، فما رأيته قرأ الموطأ على احد قط . توفي بالمدينة في رمضان سنة ست وثمانين ومائة .

محمد بن مسلمة أبو هشام

قال الزبير : هو محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام بن اسماعيل بن الوليد ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وهشام هذا هو امير المدينة الذي نسب اليه مُدّ هشام ، والذي يذكر عنه ذكر عهدة الرقيق في خطبته . روى محمد عن مالك وتفقه عنده، وروى عن الضحاك بن عثمان وابراهيم بن سعد والهديري . قال ابو حاتم : كان احد فقهاء المدينة وأصحاب مالك وأفقههم ، ولمحمد بن مسلمة كتاب فقه أخذت عنه . وقال القاضي التستري : هو ثقة مأمون حجة . قال الشيرازي : جمع العلم والورع . قال : وكان مالك إذا دخل على الرشيد دخل بين رجلين من بني مخزوم ، المغيرة عن يمينه وأبو مسلمة عن يساره . قال البخاري قيل لمحمد بن مسلمة : ما لرأي فلان ، دخل البلاد كلها الا المدينة . فقال : لأنه دجال من الدجاجلة . وقال النبي ﷺ : لا يدخلها الطاعون ولا الدجال . وتوفي سنة ست عشرة ومائتين.

مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان ابن يسار اليساري الهلالي ، أبو مصعب

ويقال أبو عبد الله ، مولى ميمونة ام المؤمنين . كان جد ابيه سليمان مشهوراً مقدماً في الفقه والعلم ، وكان هو وإخوته عطاء وعبد الله وعبد الملك بنو يسار ، مكاتبين لميمونة ام المؤمنين ، اخذ عن جميعهم العلم ، وولاؤهم لبني العباس وهبت ميمونة ولاءهم لعبد الله بن عباس . قال ابو عمر الصدفي

هذا وهم ، انا انكره ، إنما هو مولى ميمونة رضي الله تعالى عنها . وقال فيه ابن حارث الاسلمي وقد ذكره اسماعيل بن اسحاق[1] في مبسوطه ، وروى الاسلمي عن مالك ولم يسمّه . وقال محمد بن سعد : مطرف بن عبد الله بن يسار ، وكان يسار مكاتباً لرجل من أسلم فادعى عنه عبد الله بن ابي فروة فعتق ، فصار في دعوتهم ، وهو ثقة . قال القاضي ابو الوليد الباجي : مطرف الفقيه صاحب مالك ، هو ابن اخته ، وكان مطرف اصمّ . روى عن مالك وابن ابي الزناد وعبد الرحمان بن ابي المولى وعبدالله بن عمر العمري ، وروى عنه ابو زرعة وأبو حاتم وابراهيم بن المقدّر والذهلي ويعقوب بن شيبة والبخاري ، وخرج عنه في صحيحه . قال الشيرازي : تفقه بمالك ، وعبدالعزيز ابن الماجشون وابن ابي حازم وابن دينار وابن كنانة والمغيرة . قال ابن معين : مطرف ثقة . قال ابن وضاح : هو عنده ارجح من ابن ابي اويس . قال الكوفي هو ثقة . قال احمد بن حنبل كانوا يقدمونه على أصحاب مالك . قال ابو حاتم : مطرف احب اليّ من اسماعيل بن ابي اويس ، ومطرف صدوق ، مضطرب . قيل لابن معين : مطرف مثل العقباني ومعن ؟ قال: كلهم ثلاث . قال الزبير : قال مطرف : صحبت مالكاً سبع عشرة سنة فما رأيته قرأ الموطأ على احد . وكان يعيب كتابة العلم علينا . ويقول : لم ادرك احداً من اهل بلدنا ولا كان ممن مضى يكتب . فقيل له فكيف نصنع ؟ قال تحفظون كما حفظوا ، وتعملون كما عملوا . حتى تُنوّر قلوبكم فيغنيكم عن الكتابة . ولقد كره عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ذلك، وقال لا يكتب كتاب مع كتاب الله . قال ابن وضاح : رأيت سحنون لا يعجبه مطرف . قال ابو العرب : وامتحن مطرف في القرآن ايام المأمون

(١) قاضي قضاة بغداد . ستأتي ترجمته .

وقال البخاري : ولد سنة تسع وثلاثين ومائة ، ومات سنة عشرين ومائتين بالمدينـة . وقال ابن ابي خيثمة ومحمد بن سعيد ، وقال في أولها . وقـال الدارقطني : في صفر منها . وقال غيره : توفي سنة أربع عشرة ، وقال ابن وضاح : سنة تسع عشرة . وقيل سنة بضع وثمانين .

ابن الماجشون : عبد الملك بن عبد العزيز
ابن عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة

كنيته ابو مروان (واسم ابي سلمة) ميمون . قاله الالكاني . ويقـال دينـار ، وقـال الباجي : مولى بني تيم من قريش . ثم لآل المنكدر . والماجشون هو ابو سلمة فيما قاله الالكاني . وقال محمد بن سعد والدارقطني : هو يعقوب بن ابي سلمة ، اخو عبد الله . قال الباجي : والماجشون المورد ، بالفارسية . قال الدارقطني : سمي بذلك لحمرة في وجهه . وحكى ابن خلاد ان احدهم يلقى الآخر يقول : شؤون، شؤون يعني كيف انت . فلقبوا بذلك . وحكى ابن حارث : ان ماجشون موضع بخراسان نسبوا اليه ، وكان عبد الملك فقيهاً فصيحاً ، دارت عليه الفتوى في ايامه الى موته ، وعلى ابيه قبله فهو فقيه ابن فقيه . قال مصعب : عبد الملك مفتي اهل المدينة في زمانه . وكان ضرير البصر ، ويقال عمي آخر عمره . وبيته بيت علم وخير بيت بالمدينة ، وجده عبد الله يروي عن ابن عمر وغيره ، خرج له مسلم . وأخو جده يعقوب بن ابي سلمة يروي عن ابن عمر ايضاً ، وعمر بن عبد العزيز . خرج عنه مسلم ايضاً ، ويوسف بن عبد العزيز اخو عبد الملك حدث عنه الزبير ابن بكار ، ومنهم يوسف بن يعقوب بن عبد الله وأبي سلمة يروي عن ابن المنكدر والزهري ، خرج عنه البخاري ومسلم ، وروى عنه ابن حنبل وابن

المديني وغيرهما ، وأخوه عبد العزيز بن يعقوب ابو الاصبغ يروي ايضاً عن ابن المنكدر مراسيل رواها عنه ابن حنبل .

ثناء العلماء عليه وتعظيمهم له وفضله

قال الشيرازي : تفقه بأبيه ومالك وابن ابي حازم وابن دينار ، وابن كنانة والمغيرة وكان فصيحاً ، روي انه كان إذا ذاكر الشافعي لم يعرف الناس كثيراً مما يقولون . لأن الشافعي تأدب بهذيل في البادية ، وعبد الملك تأدب في خولة من كلب ، بالبادية . قال يحيى بن اكثم القاضي : عبد الملك بحر لا تكدره الدلاء . قال عبد الملك : أتيت المنذر بن عبد الله الجذامي وأنا حديث السن ، فلما تحدثت وفهم عني بعض الفصاحة قال لي من انت؟ فأخبرته . قال لي : اطلب العلم فان معك حذاءك وسقاك[1] . وقال ابن المعذل : كلما تذكرت ان التراب اكل لسان عبد الملك ، صغرت في عيني الدنيا . وقيل له : اين لسانك من لسان استاذك عبد الملك ؟ فقال : كان لسانه إذا تضايا أحسن من لساني اذا تحايا . قال ابن حارث : كان من الفقهاء المبرزين ، وأثنى عليه سحنون وفضله ، وقال : هممت ان ارحل اليه وأعرض عليه هذه الكتب ، فما اجاز منها أجَزت ، وما رد ، رددت . وأثنى عليه ابن حبيب كثيراً ، وكان يرفعه في الفهم على اكثر اصحاب مالك قال ابن المواز : كنت عنده بعد ان عمي ، حتى جاءه كتاب امير المؤمنين فسأله عن اشياء فلما قرأ القارىء عليه ، قال حول الكتاب واكتب جوابه ، وأملى عليه ، ثم ختمه ودفعه الى الرسول . وقال ابن شعبان : كتب اليه

---

(١) ر – سقاك ، ص – سماك .

المأمون بولاية القضاء ، وكان قد عمي فامتنع من ذلك ، وقيل له لو خرجت الى العراق وعالجت بصرك فان بها من يعالجه ، وتنظر في ذلك ، وكان بها غلام بتجارة خلط عليه فيها . فقال لا افارق المدينة . وذكر انه أوتي بقدّاح يقدح بصره فقال له : انك تقيم كذا وكذا على ظهرك مستلقياً[1] فأبى ، وقال ما كنت لألتمس ما جعل الله ثوابه الجنة بتعطيل فرض من الصلاة . قال ابن حارث وكانت له نفس أبية ، كلمه يوماً مالك بكلمة خشنة فهجره عاماً كاملاً ، وذكر انه استقصى على مالك في الفرق بين مسألتين، فقال له مالك تعرف دار قدامة، وكانت داراً يلعب فيها الاحداث بالحمام ، وقيل بل عرض له بالسجن وكان العلماء يفضلونه في علم الاحباس . قال القاضي اسماعيل : عبد الملك عالم بقول مالك في الوقوف . وكان يقول بعد ان كف بصره هلم الي سلوني عن معضلات المسائل . وذكر اسماعيل القاضي في المبسوط بعض كلامه ، ثم قال ما اجزل كلامه ، وأعجب تفصيلاته ، وأقل فضوله . وتفقه به خلق كثير ، وأئمة جلة كأحمد بن المعذّل وابن حبيب وسحنون . قال ابن اكثم القاضي ما رأيت مثل عبد الملك ، أيما رجل لو كان مسائلون . وكان ممن سمع كتبه . كتب عنه اربعمائة جلد ومائتي جلد شك الراوي ، او كما قال . وقال النسائي : فقيه الأمصار من اصحاب مالك من اهل المدينة ، عبد الملك بن الماجشون ولعبد الملك بن الماجشون كلام كثير في الفقه وغيره . قال ابن حارث وعلم كثير جداً وله كتاب سماعاته وهي معروفة ، وكتابه الذي ألفه آخراً في الفقه يرويه عنه يحيى ابن حماد السجلماسي ، ورسالة في الايمان والقدر والرد على من قال بخلق القرآن والاستطاعة .

---

(١) ص – مستقيماً .

ذكر مذهبه فيما اختلف الناس فيه واتباعه السنة

قال ابو مصعب الزهري : القرآن ليس بمخلوق وهو مذهب عبد الملك بن الماجشون ، وكتب سحنون الى عبد الملك يذكر ما حدث عندهم من الكلام في التشبيه والقرآن ، ويسأله الجواب عليه . وكتب اليه عبد الملك مرة : من عبدالله بن الماجشون الى سحنون بن سعيد ، سلام عليكم فاني احمد اليك الله الذي لا إله إلا هو . اما بعد ، وفقنا الله وإياكم لطاعته ، سألتني عن مسائل ليست من شأن اهل العلم والعمل بها جهل ، فيكفيك من مضى من صدر هذه الأمة انهم اتبعوا بإحسان ولم يخوضوا في شيء منها ، وقد خلص الدين الى العذراء في خدرها ، فما قيل لها كيف ولا من اين ؟ فاتّبع لما اتبعوا واعلم انه العلم الأعظم الذي لا يشاء الرجل ان يتكلم في شيء من هذا ، فيكب فيهوى في نار جهنم . وقال عبد الملك : لو اخذت المريسي[1] لضربت عنقه . قال : وسمعت من ادركت من علمائنا يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق . قال القاضي رضي الله تعالى عنه . ذكرنا هذا كله وجلبناه من كتب الأئمة الثقات رداً وإبطالاً حكاه الساجي ، في علله من خلاق هذا العالم يصح عنه . ولم يعرف منه مما كان الأولى به تركه . ذكر ابن اللباد ، ان يحيى بن اكثم القاضي كان مع عبد الملك على سريره . يعني وهما يتذاكران مذهب اهل العراق وأهل المدينة ، ويتناظران في ذلك . فقال ابن اكثم : يا أبا مروان رحلنا الى المدينة في العلم قاصدين فيه ، وكنتم بالمدينة لا تعنون به ، وليس من رجل قاصداً فيه كمن كان فيه وتوانى . فقال عبد الملك : اللهم غفراً ، يا أبا محمد ادعُ لي أبا عمارة المؤذن

---

(١) بشر .

من ولد سعد . فجاء شيخ كبير فقال له : كم لك تؤذن ؟ فقال سبعين سنة أذنت مع آبائي وأعمامي وأجدادي . وهذا الأذان الذي اؤذن به اليوم أخبروني انهم أذنوا به مع ابن أم مكتوم . قال عبد الملك : وإن (كنتم)[1] تقولون توانيتم وتركتم ، هذا الاذان ينادي به على رؤوسنا كل يوم خمس مرات متصلاً بأذان النبي ﷺ ، فترى أنا كنا لا نصلي ، فقد خالفتمونا فيه، فأنتم في غيره أحرى ان تخالفونا . فخجل ابن اكثم ولم يذكر انه رد عليه جواباً .

بقية أخباره ووفاته

ذكر ابن ابي اسحاق : سأل ابن الماجشون عن مسألة فأجابه ، فرد عليه، فأجابه . فلما أكثر ، قال له : قم ، إني لأنقف من أن تُرَدَّ عليّ المسائل. فأعلم به سحنون ، فقال : نعم هو أنقف من ان يرد عليه . قال عبد الملك كان رجل من قريش صديقاً لي وكان بينه وبين وكيله محاسبة ، فأجلسني مع رجل ثم تكلم مع الوكيل فقال الوكيل : قبضت كذا ، ودفعت لك كذا . فقال القرشي : ما دفع الي شيئاً . وقال لي ولصاحبي اشهدا بما سمعتما منه ، فانه كان حجزني حقي . فقلت له : والله ما نشهد لهذا ، ولا ولا جلسنا لهذا . قال فاذهب بنا الى مالك فإن أمر لي بالشهادة فاشهد . فقلت : لو أمرني لم اشهد لأخي . لم اقعد للشهادة . فأتينا ابن ابي حازم فذكر له القصة . فقال لي : الشهادة له عندكما . ثم دخلنا على مالك فذكر له القصة . فقال لي : يا عبد الملك لا تشهد . قال المؤلف رحمه الله تعالى : قد اختلف في هذا الاصل عندنا ، واختلف في تأويل قول مالك فيه .

---

(١) ساقطة من — ص .

وكذلك لو اخفاهما ليشهدا على ما سمعا ، او أجلسهما للمحاسبة بشرط ان لا يشهدا ، والصحيح من ذلك كله ان يشهد أذن او لم يأذن ، اذا استوعبا كلامه كله . حكى المطالبي في كتاب البستان : كان عبد الملك يجيد تفسير الرؤيا ، فسأله رجل انه رأى في منامه ان بيده سيفاً من ذهب وهو يهزه وينثني . فقال له : خيراً رأيت ، جعلت فداك . فعزم عليه ليخبرنه . فقال يولد لك غلام يكون مخنثاً . فكان كذلك . قال ابو عمر بن عبد البر : كان عبد الملك مولعاً بالسماع ارتجالاً وغير ارتجال . قال احمد بن حنبل قدم علينا ومعه من يغنّيه . قال ابن معين : قدم علينا عبد الملك ومعه من يغنّيه فكنا نسمع صوت معازفه ، لهذا والله اعلم لم يخرج عنه في الصحيح . قال ولما قدم عبد الملك من العراق سئل عنها فقال :

بها ما شئت من رجل نبيل ولكن الوفاء بها قليل
يقول فلا ترى إلا جميلًا ولكن لا يصدّق ما يقول

وروى عنه انه قال : إني لأسمع الكلمة المليحة فمالي إلا نُمَيرق فأدفعه لصاحبها ، واستكسي ربي ، ولقد كنا بالمدينة فيحدثنا الرجل الحديث فيمليه علي ويذكر الخبر من الملح فأستعيده[١] ، فلا يفعل ، ويقول : لا اعطيك ظرفي وأدبي . وكانت وفاة عبد الملك سنة اثنتي عشرة . وقيل اربع عشرة ومائتين ، وهو ابن بضع وستين سنة .

عبد الله بن نافع الأصغر الزبيري

أبو بكر . قال الزبيري : هو عبد الله بن نافع بن ثابت بن[٢] عبد الله

---

(١) فأستفيده في – ص .
(٢) ر – بن عبد الله الأمير .

ابن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، ويعرف بالأصغر وهو الفقيه صاحب مالك وله اخ آخر اسمه عبد الله ، ويعرف بالأكبر . من اهل الفضل والدين ولم يكن فقيهاً . قال الزبير[١] وأبوهما نافع ، من أعبد أهل زمانه . صام من عمره خمسين سنة . قال يحيى بن مسكين ما رأيت أطول صلاة منه قط . وكان يحب ابنه هذا عبد الله الأصغر . قال مصعب : فكان يأتيه[٢] في صلاته فيدعو له ، فيرى ان بركة دعائه ادركته . سمع عبد الله هذا من مالك وعبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة . روى عنه ابنه احمد وعباس الدوري والزبير بن بكار والذهلي وهارون الجمال ويعقوب بن شيبة ويحيى ابن يحيى الاندلسي وابن رزين القروي ، وعبد الملك بن حبيب وغيرهم ، وهو اصغر من ابن نافع الصائغ ، وروى عنه من لم يدرك ذلك . قال ابن معين فيه : صدوق . وليس به بأس . قال البخاري أحاديثه معروفة مستقيمة . قال البزار : هو ثقة . خرج عنه مسلم . قال منذر بن سعيد : ابن نافع إمام لم يرمه أحد ببدعة . قال الزبير : توفي وهو المنظور اليه من قريش بالمدينة في هديه وفقهه وعفافه . وكان صرد الصيام دهره . وحمل عنه . قال الضراب : صحب الزبيري مالكاً اربعين سنة . قال المؤلف رحمه الله تعالى : وسنين الغلط في هذا . والأشبه ان صحة هذه الحكاية ان تكون لابن نافع الصائغ . قال عبد الله بن نافع : اول ما عرفت مالكاً أني كنت يوماً أقرأ على نافع بن ابي نعيم بعد الصبح ، فرفعت صوتي فزجرني وقال لي : أما ترى مالكاً . قال عبد الله بن نافع الاصغر : قال لي عبدالله بن نافع الاكبر : اذا كنت متخذاً يا عمر خليلاً فاتخذه عاصماً . قال ابن نافع : كان في

---

(١) ابن بكار . والزبير ساقطة من – ص .
(٢) ص – فكان يأتيه وهو في صلاته .

آل الزبير رجل يشتم عبد الله بن مصعب بن ثابت ، لا يضعه من فيه . فكان عبد الله بن مصعب يدفع في كل هلال دينارين ويأمرني ان اعطيه إياها ويقول لا احب ان يعلم اني وصلته . فلما مات مصعب استبطأني فأخبرته. فعاد يدعو الي ويقرضني أنا . فقلت :

شتمت امرءاً لم يطبع الذم عرضه زمانا ولا تدري بما كان يفعل
فلما تيقنت الذي كان صانعاً غدوت علي اليوم بالجهل تخطل
وما كان لي ذنب ولا لابن مصعب سوى اننا جئنا التي هي أجمل

حكى ابن اللباد : ان ابن نافع سأله رجل فقال خرجت من المسجد فتعلقت حصاة بخفي فقال له اطرحها . فقال له : فانهم يقولون إنها تصيح . فقال : قل لها تصيح حتى ينشق حلقها . قال وكان في خلقه شيء (هكذا) ولست ادري اي ابن نافع منهما صاحب هذه الحكاية . والاشبه عندي ان صاحب هذه الحكاية ابن نافع الصائغ ، فهو الذي وصف بما ذكر من ذلك من خلقه . وتوفي في المحرم سنة ست عشر ومائتين . قاله الزبير وقال البخاري سنة عشرة . وفي حكاية بضع عشرة . قال الزبير وهو ابن سبعين سنة . وهذا يرد ما قاله الضراب لأنه على هذا عاش بعد مالك ستاً وثلاثين سنة . فبقي من عمره أربع وثلاثون سنة منها طفولته وبعدها صحبته لمالك والله سبحانه وتعالى اعلم .

معن بن عيسى بن يحيى بن دينار

القزاز . كان يبيع القز مولى اشجع . ابو يحيى . روى عن مالك وابن أبي ذئب وابن طهمان ومعاوية بن صالح ، ومخرمة بن بكير وأبي أويس وغيرهم . وروى عنه احمد وابن المديني وابن معين والحميدي واسحاق بن

موسى الانصاري ، وابن نمير ، وابراهيم بن المنذر ، وابو بكر بن ابي شيبة ، وسحنون بن سعيد ، وعبد الله بن جعفر البرمكي ، وذؤيب بن عمامة السهمي وأبو خيثمة وغيرهم . قال الشيرازي : وكان ربيب مالك وهو الذي قرأ عليه الموطأ للرشيد وابنيه ، وكان يتوسد عتبته فلا يلفظ شيئاً إلا كتبه . وعده في فقهاء اصحابه ، وعده ابن حبيب فيمن خلف مالكاً في الفقه بالمدينة . قال ابن حارث : وله سماع معروف من مالك . ذكره ابن عبدوس في المجموعة فيما ذكر . وهو من كبار اصحاب مالك ، وقد ذكر ايضاً كثيراً من سماعه ، وروايته عن مالك ابو عيسى الترمذي في جامعه ، فكل ما ادخله عن مالك فقد قال في آخر كتابه : إنه من رواية معن . قال ابن عبد البر : كان أشد الناس ملازمة لمالك . وكان يتكىء عليه عند خروجه الى المسجد حتى قيل له ُعصيَّة مالك . قال يحيى : هو ثقة . وأخرج عنه البخاري ومسلم . قال ابو حاتم الرازي : اوثق اصحاب مالك وأثبتهم معن . وهو أحب إليّ من ابن نافع وابن وهب . قال محمد بن سعيد : كان ثقة كثير الحديث ، مأموناً ثبتاً . قال الشافعي : قال لي الحميدي حدّثني من لم ترَ عيناك مثله ، معن بن عيسى . وسئل يحيى عن الثبت في مالك ، فقال : القعنبي ، ومعن . قال ابن الجنيد قلت لابن معين كان عند معن غير الموطأ ؟ قال شيء قليل . قال علي بن المديني : أخرج الينا معن أربعين الف مسألة سمعها من مالك . قال معن : كان مالك لا يجيب احداً من العراقيين حتى اكون انا الذي اسأله عنه . قال ابن بكير : كان معن يبيع الخز وكان طويلاً . قال محمد بن سعد : وكان له غلمان حاكة . قال ابن بكير وكان معن يقول : حدّثني مالك . فقيل له : فكيف تقول هذا . وإنما كان ُيقرأ عليه . قال : كنت استخرج الحديث في رقاع منه ، ثم أقول يا أبا عبدالله اقرأ لي هذا الحديث . فيقرأه . ثم اتركه اياماً وأجيئه برقعة اخرى . قال

ابن وضاح : اقبل قوم الى معن بالمدينة يستأذنون عليه في داره ، فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم أسود ليدخل الدار ، فسألوه الاذن لهم ، فدخل فنادى يا معن فاستجاب له ، فأعلمه ، فأذن ودخلوا . فقالوا اصلحك الله . عجباً من تسمية هذا الأسود لك . قال : أما انه مع ذلك مملوكي . قالوا هذا اكبر . قال وما اردتم ، اكان يدعوني بأفضل من اسمي الذي رضيه لي ربي . وكأنه حسّنه فعله . قال البخاري : ومات معن سنة ثمان وتسعين ومائة قيل في شوال منها بالمدينة .

اسماعيل بن أبي أويس

أبو عبدالله . قاله البخاري . وقال الإلكاني والجرجاني : أبو خيثمة . ويحيى ابن معين ومعن بن عيسى : اسم أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن ابي اويس ابن ابي عامر الاصبحي ، ابن عم مالك بن انس وابن اخته وزوج ابنته . قال الشافعي وابن شعبان : ان اسم ابي اويس عبد العزيز بن عبد الله . قال غيره اسمه أوس بن مالك بن عبد الله والاول الصحيح . وكان ابو اويس ممن يسمع العلم ، وروى عن ابن شهاب وابن المنكدر وهشام بن عروة وغيرهم . قال احمد بن حنبل : زعموا ان سماعه وسماع مالك كان شيئاً واحداً . سمع منه الناس بالحجاز والعراق . روى عنه القعنبي وغيره ، واختلف فيه . فأثنى عليه احمد بن حنبل ، وأبو داود ، وضعفه ابن المديني ، وضعف حديثه يحيى بن معين ، لكنه قال : كان صالحاً . وقال مرة كان ثقة . ومرة ليس به بأس . وصدوق . وليس بحجة . وقال مرة : ليس بثقة . قال ابو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال الناس : اثنى

عليه ابن معين واحمد والبخاري . حدث عنه بالكثير وهو خير من ابيه لأنه كان[١] مقبلًا . وتكلم فيه النسائي . وقال الصدفي عنه : جالست خالي مالكاً من سنة ثمان وخمسين ومائة الى ان مات وذلك احدى وعشرون سنة . وروى عنه ابن وضاح وأثنى عليه . وقال : انه كان شديد القول فيمن يقول بالمخلوق[٢] . وروى عن مالك حديثاً كثيراً ، وفقهاً . قال اسماعيل : قدمت على سفيان بعد وفاة خالي فأدنى مجلسي وذكر خالي فدعا له ، وذكر فضله وحاله ، وما أصيب الناس به منه ، وبكى . ثم قال : سلني ما شئت لمكان خالك . قلت احاديث احب اسمعها منك . قال أيما أحب اليك ؟ تقرأ أم اقرأ لك . قلت اقرأ انا فهو اثبت لي . قال افعل . فبدأت بالقراءة ، فقال ناس من اهل العراق : يا ابا محمد اقرأ انت ونسمع كلنا . فقال : اطلبوا اليه ، فاني قد آثرته بهذا المجلس لمكان خاله ، فكلموني فأبيت عليهم ، وقرأت فصاحوا وقالوا : ألا نسمع ؟ فقال لهم : لا سمعتم ما اصنع بكم . فجعلوا يصيحون ويقولون لا نفعك الله به ، او نحو هذا . قال ابن وضاح : وسأل رجل ابن أبي أويس ، وهو جالس من الروضة داخل المسجد ، فقال له : رحمك الله اي شيء تقول في القرآن ؟ فانه قد اختلف علينا فيه . فغضب وقال : بقيت انا حتى اسأل عن هذا ؟ اويذكر في مجلسي ؟ ناشدتك الله والقبر ومن فيه والمنبر ومن علاه وأشار اليهما إما ان تقوم عني وإما قمت[٣] عنك . هذا مما يذكر في مجلسي ؟ وتوفي اسماعيل سنة ستة وعشرين ومائتين وقيل سنة سبع وعشرين ومائتين .

---

(١) ن – لأنه مقبلا .
(٢) يخلق القرآن – ص .
(٣) ن – واما ان قمت عنك .

اخوه ابو بكر عبد الحميد بن أبي أويس المعروف بالأعمش

يروي عن ابيه وأخيه وخاله وابن عجلان وابن ابي ذئب وسليمان بن بلال وقرأ على نافع القارىء، وكان صاحب عربية وقراءة. اخرج له البخاري ومسلم، وروى عنه احمد بن صالح المصري وأخوه اسماعيل وابراهيم بن المنذر واسحاق بن موسى وسليمان بن بلال وعبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة ومحمد بن عبد الحكم. قال يحيى: هو ثقة فيما حكاه ابن ابي حاتم والعقيلي وغيرهما. قال ابن شعبان: له ولأخيه عن مالك ما لا يحمل[١] الموطأ وغيره. وروى عن مالك انه قال لهما: اراكما تحبان هذا الشأن، فان أردتما ان ينفعكما الله به فأقلاً منه وتفقها فيه. وذكر يحيى بن بكير، فقال: ما بلغني الاخير كان كثير العلم. قال احمد التميمي في كتاب المحن عن موسى بن الحسن، قال: سمعت ابا بكر بن ابي اويس ومطرف ابن عبد الله، وقد دعيا الى المحنة في القرآن بالمدينة. فلما قرىء عليه الكتاب قال ابو بكر اكفر بالله بعد نيف وتسعين سنة، ومجالسة مالك ورجال اهل العلم متوافرون بالمدينة؟ فقيل له ليكن بيتك سجنك. وقال صحبت نافعاً القارىء اربعاً وعشرين سنة لا افارقه إلا في منزله. وكان الغالب عليه الحديث. وحكى ابن شاهين، ان ابن معين كان يضعف بيت آل ابي اويس كلهم جدا. وتوفي سنة اثنتين او ثلاث ومائتين، ويقال سنة إحدى ومائتين.

---

(١) بالنسخ ما لا يجهل الموطأ.

داود بن سعيد بن ابي زنبر

قال الحكم هو قريشي صحب مالكاً وروى عنه حديثاً وفقهاً كثيراً ، ويقال إنه كان احد أوصيائه ، وكان كثير الحديث .

وقد روى عنه جماعة من اصحاب مالك كمحمد بن مسلمة وكابن نافع وغيرهما ، وأثنى عليه ابن ابي اويس خيراً . قال الحاكم : هو اول من اخذ الفقه عن مالك . قال غيره : كان ممن يخصه مالك بالاذن عليه ، في اول من يأذن له . وكان احد اوصيائه ، وابنه سعيد بن داود يكنى بأبي عثمان . قال الدارقطني : يروي ايضاً عن مالك نسخة عن ابي الزناد وعن الزهري ، وهشام بن عروة وثور بن زيد احاديث تفرد بها . قال ابن ابي حاتم : وسكن سعيد بغداد ، وقدم الري وروى الموطأ عن مالك ، وتكلم فيه ابو حاتم الرازي ، وقال : ليس بالقوي . قال (عبد الرحمان بن ابي حاتم)[1] : حدث عنه احمد بن منصور الرمادي ، ومحمد بن عمار الداري ، وروى عنه خالي ، وقد روى عنه ابن ابي حاتم ويعقوب بن شيبة . وقال البخاري سعيد بن داود الزبيري ويقال ابن ابي داود ، مدني سكن بغداد . وعدّه الحاكم في الضعفاء . قال : ويروي عن مالك احاديث موضوعة . وقد استشهد به البخاري في الصحيح ولم نقف على ذكر وفاته .

يحيى بن عبد الله الهديري ويكنى أبا زكرياء

قال الدارقطني هو يحيى بن عبد الملك بن هارون بن عبد الله بن ابراهيم ابن عبد الله بن محرز الهديري التميمي . قال غيره : هو من ولد ربيعة بن

---

(١) زيادة من — ن .

عبد الله المديري . مشهور بصحبة مالك ، والرواية عنه حديثاً ومسائل . له روايات عنه رواها ابو يحيى الزهري القاضي وبـه تفقه . قاله الشيرازي . وروى عنه الزبير بن بكار وتوفي سنة ست ومائتين وقيل سنة ثمان ومائتين .

سعيد بن عمر بن الزبير (بن عمر بن الزبير)[1]
ابن العوام الأسدي القرشي

ذكره الزبير في جمهرته . وقال : قد روى عن مالك بن انس وعبدالرحمان ابن ابي الزناد وكان من جلساء مالك وأصحابه ، ولي الشرطة بدمشق لعباس ابن محمد بن ابراهيم . قال الزبير بن بكار ووكيع القاضي عن ابي يحيى الزهري وبعضهم يزيد على بعض ، وحديث الزهري أتم . دعا ابو البختري وهب بن وهب حين ولي المدينة سعيد بن عمر ليوليه شرطه ، فأبى ، وحلف وهب ليضربنه وليسجننّه ثم لا يرسله ما دام له سلطان . فقبل عمله فألبسه السواد وقلده سيفاً وأعطاه مائة دينار ، وقال له : صل بالنـاس العتمة . ففعل . فلما انصرف الى منزله وتبعه رسول وهب بالمدينـة قال ضعها في تلك الكوة . وندم على توليته فأراد ابو البختري ان يؤكد الامر فأرسل اليه ، صل بالناس الصبح ، فاني مريض ، فأبى وغدا حين اصبح الى المسجد فجلس فيه . قال الزبير إنما ولاه قضاء المدينة . فلما اصبح جلس في الرحبة وأرسل الى ثلاثة من فقهاء المدينة وهم ابو زيد الانصاري ومطرف بن عبدالله وعبد الملك بن الماجشون . وقـال لهم : رزقني الامير ثلاثين ديناراً . فأنا أقسمها بينكم لكل رجل منكم عشرة . وقد استخلفتك يا ابا زيد . فقـال

(١) ما بين القوسين ساقط من — ص .

ابو زيد : ان عشرة دنانير لمستزاد ، ولكني ضعيف عن ان اخلفك . وقال لعبد الملك وأما انت فقد استكتبتك . فقال ان عشرة في الشهر لمرغوب فيها . ولكني ضعيف البصر ولا أصلح للكتابة . وقال (لمطرف) استعملك على الطواف وكان مطرف ضعيفاً . فقال له : لو استعملتُ على عملك ما قبلته . فكيف اعمل لك على الطواف . فقال ما انا بتاركِكم إلا ان أُعفى . وقال وكيع وبعث الى أبي غزّية الانصاري ومطرف وعبد الملك وابن نافع الصائغ ، فقال لمطرف وليتك السجون . وقال لأبي غزية وليتك السوق . وقال لعبد الملك وليتك كتابتي . وقال لابن نافع وليتك كذا . وذكر مثله . فدخلوا على وهب فذكروا ذلك له فأرسل اليهم . فلما جاءه كلمه في تركهم فقال له سعيد : ليس لك ان تكرهني وتمنعني من إكراههم . فقال له : لا تعجل فحلف ان لا يعمل إلا ان يدعه يُكره على العمل من رأى . فقال له وهب : ضع سيفنا ، واخلع سوادنا ، واردد مالنا . وأمر به فدفع في قفاه ، وهو يكبّر . فلحقه الرسول فطلب المالية فقال له أين وضعها ، فأخذها وانصرف . فقال في ذلك سعيد بن عمر :

أَظن وهبُ بن وهب أن اكون له لما تغطرس في سلطانه تبعا
لما تغطرس وهب في عمايته وازداد أبهة واختال وابتدعا
خرجت منهاخروج القدح لا وَكَلًا وجلل العبدَ فيها الخزيُ والطمعا

أخوه الوليد بن عمر(١)

قال الزبير : كان سرياً استخلفه بعض ولاة المدينة بها . وكان من

---

(١) ر – عمرو .

جلساء مالك . وذكر بعض اصحابنا أنه ألف لمالك كتابه ، موطأه . يعني – والله أعلم – بيّضه له .

ابراهيم بن هارون بن محمد بن الياس بن أبي الليثي

قال الزبير : كان من جلساء مالك حافظاً عنه جامعاً لأنواع العلم ، عاقلاً راجح الذهن . قال غيره : كان حافظاً متقناً روى عنه الزبير .

زيد بن داود

قال مطرف : حدثني زيد بن داود وكان من افضل اصحابنا . قال رأيت في منامي كأن القبر فرج عن رسول الله ﷺ قاعداً (هكذا) والناس قد انقضوا عليه ، فصاح صائح بمالك بن انس ، فجاء الى رسول الله ﷺ ، فأعطاه شيئاً وقال اقسم هذا بين الناس . فرأيته يعطيهم إياه . فاذا هو مسك فتأولنا[١] ذلك ، العلم الذي بثه مالك في الناس .

أبو زيد الأنصاري

اسمه محمد بن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن حارثة[٢] كذا نسبه القاضي وكيع . وكان من رواة مالك وجلسائه وأحد فقهاء المدينة ومفتيهم من ابناء الأنصار ، وولي قضاءها أيام المبيضة عند دخول محمد بن سليمان بن داود المدينة فلما رجعتها المسودة عزلته ، ثم ولي أيام المأمون مرتين قبل ابي مصعب

---

(١) ن – فتناولنا .

(٢) ن – جارية .

وبعده . ذكر ذلك القاضي وكيع . قال : ولاه المأمون قضاء المدينة سنة عشرين ومائتين وعنه في كتاب ابن حبيب روايات . سمع منه ابن حبيب .

عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي

تقدم نسبه في الطبقة الاولى عند ذكر ابيه . كان من اصحاب مالك وجلسائه . قال عبد الرحمن بن ابي حاتم ، كنيته أبو معاوية ، روى عن أبي الزناد ويحيى بن محمد بن هانىء وابن وهب وروى عنه ابو زرعة . وقال ابو[1] مصعب : كان اجمل وجهاً وأحسنه لساناً ، ولي إمرة المدينة وقضاءها ، وأمه ابنة عثمان بن الزبير بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان . قال محمد بن الجراح ، في كتاب الورقة : كان اديباً ظريفاً مدنياً . قال وكيع كان من اصحاب مالك وابن ابى الزناد ومن اهل الأدب ، حدث عنه اسماعيل القاضي وغيره . وولي قضاء المدينة وولايتها سنة اثنتين ومائتين . وله :

وعوراء قد أُسمعتها فصرفتها   وأوطأتها من غير عيّ ٍ بها نعلي
فلم ينثها ناث وكانت كما مضى   وجرت عليه العاصفات سفى الرمل[2]

وله ايضاً :

أمر الغواني واحد   حذوَ المثال على المثال
أصْبَرن قبلك بالمنى   قطعن أعناق الرجال

وأنشد له الزبير :

ومولى منحتُ النصح مني وانه   لَطاوٍ حشاه والضمير على بغض

---

(١) ساقطة من – ص .

(٢) انشد وكيع البيتين وآخرهما (وجرّ عليه العاصفات من الرمل) .

يحيي ويستحيي إذا ما لقيته وإن غبت أو وليت ارتع في عرضي
فلو شئت قد عضّ الأنامل نادماً وأوطأته إذ كان في موطىءٍ دحضِ
ولكنه إحدى يديّ فلم أجد سبيلاً الى وصل ببعض الى بعض
فأغضيت منه غير وهن على التي لعمرك ما يغضي على مثلها بغضي

وقال له الحسن بن زيد يوماً — وكان الحسن ولاه شرط المدينة ، فعتب عليه في شيء — : لقد هممت ان أفارقك فراقاً لا رجعة بعده ، فقال له المساحقي إذاً أيها الأمير أقول :

وفارقت حتى ما أبالي من النوى وإن بان جيران علي كرام
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي وعيني على هجر الحبيب تنام

قال الزبير توفي سنة ست وعشرين ومائتين وسنّه ثلاث وثمانون سنة وهو شيخ قريش .

حبيب النّال

بشد الهمزة . ويعرف ببابين . احد اصحابه القدماء وجلسائه المختصين به ، وأحد من كان يقدمه في الاذن عليه ويخصه ، وأحد أوصيائه . وقال بعضهم فيه : ابراهيم بن حبيب واراه ابن هذا . وذكر انه وصيُّ مالك ، وذكرهما ابن شعبان معاً ، وذكر ايضاً اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن بابين ، ووجدت له حكاية عند موت مالك بن انس : وجد اسحاق بن بابين ، في تركة مالك ، صندوقين مقفلين فيهما كتب . فجعل أبي يقرأها ويبكي ويقول رحمك الله ، إن كنت تريد بعلمك الله . لقد جالسته الدهر الطويل فما سمعته يحدث بشيء مما قرأت ، وأرى صوابه ابا اسحاق . قال قاسم بن اصبغ : ابراهيم بن حبيب ثقة من اصحاب مالك وهو وصي مالك رحمه الله تعالى .

حبيب بن أبي حبيب

واسم ابي حبيب مرزوق ويقال رزين . كاتب مالك وقارئه ، وبقراءته سمع الناس الموطأ . مدني انتقل الى مصر ، وعدّه بعضهم في المصريين لأنه توفي بها . روى عن مالك غير شيء ، الموطأ والفقه وكثيراً من الحديث وغيره . ضعفه ابن حنبل وابن معين والنسائي وأبو حاتم الرازي وكذبوه وذموه . وقال ابن معين : حبيب الذي بمصر كان يقرأ على مالك ويخطرف للناس ويصفح ورقتين . سألوني عنه فقلت : ليس بشيء . وبقراءته سمع ابن بكير . وهو شر العرض . قال ابن ابي خيثمة ذكرت لمصعب ما ذكر ان حبيباً كان يقلب ورقتين . فقال : إنما كنا نعرض له ورقتين انكاراً لما ذكر في[1] ذلك . قال مصعب قال لنا مالك : صلوا حبيباً . اعطوا حبيباً . وكان نزل على مالك . قال مصعب : كان حبيب يقرأ على مالك وأنا عن يمين حبيب ، يقرأ كل يوم ورقتين او ورقتين ونصفاً . وكان يأخذ في كل عرضة دينارين من كل انسان ، فزدناه نحن . قال حبيب : جعل لي الدراوردي وابن كنانة وابن ابي حاتم ديناراً على ان اسأل مالكاً عن ثلاثة سمعوا منهم مع مالك ، ولم يحدث عنهم مالك ، وتهيبوا الحديث عنهم لذلك، فدخلت عليه بعد الظهر وليس عنده غير هؤلاء الثلاثة . فقال ليس هذا وقتك . قلت : اجل : ليس في البيت دقيق ولا سويق وقد جعل لي قوم ديناراً لأسألك : لمَ لم تروِ عن فلان وفلان وفلان . فأطرق ثم قال ما أحبّ[2] منفعتك اليّ ، ولكن ، لم احمل العلم إلا عن أهله . فأومأ إليّ

---

(١) ر – من ذلك .

(٢) ر – قال لي احب منفعتك .

القوم ان اكتفي بمسألتي . وقال يحيى بن يحيى : ارشيت[١] حبيباً بألف درهم حتى مكنني من مالك ، فسمعت عليه ألف حديث . وتوفي بمصر سنة ثمان عشرة ومائتين .

محمد بن الضحاك بن عثمان الخزاعي[٢]

من جلساء مالك يروي عنه وعن ابيه الضحاك . روى عنه يعقوب بن حميد بن كاسب . تقدم ذكره عند ذكر ابيه وجده في الطبقة وهناك بقية أخباره . قال الزبير : ومات شاباً وخلف أباه في العلم والادب .

أبو غزية محمد بن موسى بن مسكين الأنصاري

من بني مازن بن النجار ومن ولد اسامة بن زيد ، من جهة النساء . من اصحاب مالك والقائلين بقوله وله رواية ، وولي القضاء بالمدينة ، وسمع ابن ابي الزناد . قال محمد بن سعد : كانت له رواية وعلم ونظر بالفتوى والفقه قال البخاري : يعد في اهل الحجاز وعنده مناكير . وفي بعض نسخ تاريخ البخاري الكبير في ذكره ، ثقة . وجدت ذلك بخط شيخنا القاضي الشهير رحمه الله تعالى توفي في سنة سبع ومائتين قاله البخاري .

مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير بن العوام أبو عبد الله القرشي الأسدي

كذا نسبه البخاري وغيره ، هو عم الزبير بن بكار . روى عن مالك

---

(١) ارتشيت – ص .

(٢) ص – و – ن – الخزامي .

الموطأ وغير شيء وعرف بصحبته ، وروايته في الموطأ معروفة . سمع أباه ومالك بن انس وغطهم من اهل المدينة ، وكتب عنه ابو خيثمة وابنه ، ويحيى بن معين . وكان علامة قريش في النسب والشعر والخبر ، شريفاً معظماً عند الخاصة والعامة . شاعراً ظريفاً . قال الصدفي : مصعب بن عبدالله الزبيري ابو عبدالله صاحب الانساب وصاحب مالك . قال يحيى بن معين : هو ثقة .

ذكر جمل من اخباره

قال مصعب : قال لنا أبي اطلبوا العلم، فان لم يكن لك مال اكسبك مالاً ، وإن يكن لك مال أجداك جمالاً . قال ابن ابي خيثمة : قلت لمصعب ابن عبدالله : ان هؤلاء يقولون القرآن كلام الله ، ويقفون . فيقولون من قال مخلوق ابتدع ، ومن قال غير مخلوق ابتدع ويحتجون بك ويزعمون انك تقول بهذا القول ، وان مالكاً يقوله . فقال معاذ الله . اما انا فأقول كلام الله وأسكت ، وقلبي يميل الى انه غير مخلوق ، ولكني اسكت لانه بلغني عن مالك انه يقول الكلام في الدين كله اكرهه ، ولم يزل اهل بلدنا يكرهونه ، القدرَ ورأيَ جَهْم ، وكلما اشبهه . ولا احب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام في الله فأحب الي السكوت عن هذه الاشياء لأن اهل بلدنا ينهون عن الكلام إلا فيما تحته عمل . ولقد ناظرني اسحاق بن اسرائيل فقال : لا اقول كذا ولا كذا ولا اقول ذلك على الشك ، ولكني اسكت كما سكت القوم قبلي . فأنشدته قصيدتي التي قلتها في الواقعة فكتبها وأعجبته وهي :

أأقعد بعدما رجعت عظامي وكان الموت أقرب ما يليني

أجادل كل معترض خصيم وأجعل دينه عرضاً لديني
وأترك ما علمت لرأي غيري وليس الرأي كالعلم اليقين
وما أنا والخصومة وهي لبس تصرف في الشمال وفي اليمين
وكان الحق ليس له خفاء أغرّ كغرة الفلق المبين

وهي اطول من هذا .

ذكر جمل من ملحه

ذكر الجراح في كتاب الورقة عنه ، قال : دخلت على احمد بن هشام، فقال يا أباعبدالله لقد شهرك ابراهيم الموصلي حين قال :

لامَ فيها مصعبٌ وصباحُ فعصينـــا مصعباً وصباحا
عَذِلا ما عَذِلا ثم ملاّ فاسترحنـا منهما واستراحا

فقلت ما شهر إلا بأمر جميل ، جعلنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وما شهرك به اشهر ، حين قال :

وصافية من المدام رقيقة رهينة عام في الدّنان وعام
أدرنا بها الكأس الروية موهنا من الليل حتى انجاب عنا ظلام
فما ذرّ قرن الشمس حتى رأيتنا من العيّ نحكي احمد بن هشام

عتيق بن يعقوب

ابن صديق بن موسى بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي (الاسدي) ابو بكر . وأمه حفصة ابنة عتيق بن عامر بن عبدالله بن الزبير من المختصين بمالك والقائلين بقوله ، المكثرين عنه المحافظين لسيرته وشمائله . قال : سمعت

مالكاً يقول : ينبغي للرجل ان يؤدب اهله وولده ، ومن يجب عليه فرضه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . فأدب اهلك أو من وليت أمره على ادبك وخلقك حتى يتأدبوا على الذي انت عليه ليكونوا لك عوناً على طاعة الله . وقد ذكرنا في اخبار مالك دخوله منزل مالك بعد وفاته ، وما وجد فيه من حديثه ، وإنه ما رأى منه شيئاً مما ذاكر به اصحابه في حياته . قال محمد بن سعيد كاتب الواقدي في تاريخه : كان ملازماً مالك . كتب عنه الموطأ وغيره ، ولزم ايضاً عبد الله العمري واعتزل ، ثم رجع الى المدينة ، ولم يزل من خيار المسلمين . توفي سنة سبع او ثمان وعشرين ومائتين وعداده من المكيين من اهل الحجاز .

محمد بن إدريس الشافعي

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأمه أزدية . ولد بالشام بغزة . وقيل باليمن سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وسكنها وتردد بالحجاز والعراق وغيرها . ثم قدم مصر واستوطنها . روى عن مالك ومسلم بن خالد وابن عيينة ، وابراهيم بن سعد وسعيد بن سالم واسماعيل بن علية ، ويحيى بن حسان والدراوردي وابراهيم بن ابي يحيى ومروان بن معاوية وابن ابي فديك وابن ابي مسلمة والقعنبي ، وفضيل بن عياض ، وعن عمه محمد ابن شافع . روى عنه احمد بن حنبل والحميدي وأبو الطاهر بن السراج ، وحرملة بن يحيى والبويطي والمزني والربيع المؤذن ، ويونس بن عبد الأعلى وأبو ثور والزعفراني ، وأحمد بن سنان الواسطي ، ومحمد بن عبد الحكم وابن اخي ابن وهب وهارون الإيلي وآخرين .

ابتداء طلبه وحفظه

قال الشافعي : كنت وأنا في المكتب اسمع المعلم يلقن الصبي فأحفظ ما يقول ، ولم يكن عند أبي ما يعطي وكنت يتيماً ، فكان المعلم يرضى مني بأن اخلفه اذا قام ، ولقد كانوا يكتبون . وقبل ان يفرغ المعلم من الاملاء حفظت جميع ما كتبت . وفي رواية ، فقال لي ذات يوم ما يحل لي ان آخذ منك . ثم لما خرجت من المكتب كنت التقط الخزف وعزب النخل وأكتاف الجمال ، فأكتب فيها الحديث ، وأجيء الى الدواوين فأستوهب الظهور ، واكتب فيها ، حتى ملأت جباباً[1] كانت لأبي في ذلك . فسمع اذ ذاك بمكة من عمه ومسلم بن خالد الزنجي وغيرهم من المكيين ، ثم قال خرجت من المكتب فقدمت هذيلًا اتعلم كلامها ، وكانت افصح العرب ، فبقيت فيهم سبعة عشر عاماً ، راحلًا برحلتهم ونازلاً بنزولهم . فلما رجعت الى مكة جعلت انشد الاشعار وأذكر الآداب والاخبار ، وأيام العرب ، فمر بي رجل من الزبيريين فقال لي : يا أبا عبد الله ، عزّ علي ألا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء فقه ، فتكون قد سدت اهل زمانك . فقلت : ومن بقي يُقصَد . فقال لي : هذا مالك سيد المسلمين يومئذ . فوقع في قلبي ، وعمدت الى الموطأ فاستعرضته وحفظته في تسع ليال ، ثم دخلت الى والي مكة فأخذت كتابه الى مالك وكتابه الى والي المدينة ، يسأل مالكاً في امري . فلما قدمت المدينة أوصلت الكتاب الى والي المدينة ، وقلت له : تبعثه الى مالك يأتيك فتوصيه بي . فقال : يا ليتني اذا ركبت اليه مع حشمي معك ، حتى نأتي بابه ونجلس عليه ، حتى تضرب وجوهنا الريح بتراب العقيق أذن لنا ؟ فلما صلينا العصر ركب معي اليه ، وصرت معه حتى

---

(١) ص – جبابا . ر – حبابا جمع حب . وبالأصل غير واضحة .

اتينا العقيق ، وكان منزله فنزل بن معه وجلس على بابه ، واستأذن . فخرجت اليه جارية ، فقالت الشيخ يقول لك : إن كنت تريد المسائل فاكتبها في رقعة أجبك عنها . فقال لها قولي له إن الأمير قد كتب إلي في حاجة فدخلت فأبطأت ثم التفت إلي وقال ألم أقل لك ؟ قلت : بلى . ثم خرج مالك وجلس وقال ما شاء الله . فناوله الامير الكتاب فلما بلغ موضع الشفاعة رمى به ثم قال : يا سبحان الله ! وصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل ! قال : فرأيت الوالي قد تهيبه ان يكلمه . فتقدمت اليه وقلت اصلحك الله اني رجل مطلبي ، ومن حالي وقصتي فلما سمع كلامي نظر إلي ساعة ، وكانت له فراسة ، فقال لي : ما اسمك ؟ قلت محمد[1] . قال يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فانه سيكون لك شأن من الشأن . ثم قال : نعم وكرامة . إذا كان غداً تجيء وتجيء بن يقرأ لك الموطأ . قلت فإنني اقوم بالقراءة . قال : فقدمت عليه وابتدأت قراءته ظاهراً ، والكتاب في يدي فلما تهيبت مالكاً وأردت قطع القراءة وقد اعجبته قراءتي ، قال بالله يا فتى زد . حتى قرأت عليه في أيام يسيرة ، فأقمت بالمدينة الى ان توفي رحمه الله تعالى . وفي رواية : ان مالكاً لما نظر في الكتاب قال : من هو ؟ فقال له الوالي هذا . فنظر إلي ونكس رأسه ، ثم قال : كيف يصلح لمن لا يرضى من خوف الله ، فاذا كان كذلك أوشك ان ينفعه الله بالعلم . فقال له الامير هذا مطلبي . فلما سمع ذلك سري عنه وذكر نحوه . قال مصعب الزبيري : قدم الشافعي المدينة فكان يجلس في المسجد ينشد اشعار الشعراء ، وكان حسن اللفظ فصيح القول ، عالماً بمعانيه . فقال له ابي يوماً ترضى لنفسك في قرشيتك مما انت فيه ، ان تكون شاعراً ؟ قال

(١) قلت كذا — ر .

فما اصنع ؟ قال تفقه . قال رسول الله ﷺ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين . قال فأنّى لي بذلك ؟ قال : مالك بن انس سيد المسلمين . قال تقوم بنا اليه . فأتينا مالكاً وجلس عنده وأخبره بشرفه وأمره ، فقرّبه مالك وجعل يسمع منه ، فلما كان بعد ايام قال الشافعي لأبي : الذي يقول مالك امرنا ، والذي عليه بلدنا ، والذي عليه أئمة المسلمين الراشدين المهديين، اي شيء هو ؟ فقال له أولهم رسول الله ﷺ ، ثم ابو بكر وعمر وعثمان الذين ماتوا بالمدينة . فترك الشافعي ما كان فيه ، وسمع الموطأ من مالك ، وسرّ به مالك . ثم سار الشافعي الى العراق ، فلزم محمد بن الحسن وناظره على مذهب أهل المدينة . وكتب كتبه ورتب هناك قوله القديم ، وهو كتاب الزعفراني .

اقتداؤه بمالك واعترافه له

قد تقدم في اخبار مالك كلام الشافعي فيه ، وكثير من ثنائه عليه . وقال الشافعي مالك بن انس معلمي . وفي رواية استاذي ، ومنه تعلمنا العلم . وإذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وما أحد أمَنّ عليّ من مالك، وعنه اخذت العلم . وقال : إنما انا غلام من غلمان مالك . وقال : جعلت مالكاً حجة فيما بيني وبين الله . قال محمد بن عبد الحكم : لم يزل الشافعي يقول بقول مالك ولا يخالفه إلا كما يخالف بعض اصحابه ، حتى اكثر فتيان عليه فحمله ذلك على ما وضعه على مالك ، وإلا فانه كان الدهر كله اذا سئل عن الشيء قال : هذا قول الاستاذ . قال القاضي هارون بن عبدالله الزهري : كان الشافعي معي بغزة ، في منزل واحد . فكان يصنف كتبه بالليل ، فقلت له : تتعب نفسك تسهر وتفني الزيت وتؤلف كتباً تخالف فيها مذهب

اهل المدينة ، من ينظر فيها ؟ فقال لي يبعث لها قوم أغنام من اهل هـذا المشرق فتكون عندهم اكثر من الكتاب والسنة . قال القاضي ابو عبد الله التستري : (قال لي القاضي ابو العباس بن شريح الشافعي قلت لأبي اسحاق ابراهيم بن حماد)(١) ما بين مالك والشافعي أقلّ مما بين أبي يوسف وأبي حنيفة. وجعل يحتج بما ذهب اليه مالك في مسألة خلع الثلث . فقال : انا لا أفتي ولا اقضي إلا بقول مالك . وحكى ابو العباس الشارقي عن ابي اسحاق الشيرازي ، انه قال له : ما نعد الشافعي إلا احد اصحاب مالك . ولو عد ما خالفه فيه مع ما خالفه فيه عبد الملك او غيره من اصحابه لكان أقل ، ونحو هذا من الكلام .

ذكر ثناء العلماء عليه بسعة العلم والفضل

قال محمد بن عبد الحكم : قال لي ابي : إلزم هذا الشيخ يعني الشافعي، فما رأيت أبصر منه بأصول العلم . وقال : بأصول الفقه . قال محمد : لولا الشافعي ما عرفت ، وهو الذي علمني القياس ، وكان صاحب أثر وفضل وخير ، مع لسان فصيح طويل ، وعقل رضي صحيح . وقال فيه ابن عيينة : هذا افضل فتيان زمانه ، وكان ابن عيينة اذا جاءه شيء من التفسير والرؤيا قال سلوا هذا . يعني الشافعي . وقال له مسلم بن خالد الزنجي وهو شاب، سنّه خمس عشرة سنة ، ويقال ابن ثمان عشرة : قد آن لك ان تفتي يا ابا عبدالله . وقال يحيى بن سعيد القطان : إني لأدعو للشافعي في صلاتي ، لما اظهر من القول بما صح عن رسول الله ﷺ . وقال احمد بن حنبل ما احد يحمل بخبره من اصحاب الحديث إلا وللشافعي عليه منّة . قال : وكنا

(١) ما بين القوسين ساقط من — ن .

نلعن اصحاب الرأي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي ، فخرج بيننا . وقال : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسته . وقال احمد بن حنبل لاسحاق بن راهويه : تعال [حتى][١] اريك رجلًا لم ترَ عيناك مثله . فأراه الشافعي . قال، وقال لي : جالسه يا شيخ . فقلت إن سنّه قريب من سنّنا . أترك ابن عيينة والمقبري ؟ قال ويحك : ان ذلك لا يموت وذا يموت ؟ قال ابن حنبل: كان الشافعي افقه الناس في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وكان قليل الطلب للحديث . قال : وقد رآه هذا رحمة من الله لأمة محمد ﷺ . وقال بعضهم قلت لأحمد : تركت سفيان وعنده السالفون -يعني وجئت الى الشافعي- فقال لي : اسكت فان فاتك علو الحديث تجده بنزول لا يضرك في دينك ولا عقلك ، وإن فاتك عقل هذا الفتى اخاف ان لا تجده ابداً ، ما رأيت افقه في كتاب الله منه . وقال احمد : كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للناس . فانظر هل لهذين من عوض . قال احمد : وبلغني ان النبي ﷺ قال : يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلًا يقيم لها امر دينها وقال : قد اختلفنا اليه فما رأينا إلا خيراً . وقال ابن معين لصالح بن احمد ابن حنبل : اما يستحي ابوك رأيته مع الشافعي ، والشافعي راكب وهو راجل ، ورأيته قد اخذ بركابه . قال صالح فقلت لأبي فقال لي : قل له إن أردت ان تتفقه ، فخذ بركابه الآخر . قال اسحاق : ما تكلم احد إلا والشافعي اكثر اتباعاً وأقل خطأ . وقال اسحاق : الشافعي (إمام)[٢] . قال ابو عبيدة : ما رأيت رجلًا قط اكمل من الشافعي . وقال هارون : ما رأيت مثله ، لو ناظر على ان هذا العمود الذي من حجارة انه من

---

(١) زيادة من رواية الحافظ ابي نعيم في الحلية .

(٢) ساقطة من — ص .

خشب ، لأثبت ذلك لقدرته على المناظرة . وقال ابو ثور : الشافعي عندي افقه من الثوري والنخعي . قال غيره : ما رأيت محمد بن الحسن يعظم احداً من اهل العلم إعظامه للشافعي . وقال هلال بن العلا : الشافعي فتح اقفال العلم . وقال الزعفراني : ما رأيت قط افصح ولا اعلم من الشافعي . كان يقرأ عليه من كل الشعر فيعرفه . قال ابن هشام : الشافعي حجة في اللغة وذاكر بمصر في أنساب الرجال فقال له الشافعي بعد ساعة دع هذا ، فانها لا تذهب عنا وخذ بنا في انساب النساء . فلما اخذا في ذلك بقي ابن هشام فكان يقول : ما ظننت ان الله خلق مثل هذا . قال النسائي : هو احد العلماء ثقة مأمون . وقال يونس ما أخرجت الحجاز مثل الشافعي . قيل له فكيف كان اخذكم عنه ؟ قال قصرنا وعاجله الموت ، ولو مد في عمره لأدرك من علمه ما لم يدرك من علم احد في زمانه . وقال : ما رأى اهل العراق مثل الشافعي ، لو ضُمّت عقول الناس كلهم الى عقله لغرقت عقولهم في عقله . ومن فهم عن الشافعي ما يقول فهو الغاية . وكان يكلم الناس على قدر افهامهم . قال المزني : ألّف الشافعي كتاب السبق والرمي وكان بصيراً بذلك . وأي علم كان يذهب عليه . وقال : لو كنا نفهم عن الشافعي كلّ ما يقول، لأتيناكم عنه بصنوف من العلم . ولكنا لم نكن نفهم . وسأله رجل عن الرأي فقال : اين انت من كتب الشافعي . قال الاصمعي : ورأيت محمد بن إدريس ، فرأيت فقيهاً عالماً حسن المعرفة عذب اللسان ، يحتج ويعرف ، ولا يحسن إلا لصدر سرير ، وذروة منبر ، وما علمت اني افدت حرفاً ، فضلاً عن غيره . ولقد استفدت منه ما لو حفظ رجل يسيره (هكذا) لكان عالماً . قال غيره : اقام الشافعي في علم العربية وأيام الناس عشرين سنة . فقيل له في ذلك . فقال ما أردت به إلا الاستعانة على الفقه . قال الزعفراني : كان يحضر مجلسه ببغداد الادباء والكتاب . يسمعون حسن

ألفاظه وفصاحته ، وما رأيت ولا رأى احد في عصر الشافعي مثله . وقال أيوب بن سويد : ما ظننت ان ابقى حتى ارى مثل الشافعي ، ما رأيت مثل هذا الرجل قط . وكان لقي الناس . وقال ايوب ابو يعقوب البويطي : رأيت الناس بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والحجاز من كل صنف من علماء القرآن والفقه ولسان العرب والسير والكلام وأيام العرب ، ما رأيت أحداً يشبه الشافعي . هو عندي أروع وأشد توق من كل من رأيت نسب الى الورع . وقال الشافعي : وددت ان الخلق يعلمون ما في كتبي ولا ينسبون الي منها شيئاً . قال سويد بن سعيد : كنا عند ابن عيينة بمكة فجاء الشافعي فجلس فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً فغشي على الشافعي. قيل لسفيان : مات ابن ادريس . فقال إن كان مات فقد مات افضل اهل زمانه . وقال احمد بن عبد الله : هو ثقة صاحب رأي وكلام ، ليس عنده حديث . وكان يتشيّع . والثناء على الشافعي كثير وفضله مشهور إلا ما كان من يحيى بن معين فانه اكثر القول فيه ، وأساءه ، ونحوه لعلي بن المديني ويونس والحسن بن مكرم ، ومحمد بن الحكم وغيرهم . وقد تقدم ليونس ومحمد خلاف ذلك ، وأرى لأجل كلام يحيى وأولئك فيه ، ترك اهل الصحيح حديثه ، فلم يدخلوا له حرفاً . وكيف كان بلا خلاف في إمامته في الفقه ، وإنما ضعف حديثه ، لروايته عن الضعفاء كما قال محمد بن عبد الحكم يروي عن الكذابين والبدعيين ، وإلا فهو في نفسه بريء من ذلك . وقد ألف الحافظ ابو بكر بن ثابت الخطيب كتاب الحجة في الشافعي ، وأثبته في الصحيح ، وسنجلب بعد هذا من تسنته ما يصحح ما قلناه ، ويبطل ما عداه إن شاء الله تعالى ، وأخبار الشافعي كثيرة وفضائله مأثورة . قال الربيع لمن سأله ان يحدثه بأخباره ، لو ذهبت احدثكم بأيام الشافعي ما أتيت عليه في سنة .

ذكر الأثر المتأول فيه وتسننه واتباعه ومذهبه فيما اختلف فيه

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ انه قال : اللهم اهدِ قريشاً ، فان عالمها يملأ طباق الأرض علماً . اللهم كما أذقتهم عذاباً أذقهم نوالاً . قال الربيع : قال الشافعي : القرآن كلام الله غير مخلوق . ومن قال مخلوق ، فهو كافر . وقيل لمحمد بن عبد الحكم : أكان الشافعي بدعياً او كذاباً ؟ قال : وإن خالفناه فلا ينبغي ان نقول عليه ما لا نعلم ، كان ابعد الناس من ذلك . قيل له فكان يقف في القرآن ؟ قال ما علمت ذلك . كان بريئاً من ذلك او نحوه . قال ابن حنبل : الشافعي ثقة صاحب رأي وكلام ، وليس عنده حديث . وكان يتشيّع . وقيل للشافعي فيك بعض التشيّع . قال : وكيف ؟ قالوا : تظهر حب آل محمد . قال : يا قوم ، ألم يقل رسول الله ﷺ لا يؤمن احدكم حتى اكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين ؟ وقال إن أوليائي وقرابتي المتقون ، فاذا كان واجباً ان احب قرابتي وذوي رحمي اذا كانوا من المتقين ، أليس من الدين ان احب من قرابة رسول الله ﷺ من كان كذلك ؟ فانه كان يحبهم . ثم انشد :

يا راكباً قف بالمحصب من منى   واهتف لساكن خيبها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج الى منى   فيضاً كملتطم الخليج الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد   فليشهد الثقلان اني رافضي

وكان الشافعي يقول لأحمد وابن مهدي : اما انتم فأعلم بالحديث مني ، فاذا كان صحيحاً فاعلموني به ، اذهب اليه . قال البويطي : إنما كان الشافعي ليتبع اخلاق رسول الله ﷺ .

ذكر جوده وبقية اخباره وفضائله

انصرف الشافعي من اليمن الى مكة ومعه عشرة آلاف دينار، فضرب خباءً خارج مكة وجاء الناس فما برح حتى فرّقها كلها .. فلما دخل مكة استسلف ما انفق . قال الربيع : ما أراه اتى عليه يوم إلا تصدق فيه . وكان في شهر رمضان كثير الصدقة بالثياب والدراهم ، ويعطيهم الفقراء . وأصلح رجل زره ، فأعطاه ديناراً واعتذر اليه ، وناوله آخر سوطه فأعطاه صرة دنانير وقال : لم يحضرني غيرها . وقال الربيع : قد سمعنا بالأسخياء ، وقد كان قوم عندنا بمصر منهم ، رأيناهم . فأما مثل الشافعي فما رأيناه ولا سمعنا أحداً في زمانه كان مثله . وكان إذا سأله انسان يحمر وجهه حياءً في المسائل . ودخل مرة الحمام ، فأعطى صاحبه مالاً كثيراً ، وسقط سوطه فناوله إنسان فأعطاه خمسين ديناراً . وأنشد الشافعي عند خروجه الى مصر :

أخي أرى نفسي تتوق الى مصر   ومن دونها ارض المفاوز والفقر
فوالله ما أدري أللحفظ والغنى   أُساق اليها أم أُساق الى قبر

قال المؤلف رحمه الله تعالى : سيق اليها معاً ، رحمه الله . قال سعيد ابن عبد الله بن عبد الحكم : لما قدم الشافعي مصر قدم علينا على خلة شديدة فمضى اخي محمد الى بعض من بالبلد من المياسير ، فقال له : قد قدم علينا من اصحابنا ومن اهل قربتنا من قريش على خلة فتأمر لنا بما تغير به حاله. فأمر له بخمسمائة دينار ، فلما كان المساء اجتمعنا عند ابي . فقال ما كان ينفعني ان يرضى بمثل هذا من فلان . فقال له أخي : فأعنّا عليه . فأتمها الفاً[1]

---

(١) ص – ففعل فأتمها الفاً .

قال الشيرازي : يقال ان ابن عبد الحكم دفع الى الشافعي من مال نفسه الف دينار، وأخذ له من بعض اصحابه الفاً، ومن رجلين آخرين الفاً ثالثاً . وعند ابن الحكم مات الشافعي . قال سعد : وكان الشافعي يلزم محمداً[١] ولا يفارقه ، يأتيه كل يوم غدوة فربما لم يجده في المنزل ، فيسأل اين ذهب ، فيمضي اليه . وكان يأخذ من كتبنا كتب مالك في كل يوم جزأين ، فيمكثان عنده ذلك اليوم وليلته ، ثم يغدو وقد فرغ منهما فيردهما ويأخذ آخرين . وروى من اخباره انه قال : بينما انا ادور في طلب الحديث باليمن قيل لي هنا امرأة وسطها الى اسفل بدن[٢] والى فوق بدنان مفترقان ، بأربع ايدي ورأسين ، فأحببت رؤيتها ولم أستحل ذلك فخطبتها ودخلت بها فوجدتها على ما وصفت ، فاليدان يتلاطمان ويتقابلان ويأكلان ويشربان ، ثم نزلت عنها وغبت ورجعت بعد مدة ، فسألت عنها ، فقيل : مات الجسد الواحد وربط اسفله بحبل وثيق ، وترك حتى ذبل ثم قطع ودفن ، فرأيت الشخص الآخر بعد ذلك يذهب في الطريق ويجيء . قال المؤلف رحمه الله في نكاح مثل هذا نظر ! وهما اختان لا شك جمعهما بعض الجسد وفرج واحد مشترك ، وإذا كان على ما وُصِف من خلاف اخلاقهما وأغراضهما فهو أبين والله تعالى اعلم . قال ابن عبد الحكم : روي ان ام الشافعي لما حملت به ، رأت كأن المشتري خرج من فرجها ، حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية . فتأول انه عالم يخص علمه اهل مصر ويفترق منها في البلاد . قال الربيع : كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة . فاذا كان رمضان ختم في كل ليلة منه ختمة ، وفي كل يوم ختمة . قال : وأفتى وهو ابن خمس

---

(١) سعد ومحمد ابنا عبد الحكم ، وسعد هذا قتل في محنة القول بخلق القرآن .

(٢) أي مخلوقة عارية لها بدن واحد من وسطها الى أسفل .

عشرة سنة . وكان يحيي الليل حتى مات . ولما قدم الشافعي على الزعفراني نزل عليه ، فكان الزعفراني يكتب للجارية ما يصلح من الالوان كل يوم لطعامه . فدعا الشافعي يوماً الجارية ونظر في الكتاب فزاد بخطه لوناً اشتهاه ، فلما حضر الطعام انكر الزعفراني اللون الذي لم يأمر به فسأل الجارية ، فأخبرته . فلما نظر في الرقعة ووجده بخط الشافعي اعتق الجارية فرحاً بذلك . وألحّ عليه يوماً اصحاب الحديث فقال لهم : لا تكلفوني ان اقول لكم ما قال ابن سيرين لرجل ألحّ عليه : إنك إن كلفتني ما لا اطيق ساءك ما سرّك مني من خلق . وروي ان الشافعي كان عطيراً . وكان غلامه يأتيه كل يوم بغالية يمسح بها الاسطوانة التي يجلس اليها ، وكان الى جانبه رجل متزهد فعمد الى عذرة فجعلها في شارب نفسه ، مضادة لما فعل . وكان يسميه البطال . فلما شم الشافعي الرائحة قال : فتشوا نعالكم . ثم قال ليشم بعضكم بعضاً فوجدوا ذلك بالرجل ، فقال له الشافعي ما حملك على ما فعلت ؟ قال رأيت تجبرك فأردت ان اتواضع لله . قال الشافعي : اذهبوا به الى صاحب الشرطة يعقله ، حتى ننصرف . فلما خرج الشافعي أمر به فضربه ثلاثين درة . قال له : هذا أراه لجهلك . ثم اربعين ، وقال له هذا لتخطيك المسجد بالعذرة .

جمل من حكمه[١] وآدابه رحمه الله تعالى

قال الشافعي : من ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق . ومن حفظ القرآن نبل قدره ، ومن تفقه عظمت قيمته ، ومن حفظ الحديث قويت حجته ، ومن حفظ العربية والشعر رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه العلم .

---

(١) ص – من ادبه وحكمه .

وقيل له كيف اصبحت ؟ فقال كيف اصبح من يطلبه الله بالقرآن والنبي ﷺ بالسنة ، والحفظة بما ينطق ، والشيطان بالمعاصي ، والدهر بصروفه ، والنفس بشهواتها ، والعيال بالقوت ، وملك الموت يقبض روحه ، وقال : احسن الاحتجاج ما أشرقت معانيه ، وأحكمت مبانيه ، وابتهجت له قلوب سامعيه وقال : الطبع ارض والعلم بذر ، ولا يكون العلم إلا بالطلب ، فاذا كان الطبع قابلاً زكا مربع العلم وتفرعت معانيه . وقال العلم جهل عند اهل الجهل ، كما ان الجهل جهل عند اهل العلم . وانشد فيه :

ومنزلة السفيه من الفقيه　　كمنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في قرب هذا　　وهذا فيه زهد منه فيه

واستعار الشافعي من محمد بن الحسن كتبه فمنعه إياها . فكتب اليه :

قل للذي لم تر عينا　　من رآه مثله
العلم يأبى أهلُه　　أن يمنعوه أهلَه
لعلّه يبذله　　لأهله لعلّه ؟

فأجابه محمد بن الحسن عن ذلك وكان الشافعي كثيراً ما ينشد :

اهين لهم نفسي لأكرمها بهم　　ولن يكرم النفس الذي لا يهينها

يريد لمن يطلب العلم عنده . وقال المزني سمعت الشافعي يقول : ذكر رجل رجلاً فقال : اما والله لقد كان يملأ العيون جمالاً ، والآذان بياناً . فقال له رجل : أعد رحمك الله ، فقال : أعيده والله عليك بلا تهاتٍ مني ، ولا إبكات ولا تزكية له .

ذكر محنته ووفاته رحمه الله تعالى

قال الفضل بن الربيع : بعث إلي الرشيد في وقت لم يكن يبعث إلي فيه ، فدخلت عليه في مجلس خاصته وبين يديه سيف وقد أزبد وجهه . فقال لي يا فضل اذهب الى هذا الحجازي محمد بن إدريس فأتني به ، فإن لم تأتني به أنزلت بك ما أريد به ، فأتيته وهو في مسجد بيته يصلي ، فانفتل من صلاته ، فقلت له : أجب أمير المؤمنين فقال : بسم الله وحرّك شفتيه ثم نهضت أمامه وهو يقفوني حتى أتيت القصر ، وأنا ارجو أنه قد قام فاذا هو جالس . فقال ما فعل الرجل؟ قلت بالباب قال لعلك روعته قلت لا قال : أدخله . فلما دخل تزحزح له عن مجلسه وتهلل وجهه ، وضحك اليه وصافحه وعانقه وقال له : يا أبا عبد الله لم يكن لنا عليك من الحق ان تأتينا إلا برسول ، فاعتذر بعذر لطيف . فقال إنا أمرنا لك بأربعة آلاف دينار وفي رواية بعشرة آلاف . فقال لا اقبلها . فقال : عزمت عليك لتأخذها . يا فضل ، احملها معه . قال الفضل : فلما انصرفت قلت : بالذي أنجاك منه وأبدل لك رضاه من سخطه ، ما قلت في إقبالك اليه ودخولك عليه . قال نعم . قلت : شهد الله انه لا إله إلا هو العزيز الحكيم رب العرش العظيم . اللهم اني اعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك ، من كل آفة او عاهة او طارق ، إلا طارقاً يطرق بخير يا ارحم الراحمين . اللهم انت عياذي ، فبك اعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له مقاليد الفراعنة ، أعوذ بكرمك من غضبك ومن نسيان ذكرك ، ومن ان تُخزني او تكشف ستري ، أنا في كنفك في ليلي ونهاري ، وظعني وأسفاري ونومي وقراري . فاجعل ثناءك دثاري وذكرك شعاري ، لا إله غيرك ، تنزيهاً لوجهك وتعظيماً لسبحات

قدسك . أجرني من عقوبتك وسخطك ، واضرب علي سرادقات حفظك ، واعطني خير ما احاط به علمك . واصرف عني شر ما احاط به علمك . وأمّن روعاتي يوم القيامة يا راحم[١] الراحمين . قال الفضل : فما دخلت على سلطان فدعوت الدعاء الا ضحك في وجهي وضمني وأكرمني وفي رواية اخرى ، ان الفضل سأله بما دعى به ، فقال له نعم . هو ما حدثني به مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي ﷺ ، دعا به يوم الأحزاب : اللهم اني أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة . وذكر نحو ما تقدم . وتوفي الشافعي بمصر عند عبدالله بن عبد الحكم وإليه أوصى . قال الربيع : كنا جلوساً في حلقة الشافعي بعد موته بيسير ، فوقف علينا اعرابي فسلم ، ثم قال اين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلنا توفي رحمه الله تعالى ، فبكى بكاءً شديداً وقال رحمه الله وغفر له ، ما كان يفتح ببيانه منغلق الحجة ويهدي خصمه واضح الحجة ، ويغسل من العار وجوهاً مسودة ، ويوسع من الرأي أبواباً منسدة ، ثم انصرف . وكانت وفاته بمصر يوم الخميس وقيل ليلة الجمعة منسلخ رجب سنة اربع ومائتين ودفنه بنو عبد الحكم في قبورهم . وصلى عليه امير مصر وكان رحمه الله تعالى خفيف العارضين يخضب .

ومن اهل اليمن أبو قرة موسى بن طارق السكسكي

كنيته : أبو محمد وأبو قرة لقب له . قاله الحسين بن محمد الغساني الحافظ . وقال : نقلته من خط ابن فطيس . وقال الأمير ابو نصر في كتاب الإكمال: أبو قرة موسى بن طارق الجندي بجيم ونون مفتوحة ودال مهملة مكسورة

---

(١) ص – يا ارحم الارحمين .

منسوب الى جند ، ناحية اليمن . وقال ابن شعبان هو من اهل زبيد ، من اهل الخصيب . قاض لهم . وروى عن مالك ما لا يحصى حديثاً ، ومسائل وقد روى عنه الموطأ ، ولأبي قرة كتابه الكبير وكتابه المبسوط وسماع معروف في الفقه عن مالك ، يرويه عنه علي بن زياد الحجبي . قرية هنالك، وروى عنه أيضاً صامت بن معاذ ، وكان أبو قرة قاضي زبيد ، وذكره أبو عمر المقرىء في كتاب القراء . فقال : قرأ أبو قرة على نافع وروى عن اسماعيل القسط وموسى بن عقبة ومالك وابن جريج وابن عيينة ، روى عنه علي بن زياد الحجبي ، ومحمد بن يونس الزبيدي ، وابن حنبل وابن راهويه ، قال أبو حاتم : محله الصدق ، وأثنى عليه ابن حنبل خيراً . وقال ابن ابي داود هو ثقة .

محمد بن حميد بن عبد الرحيم بن شروس

ويقال الشروس الصغاني . من أصحاب مالك . له عنه الموطأ . وكتاب سماع مسائل ثلاثة أجزاء يروى عنه أبو علي الحسن بن احمد بن أبي الطيب الصغاني . قال القاضي رضي الله عنه ، وقد رأيت موطأه عن مالك ، وهو غريب لم يقع لأصحاب اختلاف الموطآت فلهذا لم يذكروا منه شيئاً والله أعلم . وإنما يذكرون من حديث ابن شروس ما في غير الموطأ .

ومن اهل البصرة والعراق وما وراءهما من بلاد المشرق

عبد الله بن مسلمة

ابن قعنب التميمي الحارثي ، القعنبي أبو عبد الرحمن ، أصله مدني وسكن البصرة . فهو من عداد البصريين . روى عن مالك وابن أبي ذئب وابنه ،

ومخرمة بن بكير وشعبة والليث والدراوردي والعمري والحمادين[١] وسليمان ابن بلال . روى عنه أبو زرعة ، وأبو حاتم الرازيان ، وعلي بن عبدالعزيز والذهلي وأحمد بن سنان ، ومحمد بن سهل بن عسكر ، والرمادي ، وأبو داود السجستاني ، وأخرج عنه البخاري ومسلم . حكى أبو علي الغساني الحافظ عنه انه قال : لزمت مالكاً عشرين سنة حتى قرأت عليه الموطأ .

ذكر فضائله والثناء عليه

قال ابن شاهين فيما يحكى عن الحسيني : كنا عند مالك رحمه الله تعالى فجاءه رجل فأخبره بقدوم القعنبي ، فقال متى يقرب قدومه ؟ فقال قوموا بنا الى خير اهل الارض نسلم عليه . فقام فسلم عليه . قال ابو زرعة : ما كتبت عن احد أجل في عيني منه . قال ابو حاتم : القعنبي أحب إلي من ابن ابي أويس . وهو بصري ثقة حجة . وقال : ما رأيت أخشع منه . سألناه ان يقرأ لنا الموطأ ، فقال ائتوا بالغداة فقلنا إنا نجلس عند الحجاج . قال فاذا فرغتم . قلنا نأتي مسلم بن ابراهيم . قال فاذا فرغتم . قلنا يكون وقت الظهر ونأتي أبا حذيفة . قال فبعد العصر . قلنا نأتي حازماً . قال فبعد المغرب . فكنا نأتيه ليلاً فيخرج وعليه لبد ، ما تحته شيء في الصيف في الحر الشديد . فيقرأ لنا وهو على جسده ولو أراد لأعطي الكثير . قال هارون بن اسحاق : ما رأيت أحداً يريد بعلمه الله ، إلا القعنبي (قال ابن معين فيه : ذلك من در ذاك من دنانير . قال : واخوته ثقات كما تحب ، قال : وأثبت في مالك هو ومعن ، وقال مرة وأثبتهم القعنبي)[٢] قال احمد

---

(١) حماد بن سلمة وحماد بن زيد .

(٢) ما بين القوسين ساقط من — ر .

هو ثقة . وقال الكوفي : هو ثقة ، رجل صالح . وقال سعيد بن منصور إنا لنقول أو إنه ليقال : ما يطوف بهذا البيت احد من خلق الله افضل من القعنبي . قال ابن مفرج : هو بصري ثقه عابد . قال عبد الله بن داود : حدثني القعنبي ، وهو عندي والله أخير من مالك . قال ابن ابي اويس : كان مالك اذا جلس قال ليليني منكم ذو الصلاح والنهى ، فربما جلس القعنبي عن مجلسه . قال عبد الله بن عبد الحكم : كنت عند عبد الرزاق فنهرني مرة وأبى ان يكتب فبقيت مغموماً ، فرأيت النبي ﷺ ، فذكرت له قصتي مع عبد الرزاق ، فقال لي اكتب عن اربعة : عبدالله هذا ، واسماعيل ، ويحيي ، وعبد الملك بنو مسلمة ، كلهم رووا عن مالك . قال احمد بن الهيثم : كنا اذا اتينا القعنبي خرج الينا كأنه مشرف على جهنم . قال البخاري توفي سنة عشرين بمكة يوم السبت ، ست خلون من المحرم منها . وقال ابو اسماعيل الترمذي لست خلون ، يوم خميس . وقيل يوم عاشوراء . وقاله ابن الجزار في كتاب التعريف .

عبد الرحمان بن مهدي بن حسان العنبري

يكنى ابا سعيد ، مولى الأزد بصري ، سمع السفيانيين والحمادين ومالكاً، وشعبة وعبد العزيز وشريكاً وهماماً، وأبا عوانة وزائدة والاسطواني، وغيرهم. روى عنه ابن وهب وابن حنبل ويحيى وزهير وابن المديني ، وابنا ابي شيبة واسحاق ، وأبو عبيد وأبو ثور وابنه (موسى)[1] بن عبد الرحمان واسحاق ابن سعيد وغيرهم . وخرّج عنه البخاري ومسلم ، ولازم مالكاً فأخذ عنه .

---

(١) زائدة في – ر .

كثير الفقه والحديث وعلم الرجال ، وله معه حكايات . قال ابن المديني : كان ابن مهدي يذهب الى قول سفيان بن يسار ، وكان سليمان يذهب الى قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . قال احمد بن عبد الله بن صالح: رسالة الشافعي ابن مهدي ابتدأها ، وأتمّها الشافعي . وذكر أبو اسحاق الشيرازي : ان الشافعي إنما كتب الرسالة الى ابن مهدي ، وهو الأشبه عندي . وكان يجالس الشافعي ويصحبه مع احمد بن حنبل ، فكان الشافعي يقول لهما : ما صح عندكما من الحديث فاعلماني لأتّبعه لأنكما أعلم مني بالحديث . ويقال إن ما أرسله مالك عن غير ابن مسعود فعن ابن مهدي أخذه . والله تعالى اعلم .

ثناء العلماء عليه وذكر فضله

قال علي بن المديني غير مرة : لو أخذت فحلفت بين الركن والمقام ، لحلفت بالله اني لم أرَ أحداً قط اعلم بالحديث من ابن مهدي . وقال ايضاً : كان ابن مهدي أعلم الناس . وقال ابن مهدي اختلفت الى حماد بن زيد زماناً ، وما بي اليه حاجة . قال ابن حنبل : كان ابن مهدي ثقة . وقال : هو اشد توقياً من وكيع . قال احمد بن سنان : كان ابن مهدي ورعاً منذ كان . وكان حماد بن زيد إذا نظر الى ابن مهدي يمسح وجهه . قال أبو حاتم كان ابن مهدي خياراً ثقة من معادن الصدق صالحاً مسلماً . ولما حضر سفيان الموت قال لمولى حميد : انطلق الى ابن مهدي فجيء به يفحصني . وقال سفيان : كتبي بالكوفة عند عجوز وددت[1] لو وقدت عليها . فنظر فيها

---

(١) ر – لوددت .

ابن مهدي نظرة . قال علي بن المديني قدمت الكوفة فعنيت بحديث الأعمش فجمعته، فلما قدمت البصرة لقيت ابن مهدي فسلمت عليه فقال هات ما عندك فقلت ما احد يفيدني عن الأعمش شيئاً . فغضب . فقال : هذا كلام اهل العلم . ومن يضبط العلم ويحيط به ، مثلك يتكلم بهذا ؟ معك شيء تكتب فيه ؟ فقلت : نعم . قال اكتب . قلت ذاكرني فلعله عندي . فقال اكتب لست املي عليك إلا ما ليس عندك . قال : فأملى علي ثلاثين حديثاً لم اسمع منها حديثاً ثم قال : لا تعد . قلت : لا . قال علي : فلما كان بعد سنة جاء سليمان[1] فقال : امض بنا الى ابن مهدي حتى نفضحه اليوم بالمناسك. وكان سليمان من اعلم اصحابنا بالحج . قال : فذهبنا فدخلنا عليه فسلمنا وجلسنا بين يديه ، فقال هاتا ما عندكما وأظنك يا سليمان صاحب الخطبة . قال نعم . ما احد يفيدنا في الحج شيئاً . فأقبل عليّ بمثل ما اقبل عليه . ثم قال يا سليمان : ما تقول في رجل قضى المناسك كلها إلا الطواف بالبيت فوقع على اهله ؟ فاندفع سليمان فروى يتفرقان حيث اجتمعا [ويجتمعان حيث][2] تفرقا . فقال ومتى يجتمعان ومتى يتفرقان ؟ قال : فسكت سليمان . فقال اكتب . وأقبل يلقي عليه المسائل ويملي عليه حتى كتبنا ثلاثين مسألة ، في كل مسألة يروي الحديث والحديثين ويقول سألت مالكاً وسألت سفيان وعبيد الله بن الحسن ، قال فلما قمت قال : لا تعد ثانياً . فأقبل عليّ سليمان فقال : إيش خرج علينا من صلب مهدي هذا . وجاء رجل الى ابن مهدي فقال : يا أبا سعيد حديث رواه الحسن عن النبي ﷺ ، من ضحك في الصلاة فليعد الوضوء والصلاة . فقال عبد الرحمان هذا لم تروه إلا حفصة بنت سيرين

---

(١) ابن مهران الأعمش .

(٢) زيادة من رواية الخطيب البغدادي في تاريخه .

عن ابي العالية ، عن النبي ﷺ فقال له الرجل : من اين قلت ذلك يا أبا عبد الله ؟ فقال اذا أتيت الصراف بدينارك فقال لك : هذا سرح . تقدر ان تقول له من اين قلت ؟ فقال : فسره لي . قال هذا الحديث لم تروه إلا حفصة بنت سيرين . فسمعه هشام بن حسان منها وكان في الدار معها . فتحدث به الحسن : قال رسول الله ﷺ . فقيل له من اين سمعه الزهري؟ قال كان سليمان بن ارقم يختلف الى الحسن والزهري ، فسمعه من الحسن ، فذاكر به الزهري فقال الزهري قال رسول الله ﷺ . قال لي احمد بن صالح ، لم يكن ابن مهدي يروي إلا عن ثقة . وكل ما ارسله مالك عن ابن مسعود فانما اخذه عن ابن ادريس ، وما كان عن غير ابن مسعود ، فانما اخذه عن ابن مهدي . قال يحيى بن سعيد : سماع ابن مهدي نائماً أحب اليّ من إملاء غيره . وكما قال . قال ابن اخته كان خالي قد خط عليّ أحاديث ، ثم صحح عليها بعد ، وقرأتها عليه ، فقلت له في ذلك ، فقال : تفكرت في فصل ذلك لعله إسقاط لعدالة قبلها ، فيكونون خصماء لي عند الله . يقول رأيتني ؟ تعرفني ؟ سمعت كلامي ؟ ومرض ابن مهدي فعاده حماد ابن زيد في اصحابه فخرج وهو يقول ان كنت لأُومِّلك لأهل هذا البلد مرتين . وقال القطان : ما قرأ ابن مهدي على مالك أثبت مما سمع عنه الناس قال ابن مهدي : كتب عني الحديث بحلقة مالك . قال ابن ابي صفوان لو كتب عنه مالك ما ضره . قال ابن المبارك : من لقي ابن مهدي فلم يأخذ بخطه منه ، فَقَدَ (كذا) وذكره ايضاً . فقال : ذلك رجل منذ عرفناه يزداد في كل يوم خيراً . وقال محمد بن عبد الله بن السكوني : هو ثقة . وقال أبو داود فيه : حدثنا الثقة عبد الرحمان بن مهدي .

بقية أخباره ووفاته

قال ابن حنبل : قدم ابن مهدي علينا بغداد ، وهو ابن ست او خمس وأربعين سنة . وقد خضب . قال صالح بن احمد : شرف ابن مهدي وأبو داود الطيالسي للحفظ . فأما ابن مهدي فما مات حتى برص ، وأما أبو داود فجذم . قال ابن اللباد : كان عبد الرحمان بن مهدي يبيع الجوهر ، وأبوه طحان . قال (البهلول)[١] بن راشد : لم آسف على شيء أسفي على كتاب رأيت ابن مهدي يعرضه على سفيان الثوري ، فأعجب به سفيان . قال الصمادحي : فلما قدمت على ابن مهدي ذكرت له ، فأخرج لي كتابه في السنة والفتوى من تأليفه . قال ابن مهدي : اختلف إليّ حماد بن زيد ثلاثين سنة ، فما رجعت منه إلا بفائدة . وقيل لابن مهدي : ان فلاناً صنع كتاباً في الرد على الجهمية . فقال عبد الرحمان : ردّ عليهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله . قالوا له بل بالرأي والمعقول . فقال : أخطأ ، ردّ بدعة ببدعة . قال القاسم بن سلام : دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد فاذا هو ميت فشكوت ذلك الى ابن مهدي ، فقال لي مهما سبقت فلا تسبقن بتقوى الله . قال القواريري : رأيت عبد الرحمان بن مهدي على درجة من المنبر يحدث ، وأبوه مهدي على الدرجة الاخرى ، وجده حسان من فوق ثبة في الدرجة العليا ، وهو يحدث الناس . قال العباس رأيت ابن مهدي جاء يوم الجمعة فجلس خارجاً عن الحلقة فقال له يحيى : ادخل الحلقة . فقال انت حدثتني عن ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ان النبي ﷺ نهى عن الحلق يوم الجمعة قبل خروج الإمام . قال يحيى : فاني رأيت حبيب

---

(١) زائدة في – ر .

ابن الشهيد وهشاماً وابن ابي عروبة يتحلقون . قال ابن مهدي : فهؤلاء بلغهم ان النبي ﷺ قاله ففعلوه . فسكت يحيى . قال ابن المهدي (هكذا): كان ابن مهدي ، يقال له في الحديث روى معن كذا . فيقول هو خطأ وينبغي ان يكون أخطأ عن وجه كذا . فيفتش عليه ، فيوجد . كما قال ابن مهدي : من فر من الرئاسة تبعته . ومن طلبها لم يكن ينالها . وتوفي ابن مهدي رحمه الله تعالى بالبصرة في جمادى الاخرى سنة ثمان وتسعين ، ويقال اربع ويقال ست وثلاثين ومائة . وله ابن روى عنه ، اسمه ابراهيم ، يروي عنه احمد الدوري .

محمد بن عمر بن واقد الواقدي مولى بني سهم بن اسلم

ابو عبدالله مدني : عداده في البغداديين . سكن بغداد وولي القضاء بها للمأمون ، بعسكر المهدي والجانب الشرقي ، والصلاة بالرصافة . ولي القضاء من قبل الرشيد ، روى عن مالك حديثاً كثيراً ، وفقهاً ومسائل ، وفي حديثه منقطع كثير وغرائب ، وكذلك في مسائله عنه منكرات على مذهبه لا توجد عند غيره ، تكلم فيها الناس وطرحه احمد بن يحيى وابن نمير والنسائي وغيرهم ، وكان واسع العلم كثير المعرفة ، أديباً نبيلاً عالماً بالحديث والسير والأخبار . قال احمد بن عبدالله بن صالح : ما رأيت أحفظ للحديث منه . وإنما تكلم فيه ابن المبارك . قال محمد بن سعد كاتبه في تاريخه الكبير : كان عالماً بالمغازي والسير والفتوح ، واختلاف الناس في الحديث والاحكام ، وإجماعهم ، ووضع الكتب ، وحدّث . قال القاضي وكيع : كان الواقدي من المتسعين في العلم . وسئل عنه احمد ، فقال : دعونا من بحار الواقدي ، زعم ان عنده عشرة آلاف حديث عن معمر ليست لغيره،

فنظرنا الى من هو أقدم منه مجالسة منه لمعمر فلم نجد هذا عنده . قال ابن البرقي هو كذاب . قال النسائي : ليس هو بثقة . ولا يكتب حديثه . قيل له فلمَ لمْ تضرب على اسمه ؟ قال استحي من ابنه وهو صديقي . وقال احمد ابن عبد الله : كتبت عنه نحواً من ستين الف حديث . فبلغني ان ابنه المبارك قال له : لا ترفع هذين الحديثين ، فانهما غير مرفوعين . فلج فيهما . فقال الناس : كذاب . فقال الجارود تركوه . وذكره ابو عمرو المقرىء في طبقات القراء . فقال روى القراءة عن نافع بن أبي تميم وعيسى بن وردان وسليمان ابن مسلم بن حبان ، وسمع معمر بن راد (هكذا)[١] روى عنه ابنه وكاتبه محمد بن سعد .

ذكر جمل من أخباره وكرمه وذكر وفاته

قال مصعب بن عبد الله : كلمت الواقدي في توكيل رجل من اهل المدينة بعض الوكالات التي يرتزق فيها . فأرسل إليّ بصُرّة فيها مائة درهم فقلت لم اكلمك ان تصله . قال وأي شيء ينفق الى ان اوكله ؟ قال محمد ابن سعد : زارني الواقدي مغتماً ، فقال لي : لا تغتم فان الرزق يأتي من حيث لا تحتسب ، أملقتُ مرة حتى بعت برذوني فاستبطأني يحيى بن خالد فاعتذرت اليه ، فوقف على حالي ، فأمر لي بخمسمائة دينار فصرت بها الى البيت فأنا في تصريفها في قضاء الدين وعلى العيال اذ طرقني رجل من اهل المدينة قد قطع عليه الطريق ، من ولد ابي بكر ، فشكا الي حاله ، فدفعت اليه ما فضل ولم اشتر برذوناً فاستبطأني يحيى فأخبرته الخبر . فوجه الى البكري ، فقال : نعم اخذت الدنانير منه ، فلما صرت بها الى البيت جاءني

(١) لعله عمر بن راشد – كما في تاريخ الحافظ البغدادي .

فلان الانصاري فشكا إلي حاله فدفعتها اليه ، فوجه يحيى إلي الانصاري فأخبره، فتعجب من الكرم ثم أمر لي بألف دينار وللبكري بمثلها، ولزوجتي بخمسمائة لغمها حين دفعت الدنانير الي البكري . قال هارون بن عبد الله القاضي: رفع الواقدي في رقعة الى المأمون يذكر فيها غلبة الدين عليه ، وقلة صبره عليه ، فوقع المأمون على ظهرها : انت رجل فيك خلتان الحياء والسخاء . فأما السخاء فهو الذي اطلق ما عندك وأما الحياء ، فهو الذي منعك من اطلاعنا على ما أنت عليه ، وقد امرنا لك بكذا وكذا ، فان أصبنا إرادتك فازدد في بسطتك وإن كنا لم نصب إرادتك فبجنايتك على نفسك . وأنت كنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن أنس ان رسول الله ﷺ قال للزبير : يا زبير إن خزائن الرزق مفتحة بازاء العرش فمن اكثر كثّر الله عليه ومن قلّل قلّل عليه . قال الواقدي : وكنت قد أنسيت هذا الحديث ، فكان ما ذكر فيه اعجب الي من جائزته قال هارون : وبلغني ان جائزته كانت مائتي الف درهم . قال الواقدي : كان لي صديقان احدهما هاشمي فنالتنا ضيقة ، فقالت لي امرأتي اما نحن فنصبر الى البؤس وأما صبياننا فقد قطعوا قلبي ، فلو نظرت لهم في شيء تصرفه في صلاح شأنهم . فكتبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة بما حضره ، فوجّه إليّ كيساً مختوماً ذكر ان فيه الف درهم . فما استقر قراره ، حتى كتب الي الصديق الآخر يذكر مثل شكواي ، فوجهت اليه بالكيس كهيئته وخرجت الى المسجد ابيت فيه حياء من امرأتي ، ثم رجعت فاستحسنت فعلي إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ، فقال اصدقني عن الامر فأخبرته ، فقال : وجهت الي وما املك إلا ما بعثت به اليك ، وكتبت الى صديقنا اسأله المواساة فوجه الي بكيس بخاتمي ، قال فتواسينا الالف وقسمنا ما بيننا اثلاثاً بعد ان أخرجنا الى المرأة مائة درهم ، ونمى

الخبر الى المأمون فدعاني ، فشرحت له الأمر فأمر لي بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد منا الفان وللمرأة الف . وقد ذكر في رواية اخرى في هذا الخبر نحوه ، وأن البرمكي وجه فيه وقال : رأيتك البارحة في المنام بحالة دلت على شدة ، فاشرح لي امرك فذكر له القصة . فقال : ما أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين الف درهم ، ولهما بعشرين الفاً ، وقلدني القضاء ، ولم يذكر فيها المأمون . قال الواقدي : لقيت اشعب يوماً فقال لي : يا ابن واقد ، وجدت ديناراً فكيف اصنع به . قلت : تصرفه . قال : سبحان الله . ما انت في علمك إلا في غرر . قلت : فما الخبر يا ابا العلا . قال اشتري به قميصاً واعرفه بقبا . قلت اذن لا يعرفه احد . قال فذاك اريد . قال المؤلف رحمه الله تعالى كذا وجدت هذا الخبر عنه . ولا ادري من هذا أشعب ، فان اشعب الطمّاع متقدم عن زمن الواقدي ، سمع من سالم بن عمر ، وقد قال اهل هذا الباب لا يُعرف بهذا الاسم غيره . وتوفي الواقدي ببغداد وهو على قضاء عسكر المهدي ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، سنة سبع ومائتين ، مولده سنة ثلاث ومائة . وصلى عليه محمد بن مسلم وأوصى الى المأمون فقبل وصيته وقضى دينه .

يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمان التميمي الحنظلي مولاهم

ويقال مولى بني منقر بن سعد بن عمر بن تميم النيسابوري . روى عن مالك الموطأ ، وقيل إنه قرأه عليه ، وهو الذي يدل عليه حديثه في صحيح مسلم[1] وغيره ، ولازمه مدة في الاقتداء به ، وعده ابو عمر بن عبد البر في

(١) ر — يدل عليه حديثه عنه .

كتابه المنتقى في الفقهاء من اصحاب مالك ، وروى عن الليث والحمادين وأبي عوانة وابن لهيعة وابن عيينة وهشيم وابن المبارك وزهير بن معاوية ، وسليمان بن بلال وغيرهم . قال أبو عمر : وكان له مال بنيسابور وحظ في الفقه . وكان ثقة مأموناً مرضياً . روى عنه جماعة من اهـل بلدنا وغيرهم من الأئمة ، كإسحاق بن راهويه ، والذهبي والبخاري ومسلم ، وخرجا عنه في الصحيح كثيراً . قال ابن خلاد الرامهرمزي في كتابه الفاصل : ورحل يحيى الى مصر والشام واليمن والعراق ، وكان ابن حنبل يثني عليه ، ويقول: ما اخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثله . وكان من ورعه يشك في الحديث كثيراً حتى سموه الشكاك . وذكر من فضله وإتقانه أمراً عظيماً ، وذكر نحوه ابو حاتم الرازي وأثنى عليه أبو زرعة الرازي ووثقه وقال اسحاق بن راهويه : لم اكتب العلم على احد أوثق في نفسي منه . ومن الفضل بن موسى السناني . قال : وكان يحيى رجلاً عاقلاً . وقال : يحيى اثبت من ابن مهدي . وقال ما رأيت مثل يحيى بن يحيى . ولا أراه رأى مثل نفسه . قال محمد بن مسلم ، قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له : عمن اكتب العلم ؟ قال عن يحيى بن يحيى . قال أحمد بن عدي : وكان من العباد فاضلاً . قال يحيى بن الشهيد : ما رأيت محدثاً أورع من يحيى ولا احسن لباساً منه . قال أبو بكر بن اسحاق : لم يكن بخراسان أعقل من يحيى بن يحيى . وكان اخذ تلك الشمائل من مالك بن انس ، أقام عليها لأخذها سنة بعد ان فرغ من سماعه ، فقيل له في ذلك . فقال : إنما أقمت مستفيداً لشمائله فانها شمائل الصحابة والتابعين . قال ابو احمد بن عدي في معجمه : يقال ان اسحاق بن راهويه ركبه الدّيْن ، فركب ابن مروان الى عبد الله بنيسابور ، فكلم اصحاب الحديث يحيى بن يحيى في أمره . فقال ما تريدون ؟ فقالوا له تكتب الى عبد الله بن طاهر رقعة ، وعبد الله أمير

خراسان إذ ذاك ، فقال يحيى : ما كتبت اليه ، فألحوا عليه ، فكتب في رقعة : الى عبد الله بن طاهر ، اسحاق بن ابراهيم رجل من اهل العلم والصلاح. فحمل اسحاق الرقعة اليه فلما جاء الباب فقال للحاجب : معي رقعة يحيى ابن يحيى الى الامير . فقال يحيى بن يحيى : قال نعم . قال : أدخله . فأدخله وناوله الرقعة فقبلها ابن طاهر وأقعد اسحاق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين الف درهم ، وصيره في جلسائه ، وكان لا يختلف اليه ، وكان يحيى بن يحيى من المياسير ، وذكر انه اهدى هدية الى مالك باع مالك من فضلتها بثمانين الفاً . قال البخاري وتوفي ضحى يوم الاربعاء منسلخ صفر في سنة ست وعشرين ومائتين .

انتهى الجزء الاول بحمد الله وحسن عونه

ترتيب المدارك
وتقريب المسالك

لمعرفة أعلام مذهب مالك

للقاضي عياض

القاضي أبو الفضل عياض بن موسى
بن عياض اليحصبي السبتي
المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ١١٤٩ م

تحقيق

الدكتور أحمد بكير محمود

الجزء الثاني

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت
دار مكتبة الفكر - طرابلس - ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الجزء الثاني من المدارك

اعتمدنا في مقابلتنا لهذا الجزء على اجزاء اربعة مخطوطة مثل الجزء الاول ، إلا أننا عوضنا الجزء الثاني من نسخة ـ ص ـ التي ينقصها جزء بجزء آخر موجود بمكتبة الاحمدية بجامع الزيتونة الأعظم دام عمرانه ، مرقمة ٣٢٤١ . يقع هذا الجزء المنفرد من كتاب المدارك في ١٥٣ ورقة حجمه $\frac{٢٥}{١٩}$ من أحباس المشير احمد باشا الاول باي تونس يبتدىء بترجمة عبد الله بن وهب، وينتهي بترجمة حبيب بن نصر بن سهل التميمي صاحب مظالم سحنون .

خطه مغربي ضعيف ، كثير الاغلاط الرسمية ، إلا انه واضح مقروء . لا تاريخ لكتابتها او اسم الناسخ ، إلا انها تبدو من أقدم النسخ عندنا بتونس ، وقد يرجعها بعض اصحاب الدراية الى أواخر القرن الثامن او أوائل التاسع . كتب على الوجه من الورقة الاولى قيمة الكتاب وهي : خمسون ريالاً . ثم نص الوقف مشهود عليه ببيان عدلين وطابع المشير أحمد باشا باي الاول وآخر ما كتب فيه بعد ترجمة حبيب بن نصر ، تعليق في

ثلاثة اسطر على قول المؤلف قليل الفائدة . وفي اسفل الورقة بيتان من البردة وهي :

أمِنْ تذكُّر جيرانٍ بذي سَلَمِ مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إدم

أشرنا الى هذه النسخة في تحقيقنا للنصّ بـ ـ أ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ومن اهل الشام

الوليد بن مسلم بن السائب

ابو العباس ، مولى بني أمية ، دمشقي . قال ابن شعبان : له عن مالك ما لا يحصى كثرة . الموطأ والمسائل والحديث الكثير . يروي عن مالك وابن جريج والاوزاعي ، وهو مختص به ، والليث والثوري وعبد الرحمان بن يزيد ومسلمة بن علي وعمر بن جابر ويزيد بن جابر وأبي بكر بن ابي مريم وغيرهم ، وروى عن شريك عشرة احاديث . قال الالكاني : روى عنه الليث والحميدي واحمد بن حنبل وابن المديني وابو خيثمة وغيرهم ، وروى عنه ايضاً اسحاق بن راهويه وهشام ابن عمار وصفوان بن صالح، واخرج عنه البخاري ومسلم . قال ابو مسهر : رحم الله ابا العباس ، لقد كان معتنياً بالعلم . وقال احمد : هو ثقة في الحديث . قال يحيى : كان يدلس . قال احمد : ليس احد اروى لحديث الشامين منه ومن اسماعيل بن عياش . قال الوليد : وافيت مكة وعليها محمد بن ابراهيم يقصر الصلاة بمنى وعرفة . فأعاد سفيان الصلاة وأتمها ابن جريج

فأتيت المدينة وذكرت ذلك لمالك ، فقال لي اصحابي والأمير : أخطأ سفيان وابن جريج ، وأن الأوزاعي قال فيه مثله . فأتيت مصر ، فذكرت ذلك للشافعي ، فقال لي : أخطأ الامير والاوزاعي ومالك وأصحاب سفيان وابن جريج . اما مالك فيرى القصر للحاج وان كان من اهل مكة كما فعل الأمير ، وقاله الأوزاعي ويقصر الناس معه من اهل مكة وغيرهم ، وعند الشافعي يتمون وراءه المكيون . وهو قول الثوري وابن حنبل وأهل الرأي . وقال الخطابي في اعادة سفيان لأنه يرى للمفترض ان يصلي خلف المتنفل ، وصلاة الامير عنده نافلة حين قصرها وهو مكي ، فاستأنف سفيان الصلاة ، وهذا خلاف ما ذكر عنه في الاتمام، وفي روايته عن مالك شذوذ وغرابة . قال احمد فيه : ثقة . وقال احمد بن صالح الكوفي : قال البخاري وابن ابي خيثمة وابن وضاح . وتوفي سنة خمس وتسعين في منصرفه من الحج بذي المروة . وقال ابن شعبان وغيره : توفي في المحرم سنة اربع وتسعين ومائة . مولده سنة تسع عشرة ومائة .

ابو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى ابن مسهر الغساني الدمشقي

قال ابو عمر المقرىء ، احد بني كعب بن هند ، قال ابو سفيان : روى عن مالك الموطأ وغيره من المسائل والحديث الكثير . قال ابن ابي حازم : سمع سعيد بن عبد العزيز وعبد الله بن العلاء بن زمر ، وخالد بن يزيد بن صالح يروي عن ابن ابي الجواري ، وأبو زرعة الدمشقي ويحيى بن معين وأبو حاتم . قال ابن شعبان : ما رأيت مثله منذ خرجت من بلادي . أشبه بالمشيخة الذين ادركت من أبي مسهر . وهو ثقة . قال أبو حاتم : ما رأيت ممن

كتبنا عنه الصحيح اثبت منه، وهو إمام . وقد خرج عنه البخاري . قال ابن وضاح : كان فاضلاً ثقة . وقد روى عنه محمد بن يوسف السكري والنسائي وأبو داود . قال الزبيري : وقرأ القرآن على نافع وأيوب بن تميم، وروى عنه أبو زرعة الدمشقي وأبو عبيد بن سالم . قال ابن مفرج : وأبو مسهر سيد أهل الشام وفقيهم وعابدهم .

قال ابن معين فيه : ثقة . قال الكوفي : هو ثقة . قال عبد الباقي بن الحسن : رجعت الامامة بعد ابن ذكوان في القراءة، الى أبي مسهر . وسأل ابا مسهر رجلٌ عن مسألة فلم يجبه، ثم أعاد عليه فلم يجبه، ثم أعاد عليه فلم يجبه . فقيل له في ذلك فقال : سمعت مالكاً يقول من إذالة العلم ان تجيب كل من سألك .

فصل في اخباره ونوادره وحديثه

سئل ابو مسهر عن حديث بقية فقال : احذر احاديث بقية وكن منها على تقية، فانها غير نقية . وكان على خاتمه مكتوب : عبد الأعلى قل الحق. وكان نقش خاتم اخيه علي أبرمت[1] فقم . فكان إذا استثقل جليسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه، وحاجبه محمد بن عبد كلان فكتب اليه ابو مسهر .

إني أتيتك للتسليم أحامل[2] فلم   تأذن عليك لي الاستار والحجب
وقد علمت بأني لم أرَدّ ولا   مارد الا الإخا والعلم والأدب

فأجابه :

---

(١) ر ـ اجرمت .
(٢) هكذا بالنسخ .

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا   إن السماء ترجى حين تحتجب
لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما   قال ابن أوس ففي استقفائه أدب

قال هارون بن موسى : دخلت على أبي مسهر وكان مستلقياً على قفاه . فترنم بقول الشاعر :

يسي الفتى ما كان قدم من تقى   اذا نزل الداء الذي هو قاتله

ذكر محنته

قال موسى بن الحسن : سمعت أبا مسهر وقد وجه به المأمون الى اسحاق ابن ابراهيم ببغداد فأحضر له اسحاق جماعة ليقرّ بكتاب المحنة الذي كتبه المأمون في خلق[١] القرآن ، ونفي الرؤية وعذاب القبر ، وان الميزان ليس بكفتين وان الجنة والنار غير مخلوقتين . فلما قرىء الكتاب على ابي مسهر قال : انا منكر لجميع ما في كتابكم هذا . بعد مجالسة مالك والثوري ومشائخ اهل العلم : إذاً لا اكفر بالله بعد احدى وتسعين ، لا اقول القرآن مخلوق ولا أنكر عذاب القبر ولا الموازين انها كفتان ولا ان الله يرى في القيامة ولا ان الله تعالى على عرشه ، وعلمه قد أحاط بكل شيء ، علماً نزل بذلك القرآن وجاءت به الاخبار التي نقلها اهل العلم فان كانوا متهمين في القرآن فهم الذين تلقوا القرآن والسنن عن رسول الله ﷺ . فجر برجله وطرح في اضيق المحابس فما أقام إلا يسيراً حتى توفي رحمه الله تعالى . فحضر جنازته من الخلق ما لا يحصيهم إلا الله . وقال ابو داود وحمل في المحنة فلم يجب . وقال ابو جعفر الطبري : حمل أبو مسهر الى المأمون بالرقة

---

(١) كذا في – ر – وبالأصل حق .

للمحنة في القرآن ، فلم يجبه . فدعا له بالسيف والنطع ليقتله . فلما رأى ذلك قال : مخلوق . فتركه فلم يقتله ، وأشخصه الى بغداد في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة . فحبس فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات في غرة رجب من السنة المذكورة . وذكر[١] البلخي ان المأمون لما ورد دمشق ذكر له أبو مسهر ووصف بالعلم والفقه ، فأحضره وناظره في القرآن (ثم سأله عن النبي ﷺ هل كان يشهد اذا تزوج . فقال : لا أدري)[٢] ثم سأله عن النبي ﷺ هل اختلف . فقال : لا ادري . فسبّه وأقامه وهذا إنما فعله المأمون به عداوة لمخالفته إياه في القرآن . ومن قال لا أدري فقد أنصف . وقيل لأبي مسهر في الرجل يصحف ويخطىء ويهم في الحديث . فقال : بيّن امره . فقيل له : أذلك عيب ? قال لا . توفي فيما قاله الطبري والبرقاني والبخاري : سنة ثمان عشرة ومائتين وقال ابن مفرج : سنة عشرة . مولده سنة أربعين ومائة ونحوه قال البخاري .

مروان بن محمد بن حسان الاسدي

الظاهري[٣] دمشقي صحب مالكاً وروى عنه حديثاً ومسائل كثيرة وعن الليث بن سعد وسعيد بن عبد العزيز ومعاوية بن سلام . قال ابن وضاح : مروان بن محمد كبير فاضل . قال ابن معين : الظاهري لا بأس به . قال وكان مرجئاً . قال ابن معين : ومن كان مرجئاً بدمشق عليه عمامة ، ومن لم يكن مرجئاً لم يعتم . قال البخاري : وإنما قيل له الظاهري لثياب نسب

---

(١) في الاصل حكى .
(٢) ساقط من – ر .
(٣) كذا في – ر – وبالاصل الطاطري وفي – ن – الططوي .

اليها . سمع معاوية بن سلام وخرّج عنه مسلم في الصحيح وأبو داود وغيرهما من الأئمة وضعفه بعضهم . حدث عنه الهيثم بن خارجة ومحمود بن خالد وأحمد ابن أبي الجواري والرازي وأحمد بن أبي الأزهر النيسابوري ، وسلمة بن شبيب . روى عنه انه قال : ثلاثة لا يؤتمنون في دين : الصوفي والقصاص ومبتدع يرد على أهل الأهواء . وابنه ابراهيم بن مروان بن محمد يروي عن أبيه ، كتب عنه أبو حامد[1] الرازي وقال : كان صدوقاً . قال البخاري : مات مروان سنة عشر ومائتين . وقال غيره سنة ست عشرة .

اسحاق بن عيسى بن نجيح ابو يعقوب المعروف بابن الطباع

وهم ثلاثة إخوة : محمد ويوسف واسحاق . سمع اسحاق مالك بن أنس وصحبه . وسمع شريك بن عبدالله وعبدالرحمان بن زيد[2] بن اسلم وأبا ضمرة انس بن عياض . روى عنه ابن أخيه محمد بن يوسف وأحمد بن حنبل واسحاق ابن بهلول ويعقوب بن شيبة وعباس الدوري ، والحارث بن أبي أسامة والحسن ابن مكرم ، ومسلم بن الحجاج ، وخرّج عنه في صحيحه وغيرهم . قال الخطيب أبو بكر كان قد انتقل آخر عمره الى أذنة ، فأقام بها الى ان مات . سئل عنه صالح بن محمد فقال : لا بأس به صدوق . وقال محمد بن سعد : توفي سنة خمس عشرة ومائتين اسحاق بن الطباع الفقيه . وقال ابن نافع سنة اربع عشرة قال أبو بكر الحافظ والأول أصح .

---

(١) بالأصل حاتم .

(٢) بالأصل يزيد .

ومن اهل مصر عبدالله بن وهب بن مسلم القريشي مولاهم

مولى يزيد بن رمانة . ويقال ، مولى بني فهر . قاله الباجي . وقال الدارقطني : مولى يزيد بن ربابة مولى يزيد بن انس الفهري . وقال ابو عمر الكندي مولى يزيد بن رمانة ، مولى آل شيبان بن محارب بن فهر . قال وقد اختلف في ولائه فقيل ان[1] ابن رمانة مولى امرأة من الانصار من بني بياضة كان زوجها فهرياً . قال غيره فرجع ولاؤه الى بنيه بسببها . قال البخاري : هو مولى رمانة . وقال ابن ابي حاتم مولى ابن رمانة مولى فهر. وقال ابن شعبان وابن عبد البر : مولى ريحانة مولاة لأبي عبد الرحمان يزيد ابن انس الفهري . قال الكندي : وكان ابن وهب فيما زعموا ربما قال : الانصاري ، ربما قال القرشي ، ثم ثبت على القرشي . وذكر نحوه ابن محير (هكذا) وقال ابن بكير : وجدت شهادته في صك ، الانصاري . قال أبو الطاهر : كان مسلم جده بربرياً . روى عن مالك والليث وابن ابي ذئب ، ويونس بن يزيد[2] والثوري وابن عيينة وابن جريج وابن انعم ، وعبد العزيز بن الماجشون ويحيى بن ايوب ونحو اربعمائة شيخ من المصريين والحجازيين والعراقيين . وقرأ على نافع ، وروى عنه الليث وصرح باسمه . وقيل ان مالكاً روى عنه عن ابن لهيعة حديث العرباض ، ومن أروى الناس عنه اصبغ بن الفرج ، وسحنون واحمد بن صالح وابن بكير ، ويونس وأبو الطاهر وقتيبة وابن عفير والوقار والقراطيسي ، والحارث بن مسكين ، وبنو عبد الحكم وحرملة وأبو مصعب الزهري وغير واحد . قال الشيرازي

---

(١) كذا بالأصل وفي أ . ساقطة من — ر .
(٢) ساقطة بالاصل و — أ .

تفقه بمالك وعبد الملك بن الماجشون وابن أبي حازم ، وابن دينار والمغيرة والليث . قال حرملة سمعت ابن وهب يقول لقيت ثلاثمائة عالم وستين عالماً ، ولولا مالك والليث[١] لضللت في العلم . وقال : ادركت من اصحاب ابن شهاب اكثر من عشرين رجلًا . وقد حدث الليث عن ابن وهب بحديث كثير . قال أبو الطاهر سمع ابن وهب من مالك قبل ابن القاسم ببضع عشرة سنة . وصحب مالكاً من سنة ثمان وأربعين الى ان مات ولم يشاهد ابن وهب موته ، كان خرج للحج وقال ابن وضاح حج ابن وهب سنة اربع وأربعين وفيها لقي مالكاً اولاً ، ولم يسمع منه إلا مسألة واحدة ، وسمع فيها من المثنى بن الصباح بمكة ، والمسألة التي سمع من مالك في الجمع في المطر بين العشاءين . وقد ارسل اليه الوالي في ذلك وكان مطراً يسيراً فأمره بالجمع . قال الشيرازي صحب ابن وهب مالكاً عشرين سنة . قال ابن وضاح : وسمع[٢] العلم صغيراً ابن ست عشرة سنة . وذكر ابن سحنون عنه انه قال طلبَ العلم ابن سبع عشرة سنة .

ذكر مكانته في العلم والفقه والحديث وسماع الاجلاء عليه

قال أبو عمر : يقولون إن مالكاً لم يكتب لأحد بالفقيه ، إلا الى ابن وهب . وقاله ابن وضاح وكان يكتب اليه : عبد الله بن وهب فقيه مصر . قال الشيرازي : كان مالك يكتب اليه : الى أبي محمد المفتي . وحكى مثله ابو الطاهر ، زاد ، ولم يكن يفعل هذا لغيره . وقال مالك : ابن وهب

---

(١) ساقط من – أ .
(٢) أ – طلب .

إمام . وقال : ابن وهب عالم . ونظر اليه يوماً[١] فقال : اي فتى لولا الإكثار . وقال احمد بن حنبل : ابن وهب عالم صالح فقيه كثير العلم . وقال ايضاً[٢] ابن وهب صحيح الحديث عن مشايخه الذين روى عنهم بفضل السماع من العرض والحديث من الحديث ، ما أصح حديثه . (وقال أيضاً ما أصح حديثه)[٣] وأعرفه بالاسامي إلا أن الذين حملوا عنه لم يضبطوا ، إلا هارون ابن معروف . وقال يوسف بن عدي : ما أدركته[٤] الناس : فقيهاً غير محدث ، ومحدثاً غير فقيه ، خلا عبد الله بن وهب فاني رأيته فقيهاً محدثاً زاهداً . قال أبو مصعب : كنا إذا شككنا في شيء من رأي مالك بعد موته كتب ابن دينار والمغيرة وكبار أصحابه الى ابن وهب فيأتينا جوابه . قال ابن حنبل اخبرنا من رأي ابن أبي حازم يعرض له على ابن وهب ، رأي مالك . قال هارون القاضي الزهري : كان اصحاب مالك بالمدينة يختلفون في قول مالك بعد موته فينتظرون قدوم ابن وهب فيصدرون عن رأيه . وقال ابن وضاح : كان أهل الحجاز يحتاجون الى ابن وهب في علم الحجاز ، وأهل العراق ، يحتاجون اليه في علم أهل العراق . وكان عنده علم كثير . ونعي الى ابن عيينة فترحم عليه وقال : أُصيب به المسلمون عامة وأُصبتُ به أنا خاصة . وقال ابن رشدين : ابن وهب أعلم من ابن القاسم بكثير . وقال مالك وقد قام عنه : كذا يكون أهل العلم ، لما رأى من تخشعه . وقال له سفيان : أنت ابن وهب المصري . قال : نعم . قال له : ما زلت اعرف مكانك من الاسلام منذ بلغني عنك قول يحيى بن معين . ابن وهب ثقة .

---

(١) أ – مرة . ساقط من – ر .
(٢) كذا في – ر – وفي الاصل ادركت .
(٣) بالأصل قال .
(٤) في الأصل بمأخذ وفي – أ – أخذه .

قال احمد بن خاله : كان ابن وهب من الفضلاء الكبار وممن يضبط ويحسن وكان ابن القاسم يقول : حدثني أوثق أصحابه ؛ يريده . وقال (ابن)[١] رشدين قال لي الحسن بن توبان وزاد : لئن عاش هذا الفتى ليكونن أمام هذا العصر ان شاء الله تعالى . قال احمد بن صالح : ليس أحد من خلق الله اكبر في ملكه من ابن نافع وابن وهب . وابن نافع أحب الى احمد . وابن وهب المقدم في كثرة العلم والمسائل . لم يكن مالك يتكلم بشيء إلا كتبه ابن وهب . وكان ابن وهب يتساهل في المشائخ ولو أخذ بما أخذ مالك كان خيراً له . قال أحمد بن صالح : حديث ابن وهب مائة الف حديث . وما رأيت أكثر حديثاً منه . وقع عندنا في حديثه سبعون الفاً . قال أبو زرعة : نظرت من حديث ابن وهب نحو ثمانين الف حديث فما رأيت له حديثاً لا أصل له . وهو ثقة . وهو أفقه من ابن القاسم . وقال الكوفي هو ثقة صاحب سنة وآثار ، رجل صالح . وقال محمد بن عبد الحكم : هو أثبت الناس في مالك . وسأل رجل علي بن معبد[٢] عن مسألة ، وكان بالاسكندرية مرابطاً ، فقال : ما كنت لأجيب بموضع فيه ابن وهب ، فاذهب فاسأله . قال محمد بن الحسين ، كان ابن وهب في عصره محدث بلده، وكان عبداً صالحاً . قال محمد بن عبد الحكم وابن بكير كان ابن وهب افقه من ابن القاسم إلا انه كان يمنعه الورع من الفتيا . وقال ابن وضاح : كان علم ابن وهب المناسك ، وعلم ابن القاسم البيوع . وقال ابو حاتم الرازي : ابن وهب أحب اليَّ من ابن نافع ومن الوليد بن مسلم ، وهو أصح حديثاً من الوليد بكثير ، وابن وهب صالح الحديث صدوق . قال

---

(١) أ — ساقطة .

(٢) أ — مسعود .

ابن معين والنسائي : ابن وهب ثقة . (وقال ابن معين : هو ثقة)[١] إلا أنه روى عن الضعفاء . وسئل : لِمَ تركت ابن القاسم ورويت عن ابن وهب ? قال : كان ابن القاسم فاضلًا ، ولكن ابن وهب صاحب آثار . وخرج عنه البخاري ومسلم . وكان أبو مصعب يعظم ابن وهب ، وسمع مسائله عن مالك . وكان يقول : هي صحيحة . وقال أصبغ : ابن وهب أعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار . وقال عبد الرحمان بن محمد السهيمي : رأيت مالكاً في النوم على بغلة فأخذت بلجامها لأسأله عن اختلاف قوله ، فتأبى عليّ ، وقال : كأن[٢] تسأل عن اللؤلؤ والجوهر المكنون ? قلت نعم . قال عليك بكتاب ابن وهب القديم . قال الحارث : جمع ابن وهب الفقه والرواية والعبادة ، وكان إماماً ورزق من العلماء محبة ، وحظوة من مالك وغيره . وما أتيته قط إلا وانا أفيد منه خيراً . قال ابو زيد بن أبي الغمر : سمعت ابن وهب يقول : حججت أربعاً وعشرين حجة القى فيها مالكاً[٣] قال ابو زيد : وكنا نسمي ابن وهب ديوان العلم . قال حرملة : رأيت كتاب مالك ، الى ابن وهب مفتي مصر . قالوا وما من أحد إلا زجرُه مالك إلا ابن وهب ، فانه كان يعظمه ويحبه . وكان ابن القاسم يقول : لو مات ابن عيينة لضربت الى ابن وهب أكباد الإبل ، ما دَوّنَ احد العلم تدوينه . قال يونس : ما رأيت أبا الحسن الإسكندراني قال لابن وهب قط إلا : يا عم . ولقد كانت تلك المشيخة اذا رأت ابن وهب خضعت له . قال ابو الطاهر : وقيل لابن وهب في المسائل الجدد ، فقال : أدع أنا المسائل القدم التي قرأناها عليه وهو نشيط لها حتى انه ربما

---

(١) كذا بالأصل و أ . ساقط من ر .
(٢) بالأصل كأنك .
(٣) كذا بـ ر . ساقط بالأصل .

محا لي الشيء بكمه من كتابي . قال ابن أخيه : كنت معه بالإسكندرية مرابطاً ، فاجتمع الناس عليه يسألونه نشر العلم ، فقال لي : هذا بلد عبادة . وقال ما أمهد لنفسي فيه مع شغل الناس . فترك الجلوس لهم في الاوقات التي كان يجلس ، واقبل على العبــادة والحراسة ، فبعد يومين أتاه إنسان فأخبره ، انه رأى نفسه في مسجد عظيم نحو المسجد الحرام ، والنبي ﷺ فيه ، وابو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وأنت بين يديه وفي المسجد قناديل تزهر أحسن شيء وأشدها ضياء ، إذ طفيت[١] منها قنديلاً فانطفأ . فقال لك رسول الله ﷺ : قم يا عبدالله أوقده ، فأوقدته ثم آخر كذلك ثم أقمت أياماً فرأيت القناديل كلها همت ان تطفأ ، فقال ابو بكر يا رسول الله : أما ترى هذه القناديل . فقال ﷺ : هذا عمل عبدالله يريد يطفيها . فبكى ابن وهب وقال له الرجل جئت لأبشرك ولو علمت انه يغمك لم أأتك . فقــال : خير . هــذه الرؤيا وعظت بها (نفسي)[٢] ظننت ان العبادة افضل من نشر العلم . فترك كثيراً من عمله للعلم ، وحبس نفسه لهم يقرأون عليه ويسألونه .

ذكر مذهبه في الرواية

قال ابن وهب : كل شيء في كتبي « كتب إليّ مالك » فقد سمعته منه . وكانت له منه خاصة . قال ابن وهب : سألت مالكاً ان يخليني في شيء يعرضه لي ففعل . فأنا (عنده)[٣] اقرأه عليه إذ استأذن عليه عبد الصمد

---

(١) كذا بـ ر . وبالاصل جفَّت . وفي أ : خفت .
(٢) ساقطة من الاصل و – ر .
(٣) أ – زائدة .

الهاشمي والي المدينة ، فسأله مثل ما سألته ، فأبى وقال : قد أرادني الخليفة على هذا فلم أجبه . فقلت في نفسي : كيف لم يحتج عليه بي . قال ابن وهب كنت بين يدي مالك أكتب فأقيمت الصلاة ، وفي رواية فأذن المؤذن وبين يديه كتب منشورة ، فبادرت لأجمعها فقال لي على رسلك . فليس ما تقدم إليه بأفضل مما أنت فيه ، إذا صحت (فيه)[١] النية . قال ابن وهب : قال لي مالك : ما خلفك عنا منذ ليال . فقال : كنت أرمد . قال مالك : أحسب من كتب الليل . قلت أجل . فصاح مالك بالجارية هاتي من ذلك الكحل لصديقي المصري ابن وهب . قال إسماعيل ابن قعنب : كنت مع ابن وهب عند مالك فكانت الهدية تأتي الى مالك بالنهار ويهديها الى ابن وهب بالليل . قال ابن وهب دخلت المسجد فاذا الناس يزدحمون على ابن سمعان وإذا هشام بن عروة جالس فقلت اسمع من هذا وأصغي[٢] إليه ، فلما فرغت قام ، فأتيت منزله فقيل هو راقد . فقلت أحجّ وأرجع إليه ، فرجعت وقد مات . وقيل لابن وهب : ابن القاسم يخالفك في أشياء . فقال : جاء ابن القاسم الى مالك وقد ضعف . وكنت أنا آتي مالك وهو شاب قوي ، يأخذ كتابي فيقرأ منه ، وربما وجد فيه الخطأ فيأخذ خرقة بين يديه فيبلها في الماء فيمحوه ، ويكتب لي الصواب . قال ابن وهب : لولا ان الله أنقذني بمالك والليث لضللت . فقيل له : كيف ذلك ؟ قال : أكثرت من الحديث فحيرني . فكنت أعرض ذلك على مالك والليث ، فيقولان لي : خذ هذا ودع هذا . قال نعيم بن حماد : كان ابن وهب جعل للغرباء يوم الثلاثاء ، فيقرأون عليه فيأتي الداخل وقد بقي عليه من الكتاب الذي

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) كذاب — ر — وبالأصل أسير وكذا في — أ .

يقرأ شيء . فيقول أجزه لي . فيجيبه ويفعل ذلك بغير واحد حتى يقوم إليه فيسأله عن الحديث فيقول : الساعة قرىء هـذا . فيقول انّا ان قرأنا عليك قلنا قرأنا على أبي محمد ، وان قرىء ونحن حضور قلنا قرىء على أبي محمد ، ونحن حضور . وكان لنا حسن الخلق . فيقول لم نكن نأخذ الحديث كما نريد[١] . قال محمد بن عبد الحكم : بيعت كتب ابن وهب بعد موته بثلاثمائة دينار . وفي رواية أخرى وستين ، واصحابنا متوافرون . وكان أبي وصيّهُ فلم ينكر ذلك احـد . ولولا انـه أوصى بعضهم ان لا يزيد لبلغت أكثر . وروي انه دفع لأحدى زوجتيه من ثمنها ثمانون ديناراً ، ولم يورث بولد . وهذا الحساب أكثر من الاول والله أعلم . ذكره في المبسوطة ، قال أبو زيد : اجتمع ابن وهب وابن القاسم واشهب على أني إذا أخذت الكتاب من المحدث أن أقول فيه : أخبرني . وقيل لابن حنبل وقد أثنى على حديثه : أليس كان سيء الأخذ ؟ قال : نعم . ولكن ان نظرت الى حديثه وما أخذ عن شيوخه وجدته صحيحاً .

باب في غير شيء من أخباره

قال ابن وهب : كان أول أمري في العبادة قبل طلب العلم فولع بي الشيطان في ذكر عيسى عليه السلام ، وكيف خلقه الله فشكوت ذلك الى شيخ ، فقال لي : اطلب العلم . فكان سبب طلبي . وقال حسين بن عاصم كنت عند ابن وهب فوقف على الحلقة سائل ، فقال يا أبا محمد ، الدرهم الذي أعطيتني بالأمس زائف فقال يا هذا إنما كانت بأيدينا عارية . فغضب السائل

---

(١) بالأصل يريدون وكذا في — أ .

وقال : صلى الله على محمد . هذا الزمان الذي كان يحدث به انه لا يلي الصدقات إلا المنافقون من هذه الأمة . فقام رجل من أهل العراق فلطم المسكين لطمة خرج[١] منها لوجهه . فجعل يصيح يا أبا محمد يا إمام المسلمين يفعل بي هذا في مجلسك . فقال ابن وهب : ومن فعل هذا ؟ قال العراقي أنا أصلحك الله . فعلته للحديث الذي حدثتنا : أن النبي ﷺ قال[٢] : من حمى لحم مؤمن من منافق (يغتابه)[٣] حمى الله لحمه من النار . وأنت مصباحنا وضياؤنا . يغتابك في وجوهنا ؟ فقال : لأحدثنكم بحديث . ان النبي ﷺ قال في آخر الزمان يكون مساكين يقال لهم الغناة (كذا)[٤] لا يتوضأون لصلاة ولا يغتسلون من جنابة ، يخرج الناس من مساجدهم وأعيادهم يسألون الله من فضله ، ويخرجون يسألون الناس ، يرون حقوقهم على الناس ، ولا يرون لله عليهم حقاً . وكان ابن وهب يقول : من قال في موعد إن شاء الله فليس عليه شيء . وطلب ابن وهب من مالك كحلًا ، فقال لجاريته اعطي من الكحل لصديقي المصري . قال فأتوه بأنبوبة أو بأنبوبتين . قال الربيع صاحب الشافعي : جئنا عبد الله بن وهب للسماع واجتمع على بابه خلق كثير[٥] ، فقام ليفتح ، فلما فتح[٦] ازدحمنا للدخول فسقط وشج وجهه ، فقال ما هذا إلا الخفّة وقلة الوقار ونحو هذا ، والله لا أسمعتكم اليوم حرفاً . ثم قعد وقعدنا . فلما رأى ما بنا من الهدوء ، قال

(١) بالأصل خرّ .
(٢) ساقطة من – ر .
(٣) ساقط من – ر .
(٤) ساقط من الأصل .
(٥) ساقط من الأصل ومن – أ .
(٦) في الأصل فتحه .

أين سكينة العلم ، إنما أنا أكفِّر عن يميني وأسمعكم ، فكفَّر وأسمعنا . ونظر ابن وهب الى رجل يمضغ اللبان فقال له : إنه يقسي القلب ويضعف البصر ويكثر القمل . قال ابن وهب : كنت أصلي في المسجد بالاسكندرية فسمعت العلا بن كثير يقول لأصحابه : ما منكم من يقترف[١] هذا الفتى فيزوجه ابنته ، تفرسنا فيه . قال سحنون : نَذَرَ ابن وهب أن لا يصوم يوم عرفة ، أبداً . وذلك انه صام مرة فاشتد عليه الحر والعطش في الموقف قال : فكان الناس ينتظرون الرحمة وأنا أنتظر الإفطار . قال ابن وهب : قال لي مالك : لا تترك أحداً من أهل الكتاب يعلم المسلمين . قال ابن وهب : وكان معلمي نصرانياً . قال يحيى بن يحيى : سمعت ابن وهب يحدث بحديث فيه : بعد العشرين ومائة لَيُرَبِّي أحدكم جرواً خيراً له من أن يربي ولداً . فاستنكرت ذلك عليه . فقال له : يا أبا محمد ما أراك فيما أتاك الله من فضله ولدت إلا بعد هذا الرجل[٢] . فقال لي : نعم . فوالله ما عاد الى ذكر الحديث حتى فارقته . قال يحيى ولو كان أحد يسلم من عيب الاكثار لسلم منه ابن وهب . وقال النسائي : لا بأس به ، إلا انه تساهل في الأخذ تساهلاً شديداً . قال ابن سعيد : وكان يدلس . قال سعيد بن منصور : وكان عبد الله بن وهب يسمع معنا عند المشائخ ؛ فكان ينام في المجالس[٣] ثم يأخذ الكتب من بعضنا فيكتبها . قالوا وهو أول من فرق بمصر بين « نا » و « أنا » .

---

(١) في الأصل ينتدب وكذا في — أ .
(٢) في الأصل الأجل وكذا في — أ .
(٣) زائدة في — أ .

ذكر عبادته وزهده وخوفه ووفاته

قال أبو عمر : كان ابن وهب صالحاً خائفاً لله . قال غيره : كان كثير الحج . قال سحنون : كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثاً ، ثلثاً في الرباط ، وثلثاً يعلم النـــاس بمصر . وثلثاً في الحج . وذكر انه حج ستاً وثلاثين حجة . قال ابن وهب جعلت على نفسي كلما اغتبت إنساناً (صيام يوم ، فهان علي ، فجعلت عليها اذا اغتبت إنساناً)[1] علي صدقة درهم فثقل عليّ وتركت الغيبة . قال ابو جعفر الايلي : قال ابن وهب : ما من ليلة تمر إلا وانا استهولها واذكر بها هول الآخرة ، ولمـــا طلب لقضاء مصر ، (استخفى)[2] عند حرملة سنة واشهراً . قال حجّاج بن رشدين : فأشرفت عليه من غرفتي وكانت تحاذيه يوماً ، فقال لي : يا أبا الحسن بينا أنا أرجو أن أحشر في زمرة العلمـاء أحشر في زمرة القضاة . قال ابن اخيه : ما رأيت قط أزهد في الدنيا منه . كان ينهدم عليه بعض بنيانه فلم يصلحه ، وما بنى قط شيئاً ، ولا رأيت اكثر رباطاً منه . قال : وشهدت عبدالله ابن وهب يقرأ عليه في منزله كتاب الأهوال الذي كان يرويه انه بلغه عن أبي هريرة وشهده أبو اسامة البـكّاءُ فأخذ في البكاء ، ثم أن أبا أسامة قام بتلك الرّقة وابن وهب على حاله من البكاء والقارىء يقرأ وابن وهب ينشج رافعاً صوته ، حتى أني لأحسب من كان على خمسين ذراعاً يسمعه ، فلم يزل كذلك حتى مال على الحائط الذي كان مستنداً إليه ، ثم احتمل الى منزله فلم يزل على حاله لا يعقل ، حتى توفي . فكنا نرى أن قلبه انصدع

---

(١) في الاصل وكذا في – أ – وما بين القوسين ساقط من – ر .
(٢) كلمة ساقطة من – ر .

قال يونس . قال ابن وهب : إن اصحاب الحديث طلبوا مني أن أسمعهم صفة الجنة والنار ، وما أدري القدر على ذلك ثم قعد لهم فقرأوا عليه صفة النار ، فغشى عليه فرش بالماء وجهه فقيل اقرأوا عليه صفة الجنة ، فلم يفق وبقي كذلك اثني عشر يوماً فدعي له طبيب فنظر اليه فقال : هذا رجل انصدع قلبه . وكانت وفاته بمصر سنة سبع وتسعين ومائة . فيما قاله احمد ابن صالح وابو محمد[1] الكندي . قال ابن الجزار : يوم الاحد لخمس بقين من شعبان منها وقيل سنة ثمان وتسعين وقال الباجي : سنة تسعين . والاول أصح واشهر . وقال ابن سحنون : الثابت انه مات سنة ست وتسعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . وقيل ابن خمس وسبعين سنة[2] . وقيل ابن ثمانين . ولد بمصر سنة أربع وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين قال ابو اسحاق : وكان أسنّ من ابن القاسم بثلاث سنين ، وعاش بعده خمس سنين . قال ابن اخيه لما توفي ابن وهب رأى رجل في المنام تلك الليلة انه قيل له مات الليلة اربعمائة عالم . فلما انتبه سمع النوح ، فسأل فقيل له : مات ابن وهب (قال وكان ابن وهب روى عن اربعمائة عالم قال الطباع فلما غسلوا ابن وهب)[3] وجدوا فيه رطبة وصلى عليه عبّاد والي مصر . قال ابو بشر بن قعنب رأيت ليلة مات ابن وهب كأن مائدة العلم رفعت . قال الطباع وغيره : وبيعت كتبه بعد موته ، فبلغت خمسمائة دينار قال محمد بن عبد الحكم : أوصى ابن وهب الى ابي في كفّارة الأيمان ، وأمره فيها بمدّين مدّين ، وأوصى اليه بها ابن القاسم بمدّ بمدّ . والف تآليف كثيرة جليلة المقدار عظيمة المنفعة منها سماعه على مالك ،

---

(١) بالاصل عمر .
(٢) ساقطة من الأصل و ــ أ .
(٣) زيادة من الأصل .

ثلاثون كتاباً . موطأه الكبير وجامعه الكبير وكتاب الأهوال وبعضهم يضيفها الى الجامع ، وكتاب تفسير الموطأ ، وكتاب البيعة وكتاب لا هام ولا صفر . وكتاب المناسك . وكتاب المغازي . وكتاب الردة . وله أخ اسمه عبد الرحمان والد احمد ، وعبد العزيز . وأخ اسمه عمر بن وهب ، قيل : له حديث وما أعرفه . توفي في محرم سنة سبع وتسعين ومائة . قال ابن يونس : وكان له ابن اسمه حميد . ذكر الكندي انه كان مقبولاً عند قضاة مصر ، قال الطحاوي وكانت فيه بطالة .

عبد الرحمان بن القاسم العتقي

قال ابو عمر الكندي في كتابه في اعيان موالي مصر : كنيته ابو عبد الله ، وهو عبد الرحمان بن القاسم بن خالد ابن جنادة . كذا ضبطه الدارقطني والأمير[١]، ونقله الباجي : «جبارة» وهو وهم، مولى زبيد بن الحارث العتقي . وكان زبيد في حجر حميد ، وذلك ان العُتَقَاءَ جماع فيهم من حجر حميد ، ومن سعد العشيرة ، ومن كنانة مصر وغيرهم . قال ابن وضاح : وأصله من الشام من فلسطين ، من مدينة الرملة . وسكن مصر ، قال الدارقطني : وله بمصر مسجد يعرف بمسجد العتقي . قال ابن الحارث : وهو منسوب الى العبيد الذين نزلوا من الطائف الى النبي ﷺ ، فجعلهم أحراراً . وكان ابوه في الديوان وعنه ورث ابن القاسم المال الذي انفقه في رحلته الى مالك ، واعطى سعداً منها خمسين ديناراً . وسمعت انه خرج عن مورثه كله منه لاجل ذلك . وروى عن الليث وعبد العزيز ابن الماجشون ، ومسلم ابن خالد الزنجي ، وبكر ابن مضر وابن الدراوردي ، وابن زبيد وابن أبي حازم

(١) أبو نصر بن ما كولا .

وسعد وعبد الرحيم وعثمان ابن الحكم وغير واحد . وروى عنه اصبغ وسحنون وعيسى بن دينار ، والحارث ابن مسكين وعيسى بن تليد ويحيي ابن يحيي الأندلسي ، وابو زيد ابن أبي الغَمْر ومحمد بن المواز وابو ثابت المدني ومحمد بن عبد الحكم . (وأكثر روايات محمد بن المواز وابن عبد الحكم) عن رجل عنه وخرج عنه البخاري .

ثناء الأجلاء عليه

قال الكندي في[١] ذُكر ابن القاسم لمالك ، فقال : عافاه الله ، مثله كمثل جراب مملوء مسكاً . وقال الدارقطني : ابن القاسم صاحب مالك من كبار[٢] المصريين وفقهائهم . قال أبو عمر بن عبد البر (كان قد)[٣] غلب عليه الرأي وكان رجلاً صالحاً مقلاً صابراً ، وروايته في الموطأ صحيحة قليلة الخطأ . وكان فيما رواه عن مالك متقناً حسن الضبط . سئل مالك عنه وعن ابن وهب ، فقال : ابن وهب [عالم][٤] وابن القاسم فقيه . قال ابن معين : هو ثقة . قال أبو زرعة : هو ثقة رجل صالح كان عنده ثلاثمائة جلد عن مالك من المسائل أو نحوها . سأله عنها اسد[٥]، وذكر باقي القصة وستأتي بعد . وقال النسائي : ومن فقهاء الامصار بمصر عبد الرحمان بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز . وقال النسائي : ابن القاسم ثقة رجل صالح ، سبحان الله ما احسن حديثه وأصحّه عن مالك ، ليس يختلف في كلمة ولم يروِ أحد الموطأ عن مالك أثبت من

---

(١) ساقطة من الأصل والصواب اسقاطها .
(٢) في الاصل كبراء .
(٣) ساقط من – ر – في – أ – تسعين في – أ – بن دينار ساقط من – أ .
(٤) زيادة لازمة – راجع آخر صفحة ٤٢٢ واول صفحة ٤٢٣ .
(٥) أسد بن الفرات .

ابن القاسم ، وليس أحد من اصحاب مالك عندي مثله . قيل له : فأشهب ؟ قال : ولا أشهب ولا غيره ، هو عجب من العجب ، الفضل والزهد وصحة الرواية وحسن الدراية وحسن الحديث ، حديثه يشهد له . وقال ابن وهب لأبي ثابت : إن أردت هذا الشأن ، يعني فقه مالك ، فعليك بابن القاسم ، فانه انفرد به وشغلنا بغيره . وبهذا الطريق رجح القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي مسائل المدونة لرواية سحنون لها عن ابن القاسم ، وانفراد ابن القاسم بمالك وطول صحبته له ، وانه لم يخلط به غيره إلا في شيء يسير . ثم كون سحنون أيضاً مع ابن القاسم فهذه السبيل مع ما كان عليه من الفضل والعلم . قال يحيى بن يحيى : كان ابن القاسم أحدث أصحاب مالك بمصر منا[١] ، وأحدثهم طلباً وأعلمهم بعلم مالك وآمنهم عليه . قال ابن حارث : هو أفقه الناس بمذهب مالك . قال[٢] : وسمعنا شيوخنا[٣] يفضلون ابن القاسم على جميع اصحابه في علم البيوع . وقال له مالك اتق الله وعليك بنشر هذا العلم . قال أبو عبد الله بن أبي صَبْرة : لم يقعد الى مالك مثله . يعني ابن القاسم . قال وكان الاصيلي يقول ذلك فيه ، وقال الحارث بن مسكين : كان في ابن القاسم الزهد والعلم والسخاء والشجاعة والإجابة . قال أحمد بن خالد : لم يكن عند ابن القاسم إلا الموطأ ، وسماعه من مالك كان يحفظها حفظاً . قال أحمد : إلا انه كان لا يحسن (يقرأ)[٤] . غاب القارىء يوماً ، فاحتاج الى ان يقرأ فما تم صفحة حتى احمرّ وجهه ، ولم يقدر على شيء : وقال : انظروا من يقرأ لكم ، ورمى بالكتاب . وسئل أشهب عن

(١) بالأصل سنتاً .
(٢) ساقط من — ر .
(٣) في الاصل الشيوخ .
(٤) ساقط من — ر .

ابن القاسم وابن وهب فقال : لو قطعت رجل ابن القاسم لكانت أفقه من ابن وهب . وكان ما بين أشهب وابن القاسم متباعد ، فلم يمنعه ذلك من قول الحق فيه . قال أبو الطاهر : اخبرني خالي وكان من المجتهدين ومن أهل العلم ، رأيت في المنام كأن قائلًا يقول لا يفتي الناس إلا ابن وهب وابن القاسم المهذّب ثم رأيت ذلك بعد حول . قال ابن وضاح : لم يخرج لمالك وعبد العزيز مثل أشهب وابن القاسم وابن وهب . كان علم أشهب الجراح ، وعلم ابن القاسم البيوع ، وعلم ابن وهب المناسك . وقال أبو اسحاق الشيرازي : جمع بين الفقه والورع . صحب مالكاً عشرين سنة ، وتفقه به وبنظرائه . قال ابن الحارث ، وذكر ابن القاسم واقتصاره على مالك قال : سمع من سفيان ان[1] احاديث يكتبها في الواحد ، ثم سمع من مالك شيئاً فمحا تلك وكتب ما سمع من مالك . قال الحارث : قلت لابن القاسم : اخبرني بالرؤيا التي بلغني انك رأيتها سنة كذا . قال ولا تخبر بها أحداً ، رأيت كأنه يقول[2] لي : ان الله يصلي عليك وعلى سعيد بن زكريا . يعني سعيد الادم . قال بعضهم وقف أشهب على قبر ابن القاسم فقال : رحمك الله يا عبد الله قد كنا نترك كثيراً خوفاً من نقدك[3] فسنهلك بعدك .

ذكر ابتداء طلبه وسيرته في ذلك

قال ابن وضاح : سمع ابن القاسم من الشامين والمصريين وانما طلب وهو كبير ولم يخرج لمالك حتى سمع من المصريين . وأنفق في سفرته الى مالك

(١) ساقط من الاصل و – أ والصواب اسقاطها .
(٢) بالاصل يقال .
(٣) ر – نبذك .

الف مثقال . قال سحنون عنه : ما خرجت لمالك إلا وأنا عالم بقوله . وقال له – لابنه موسى بن عبد الرحمان – : إلا اخبرك كيف طلبت العلم ؟ قال : بلى . قال : كان لي أخ فنازع رجلًا فسار الى السلطان فتبعته حتى أتياه ، فأمر بأخي الى السجن فتبعته، فدخلت المسجد وعليّ نعل سندي ، ومعصفرة . فاذا حلق الناس يتلاقون العلم ، فبهت فيهم وشغلت عن الذهاب إلى أخي . فرجعت الى المنزل وأخذت حذاء ورداء آخر غير الاول ، فأتيت المسجد فجلست فيه ، وحدي أنظر الى الناس ، فانصرفت فقمت فأتاني آت فقال لي : إن أحببت العلم فعليك بعالم الآفاق . قلت ومن عالم الآفاق ؟ قيل لي هذا الشيخ فاذا شيخ اشقر طوال حسن اللحية فاستيقظت وقد مضى أكثر شوال ، فأكتريت الى مكة وحججت مع الناس فلما أتينا المدينة اغتسلت ودخلت الى المسجد ، ونظرت فاذا أنا بالصفة التي رأيت[1] في المنام ، وإذا هو مالك ابن أنس والناس يعرضون عليه ، فعرفته انه الذي قيل لي في النوم انه عالم الآفاق ، فلزمته . وقال اصبغ : قال ابن القاسم حملت أحاديث المصريين فوقع في نفسي طلب الفقه ، فأتيت أبا شريح وكان صالحاً حكيماً ، فاستشرته وقلت له : أردت أن أشخص الى مالك ، فقال لي : ما احسن الفقه ، وان كان أهله يعتريهم الكبر ، ولكن اطلب فان توسّد العلم خير من توسد الجهل . قال : ترنمت باثر ذلك فرأيت في منامي كان عقاباً انقض على رأسي . وقال غيره : كأن بازياً رفرف على رأسه او على حجره ، فأخذه فبقر جوفه . فقال له قائل : لا تضيع جوفه فان حشوهُ جوهر . وفي رواية فجعلت ابتلعه حتى أتيت عليه . فعبر الرؤيا على أبي شريح . قال غيره : وعلى رجل كان بصيراً بالعبادة يقال انه زين بن شعيب ، فقال :

---

(١) في الاصل أريت .

البازي سيد الطير والجوهر العلم ، هـذا عالم أمرت ان تأخذ من علمه وان تأتيه . وفي حديث أصبغ : العقاب سيد الطير ، والعالم سيد الناس ، ولئن صدقت رؤياك لترثن علم عالم ، فاتق الله يا عبد الرحمان . فأمرني ان أخرج الى مالك والزمه . فخرج الى مالك وسمع منه ولازمه ، وفي رواية ، أنه قال له : لعلّك حدثت نفسك بشيء من طلب العلم ؟ قلت : نعم . قال : فمن ذكرت ؟ قلت : مالكاً . (قال)[١] هو بازيك الذي صدت . قال ابن القاسم : كنت اسمع من مالك كل يوم غَلَساً إذا خرج من المسجد ثلاثة أحاديث ، سوى ما أسمع مع الناس معه[٢] بالنّهار . وفي رواية : كنت آتي مالكاً غلسا ، فأسأله عن مسألتين ثلاثة أربعة وكنت أجد منه في ذلك الوقت انشراح صدر ، فكنت آتي كل سحر ، فتوسدت مرّة[٣] في عتبته فغلبتني عيني ، فنمت وخرج مالك الى المسجد فلم اشعر بـه ، فركضتني سوداء له برجلها وقالت لي : ان مولاك قد خرج ليس يغفل كما تغفل أنت ، اليوم له تسع واربعون سنة ما صلى الصبح إلا بوضوء العتمة . ظنت السوداء انه مولاه من كثرة اختلافه إليه . وفي جزء آخر أنَخْتُ بباب مالك سبع عشرة سنة ، ما بعت فيهـا ولا اشتريت شيئاً . قال : فبينما أنا عنده إذ أقبل حاج مصر ، فاذا شاب متلثم دخل علينا فسلم على مالك . فقال افيكم ابن القاسم ؟ فأشير إلي فأقبل يقبل عيني ووجدت منه ريحا طيبة ، فاذا هي رائحة الولد وإذا هو ابني ، وكان ترك أُمه به حاملا ، وكانت ابنة عمه ، وكان اسمه عبد الله ، وكان خـيّر أُمه عند سفره لطول اقامته فاختارت البقاء ، ولم يذكر الناس عبد الله بن عبد الرحمان بن القاسم هذا في ولده ،

---

(١) زيادة يقتضيها السيّاق .
(٢) في الاصل مع الناس وكذا في — أ .
(٣) ساقطة من — ر .

وسنذكرهم . ولعله مات شاباً قبله والله أعلم . قال ابو زيد : سمعت ابن القاسم يقول : ما ضن احد بعلمه فأفلح . لقد كنت أحضر مجلس مالك فاسمع منه ، فاذا لم يحضر أصحابي سألوني ما سمعت فأخبرهم ، ويحضرون وإلا احضر فأسألهم فلا يخبروني . وقال ابن القاسم كأني كنت أنا واشهب نختلف الى عالمين مختلفين ، لاختلافهما في الرواية . قال الصمادحي : من اجل هذا تركت السماع من اشهب . وذكر الطالبي : ان ابن القاسم لما رجع الى مصر اجتمع حوله الناس في المسجد ، فسأل عن ذلك الليث فقيل له : هذا ابن القاسم . فقال (يأبى الله ذلك والمسلمون . فرأى في المنام تلك الليلة : هاتفاً ينكر عليه ذلك . فاستيقظ وهو يقول لا)[١] يأبى الله ذلك ولا المسلمون . تحراني الجامع فحدث الناس حوله برؤياه[٢] . ولابن القاسم سماع من مالك عشرون كتاباً وكتاب المسائل في بيوع الاجال .

ذكر فضله وعبادته وزهده وورعه وكرامته وشيء من خبره

قال ابنه موسى : قال لنا أبي ، وأمرنا بالصلاة والخير (ثم)[٣] قال : كنت وانا ابن ثمان عشرة سنة اختم في كل يوم ، وأحسبه قال وكل[٤] ليلة القرآن . قال الحارث ابن مسكين : سمعت ابن القاسم يقول : اللهم امنع[٥] الدنيا مني وامنعني منها بما منعت به صالحي عبادك . فكان في الورع والزهد شيئاً عجيباً . قال غيره : ذكر انه شهد عند بعض قضاة مصر فلم

---

(١) ساقط من الاصل .
(٢) ساقط من – أ .
(٣) ساقطة – ر .
(٤) ساقطة من الاصل .
(٥) أ – امتع .

يعرفه وطلب من يعدّله لخموله وانقباضه . فخرج وهو يقول بل الله يزكي من يشاء . حتى عرّف به ، فلما عرّف به ، حكم بشهادة ويمين الطالب وكان عراقياً لا يرى ذلك ولكنه فعل لفضل ابن القاسم . وقيل بل شهد عند بعض القضاة ، فقال القاضي : الاسم عدل ولا اعرف العين . فجئني بمن يعينها ، إذ كان لا يداخل القضاة . قال : وانما كان مشتغلاً بالعبادة والعفاف . قال سحنون : وكان مالك معلم ابن القاسم في العلم ، وكان معلمه في العبادة سليمان بن القاسم . وقال ابن القاسم فيهما : رجلان اقتدي بهما في ديني ، سليمان في الورع ، ومالك في العلم . وذكر ان بعض سياسي مصر أراد ان يزوجه ابنته وينقد عنه ويتكلف مؤونته ، فقال : حتى أشاور . فشاور عمه سليمان بن القاسم . فقال له : تحب ان يخدمك الخصيان وتلبس الخز وتركب الخيل ويراح عليك غدوة وعشية بالجفان ؟ قال : لا . فقال له فلم تشغل نفسك بمال فلان ! فترك ذلك . قال اسد : كان ابن القاسم (يختم في كل يوم وليلة ختمتين فنزل لي حين جئته عن ختمة رغبة في إحياء العلم . وقال يحي بن يحي ، وقيل له : بلغنا انه ابن القاسم كان)[1] لا يأكل من حنطة مصر . فقال : كذبوا ما كان يأكل هو ومالك إلا منها . ولقد لقيت ابن القاسم مقبلاً في سوق مصر ومعه حمّال بطعام ، فسألته ، فقال : طعام اشتريته ، فأدخلت يدي فيه لأبصره ، فاذا هو كثير الغلث فقلت له : فهل كان أطيب من هذا ؟ فقال : لا يا أبا محمد ، إني رضيت باليسير ، ما يكفيني في الدنيا لنفسي ، فاستجزيت به . قال يحي : ولو أراد ابن القاسم ان يحمله له كبراء أهل[2] مصر على ظهورهم لفعلت .

---

(١) ساقط — ر — مثبت في الأصل .

(٢) كلمة أهل ساقطة — ر .

ولكنّه كان لا يفعل ذلك ، ولا يشتهيه ، من الورع[١] . قال : وسمعت ابن القاسم يقول : ما كذبت منذ شددت على مئزري . يعني : الحلم . قال يحيى : وما كان أخلقه بذلك . قال يحيى : سمع رجـلان من أهل الأندلس على ابن القاسم وكتبا عنه بما افتاهما . قالا له : تشهد لنـا رجلًا[٢] من أهل بلدنا بما سمعنا منك ؟ فأنكر ذلك وقال : لا خير في قوم لا يصدقهم أهل بلدهم فيما ينقلون اليهم إلا بالبينة . قال يحيى : ولما قرأ أسد على ابن القاسم الأسدية وضع أشهب يده في مثلها ، فخالفه في جلّها ، قال الفقيه القاضي ابو الفضل عياض رضي الله تعـالى عنه : وهي المعروفة بمدوّنة أشهب ، وبكتب اشهب . فقلت لابن القاسم : يا أبا عبدالله لو أعدت نظرك في هـذه الكتب ، فان صاحبك قد خالفك فما لائمك عليه اقررته ، وما خالفك فيه ، اعدت[٣] النظر فيه ، فقال : افعل ان شاء الله ، فلما تقاضيته بعد أيام في ذلك فقـال : يا أبا محمد نظرت في مقالتك ، فوجدت اجابتي يوم أجبت ، لله وحده ، فرجوت أن أوفق ، واجابتي اليوم انما تكون نقضـاً على صاحبي ، فاخاف ان لا اوفق في الأمر فتركته . قال يحيى : وكان طول ما يقرأ عليه ، رافعـاً اصبعه مبتهلًا الى الله تعالى في التوفيق والسلامة ، قال : وتذاكرنا يوماً مع ابن القاسم هذا الأمر بكلنا ، قال : الورع أشد ما في هـذا الدين . فقال ابن القاسم ما هو عندي كذا . فقلت له يا أبا عبدالله وكيف ذلك . فقال : انا امرنا ونهينا فمن فعل ما أُمر به وترك ما نهي عنه فذاك أورع النـاس ، فقيل له : يا أبا عبدالله ، لقد خفّ عليك ما ثقل على غيرك ، فأي شيء وجدت من هـذا

---

(١) في – أ – احد .
(٢) في – أ – رجالاً .
(٣) في – أ – أجدت .

الأمر أثقل ؟ فقال ما وجدت شيئاً أثقل عليّ من مكابدة أجزاء الليل . وحكى يحيى بن عمر عن بعضهم قال : شهدت العيد مع عبد الرحمان بن القاسم فلما انصرفنا دخل ابن القاسم المسجد فصلى ، ثم سجد فطوّل حتى خفت ان يفوتني الغداء مع أهلي ، فدنوت منه فسمعته يقول : إلهي انقلب عبادك الى ما اعدوه لهذا اليوم وانقلب عبد الرحمان اليك يرجو مغفرتك في هذا اليوم العظيم ، فان كنت فعلت فبخ بخ وان كنت لم تفعل فيا ويلي ويا حسرتي ، قال فجعلت على ثوبه علامة ثم سرت الى أهلي ، فتغديت معهم ووطئت وقمت ثم جئت المسجد فوجدته على هيأته كما تركته ، قال يحيى : وخرج ابن القاسم الى الحج ، فلما كان بالأبواء ، إذ أتته جارية كأحسن الجواري فناولها شيئاً ، فقالت له ما أريد هذا ، إنما أريد منك ما يكون من الرجل الى المرأة ، فادخل رأسه بين ركبتيه وجعل يبكي ، وأتاه أصحابه وهو كذلك فسألوه فأخبرهم ، فجعلوا يبكون . فقال لهم لم تبكون ؟ قالوا لانا لو ابتلينا بما ابتليت به لم نأمن من الفتنة . فرأى ابن القاسم في المنام يوسف عليه السلام ، فقال له : لقد كان في شأنك مع امرأة العزيز عجب فقال له يوسف شأنك مع صاحبة الابواء أعجب إني هممت وانت لم تهم ، ومن كتاب الفقيه أبي مروان بن مالك القرطبي : قال ابن القاسم : خرجت الى الاسكندرية ومعي وديعة فارسينا في موضع مخوف فآثرت السهر لحفظ الوديعة ، فاذ في شط البحر رجل أبيض على برذون أشهب فشق البحر اليّ حتى وقف على السفينة فقال لي : نَمْ يا ابن القاسم فنحن نحرسها[١] ، قال ابن القاسم للحارث : لا تخبر به احداً في حياتي . وفي رواية أخرى ان الوديعة كانت عشرة آلاف ، وأن الفارس قال له ان ربي أرسلني اليك

(١) - أ - نحرسك .

أحرس لك هذه الأمانة فنم آمناً ، فكنت إذا استيقظت نظرت اليه يجول حوالينا . كان دأبه ذلك ثلاث ليـــال حتى مضى (من مصر)[١] الى الاسكندرية وقال يحيى بن يحيى : خرج ابن القاسم الى بعض صحارى مصر فعطش ، وكان بعض ملوكها خرج متنزهاً فبينما هو يسير إذ وقفت دوابه فلم تنطلق ، فضربت فلم تنهض . فقال لمن معه ، هذا الأمر فانظروا ، فنظروا . فقالوا : هذا شخص . فقال : سلوه ، فسألوه . فقال : عطشت . فسقوه . فانطلقت الدواب .

قال عيسى بن دينار : وكنت بالاسكندرية مع ابن القاسم في الرباط ومعه رجل كان يألفه ، فبينما نحن في السفينة ليلة سبع وعشرين من رمضان ، إذ قال رجل من أهل السفينة اخبرك بشيء عظيم رأيت في نومي ساعتي هذه . فأخبره ، فقال لصاحبه : إن كان ما قال حقاً فهي ليلة القدر . وذكر ان علامة ذلك عذوبة ماء البحر ، ومالا الى صدر السفينة ، فرأيتهما يشربان ثم استقبلا القبلة ، فقمت فأتيت الموضع الذي أتياه فشربت فوجدته عذباً . قال الحارث : كان ابن القاسم لا يقبل جوائز السلطان ، وكان عليه دين ، إلا انه كان له من العروض ما يفي به . قال ، وكان يقول : ليس في قرب الولاة ولا في الدنو منهم خير . وكان أولاً يأتيهم ، ثم ترك ذلك . قال ابن وضاح ، كان ابن القاسم لا يجالسه إلا واحد ، او اثنان . ولم يكن فيه منفعة للناس ، ولا لأبويه ولا ابنيه ولا نفسه في شيء من أمور الدنيا إلا بالعلم . وكان أشهب وابن وهب يقعدان في جماعة . وتنقضي عندهما الحوائج ، وينفعان الناس . قال سحنون : كثيراً ما كنت اسمعه يقول ، إياك ورقّ الأحرار . فيسأل فيقول كثرة الإخوان . ولم (يكن)[٢]

(١) ساقط من – أ .
(٢) زائدة في – أ – و – ر .

يشهد جنازة لأحد ، ولا يخرج من المسجد . وذكر حديث سليمان بن القاسم لا تحمل لغيرك نفسك ما لا تحمله لنفسك على نفسك . قال ، وكان سبب موت ابن القاسم انه اغتسل بماء بارد ، بدين ولم يرد ان يسخن له منها ، لأنها كانت غصباً لبعض بني أمية . قال سحنون ، قمت يوماً في المسجد الحرام اشرب ماء ، فقال ابن القاسم من أين تشرب؟ قلت ، أليس لي في الفيء قدر أشرب به ماء . قال وأي فيء بمكة . إنما هي صدقات . قال سحنون ، اشترى عبد الصمد الاطرابلسي لابن القاسم جارية ثم اخرى ، لم يتخذ غيرهما حتى ماتتا ، لما ماتت الاولى ارسل اليه يشتري له جارية صقلبية كما تقول . فاشتراها له وبعثها له ، وهي أم ابنيه . وسيأتي ذكرهما بعد هذا . وكان عبد الصمد هذا من العباد ، لزم المحرص باطرابلس ، قال ابن وضاح وإنما قصد للصقالبة لأنهم لا عهد لهم ، قال ، وحكى أبو محمد بن أبي زيد ان ابن القاسم كان يتصدق بنصف قوته ، يعمله كعكاً صغيراً فاذا وقف به السائل أعطاه كعكة صغيرة ، كما عملت . وانه باع نصف قوته سنة فاشترى به تمراً يعطي السائل تمرة . قال أبو محمد : كأنه رأى ان هذا أقل للمتكلف وأزكى في القدر لاشفاقه من رد السائل بغير شيء . وهذا بقدر النية . وقال ابن وهب حين مات ابن القاسم : كان أخي[1] وصاحبي في هذا المسجد منذ أربعين سنة . ما رحت رواحاً ولا غدوت غدواً قط الى هذا المسجد إلا وجدته سبقني إليه . وحكى عن ابن القاسم انه كان يقرأ عليه الموطأ اذ قام قياماً طويلاً ، ثم جلس . فقيل له في ذلك فقال : نزلت أمي تسأل حاجة ، فقامت وقمت لقيامها ، فلما صعدتْ جلستُ . قال : فسُرَّتْ . قال سحنون : لما حججت كنت أزامل عبدالله بن وهب ، وكان معنا أشهب

(١) أ – حبيبي .

وابن القاسم ، فكنت اذا نزلت ذهبت الى عبد الرحمان أسائله الى وقت الرحيل ، فقال لي ابن وهب وأشهب لو كلمت[١] صاحبك ليلة واحدة يفطر عندنا . فكلمته . فقال ان ذلك يثقل علي . فقلت له فبم يعلم القوم مكاني بك . فأجابني . فانتهيت اليهم فأعلمتهم ، فلما كان وقت التعريس قام وقمت معه الى القوم ، فوجدت أشهب قد مدّ أنطاعه وأتى من الأطعمة بأمر عظيم ، وصنع ابن وهب دون ذلك . فسلم ابن القاسم وقعد ثم أدار عينيه فاذا بسكرجة فيها دقة ، فأخذها بيده فحرك الابزار الى ناحية ولعق من الملح ثلاث لعقات ، وهو يعلم ان اصل ملح مصر طيب . ثم قام وقال بارك الله لكم . قال سحنون : فاستحييت ان اقوم . فتكلم أشهب وعظم الامر . فقال ابن وهب : دعه . قال أبو الفضل مولى نجم : كان ابن القاسم يأكل في الشهر عشرين مداً من دقيق بمد النبي ﷺ ، وكان فقيهاً عابدا . قال غيره : لانه كان رد قوته الى ثلث مد من شعير في اليوم . وذكر ان رجلًا من اهل العلم والخير قدم من العراق وأراد الاجتماع به فأتاه رجل في ذلك فوعده وقتاً لذلك ، فلما استنجزه قال ابن القاسم : إني نظرت في ذلك فرأيت أنه يدخله المباهاة يتزين لي وأتزين له . دعني من ذلك . وكان المصريون يقولون للكوفيين : اذكروا أخلاق سفيان ، وتذكروا أخلاق ابن القاسم . فيسكتون . قال ابن وضاح : كان اهل الاندلس قد مشوا بين ابن القاسم وأشهب حتى أفسدوا ما بينهما ، وحلف اشهب بالمشي الى مكة ان لا يكلم ابن القاسم ، فندم ، وأراد ان يمشي ، فلما سمع بذلك ابن القاسم قال : هو يحنّث نفسه ويمشي ، وأمشي معه . فمشيا جميعاً وحجا وعيسى بن دينار معهما . قال يحيى : سمعت ابن القاسم يدعو على رجلين من اهل

---

(١) زائدة في – أ .

الاندلس ، ادخلا بينه وبين أشهب . فسمعته يقول اللهم أعنهما بسعيهما ولا تنفعهما بجملهما . فما ماتا حتى عرف ذلك فيهما . وقيل بل كان ابن القاسم وأشهب اختلفا في قول مالك في مسألة ، وحلف كل واحد منهما على نفي قول الآخر ، فسألا ابن وهب فأخبرهما ان مالكاً قال القولين جميعاً قضاء لليمين التي حنثا فيها .

ذكر وفاته

قال ابن سحنون وغيره : كانت وفاة ابن القاسم بمصر ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة احدى وتسعين ومائة . بعد قدومه من مكة بثلاثة أيام . وقيل ستة . وقد ذكرنا سبب ذلك ، ومرض ستة أيام وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين وهو ابن ستين سنة . قال الكندي والشيرازي : مولده سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقاله ابو الطاهر وابن بكير ، وقال ابو عمر بن عبد البر وابن حارث مولده سنة ثمان وعشرين ومائة . وترك ابنين يأتي ذكرهما . وذكر الكندي عمر بن القاسم أخا عبد الرحمان بن القاسم . قال : كان مقبولاً عند القضاة . وكان فاضلاً . قال الأمير ابو نصر : كانت فيه غفلة . ورئي ابن القاسم بعد موته فسئل فأخبر بما لقيه من الخير ، فقيل له بماذا قال بركعات ركعتها بالإسكندرية . فقيل بالمسائل . فقال لا وأشار بيده ، أي وجدناها هباءً . قال علي ابن معبد : رأيته في النوم فقلت له : كيف وجدت المسائل قال أف أف . قلت له : فما أحسن ما وجدت قال الرباط بالإسكندرية . قال عبد الله بن عبد الحكم : بينا أنا أفكر في وحشة القبر الى ان قيل لي اما في ابن القاسم

اسوة . قال عبد الله بن عبد الحكم : كنت أرى في النوم كأني أموت فاجزع من الموت فيشتد شدة شديدة ويقال لي : اما ترضى ان تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقـــاً . ومع عبد الرحمان ابن القاسم .

ابو عمرو أشهب

هو أشهب بن عبد العزيز بن داود (بن ابراهيم)(١) القيسي المعافري الجعدي. من ولد جعدة بن كلاب بن ربيعة ابن عامر . اسمه مسكين . وأشهب لقب . وكنيته ابو عمرو زوى عن مالك والليث والفضيل بن عياض ، وسليمان بن بلال(٢) وابن لهيعة ، ويحيي بن أيوب وبكر بن مضر والدراوردي ، والمنذر ابن عبد الله الحزامي . وروى عنه الحارث ابن مسكين ويونس الصدفي وبنو عبد الحكم ، وابو الطاهر وسعيد بن حسان وسحنون بن سعيد ، فيما لا ينعد كثرة ، وجماعة . قـال الشيرازي : تفقه بمالك والمدنيين والمصريين . قال ابو عمر المقريء : وقرأ على نافع . قال الشافعي : ما رأيت افقه من أشهب لولا طيش فيه . وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم . وانتهت إليه الرئاسة بمصر بعد وفاة ابن القاسم . قال سحنون : قال لي ابن القاسم : ان كنت مبتغياً هذا العلم بعدي فابتغه عند أشهب . وقال اسد : أتيت ابن القاسم فقال لي : أنا مشغول بنفسي ، وجعلت الاخرة أمامي ، ولكن ، عليك بابن وهب فأتيته . فقال انما أنا صاحب آثار ، ولكن ايتِ أشهب . قال ابو عمر

---

(١) زائدة في – أ .
(٢) هلال بالاصل .

الحافظ كان أشهب فقيهاً نبيهاً[١] . حسن النظر من المالكين المحققين . وكان كاتب خراج مصر ، وكان ثقة فيما روى عن مالك . وصنف كتاباً في الفقه رواه عنه سعيد بن حسان وغيره ، قال ابو عمر الكندي في كتاب قضاة مصر : كان أشهب (على مسائل القاضي العمري بمصر ، قال محمد بن الحكم : أشهب)[٢] افقه من ابن القاسم مائة مرّة . قال ابن لبابة : ليس هذا عندنا ، كما قال . وانما قاله لان أشهب شيخه ومعلمه . قال ابو عمر : كلاهما معلمه وشيخه وهو أعلم بهما . قال المؤلف رحمه الله تعالى : لم يسمع محمد بن عبد الحكم من ابن القاسم . وستأتي الحجة على هذا ، ولا أدري من أين أتى على أبي عمر في هذا مع تقدمه في هذا الباب . وسئل سحنون عنهما أيهما أفقه ، فقال : كانا كفرسي رهان ، ربما وفق هذا وخذل هذا ، وربما خذل هذا ووفق هذا ، وقال سحنون : حدثني المتحري في سماعه . وقال رحم الله أشهب ، ما كان اصدقه واخوفه لله تعالى ، ما كان يزيد حرفاً واحداً ، ولقد قال له ابن عبد الحكم يوماً لو امسكت قليلاً . قال لقد علمت الذي تقول . ولو فعلت ذلك لكنت أن أجلّ في عيون الناس ، ولقطعت بعض كلامهم ، ولكن والله لا اعمل شيئاً أبداً إلا أريد به الله . وكان سحنون يعطي لأشهب الورع في سماعه ، ولم يسمعه منه ، انما سمعه من ابن نافع . قال ابن وضاح : وسماع أشهب أقرب ، وأشبه من سماع ابن القاسم . وعدد كتب سماعه عشرون كتاباً . قال ابن وضاح : ولما سمعناه أنا وابن حميد من محمد بن عبد الحكم قال لنا : ابن السكري — وكان يجالس محمد بن عبد الحكم ويسمع قراءتنا — أحبّ ان تعيداه لي . فقلنا له : وقد سمعته ؟

---

(١) أ — نبيلا .
(٢) ساقط من — أ .

قال لم ألُـوِ سمَاعَهُ (عن السكري)[١] . قـال عليه الصلاة والسلام : انما الاعمال بالنيات . وسمعته جيّد المسائل حسناً جداً . ولو أردت ان أخرج على كل مسألة منه حديثاً لفعلته . قال سحنون : ما كان أحد يناظر أشهب ، إلا اضطرهُ بالحجة حتى يرجع الى قوله . ولقد كان يأتينا في حلقة ابن القاسم فيتكلم في أصول العلم ، ويفسّر ويحتج ، وابن القاسم ساكت ما يرد عليه حرفاً . وكان أشهب مهيباً . وكان أزرق العينين فاذا كلمه انسان في مسألة يرفع عينيه إليه (إذا) ، تعذرت[٢] المسألة . وكان يلبس قلنسوة سوداء . وكان آمرهم بمعروف انهاهم عن منكر . قال : ثم سمعه من محمد بن عبد الحكم واعتقـده . وكان الشافعي وأشهب يتصاحبان بمصر ويتذاكران الفقه . وكان ما بينهما متقارباً . وذكره ابو عمر مع عبد الله بن عبد الحكم فيمن أخذ عن الشافعي من كبار اصحاب الشافعي، وانما كانا ـ يريد الشافعي وأشهب ـ متناظرين . وألف أشهب كتبه المدونة رواها عنه سعيد بن حسان وغيره ، وهو كتاب جليل كبير كثير العلم . قال ابن الحارث : لما كَمُلَتْ الاسدية أخذها أشهب ، وأقامها لنفسها ، واحتج لبعضها . فجاء كتاباً شريفاً . فبلغني انه لما بلغ ابن القاسم ذلك قـال : أَمَةٌ وكدّاً . تفعل مثل هذا ؟ يعني انه وجد كتاباً تاماً فبنى عليه . فأرسل إليه أشهب : أنت انما غرفت من عين واحدة ، وأنا من عيون كثيرة . فأجابه ابن القاسم : عيونك كدرة وعيني أنا صافية . وله كتاب اختلاف في القسامة . وله كتاب في فضائل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

---

(١) ساقطة من ـ أ .
(٢) تبددت ـ أ .

ذكر شيء من فضائله – وجوده وأخباره

قال سحنون : كتب أشهب الى رجل كان يقع فيه : أما بعد ، فانه لم يمنعني ان اكتب اليك ان تتزايد مما أنت فيه الا كراهية أنْ أُعينَكَ على معصية الله ، واعلم اني ارتع في حسناتك كما ترعى الشاة الخضر . والسلام . وجلس أشهب يوماً بمكة الى ابن القاسم فسأله رجل عن مسألة ، فتكلم فيها عبد الرحمان فصعَّر له أشهب وجهه ، وقال ليس هو كذلك . ثم أخذ يفسرها ويحتج فيها . فقال له ابن القاسم : الشيخ يقوله ، عفاك الله . يعني مالكاً . فقال أشهب : لو قاله ستين مرة . فلم يرادّه بن القاسم . قال أشهب : أتيت الفضيل استشيره في إتيان الوالي وكيف أتيته فليس أحد يأتيه اقوم بأمره ونهيه مني ، وربما قيل وانتفع بذلك المسلمون ، فقال لي أنت رجل تسألني عن خاصة نفسك لانك لا تأتيهم ولا تودهم ولا تود من يودهم . (ولا تود من يودّ من يودّهم)[1] . قال ابن وضاح : كان أشهب يقول : إنما الورع في المشتبهات واما الكبائر فكل أحد يتقيها . قال اشهب أمرني أبي أن اتخذ سقاية بموضع سمّاه فبنيتها مرات ويهدمها جيران حسدوني فيها . فأدركني يوماً غمّ لذلك ، فقعدت عندها باكياً مفكراً ، فسمعت صوتاً من الصحراء يقول : ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض (ونجعلهم أئمّة)[2] الآية ، فحرّكت دوابي نحو الصوت فلم أرَ أحداً . فعدت الى موضعي فسمعت الصوت فقمت فلم أرَ أحداً . فعدت للقعود فعاد الصوت ثالثة ، فعلمت اني المراد فحمدت الله . وقامت

(١) زائدة في – أ .
(٢) ساقطة من – أ .

لي نية في طلب العلم وبنيتها ووكّلتُ من يحرسها، بأجرة . فلم يعد أحد الى خرابها . وقد حكيت مثل هذه الحكاية لليث بن سعد حين بنى داره والله أعلم . وقال ما مرت بي إلا اعوام يسيرة حتى احتاج اولئك وغيرهم من أهل بلدي اليّ . قال ابن ابي مريم : شيعنا اشهب الى الرباط ما يملك نصف درهم ، فما مات حتى كان ينفق (كل يوم)[1] على مائدته عشرة مثاقيل . وكان قد فتح عليه في الدنيا . وقال سحنون : كانت بمصر مجاعة فحضرته يتصدق بالدنانير من الغدوة الى الليل . ويتصدق بما كان معه من طعام . وذكر عنه سحنون ، انه رآه يتصدق في يوم واحد بألف دينار . وذكر ابن الجزار في كتاب التعريف : ان ابن القاسم ترك كلام اشهب لانه تقبل خراج مصر . فسأل رجل ابن القاسم عن فيالة أرض مصر ، فقال له : لا تجوز . فقال له : فأشهب يتقبلها . فقال له ابن القاسم : افعل انت ما يفعل اشهب . وتقبل الجامع . وذكر ان رجلاً سأل اشهب عن الحرث في ارض مصر . فقال لا تجوز . فقال له انت تحرث فيها . فقال له : فأحمل لنفسي ولك أيضاً . وسأل عنها ابن وهب فنهاه . فقال له : فأشهب يفعله . فقال اعطنا آخر كأشهب . يكفل ايتامنا ، ويرق لضعفائنا ، ونبيح لك ان تحدث في مسجدنا . قال سحنون : كان يتصدق بأضعاف كرائها . قال سحنون : حضرنا اشهب يوم عرفة بجامع مصر ، وكان من حالهم اقامتهم بمسجدهم الى غروب الشمس ، يعني للذكر والدعاء ، كما يفعل أهل عرفة بها ، وكان يصلي جالساً يعني النافلة . وفي جانبه صرة يعطي منها السوّال ، فنظرت فاذا بيد سائل دينار ، مما أعطاه ، فذكرته له ، فقال لي وما كنا نعطي من أول النهار ، وذكر يونس قال : زعم اشهب انه سمع سليمان

---

(١) ساقطة من — أ .

السائح في مساجد الصحراء يقول : يا رب عبدكِ سليمان جائع ، لم يأكل منذ ثلاث ليال[١] . فلما فرغ سمعته يضغ فكرهت ان أدخل عليه فاحشمه ، وكان للمسجد بابان فخرج من القبلي ودخلنا من آخر . فاذا بانواء تمر وتمرة منتبذة فأكلتهـــا ، فاقمت معصوباً عشرة أيام لا آكل ولا اشرب . قال سحنون : اجتاز اشهب بابن القاسم يوماً وعلى اشهب ثياب تتقعقع ، وتحته بغلة هملاج ، فقال ابن القاسم : وجعلنا بعضكم لبعض فتنـة اتصبرون . ثم سكت ساعة وقال : بلى يا رب نصبر ونصبر . وقد نمت هذه الحكاية وهذا الكلام للمزني[٢] ، وقد مرّ به بنو عبد الحكم في موكبهم بمصر ايضاً والله اعلم . وذكر ان رجلاً من أهل العراق لقي اشهب فقال له العراقي : انتم تحلون اتيان النساء في ادبارهن ، فقال له اشهب : انتم تحرمونه ولكن تعال احلف لي ما فعلته ، واحلف لي انت بمثله ، فلم يفعل العراقي . وذكر ان اشهب بينما هو في اصحابه إذ سمع إنساناً ينذر بلص ، فقام واخذ سلاحه وخرج يتبعه ، فقيل له في ذلك ان مثلك لا يليق به هذا ؟ فقال : ما كنت لأتَخَلّق بغير ما جبلني الله عليه .

ذكر مولده ووفاته

قال ابن عبد البر وأبو عمر المقريء : ولد أشهب سنـة أربعين ومائـة . وحكاه ابن حزم الصدفي عن أبي الطاهر ، وحكى الشيرازي انه ولد سنـة خمسين ومائة ، وتوفي بمصر سنة اربع ومائتين في رجب ، وقيـــل لثالث وعشرين ليلة خلت من شعبان . قال الشيرازي : بعد الشافعي بشهر . وقال

---

(١) ساقطة من – أ .
(٢) في – أ – للمدني .

ابن عبد البر : ثمانية عشر يوماً . وقيل بثلاثة وعشرين يوماً . وهذا هو المشهور من تاريخ وفاته . قال أبو علي البصري في كتاب المعرب : وقيل توفي سنة ثلاث ومائتين . قال محمد بن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت . فذكرت ذلك له فأنشد متمثلاً :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت   فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى   تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

فمات الشافعي واشترى أشهب من تركته غلاماً طباخاً ، فمات بعده بثمانية عشر يوماً واشتريت أنا الغلام من تركة أشهب ونهيت عن شرائه . وقيل لي دعه فقد دفن العالمين في بضعة عشر يوماً فاشتريته وتركت التطيّر . وحكى الربيع بن سليمان ، قال : سمعنا أشهب يقول في سجوده : اللهم أمت الشافعي وإلا ذهب علم مالك . فبلغ ذلك الشافعي ، فأنشأ يقول ، البيتين . قال محمد بن حفص المعافري : مرض أشهب فرأيته في المنام أن قائلًا يقول لي يا محمد فأجبته ، فقال :

ذهب الذين يقال عند فراقهم   ليت البلاد بأهلها تتصدع

فقلت لامرأتي ما أخوفني ان يموت أشهب . فخرجت فاذا هو قد مات . وقال آخر نمت في القائلة فرأيت هاتفاً يقول :

ليبكِ على الاسلام من كان باكياً   فقد أوشكوا هلكاً وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها   وقد ملّها من كان يقلقه الوعد

فخرجت الى المسجد ، فنعي إلي أشهب رحمه الله تعالى . قال يونس : دخلت على أشهب في مرضه الذي مات فيه فقال لي : يا يونس . قلت لبيك . قال : انظر ما هاهنا وأشار الى كتبه ، فاذا جمعت من الحجج على هذا البدن الضعيف ما أستريح . إلا أن آخذ المصحف فأضعه على صدري . قال وكانت كتبه في زنبيل بجلد كبير .

سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم

أبو عثمان الأنصاري المصري. سمع من مالك الموطأ وغير شيء، وصحبه. وغلب عليه علم الحديث، وعلم الخبر، وكان علامة بأخبار الناس، وله تاريخ. وسمع الليث بن سعد وابن لهيعة ويعقوب بن ابراهيم وابن وهب. وكان آخر مشائخ مصر في وقته. قال يحيى بن معين: هو ثقة. وقال أبو حاتم: هو صدوق، وليس بالثبت. كان يقرأ في كتب الناس. روى عنه البخاري ومسلم ومحمد بن اسحاق الصاغاني، وخرج عنه البخاري ومسلم. ولما ورد المأمون مصر وحضر عنده أهلها، كان فيهم سعيد بن عفير، فقال المأمون: هذه مصر التي قال الله فيها ما قال. وأقبل يحقرها فقال له ابن عفير: يا أمير المؤمنين، هذه مصر وقد دمرها الله فما ظنك بها قبل التدمير؟ قال الله تعالى: ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه. فقال المأمون: من المتكلم؟ فقيل: سعيد بن عفير صاحب مالك. فقال يا سعيد ما تقول فيمن قال: عليّ المشي الى مكة؟ قال: عليه المشي. فقال له المأمون: لقد تيس مالك في هذه المسألة. فقال سعيد: أتْيَس من التيس، من سمع[1] التيس. يريد ان اباه الرشيد، لما حلف بذلك أفتاه مالك بالمشي، فمشى. فوجم[2] لها المأمون. فهم كذلك. اذ تشكى بعاملين فقال: يا سعيد ما تقول فيهما؟ قال، غشومين ظالمين. قال هل غصباك شيئاً أو ظلماك؟ قال: لا. قال فكيف تشهد عليهما؟ قال: كما شهدت انك امير المؤمنين قبل ان اراك. قال ابن عفير: سمعت في المنام قائلاً يقول ان الله لا يعبأ بصاحب رواية

---

(١) ر — من عدم.
(٢) في —ر— فوجدها المأمون، فهم كذلك. وليست واضحة ولعل العبارة: فبينما هم كذلك.

ولا حكاية، وإنما يعبأ بصاحب قلب ودراية . مولده سنة سبع وأربعين ومائة . ومات سنة ست وعشرين ومائتين، وبقي العلم [في] بيته زماناً طويلاً . وكان لابن عفير ابنان عبد الله وأبو الحارث أسد . روى أبو الحارث عن أبيه ، وابن وهب والشافعي ، وتوفي في صفر ستين ومائتين وابراهيم بن عبد الله ابن ابنه أبو اسحاق يعرف بالصيّوفي[١] حدّث أيضاً . توفي سنة خمس وتسعين ومائتين . والحسين بن يزيد بن أسد بن سعيد ، أبو عبد الله ، ويقال أبو علي . توفي في شوال سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة .

أبو عمر ادريس بن يحيى

مولى بني أمية يعرف بالخولاني . من أصحاب مالك توفي في اول سنة احدى عشرة ومائتين وغلبت عليه العبادة .

المفضل بن فضالة

هو المفضل بن فضالة بن عبيد ، أبو معاوية الحميدي القتباني ، وقتبان بقاف مكسورة وتاء باثنين من فوق وباء بواحدة في أسفل ، قبيلة من رعين ، اليها ينسب المفضل . يروي عن ابن عجلان ويونس بن يزيد وعقيل بن خالد . قال أبو عبدالله الجيزي في كتابه في قضاة مصر : كان المفضل احد أهل الفضل وخيار الناس . قال ابن شاهين : هو رجل صدق روى عنه ابنه فضالة ، وقتيبة بن سعيد وحسان الواسطي وابن بكير ، وحجاج ويونس بن محمد وأخرج عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما . وقال أبو حاتم : هو صدوق .

---

(١) ليست واضحة أهي الفيومي أو الصيوفي .

وقال يحيى بن معين ليس بذلك . قال أبو زرعة يكتب حديثه . وله أخ اسمه عبد الله بن فضالة . قال ابن يونس لا أعلم له رواية . قال محمد بن سعد : ولي القضاء وكان محموداً منكر الحديث .

سيرته وأخباره

ولي المفضل قضاء مصر مرتين : إحداهما في سنة ثمان وستين ومائة ، وصرف سنة تسع ثم رجع الى القضاء عند عزل ابي الطاهر الحزمي ، وكان عزله سنة اربع وسبعين ، وبقي المفضل قاضياً الى صدر سنة تسع وسبعين . قال الجيزي : وهو أول القضاة بمصر ، طول الليث . وكان إذا أشكل عليه القضاء في شيء كتب به الى مالك حتى يأتيه جوابه ، فيعمل به . قال غيره : كان يفتي بقول مالك . قال ابن شاهين كان اذا جاءه رجل قد انكسرت يده او رجله ، جبرها . وكان يصنع الأرحية . ذكر أبو الحسن ابن ضمضم قال ، بلغني ان المفضل بن فضالة بلغه هذا الدعاء ، فقال يا ذا الجلال والاكرام بحرمة نور وجهك الكريم أسألك صحة بصري[٢] وطول عمري في حسن عمل ورزقاً واسعاً لا مِنّة لأحد عليَّ فيه . فأعطي الثلاث . وذكر الجيزي عنه قال : كتبت الى مالك في حبس ابن أبي مدرك ، ونسخته حرفاً بحرف وأعلمته ان الذين طلبوه وأحازوه ولد البنين ، واحتجوا بأن جبير بن نعيم القاضي كتب لهم اجازة للاخير فالآخر منهم . وان القضاة اجازته ولن يقتضوا فيه للنساء البنين ولا غيرهم بميراث ، واحتج غيرهم بأن المحبس لم يذكر في حبسه كونه للآخر ، ولمن يصرفه بعد انقراض البنين

---

(٢) ر — صحة في بصري .

الى شيء من وجوه الاحباس في سبيل الله ، فكتب إليّ : نظرت في حبس ابن أبي مدرك وفيما احتج به من أراد رده ميراثاً ، فوجدت في كتاب ابن أبي مدرك الذي جاء به بنوه ، وأقروا به وانفذوه : ان كل دار هي له حبس على بنيه ، وثلث فضل خراجها بعد سكن بنيه في سبيل الله . وذكر في الطاحونة مثل ذلك . وذكر ابن الجراح صاحب كتاب الورقة : ان اسحاق بن معاذ الشاعر كان يخاصم عند الفاضل بمصر ، فأتاه يوماً وكان قد هجاه ببيتين وهما :

خفِ الله واسمع واتئد اي مفضل   فانك عن فضل القضاء ستسأل
وقد قال أقوام عجيب لقولهم   اقاض له شعر طويل مرجل

وكان كتبها وجعلها في كمه مع ظلامته ، وحضر عنده فأدخل يده ليخرج للقاضي رقعة الظلامة فأخرج له رقعة الهجاء ، فلما قرأها ردها اليه وقال : اللهم غفراً ، ليست هذه يرحمك الله . توفي المفضل سنة إحدى وثمانين ومائة .

فتيان بن أبي السمح

وضبطه بفاء مكسورة بعدها تاء باثنين من فوق ساكنه ، وياء باثنتين من اسفل ، مفتوحة والف ونون . مولى تجيب تقدم نسبه . قال ابو الحسن الدارقطني وغيره : هو ابو الخيار مصري ، يروي عن مالك . وكان من كبراء أصحابه المتعصبين لمذهبه ، وقال ابو حارث في كنيته : ابو السمح . قال ابو عمر الكندي : في كتاب أعيان موالي مصر : ومنهم ابو الخيار فتيان بن أبي السمح ، واسمه عبد الله بن السمح بن أُسامة بن زكي . مولى بني عامر ابن عدي من تجيب . وكان فقيهاً من اصحاب مالك . وكنى ابن وضاح أبا السمحاء . وقد تقدم ذكر أبيه في الطبقة الأولى ، كان ايضاً من أصحاب

مالك . قال ابن وهب : كان يشتري لمالك حوائجه وكان له منه عشر مسائل فيجيبه ، فقدم على مالك مرة فسأله عن مسائله فأجابه . ثم زاد فأجابه ثم قال مالك : لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض.. الآية . قال غيره : كان فتيان يخدم ابن القاسم . قال ابو عمر : كان فيما حكي انه شغب في المناظرة وكانت بينه وبين الشافعي مناظرة . في بيع الحر في الدين . فكان الشافعي يقول يباع وفتيان يقول : لا يباع . فقال فتيان له ان ثبت على هذا فهل بك كيت وكيت . وذكر عن محمد بن عبد الحكم ان فتيان كلم الشافعي في مناظرة وكانت فيه عجلة . فخاطب الشافعي بخطاب أغلظ فيه . ثم افترقا وبعث السري بن الحكم أمير مصر الى الشافعي يستخبره عما بلغه من الأمر ، فيقال ان الشافعي أخبره فضرب السري فتياناً بالسّوط . قال محمد فرأيته والمنادي ينادي عليه : هذا جزاء من سب رسول الله ﷺ ، وفتيان يقول عائذاً بالله من ذلك . وقال ابن وزير حضرتهما جميعاً فتناظرا فيما لا يعجبني اعادته . ثم جرى بينهما الكلام الى ان ذكر الأئمة . فقال فتيان : حدثني مالك أن الإمام لا يكون إماماً أبداً إلا على شرط أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، فانه قال : وليتكم ولست بخيركم . ألا وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه . إلا وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق . انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني . فاحتج الشافعي بأشياء لا أذكرها أبداً . فبلغ ذلك السري ، فضرب فتياناً فوثب اهل المسجد بالشافعي ، فدخل منزله فلم يخرج منه الى ان مات . وقال : قال السري : لو شهد عندي فيه آخر بمثل ما شهد فيه الشافعي لضربت عنقه . قال الطحاوي : وكان ابو زيد ممن حضر مناظرتهما وكانت بينه وبين فتيان منازعة في صدقة البقر . فكان فتيان يقول هي كصدقة الإبل . ويحتج في ذلك باشياء حتى تواثبا . فكان ابو زيد ممن دخل

الى السري مع الشافعي ، فيقال انه شهد عليه وسمع فتيان يقول : الله بيني وبين الشافعي ، أولاً . أحلل الشافعي . قال الدارقطني : اتهم الشافعي في أمر فتيان ، فسئل عن ذلك فقال : والله ما ذكرته قط للسلطان . ولقد سمعت منه ما لو شهدت به عليه لحل دمه . قال غيره : ولعصبيته لمالك وافراطه فيها ، نشأت العداوة بين المالكيين والشافعيين . بمصر ، فثاروا بالشافعي وأرادوا نفيه فضرب له الأمير اجلا فمات فيه . قال الكندي : وتوفي سنة خمس ومائتين ، وولد سنة خمسين ومائة . قال ابن حارث ولد سنة خمس وعشرين ومائة : مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

اسحاق بن الفرات بن الجعد بن سليم

ابو نعيم مولى معاوية بن حُديج الكندي ، قاضي مصر . قال ابن وضاح : كان من أكابر أصحاب مالك ، ولقى أبا يوسف واخذ عنه . قال الكندي : كان فقيهاً . قال الشافعي : ما رأيت بمصر أعلم باختلاف الناس من اسحاق ابن الفرات . (وقال ابراهيم بن عُلَيّة : ما رأيت ببلدكم احداً يحسن العلم إلا اسحاق بن الفرات)[١] . ولي القضاء بمصر سنة اربع وثمانين ومائة فكان شديداً رفيقاً . قال الشافعي : أشرتُ على بعض الولاة ان يولي اسحاق بن الفرات القضاء . وقلت له : انه يتخيّر وهو عالم باختلاف من مضى . قال احمد بن سعيد الهمداني : قرأ علينا اسحاق بن الفرات موطأ مالك من حفظه ، فما اسقط حرفاً فيما اعلم . وصرف عنها صدر سنة خمس وثمانين ، وهو أول من ولي مصر من الموالي . ذكر ذلك كله

---

(١) ساقط من — أ .

ابو عمر الكندي ، قال الكندي : وقال ابن ابي حاتم : اسحاق بن الفرات قاضي مصر يروي عن يحيى بن ايوب ومعاذ بن محمد الانصاري . روى عنه محمد بن عبد الحكم ويحيى بن نصر وعيسى بن احمد العسقلاني . قال ابو حاتم ليس بمشهور . قال العقيلي : لا بأس به . وقال الكوفي : هو ثقة . قال الكندي[1] : وتوفي سنة خمس ويقال اربع ومائتين وولد سنة خمس وثلاثين ومائة .

سليمان بن برد بن نجيح التجيبي مولاهم

ابو الربيع . روى عن مالك الموطأ والفقه وغير ذلك . قال بن حبيب : كان سليمان بن برد من فقهاء مصر ، وعده من طبقاته . قال محمد بن عبد الحكم : الموطأ الذي سمع ابن برد اصح موطأ . وذكره ابو عمر الكندي في كتاب القضاة ، وكتاب الموالي ، فقال : كان مقبولاً عند قضاة مصر . فقال : ولم يرَ في عصر ابن برد اعلم منه بالقضاء وآلته . وكان القائم بأمر عيسى ابن المكندر ايام قضائه بمصر ، فلم يضطرب أمر ابن المكندر حتى مات ابن برد ، وولي عبدالله بن عبد الحكم مسائل ابن المكندر ، وقال مقدام بن داود : ما رأيت أحداً أعلم بالقضاء ورتبته من سليمان . وتوفي سنة عشر ومائتين . وقيل اثنتي عشرة ومائتين . وأورث العلم عقبه بمصر . فلم يزل منهم مقدم للمالكية في كل طبقة على ما يأتي ذكره . وذكر ابن ابي دليم وغيره من رواة مالك سليمان بن برد في الاسكندرانيين . وذكر أبا الربيع سعيد بن سليمان بن برد في المصريين ، ولم يذكره غيره وهو وهم والله أعلم .

---

(١) ساقط من – أ .

يوسف بن عمرو بن يزيد بن يوسف بن خرخسن الفارسي

كذا قيده أبو نصر الحافظ بخاءين معجمتين بينهما راء ساكنة وبعدها سين مهملة ونون ساكنين وقال ابن أبي دليم : خرخسرو ، وجعل مكان النون راء مضمومة بعدها واو . كذلك قاله الكندي . وكنيته أبو يزيد، سمع من مالك وسمع من ابن وهب (وغيره من أصحابه . وكان من فضلاء أصحاب مالك ذا زهد وفضل . قال غيره)[١] وسنّه قريب من سنّ هؤلاء، وفي طبقتهم . ذكره ابن حبيب ، روى عنه ابن عبد الحكم قال سعيد الادم : هو ثقة[٢] صالح . قال الكندي : كان فقيهاً مفتياً احد اوصياء الشافعي ، وكان مصاباً بعينه ، وكانت لحيته قد ملأت صدره . قال الحارث ابن مسكين : كان يوسف لا يقبل جوائز السلطان ، وكان عليه دين ، ولقد مات فما بلغ ما ترك وفاء دينه . قال يوسف : صحبت مالكاً ونحن شباب نتعاطى النحو ، فما أنكرنا لسانه . قال الحارث : كان أشهب أو يوسف بن عمرو ، أكثر ظني انه يوسف ، شك الراوي عنه . قد جعل على نفسه ان أتى احداً من الولاة صدقة خمسين ديناراً وكأنه يأتيهم . ثم ترك ذلك . وسئل محمد بن عبد الحكم عن القراءة بالالحان فقال : مالك يكرهه . ولكن كان أبي ويوسف بن عمر ، وغيرهما في بيت الشافعي ، فقال له بعضهم : اقرأ الراهب . او نحو هذا . فاستبشع أبي تلك الكلمة . وقال يوسف : تعالى فأقرأ : يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ . حكاية الرهبان . قال محمد : احضر لهيعة القاضي أصحابنا للمشاورة فيهم أبي ويوسف بن عمر ، فقال يوسف لا

(١) ساقطة من – أ .
(٢) في – أ – فقيه .

تحضرنا ، ان كان فلان يحضر بمجلسك فليس هو من يرضى . قال أبو الربيع الرشيدي : كان يوسف بن عمر يقول ليحيى بن بكير اذهب بنا الى رشدين ابن سعد ، لعل قلوبنا ترقّ . فيأتونه وبيته بيت رجل صالح . قال أبو الربيع : وسمعت يوسف بن عمر يقول : والله الذي لا إله إلا هو لا تصلح الدنيا لشيء مما خلق الله إلا للزهد فيها . قال محمد بن عبد الحكم : كان أبي والشافعي وابن بكير وجماعة من أصحابنا في منزل يوسف بن عمر ، وفي صنع ، غرس لهم . وكان ثم لهو ودف فما أنكره واحد منهم . قال يونس : مرض يوسف مرضاً شديداً ثم نقه ، فاشتهى رطباً فأتاه به بعض أهله (في السوق)[1] فأكله وغلبت عليه شهوته ، وكأنه قبله لا يأكل شيئاً ، حتى يبحث عن أصله ، فلما فرغ من اكله نام فاستيقظ فازعاً وسأل الذي اشتراه له من أين هو ؟ فقال : لا أدري . إلا اني اشتريته من السوق فوجه ليبحث عنه . فقيل له من رطب حلوان . قال يوسف رأيت في منامي كأني أقيء خنافس وكان والله اعلم في ارض حلوان شيء . وتوفي في صفر سنة خمسين ومائتين مولده سنة خمس ومائة وسيأتي ذكر ابنه بعد هذا ان شاء الله تعالى .

سعيد بن هشام[2] بن صالح المخزومي

بصري نزل الفيوم . قال الحارث بن مسكين : كان من اصحاب مالك . وكان قد تقدم . قال ابن شعبان اسند عن مالك حديث : لا تسبوا الدهر . روى عنه الحارث بن مسكين ، وقال الحارث : قدم مصر قاض عمري كأنه

---

(١) ساقطة من — أ .

(٢) في الاصل هاشم .

شعلة نار . وكان يجلس للناس من صلاة الغداة الى الليل . وكان حسن الطريقة مستقيم الأمر ، وكان ابن وهب واشهب وجميع اهل العلم يحضرون مجلسه . فقال : أعينوني ودلوني على قوم من اهـل البلد استعين بهم ، فمن يرضى ؟ قال سعيد : فكتب إليَّ ان اخلفه بالفيوم ، وأعينه . وكتب إلي اصحابي يسألونني ذلك ويخبرونني بصحة واستقامة أمره ، فأشكل علي الأمر ولم أدر ما اصنع . فسمعت قائلًا لا أراه ويقول : ولا تركنوا الى الذين ظَلَمُوا فتمسَّكُم النَّارُ .. الآية . فقلت لقد بيّن الله لي ووعظت ، وعزمت على ان لا ادخل في شيء ، وكتبت الى اصحابنا ان كفيتموني وإلا انتقلت . فكتب الى بعضهم يعتذر .

سعيد بن الجهم بن قاسم[١]

مولى الحارث بن داخر الاصبحي . ثم السحولي ابو عثمان الجيزي . مسكنهُ الجيزة . ذكره ابو عمر الكندي قال : وكان فقيهاً من اصحاب مالك ، وهو احد اصفياء[٢] الشافعي ، وقبل شهادته قضاة مصر . قال الأمير : هو مقبول القول لا نعلمه أَسْنَدَ إلاَّ حديثاً واحداً . ويروي عن ابن عفير ، والربيع بن سليمان ، روى عنه ابو الربيع الرشديني (في كتاب عباد مصر المصريين[٣] والحارث بن مسكين . قال الكندي : لما اشتهر سعيد بن الجهم عند العمري ، تصدق العمري واعتق فرجا بشهادته . وذكر ابو الربيع الرشديني في كتاب عباد مصر ، المصريين . قال : كان يُرْجَى بعد يوسف

---

(١) بالاصل نافع وكذا في — أ .
(٢) في الاصل اوصياء وكذا في — أ .
(٣) ساقط من الاصل ومن — أ .

ابن عمرو ، وكان من اصحاب مالك . وقد رأيته وجالسته . قال سعيد ابن الجهم : جمع ابو شريح عبد الله بن شريح ، وعمر بن الحارث الصلاة في المسجد ، يعني بمصر ، فقال ابو شريح لعمرو بن الحارث : ما تقول في رجل ورث مالاً حلالاً فأراد ان يخرج من جميعه الى الله زهداً في الدنيا ، (ورغبة فيما عنده ؟ قال : لا يفعل . فقال ابو شريح سبحان الله ، لا يفعل ، لا يزهد في الدنيا[1] . فقال عمرو بن الحارث : ما أدب الله به نبيه افضل من ذلك . قال الله تعالى ، لنبيه ﷺ . ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ .. الآية . ولكن تقدم بعضاً وتمسك بعضا . فقال ابو شريح ما افقهك يا أبا أُمية ، ازهد في الدنيا ، يا أبا أُمية ، فقال عمر[2] وادعو الله لي يا أبا شريح . توفي سنة تسع ومائتين .

ابو مسعود الماضي بن محمد بن مسعود

الغافقي : ويقال ابو يعقوب ، ويقال ابو عبد الملك ، وذكروه في الرواة عنه . وعدوه من القائلين بقوله من علماء مصر ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة.

ابو الحسن علي بن زياد الاسكندراني

من رواة مالك المشهورين ، من اهل الخير والزهد . يعرف بالمحتسب . ولم يشتهر في الفقهاء من اصحابه ، ولكن له رواية عن مالك في الحديث والمسائل . وهو روى عن مالك انكار مسألة وطء النساء في ادبارهن . قال بعض رواة مالك : حضرت علي بن زياد يسأل مالكاً ، فقال عندنا

---

(١) ساقط من — ر — ومن — أ .
(٢) لفظ عمر ساقط من — ر .

يا أبا عبد الله قوم بمصر يحدثون عنك انك تجيزُ وطء النساء في ادبارهن ، فقال مالك : كذبوا عليّ عافاك الله . وقـد ذكرناه في باب علي بن زياد التونسي في الطبقة قبل هذا . وذكرنا أخباره وفضائله هناك .

ومن اهل افريقية أسد بن الفرات بن سنان

مولى بني سليم بن قيس . كنيته ابو عبد الله . قال ابو العرب في طبقاته : وابو علي البصري في مُعرّبِـهِ ، انه من خراسان من نيسابور . قال بعضهم ولد بحرّان من ديار بكر . وقيل بل قدم أبوه وأمه حامل ، وقد كان عَلَّمَ القرآن ببعض القُرَى ، ثم اختلف إلى علي بن زياد بتونس ، فلزمه وتعلم منه وتفقه بفقهه ، ثم رحل الى المشرق ، فجمع من مالك ابن أنس موطأه ، وغيره . ثم ذهب الى العراق فلقي أبا يوسف ومحمد بن الحسن واسد بن عمرو ، وكتب عن يحيي ابن أبي زائده وهشيم ، والحسيب وأبي شريك ، وأبي بكر بن عياش وغيرهم . وأخذ عنه ابو يوسف موطأ مالك . وذكر يحيى بن اسحاق انه قال : أخذه عني محمد بن الحسن ، ولا أدري كيف هذا ، محمد قـد سمع الموطأ من مالك ، وسمع عليه حديثاً كثيراً . قال محمد : أقمت عند مالك ثلاث سنين ، ولا[1] سمعت منه لفظاً أكثر من سبعمائة حديث . قـال اسد : رأَتْ أُمي كأنّ حشيشاً نبت على ظهري ، ترعاه البهائم فعبر لها بأنه علم يحمل عني (والله تعالى أعلم)[2].

---

(١) ساقطة من الاصل – و أ .
(٢) ساقط من – أ – والاصل .

ذكر أخباره في رحلته

قال أسد : لما خرجت من المشرق وأتيت المدينة فقدمت مالكاً ، وكان إذا أصبح خرج آذنه ، فأدخل أهل المدينة ، ثم أهل مصر ، ثم عامة الناس فكنت أدخل معهم . فرأى مالك رغبتي في العلم ، فقال لآذنه : ادخل القروي مع المصريين . فلما كان بعد يومين او ثلاثة قلت له : إن لي صاحبين وقد استوحشت ان ادخل قبلهما فأمر بادخالهما معي . وكان ابن القاسم وغيره يحملني ان[1] اسأل مالكاً ، فاذا اجابني قالوا لي قل له فان كان كذا وكذا ، فضاق علي يوماً وقال هذه سلسلة بنت سلسلة . ان كان[2] كذا كان كذا . ان أردت فعليك بالعراق . فلما ودعته حين خروجي الى العراق ، دخلت عليه وصاحبان لي ، وهما حارث التميمي وغالب صهر أسد . فقلنا له : اوصنا . فقال لي اوصيك بتقوى الله العظيم والقرآن ومناصحة هذه الأمة (خيراً)[3] . فراسة من مالك فيه . فولي أسد بعدها القضاء . وقال لصاحبي أوصيكما بتقوى الله والقرآن ونشر هذا العلم . قال سليمان بن خالد : لما سمع أسد الموطأ عن مالك قال له : زدني سماعاً . قال حسبك ما للناس . وكان مالك اذا تكلم بمسألة كتبها أصحابه فرأى أسد أمراً يطول فرحل الى العراق ، وقال : فلما أتيت الكوفة ، أتيت أبا يوسف ، فوجدته جالساً ومعه شاب وهو يملي عليه مسألة . فلما

(١) ساقطة من الاصل .
(٢) كان ساقط من — ر .
(٣) ساقط — ر .

فرغ منها قال ليت شعري ما يقول فيها مالك ؟ قلت كذا وكذا . فنظر إليّ ، فلما كان في اليوم الثاني كان مثل ذلك ، وفي الثالث مثله ، فلما افترق الناس دعاني ، وقال ، من أين أنت ومن أين أقبلت ؟ قال فأخبرته . قال وما تطلب ؟ قلت ما ينفعني الله به . فعطف عليّ الشاب الجالس ، فقال ضمه اليك ، لعل الله ينفعك به في الدنيا والآخرة . فخرجت معه الى داره ، فاذا هو محمد بن الحسن . فلزمته حتى كنت من المناظرين من أصحابه . قال أسد : قلت لمحمد بن الحسن أنا غريب والسماع منك قليل . قال اسمع العراقيين بالنهار وجئني بالليل وحدك تبيت معي ، فأسمعك . فكان إذا رآني نعست نضح وجهي بالماء . ورآني يوماً أشرب ماء السبيل فقال لي ، تشربه ؟ فقلت له أنا ابن سبيل . فلما كان الليل بعث إليّ بثمانين ديناراً . وقال ما عرفت انك ابن سبيل ، إلا الآن . فلما أراد الانصراف الى افريقية لم يكن عنده ما يتحمل به ، فذكر ذلك لمحمد بن الحسن ، فقال له ، أذكر شأنك لولي العهد . فلقيه ابن الحسن وذاكره أمره ثم قال لأسد ، قف بالحاجب يوم كذا يدخلك عليه ، واعلم انك حيث تنزل نفسك انزلوك . فمضى أسد واستأذن ، فأذن له فدخل حتى انتهى الى موضع أمر بالجلوس فيه ، ومضى الخادم الذي ادخله ، فجاء بمائدة مغطاة فجعلها بين يديه قال أسد ففكرت وقلت ما أرى هذا إلا منقصة . وقلت للخادم ، هذا الذي جئتني به منك أو من مولاك . قال مولاي أمرني به . قلت : مولاك لا يرضى بهذا يأكل ضيفه دونه . يا غلام هذا برّ منك وجبت مكافأتك عليه . وكانت في جيبي أربعون درهماً لم يبق معي سواها فدفعتها الى الخادم ، وقلت له ارفع مائدتك . ففعل وعرّف مولاه . فبلغني انه قال حر والذي لا إله إلا هو . ثم قال الخادم ادخل . فدخلت عليه . وهو على سرير ومعلمه على آخر ، وسرير ثالث . قال فأمرني بالجلوس عليه ،

فجلست . وجعل يسائلني[١] وأجيبه ، فلما قرب انصرافي كتب رقعة وختمها ودفعها إليّ وقال قف بهذا الى صاحب الديوان وتعود إليّ . فأخذت الرقعة وحضرتها[٢] . ولقيت محمداً من الغد فسألني ، فأعلمته . فقال لي أوصل الساعة الرقعة . ففعلت . فدفع إليّ صاحب الديوان عشرة آلاف درهم ، فأعلمت محمد بن الحسن فقال لي إن عدت الى القوم صرت لهم خادماً ، وفيم[٣] أخذت عون لك . قال أسد ، ورغب إليّ محمد أن أزامله الى مكة . فكأني كرهت هذا . فقال لي أصحابه وددنا لو اشترينا هذا منه بعشرة آلاف درهم ، فزاملته . فكنت أسأله عما أريد ، وربما سألته وهو في الصلاة ، فيمهد بالقراءة يعلمني انه يصلي ، فأقول : تشغل عني بالصلاة وقد قطعت البلاد اليك . فيقطع ويجيبني . قال محمد بن الحارث وأبو اسحاق الشيرازي ويحيى بن اسحاق وبعضهم يزيد على بعض ، رحل أسد الى العراق فتفقه بأصحاب أبي حنيفة . ثم نعي مالك فارتجّت[٤] العراق لموته . (قال أسد فوالله ما بالعراق حلقة إلا وذكر مالك فيها . كلهم يقول مالك ، مالك . إنا لله وإنا اليه راجعون)[٥] . قال أسد فلما رأيت شدة وجدهم واجتماعهم على ذلك ذكرته لمحمد بن الحسن ، وهو المنظور فيهم . وقلت له لأختبره ما كثرة ذكركم لمالك ، على انه يخالفكم كثيراً . فالتفت إليّ وقال لي اسكت . كان والله أمير المؤمنين في الآثار . فندم أسد على ما فاته وجمع أمره على الانتقال الى مذهبه . فقدم مصر[٦] ولم يذكر أبو اسحاق

---

(١) بالاصل يسألني . وكذا في – أ .
(٢) بالأصل وحقرتها .
(٣) كذا في – ر – في الأصل فيا .
(٤) بالأصل ارتحت .
(٥) ساقط من – ر .
(٦) ساقطة بالأصل .

أسداً فيمن أخذ عن مالك ولا ان له عنه سماعاً ، وانما ذكره في اتباع اصحابه . وأرى انه لم يبلغه ذلك وإلا فأخذه عنه صحيح مشهور . قال ابن الحارث : فقال اسد عن[1] ذلك : ان كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم اصحابه . والله تعالى أعلم .

ذكر الكتب الاسدية والمدونة

قال ابو اسحاق الشيرازي : لما قدم اسد مصر أتى الى ابن وهب وقال هذه كتب أبي حنيفة ، وسأله ان يجيب فيها على مذهب مالك . فتورع ابن وهب وأبى . فذهب الى ابن القاسم فأجابه الى ما طلب . فأجابه فيما حفظ عن مالك بقوله . وفيما شك قال : أخال واحسب وأظن به ، ومنها ما قال فيه ، سمعته يقول في مسألة كذا وكذا . ومسألتك مثله ، ومنه ما قال فيه باجتهاده على اصل[2] قول مالك ، وتسمى تلك الكتب الاسدية . قال ابو زرعة الرازي : كان اسد قد سأل عنها محمد بن الحسن . قال اسد : فكنت أكتب الاسئلة بالليل في قنداق من اسئلة العراقيين على قياس قول مالك . (واغدو عليه بها ، فأسأله عنها . فربما اختلفنا فتناظرنا على قياس قول مالك)[3] فيها . فارجع الى قوله او يرجع الى قولي . قال : وقال لي ابن القاسم : كنت اختم في اليوم والليلة ختمين فقد نزلت لك عن واحدة رغبة في احياء العلم . قال : ولما أردت الخروج الى افريقية دفع إليّ ابن القاسم سماعه من مالك . وقال لي ربما أجبتك وأنا على شغل . ولكن أنظر

---

(١) في الاصل عند وكذا في – أ .
(٢) ساقطة – ر .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقطة من – ر .

في هذا الكتاب فما خالفه مما أجبتك فيه ، فاسقطه . ورغب إلي اهل مصر في هذه الكتب فكتبوها مني . قال : وهي الكتب المدونة وأنا دونتها . وأخذ الناس عن ابن القاسم تلك الكتب . وقال سليمان بن سالم : ان أسدا لما دخل مصر اجتمع مع عبد الله بن وهب ، فسأله عن مسألة فأجابه بالرواية . فأراد ان يدخل عليه ، فقال له ابن وهب : حسبك إذ أدَّيْنَا إليك الرواية . ثم أتى الى اشهب فأجابه . فقال له من يقول هذا : قال اشهب . هذا قولي . فدار بيننا كلام فقال عبد الله بن عبد الحكم لأسد : كذا[1] مالك . ولهذا أجابك بجوابه . فان شئت فأقبل وان شئت فأترك . فرجع الى ابن القاسم فسأله ، فأجابه . (فادخل عليه ، فأجابه حتى انقطع اسد في السؤال . فقال له ابن القاسم (كذا . ازياد)[2] مغربي . وقال له من أين أقبلت[3] ؟ حتى أتبين لك . فقام اسد في المسجد على قدميه ، وقال : معاشر الناس ، ان كان مات مالك ، فهذا مالك . فكان يسأله كل يوم ، حتى دون عنه ستين كتاباً ، وهي الاسدية . قال وطلبها منه اهل مصر ، فأبى اسد عليهم ، فقدموه الى القاضي ، فقال لهم[4] : أي سبيل لكم عليه ! رجل سأل رجلًا فأجابه وهو بين اظهركم فاسألوه كما سأله . فرغبوا الى القاضي في سؤاله قضاء حاجتهم في نسخها ، فسأله ، فأجابه ، فنسخوها ، حتى فرغوا منها وأتى بها أسد الى القيروان ، (فكتبها الناس . قال ابن[5] سحنون : وحملت لأسد بتلك الكتب في القيروان) — رياسة . قال غيره : وأنكر عليه الناس إذ

---

(١) ساقطة بالاصل .
(٢) كذا ب — ر — وبالاصل و — أ — زد يا مغربي .
(٣) بالاصل قلت ، ساقطة من — أ .
(٤) ساقطة من — ر .
(٥) ساقطة من — ر .

جاء بهذه الكتب ، وقالوا أجئتنا بأخال وأظن وأحسب ، وتركت الآثار وما عليه السلف . فقال : أما علمتم ان قول السلف هو رأي لهم وأثر لمن بعدهم ، ولقد كنت أسأل ابن القاسم عن مسألة فيجيبني فيها ، فأقول له : هو قول مالك ؟ فيقول : كذا إخال وأرى وكان (وربما)[١] . ورَعاً يكره أن يهجم على الجواب . قال : والناس يتكلمون في هذه المسائل ، ومنعها أسد من سحنون ، فتلطف سحنون حتى وصلت اليه . ثم ارتحل سحنون بالأسدية الى ابن القاسم يعرضها عليه . فقال له ابن القاسم فيها شيء لا بد من تفسيره[٢] ، وأجاب عما كان يشك فيه ، واستدرك فيها أشياء كثيرة ، لأنه كان أملاها على أسد من حفظه . قال ابن الحارث : رحل سحنون الى ابن القاسم وقد تفقه في علم مالك . فكاشف ابن القاسم عن هذه الكتب مكاشفةَ فقيه[٣] يفهم ، فهذبها مع سحنون ، وحكي ان سحنون لما ورد على ابن القاسم سأله عن أسد فأخبره بما انتشر من علمه في الآفاق، فسرّ بذلك . ثم سأله واحله ابن القاسم من نفسه بمحل ، وقال له سحنون: اريد ان اسمع منك كتب اسد فاستخار الله وسمعها عليه . وأسقط منها ما كان يشك فيه من قول مالك ، وأجابه فيه على رأيه . وكتب الى أسد ان عارض كتبك على كتب[٤] سحنون فاني رجعت عن أشياء مما رويتها عني . فغضب أسد وقال : قل لابن القاسم انا صيّرتك ابن القاسم ، ارجع عما اتفقنا عليه الى ما رجعت انت الآن عنه . فترك اسد سماعها وذكر ان بعض اصحاب اسد دخل عليه وهو يبكي ، فسأله . فأخبره بالقصة .

---

(١) ساقطة بالأصل و — أ .
(٢) بالاصل تغييره وكذا في — أ .
(٣) بالاصل فقهية .
(٤) بالاصل يكتب .

وقال اعرض كتبي على كتبه وأنا ربيته ؟ فقال له هذا : وأنت الذي نوهت لابن القاسم ، فقال له لا تفعل . لو رأيته لم تقل هذا . وذكر ان اسداً همّ باصلاحها ، فرده عن ذلك بعض أصحابه ، وقال لا[1] تضع قدرك تصلح كتبك من كتبه وأنت بمعتها قبله ؟ فترك ذلك . وذكر ان ذلك بلغ ابن القاسم ، فقال : اللهم لا تبارك في الاسدية . قال الشيرازي فهي مرفوضة الى اليوم . قال الشيرازي : واقتصر الناس على التفقه في كتب سحنون ، ونظر سحنون فيها نظراً آخر فهذبها ، وبوّبها ودوّنها ، وألحق فيها من خلاف كبار أصحاب مالك ما اختار ذكره ، وذيّل أبوابها بالحديث والآثار ، إلا كتباً منها مفرقة ، بقيت على أصل اختلاطها في السماع ، فهذه هي كتب سحنون المدونة والمختلطة . وهي أصل المذهب المرجح روايتها على غيرها ، عند المغاربة ، وإياها اختصر مختصروهم وشرح شارحوهم ، وبها مناظرتهم ومذاكرتهم ، ونسيت الاسدية فلا ذكر لها الآن وكان لمحمد بن عبد الحكم فيها اختصار ، ولأبي زيد بن أبي الغمر فيها اختصار ، وللبرقي فيها اختصار ، وهو الذي كان صححها على ابن القاسم ، وعليها كان مدار أهل مصر . قال أحمد بن خالد : كان واضع كلام ابن القاسم – يريد الأسدية – رجل من أهل مصر ، يقال له الأحدب . فأخذها سحنون ودوّنها ، وأدخل فيها الآثار . قال سحنون : عليكم بالمدونة فانها كلام رجل صالح ، وروايته : وكان يقول انما المدونة من العلم بمنزلة ام القرآن من القرآن . تجزي في الصلاة عن غيرها ، ولا تجزي غيرها عنها . افرغ الرجال فيها عقولهم ، وشرحوها وبينوها فما اعتكف احد على المدونة ودارسها[2] إلا عرف ذلك

---

(١) ساقطة من – ر .

(٢) بالأصل دراستها وكذا في – أ .

في ورعه، وزهده، وما عداها أحد الى غيرها إلا عرف ذلك فيه، ولو[١] عاش عبد الرحمان أبدا ما رأيتموني أبداً . قال محمد بن عبد الحكم : جاء ابن وهب الى أبي، بعد موت[٢] ابن القاسم، فقال (له : تبرأ) — ابن القاسم في قبره . لا ترو عنه شيئاً من كتبه . يعني الأسدية . فما رأى[٣] أبي فيها[٤] شيئاً إلا مثل المسألة والمسألتين على سبيل المذاكرة . ومال أسد بعد هذا الى كتب أبي حنيفة، فرواها وسمعها منه اكثر الكوفيين يومئذ، ومال اليهم . ولما أحرق عباس الفارسي كتب المدونة وغيرها من كتب المدنيين (ضربه أسد)[٥] دوراً . فعنته رجل في ذلك، فقال : إنما أنجيته بضربي هذا من القتل بين يدي — الأمير لحرقه كتباً فيها العلم، وفيها ذكر الله تعالى . فقلت : أيها الأمير دعني اضربه وأشهره، فهو أبلغ له، فاستنقذته بذلك من القتل . وكان عباس هذا محدثاً يبغض أهل الفقه، والرأي، ويقع في أسد وابن القاسم . فيقال ان ابن القاسم دعا الله عليه أن يمنحه[٦] في بلده وأنه تشكى منه لأسد .

ذكر مكان أسد من العلم والفضل والسنة

قال أبو العرب : كان أسد ثقة، لم يرم ببدعة . قال بكر بن حماد : قلت لسحنون : يقولون ان اسداً قال بخلق القرآن . فقال : والله ما قاله.

---

(١) بالاصل لولا .
(٢) ساقطة من — ر .
(٣) بالاصل روى .
(٤) بالاصل منها .
(٥) ساقط بالاصل — . زيادة من — أ — . كذا في — ر — والاصل وفي — أ — فيه أمر فيه
(٦) أ — يشهره .

قال داود بن يحيى : رأيت أسداً يعرض التفسير فتلا هذه الآية : َفاسْتَمِـعْ لِمَا يُوحى إنَّني أَنا اللهُ (لا إله إلاَّ أنا َفاعْبُدْني)[١] . فقال أسد : ويح أهل البدع ، هلكت هوالكهم ، يزعمون ان الله خلق كلاماً يقول ذلك الكلام (المخلوق)[٢] . إنـَّني أَنا اللهُ .. الآية . قال يحيى بن سلام : حدث أسد يوماً بحديث الدومة ، وسليمان البراء المعتزلي في آخر المجلس ، فأنكر . فسمع أسد فقام اليه وجمع بين طوقيه ولحيته واستقبله بنعله ، فضربه حتى أدماه وطرده من مجلسه ، وقيل بل كان يقرأ عليه في تفسير المسيب بن شريك : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ (ناضِرَةٌ إلى رَبِّها)[٣] ناظِرَةٌ . وسليمان حاضر ، فقال : من الانتظار ، يا أبا عبدالله . فأخـذ أسد بتلابيبه ونعـلاً غليظة بيده الأخرى ، وقال : يا زنديق لتقولنها أو لا : تبصر بها عينيك . فقال سليمان : نعم ، تنظر . قال سليمان بن عمران : سمع أسد بن هشيم اثني عشر الف حديث . وقـال : سمعت من ابن أبي زائـدة عشرين الف حديث . وقال ربما رأيت أسداً يدق صدره ويقول : واحسرتا إن مت ليدخلن القبر مني علم عظيم . قال : وبسبب أسد ظهر العلم بافريقية . قال غيره : كان أسد أعلم العراقيين بالقيروان كافة . ومذهبه السنة لا يعرف غيرها . قال : ولما قدم أسد القيروان سمع منه علماؤها ووجوهها سحنون ابن سعيد وأمثاله من المدنيين ، وأصحابه المعروفون به ، كعمرو بن وهب وسليمان بن عمران وبني قادم ، وابن المنهال ، وسائر الكوفيين سمعوا منه كتب أبي حنيفة . وكان أسد إذا سرد أقوال العراقيين يقول له مشائخ

---

(١) زيادة من — أ .
(٢) ساقطة من — ر .
(٣) ساقط من — أ .

المدنيين : أوقد القنديل الثاني يا أبا عبدالله . فيسرد أقوال[١] المدنيين . قال أسد : بعث إليّ ابن غانم يشاورني ، فأجبته . فقال بعدما خرجت : ما أحب أن أشاور في هذا البلد غير هذا الفتى . وكان أسد إذا جاء باب ابن غانم فقرعه ، فقيل : من ؟ قال : أسد الفقيه . فيقول ابن غانم : صدق . (يشاورني فأجبته . فقال بعدما خرجت : ما أحب أن أشاوره)[٢] . قال عمران بن أبي محرز : جاءنا موت أسد فاستعظمه أبي ، وقال : اليوم مات العلم . قال أسد : كان مالك يقول من بنى أو غرس في أرض بينه وبين قوم مشاعة ، فللشركاء عوض ذلك في الارض ، إن كان بقي منها عوض . ثم رجع مالك فقال : يقول أهل العراق ان الأرض تقسم ، فان صار الغرس في نصيب غارسه كان له ، وإن صار في نصيب غيره قيل للغارس ارفع غرسك . واستفتى زيادة الله أمير افريقية ، أسداً وأبا محرز الكوفي وزكريا ابن الحكم في زنديق . فقال أبو محرز وأسد : يستتاب ، فان تاب وإلا قتل ، وقال (أبو)[٣] زكريا : قد روى أهل العلم انه إن كان مظهراً للاسلام ثم أطلع بعد ذلك لم تقبل له توبة ، قال أبو محرز : فاعطه السيف يقتله . قال زكريا : إنما رويت هذا ، ولا آخذ به . فقال أبو محرز : يا أحمق ، فتُجري هذا على قتله ، وأنت لا تأخذ به . قال أسد : لو قتل بعد التوبة كان عندي شهيداً . وكان أسد لا يرى في التعريض[٤] الحد ، ويقول بتحريم النبيذ . وسأله رجل عن الحديث عن النبي ﷺ : لا يكون الرجل مؤمناً حتى اكون احب اليه من نفسه وولده وأهله وماله والناس اجمعين . وقال

---

(١) بالاصل أقاويل .
(٢) ساقط من الاصل و – أ .
(٣) ساقطة من – أ .
(٤) بالاصل التعرض .

له : اخاف ان لا اكون كذلك . فقال له : ارأيت لو كان النبي ﷺ بين اظهرنا ، فقرب ليقتل اكنت تفديه بنفسك ؟ قال : نعم . وبأهلك وولدك ؟ قال : نعم . فقال : لا بأس . فقال له الرجل : فرّجتها عني فرج الله عنك .

ولاية أسد القضاء والامارة

ولى زيادة الله أسداً القضاء شريكاً لأبي محرز الكناني ، سنة ثلاث او اربع ومائتين . فاشتركا في القضاء . وكان ما بينهما غير جميل ، فكان اسد اغزرهما علماً وفقهاً ، وأبو محرز اسدهما رأياً ، واكثرهما صواباً . قام قاضياً الى ان خرج الى صقلية ، سنة اثنتي عشرة والياً على جيشها . وكان على علمه وفقهه احد الشجعان . فخرج اسد في عشرة آلاف رجل منهم تسعمائة فارس، وكان سبب غزوه صقلية انهم كانوا معه في هدنة ، وكان في شرطهم ان من دخل اليهم من المسلمين وأراد ان يرد بعضهم[1] رده ، فرجع الى زيادة الله ان عندهم اسرى ، فجاء رسل طاغيتها ، فجمع زيادة الله العلماء وسألهم عن الأمر ، فقال أبو محرز : يستأنى حتى يتبين . وقال أسد : يسأل رسلهم عن ذلك ، فقال أبو محرز : كيف يقبل قولهم عليهم . فقال أسد : بالرسل[2] هادناهم وبهم نجعلهم ناقضين . قال الله تعالى : فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ . فنحن الأعلون . فسأل الرسل ، فاعترفوا انهم في دينهم لا يَحِلُّ لهم ردهم . فأمر زيادة الله بالغزو اليها . فقال أسد

---

(١) بالاصل فعليهم وكذا في – أ .
(٢) بالاصل الرسول .

إذ ذاك لزيادة الله[١] : من بعد[٢] القضاء ، والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة ؟ فقال : لا ، ولكني وليتك الإمرة ، وهي أشرف ، وأبقيت لك اسم القضاء . فأنت أمير ، قاض ، فخرج الى صقلية وظفر بكثير منها وتوفي وهو محاصر سرقوسة منها . وكان ايضاً قد غزا سردانية ، فأشرف على فتحها ، وحسده بعض من كان معه ، فانهزم . وبلغ ذلك الأمير . فقال له : بلغني كذا . فهمّ لي من فعل ذلك معه ، فلم يفعل . ولما خرج اسد الى سوسة ليتوجه منها الى صقلية ، خرج معه وجوه أهل العلم والناس يشيعونه ، وأمر زيادة ان لا يبقى احد من رجاله إلا شيعه . فلما نظر الناس حوله من كل جهة ، وقد صهلت الخيل وضربت الطبول وخفقت البنود ، قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والله يا معشر المسلمين[٣] ما ولي لي اب ، ولا جدّ ولا رأي احد الناس[٤] من سلفي ، مثل هذا . ولا بلغتُ ما ترون إلا بالأقلام فاجتهدوا انفسكم فيها ، وثابروا على تدوين العلم ، تنالوا به الدنيا والآخرة . وحكى سليمان بن سالم ان اسداً لقي ملك صقلية في مائة الف وخمسين الفاً . قال الراوي فرأيت اسداً وفي يده اللواء (وهو يزمزم وأقبل على قراءة يس ، ثم حرّض الناس ، وحمل وحملوا معه ، فهزم الله جموع النصارى ، ورأيت اسداً وقد سالت الدماء على قناة اللواء)[٥] حتى صار تحت إبطه ، ولقد رد يده في بعض تلك الأيام فلم يستطع مما اجتمع من الدم تحت إبطه (والله تعالى أعلم)[٦] .

---

(١) ساقط من – ر .
(٢) بالاصل بعد وكذا في – أ .
(٣) بالاصل الناس .
(٤) بالاصل من سلفي .
(٥) ساقط في – أ .
(٦) بالاصل وبالله التوفيق .

بقية أخباره ووفاته

قال عبد الرحيم الزاهد : قلت لأسد لما قدم علينا بكتب اهل المدينة واهل العراق : أي القولين (تأمرني)[١] اتبع واسمعه منك ؟ فقال لي : ان أردت الله والدار الآخرة فعليك بقول مالك ، وان أردت الدنيا ، فعليك بقول اهل العراق . وقال ابن حارث فكان هذا الرجل بعد يطعن على اسد بهذه القصة . وكان يقول الحق عنده في مذهب مالك . وكان يفتي بغيره . ولما غلب عمران بن مجاهد[٢] على القيروان ، بعث الى اسد ان اخرج معنا ، فتمارض ولزم بيته ، فبعث إليه : إن لم تخرج معي وإلا بعثت إليك من يجر برجلك . فقال للرسول : لئن اخرجتني لأنادين القاتل والمقتول في النار . فلما سمع ذلك تركه . قال بعضهم : بعث الأمير الى أبي محرز واسد ، وهما قاضياه فأقبل اسد ، فاذا ابو محرز ينتظره مع بعض الرسل ، فقال كيف اصبحت أبا محرز ؟ فلم يرد عليه شيئاً ، وصار الى الأمير ، فأجلس أبا محرز عن يمينه واسدا عن شماله ، ثم دفع صكاً الى اسد ليقرأه ، فلم يقرأ ، باسم الله الرحمان الرحيم . فقال له أبو محرز : اخطأت . فقال اسد أيها الأمير لقيته فسلمت عليه فلم يرد علي السلام ، ولم اقرأ إلا كلمتين فقال لي اخطأت . فنظر زيادة الله إليه ، فقال ابو محرز : ما سلّم علي ولو سلّم علي لرددت عليه ، وانما قال : كيف اصبحت ؟ واصبحت مغموماً فلو اخبرته لسررته . ثم دخل عليهم رجل فذكر للأمير انه رأى كأن جبرائيل هبط من السماء ، ومعه نور حتى وقف بين يديك وصافحك . وفي رواية وقبل يدك ، فابتسم

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالاصل مجالد وكذا في — أ .

زيادة الله ، وقال : هذا عدل يجريه الله على يدي . فقال اسد كذب الشيخ أيها الأمير ، فغضب الأمير ونظر الى أبي محرز كالمحرك له ، ليعلم[١] ما بينهما . فقال ابو محرز : صدق اسد وكذب الشيخ . لأن جبريل لا ينزل بوحي إلا على نبي ، وقد انقطع الوحي . وهذا وأمثاله يأتونكم بمثل هذا طلباً للدنيا[٢] ، فاتق الله . فسكت الأمير وخرجا . فجزى اسد أبا محرز خيراً فقال له : لله فعلت ذلك لا لك . وكانا على تباعدهما لا يستحل احدهما من صاحبه ما لا يحل . ولم يكن عند اسد عربية ، وكان صاحبه معرباً قليل الكلام . وقيل له : ما هذا الذي يقول الناس في أمر أبي بكر وعلي . فقال : والله ما يخفى علينا من يستحق الولاية بعد والينا وقاضينا . فكيف يخفى على اصحاب محمد ﷺ من يستحق الأمر بعد نبيهم عليه الصلاة والسلام . ولما قدم[٣] منصور على ابن الاغلب ودنا من القيروان ، خرج إليه اسد وابو محرز وهما قاضيان ، وكان من قوله لهما اخرجا معنا ، اما تعلمان ان هذا أظلم المسلمين . فقال ابو محرز : وقد خاف منه . نعم ، واليهود والنصارى . واما اسد فقال : قد كنتم أعوان له وأنتم وهو على مثل هذا الحال . قال اسد : لما انصرفت من العراق الى مصر ، قصدت اشهب واعتمدت عليه ، وكان في خلقه ضيق ، وكان علمه (خيراً)[٤] من دينه ، فذكر يوماً أبا حنيفة ، فأزرى عليه ، ثم فعل بمالك مثل ذلك ، فنهضت إليه وقلت له : يا أشهب . فأخذ الطلبة بثوبي واقعدوني وقالوا : ما أردت ان تقول له ؟ قال : أقول إنما مثلك ومثلهما مثل من بال بين بحرين ، فرغى بوله فقال : هذا بحر ثالث .

---

(١) في الاصل لما يعلم وكذا في – أ .
(٢) بالاصل دنياك وكذا في – أ .
(٣) بالاصل وأقام .
(٤) ساقطة من – ر .

قال فتركته . ومات ابن القاسم فخير لي ، وكان أورع منه . وكان اسد يقول : أنا اسد ، وهو خير الوحوش ، وأبي فرات وهو خير المياه[١] ، وجدي سنان وهو خير السلاح . وكانت وفاة اسد في حصار سرقوسة ، من غزوة صقلية ، وهو أمير الجيش وقاضيه . سنة ثلاث عشر ومائتين . وقيل اربع عشرة ، وقيل سبع عشرة . وقبره ومسجده بصقلية . مولده سنة خمس وأربعين ومائة ، بحران ويقال سنة ثلاث ويقال سنة اثنتين وأربعين وكان قدومه من المشرق ، سنة احدى وثمانين ومائة .

عبد الله بن أبي حسان اليحصبي

من انفسهم[٢] واسم ابي حسان فيما قاله ابو العرب وغير واحد : يزيد بن عبد الرحمان . وقال ابن سحنون : اسمه عبد الرحمان . ويقال عبد الرحمان ابن يزيد . قال ابو علي بن ابي سعيد في كتابه : هو من اشراف افريقية ، بشرف ابيه وبيته وفقهه وأدبه . وكان يسكن بالقيروان بحارة يحصب المنسوبة اليهم . وأبوه من عربها البلديين من انفسهم . وله في حرب البرابرة بلاء حسن ، وولي الأريس ، قال ابو العرب : ورحل الى مالك فكان عنده مكرماً ، وسمع من ابن ابي ذئب وابن عيينة وابن انعم ، وكان ثقة . ولم يطعن بشيء إلا بهفوة كانت منه عند زيادة الله فيما حكي ، والله اعلم بها[٣] . وروى عنه سحنون بن سعيد ، وفرات وسليمان ومحمد بن وضاح . قال ابن أبي حسان : لما أتيت مالكاً وجدته قد ارتفع ، وباب داره مغلق ،

---

(١) بالاصل الا مياه .
(٢) ساقطة من — ر .
(٣) بها ساقطة من — ر .

فقرعت الباب فخرجت إلي جارية صفراء ، فقالت : من أهل المسائل أنت أم من اهل الحوائج ؟ قلت غريب أتيته قاصداً . فقالت : ليس (هذا)[١] وقتك . ادخل السقيفة . فدخلت فلما كان وقت خروجه ، فتحت الباب ووصف صورة المجلس ، ثم خرج مالك بين تلك الجارية وفتى ، تخط رجلاه الارض كبراً . كأني أنظر الى جماله وبهائه وشعر رأسه قد تعقف جعوده ، فلما استوى جالساً عم بسلامه ، فردّوا عليه . فقمت فسلمت عليه ، ودفعت إليه كتاب ابن غانم ، فقال لي : صاحبك على القضاء . قلتُ نعم . قال : ما ذاك بخير له . ثم قرىء عليه ، فقال للقوم : هذا كتاب أتاني من هذا الرجل ، يخبرني عن حاله في بلده وقدره ، وقد قال عليه السلام : إذا أتاكم كريم[٢] قوم فأكرموه . فقمت بين يديه ، فأوسع لي رجل منهم ، فجلست . فذكروا العلم . فقال : لا يؤخذ العلم إلا عن الموثوق بهم في دينهم . ثم جلس يسأل ، وأنا قاعد . فربما قال : العلم أوسع من ذلك . فسئل وأنا قاعد عن خمس وعشرين مسألة . فما أجاب إلا في اثنتين . وقال لا حول ولا قوة إلا بالله . واختلفت إليه فلم يزل لي مكرماً رحمه الله تعالى . وكان قد جعل لرجل ثلاثة دراهم كل يوم ، يأخذ له مجلساً يجلس فيه عند مالك . فاذا جاء ابن أبي حسان قام له الرجل ، فجلس فيه . وكان ابن ابي حسان إذا جاء مجلس ابن عيينة قال اصحابه : جاءكم السؤوم لميل سفيان اليه ، وحديثه معه . قال ابن ابي حسان : سمعت مالكاً يقول : اهل الذكاء والذهن والعقول من اهل الأمصار ثلاثة ، المدينة ثم الكوفة ثم القيروان . قال ابن وهب : ما رأيت مالكاً اميل الى احد منه لابن ابي حسان .

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) في الاصل و — أ — عميد .

ذكر علمه وفضله وبقية أخباره

قال سحنون : كنت اول طلبي اذا تعلقت على مسألة من الفقه ، آتي ابن ابي حسان . فكأنما في يده مفتاح لما انغلق . وجاء رجل الى ابن وهب فأخبره بموت ابن غانم فاسترجع ابن وهب ، فقال له من ولي بعده : قال أبو محرز : قال ما اعرفه . فأين ابن ابي حسان ، فوالله ما رأيت مالكاً اميل الى احد منه (اليه)[1] . قال ابو علي البصري : كان عبد الله بن ابي حسان غاية في الفقه بمذهب مالك . حسن البيان عالماً بأيام العرب وأنسابها ، راوية للشعر ، قائلاً له . وعنه اخذ الناس اخبار افريقية وحروبها . روى ذلك عن ابيه (وكان جواداً . قال المالكي)[2] وكان مفوهاً قوياً على المناظرة ذاباً عن السنة متبعاً لمذهب مالك ، شديداً على اهل البدع ، قليل الهيبة للملوك ، لا يخاف في الله لومة لائم . دخل مرة على الأغلب فاذا الجعفري والعنبري يتناظران في القرآن ، فقال الجعفري : هذا شيخنا ابو محمد يعينني عليكم . فقال ابن ابي حسان للعنبري ما أنت وذا ؟ هذا بحر عميق ، عليك بكذا كذا . فقال : ان كان معه ابو محمد فهذا الامير معي . فقال ابن ابي حسان ما للملوك والكلام في الدين . فأحفظ ذلك الأغلب . ثم قال : من اتى السلطان فهو مثله . فقال ابن ابي حسان إنما اتاكم الآتي، لأنكم خير ممن هو شر منكم ، ولو أتى من هو شر[3] منكم اتاه الناس ، ولم يأتوكم . وجاء رجل الى ابن ابي حسان فأعلمه : ان داره تهدمت ، وشاوره في بنيانها ، ومن يبني عنده ، فدفع ابن ابي حسان اليه ثلاثين ديناراً ، وقال

(١) ساقطة من — ر .
(٢) ساقط من — أ .
(٣) بالاصل خير وكذا في — أ .

استعن بها على بنائك . فقال له بعض ولده : أتاك يشاورك فأعطيته . قال لست ببناء وإنما تعرض لمعروفي . ولما ثار الجند على زيادة الله أغاروا على منازل ابن أبي حسان ، وانتهبوها وطلبوه فاستخفى ، وكان سيء الرأي فيهم، فقال شعراً منه :

أباح طغام الجنـــد جهلا حريمنا وشقوا عصا الاسلام من كل جانب
وعاشوا وثاروا في البلاد سفاهة وظنوا بأن الله غير معاقب
وما عجب بعض الأعاجم ضلّة نزارا وقحطان الكرام المناسب
ولكن من قوم إلينا اعتزاؤهم[١] فبغضاؤهم فيها[٢] لاحدى العجائب

ولما اشتد طلبهم له لجأ ابن أبي حسان الى من بالسّوس من قومه يحصب، من جملة الجند الثائرين . ومتّ إليهم بالنّسب واستجار بهم ، فأجاروه ، وأمنوه . فلما ظفر زيادة الله بعد بالقيروان ، جمع العلماء فسألهم في حال الجند القائمين عليه ، فعرّفوه ما في العفو ، ورغبوه فيه . فقال ابن أبي حسان : العفو مفسدة ، ولن يلدغ المؤمن من جحر مرتين . ويقال بل أنشد :

من لم يؤدبه الجميل ففي عقوبته صلاحه

فقال ابو محرز القاضي ، وقال غيره : العفو أقرب للتّقْوى . وقال لابن أبي حسان : من اجل شويهاتك او رمنكاتك[٣] ، تستحل دماء المسلمين . ووجد هؤلاء الكوفيون أعداؤه السبيل الى التشنيع عليه ، عند الجند والعامة بهذه الكلمة . فحفظت عليه وسقط بها . وقيل وعمد كل من سمع منه علما

---

(١) في – أ – اعترائهم
(٢) بالاصل فينا وكذا في – أ .
(٣) كذا بـ – ر – وبالاصل رميكاتك .

فكتبه عنه ، فقطعها على باب داره ، وأصبح على باب داره منه شيء كثير ، واعتذر عنه من انصف ، انما أراد فتّاك الجند الذين أفسدوا البلد[١] . قال ابن أبي حسان : رأيت هارون الخليفة وهو يسعى بين الصفا والمروة ، فمشى في بطن الوادي ونسي السعي ، فلما جاوزه ذكر فرأيته رجع القهقرى ، حتى رجع الى ما دون (بطن)[٢] الوادي ، ثم سعى في بطنه واستدرك ما فاته ، فأعجب ذلك من حضره من العلماء . ولما اصلح زيادة الله جامع القيروان ، قال ابن أبي حسان : عاد المسجد مضرياً . لأن مختطه (عقبة)[٣] القريشي ، وزيادة الله تيمي وهما مضريان . وكان حسان بن النعمان الغساني ، ويزيد ابن حاتم الأزدي ، قد جدداه قبل زيادة الله ، فقال له : ابن أبي حسان : إبلٌ عَثرَتْ أحلاسَها . وقال له مرة : محونا أثاركم من الجامع . وقال : الاصل لنا ، والفرع لكم . قال ابن أبي حسان وجه اليّ زيادة الله ، وعنده قاضياه ابو محرز واسد يتناظران في النبيذ ، وابو محرز يحله واسد يحرمه . فقال ما تقول في النبيذ الشديد ، فقلت قد علمت سوء رأيي فيه ، وهذان قاضياك وهما فقيها البلد يتناظران فيه . فقال لا بد لك ان تقول أنت . وقال لهما : اسكتا فقلت (أعوذ بالله)[٤] عقل يساوي ألف درهم ، يزيله من النبيذ ما يساوي درهما . وقال لي : ثم يعود . قلت بعد انكشاف السوءة للأم ، والعورة للأب ، وفي رواية : بعد ان قاء في لحيته ، وكشف عورته لأهله وقتل هذا . وضيف[٥] هذا . قال : صدقت . كذا ذكر ابو علي

---

(١) بالاصل البلاد .
(٢) أ — ساقطة .
(٣) ساقطة — ر .
(٤) بالاصل أعزّك الله وكذا في — أ .
(٥) بالاصل ضرب وكذا في — أ .

البصري ، ومحمد بن حارث هذه الحكاية ، وان كان بعضها[١] على نحو ما عند ابن حارث . ولا أدري كيف هي ، إذ لا خلاف بينهم ان المسكر منه حرام . وتوفي ابن أبي حسان سنة سبع وقيل ست وعشرين ومائتين . وقال ابن سحنون : مات وهو ابن سبع وثمانين سنة . مولده سنة أربعين ومائة (والله تعالى أعلم)[٢] .

ابو عثمان واخوه حاتم واخوه ابو طالب ابناء عثمان المعافري

ويعرف بالابزاري . فيما ذكره بعضهم . وذكر ابو العرب وابن حارث : أبا طالب أخا أبي عثمان . ولم يسمياه ، ولا قالا فيه الابزاري . وذكر أبا طالب عبد الله ابن عثمان الابزاري ممن روى عن مالك ، على انه آخر ، والله أعلم . قال ابو العرب : لهما سماع من ابن أنعم ، ومن مالك ، وأحسب ان رحلتهما كانت مع ابن غانم . (روى عنهما داود بن يحيى الصدفي ، وغيره . وكان ابو عثمان رسول ابن غانم)[٣] الى مالك في مسائله . وكانا ثقتين . قال ابو عثمان[٤] : سمعت مالكاً يقول : ينبغي للقاضي وللمعدل ان ان يحترس من الناس ، بسوء الظن . قال حاتم : اكلت معه[٥] فرأيته يأكل بثلاثة أصابع . قال : وسمعت مالكاً يقول : حياة الثوب طيّه ، وعيبه قصر اكمامه . قال : وكنت إذا اتيت بكتاب ابن غانم الى مالك

---

(١) بالاصل لقطها .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) ناقص من — ر .
(٤) زيادة من — أ .
(٥) في الاصل مع مالك وكذا في — أ .

قال لي : ادفع الى ابن كنانة . فكتب ابن كنانة الجواب . ثم اتى به مالكاً فأعرضه ، فان انكر شيئاً اصلحه . قال ابن شعبان : ويقال لأبي عثمان ابا طالوت . ولم يذكره غيره . قال واسم ابي طالوت عبدالله . وقال غيره : اسمه كنيشة ويكنى بأبي محمد (والله تعالى أعلم)[١] .

ابو خارجة (عنبسة بن خارجة الغافقي – من انفسهم –)[٢]

قال ابن شعبان : ويقال ابو خالد ايضاً . سمع من مالك وسفيان الثوري والليث واليسع بن حميد وعبد الله بن وهب ، ورشدين بن سعد ، والمغيرة ابن عبد الرحمان المخزومي ، وسفيان بن عيينة وله سماع مدون من مالك ، كسماع ابن القاسم وأشهب . قال المالكي : كان شيخاً صالحاً عالماً باختلاف العلماء ، مستجاباً . وأكثر اعتماده على مالك . متفنناً في العلوم من الحديث والفقه ، والعبادة والعربية وغير ذلك . سمع منه نظراؤه بأفريقية ، البهلول بن راشد وغيره ، و[سمع][٣] من بعضهم كعدن بن يوسف وعبد الله بن يونس ، وسعيد بن حسان القزويني والجعفري[٤] وأبي داود والعطار وابنه ، قال : وكان سحنون يجله ، ويعرف حقه . وإذا سئل بحضرته احال عليه ، وكان اسنّ من سحنون . وكان سكناه بحصن ، بجهة صفاقس . قال ابو العرب: وسماعه من سفيان صحيح . وهو ثقة . وحكى بعضهم قال : دخلت معه الى سفيان ، فأصبناه قد مات ، وسأله بعضهم ، قال انا سمعت من سفيان. قال ابو العرب : أراه لقي سفيان في رحلة اخرى قبل هذه والله اعلم .

---

(١) ساقط من الاصل .
(٢) ساقط من – ر
(٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٤) أ – الحفري .

وهو ثقة مأمون لا يشك في سماعه من سفيان . وسئل احمد بن برد عن ابي خارجة ، فقال بمثله يقال ثقة . وهو رجل صالح . ولقي ابا يوسف ولم يأخذ عنه . روى عن مالك عن الذي يعتم بالعمامة ولا يجعلها تحت ذقنه ، فأنكره ، إلا ان تكون قصيرة لا تبلغ . قال ابن حارث : سمعت كثيراً من الناس يحكون عن ابي خارجة عجائب من الأخبار والوصف ، لما لم يكن فيكون كذلك ، مثل ما يحكى بالأندلس عن بقية[١] بن مخلد ، إلا ان الحكاية عن ابي خارجة اكثر استفاضة ، وأكثر عجائب . قال ابن الجزار المتطبب في تعريفه : وذكره مثل ما ذكره ابن حارث ، فبعضهم يقول : كان عنده علم من الحدثان ، وبعضهم يقول (بل علم الزجر ، وبعضهم يقول : بل)[٢] من خدمة الجان ، ومنهم من يزعم انه كان صالحاً يجري الله الحق على لسانه ، فينطق به . قال الفقيه القاضي ابو الفضل عياض : وأنا بريء من عهدة هذه التأويلات إلا الأخيرة فالحديث الصريح يحتج لها .

ذكر عجائب أخباره وبراهينه ووفاته

ذكر بعضهم ، انه نزل في طريق سوسة فاستلقى ، ثم قال لأصحابه يأتيكم الساعة رجلان يسألان عن شيء ، فتسمعان ما تكرهان ، ومعهما طعام تأكلانه[٣] انتم ، ولا نأكله أنا . وإذا برجلين على بغلة ، فسألا عن الشيخ وقالا له : رجل له عجل رأى في المنام انه يخالفه الى خمير عنده يأكله ، قال ، فقال له ابو خارجة له عبد خلاسي يخالفه الى أهله . فقال احد

---

(١) بالاصل بقي .

(٢) ساقط من – ر .

(٣) في الاصل تأكلونه وكذا في – أ .

الرجلين للآخر قد نبهناه[١] عن دخوله إليه ، فلم يفقه[٢] . ثم قالا معنا شيء من زادنا فأخرجا خبز شعير ودجاجاً وزيتوناً ، فأكل من حضر ، ولم يأكل هو منه . إذ كانت بعض أرواح[٣] يضربها هذا الطعام . وسأله رجل . انه كان يرى انـه يحرث في حفر ، ففسر ابو خارجة وقال : هذا رجل يطلب الصبيان . وكان ابو خارجة يقول اللهم امتنى قبل ان يخرج من هاهنا قوم ينبحون نُباح الكلاب ، يشير نحو أرض المغرب . وكان بنى مسجد عظيماً فيه نحو عشرين سارية عظاماً . فقالوا له من يرفع هذه السواري ? قال الذي خلقها . فأصبحت السواري مرفوعة ، ورؤوسها عليها . قال ابن مسكين : كان عندنا رجل له تابع فقال له يوماً : لأخوفن أبا خارجة . فنهاه صاحبه . فقال : لأفعلن . فلما كان في الليل ركب ابو خارجة الى منزله ، فلقيه خيال ، ثم عرض له شخص ، فقصده ابو خارجة وجعل يضربه ، ويفر منـه ، وهو يصيح ، حتى غاب في الزيتون فذهب ابو خارجة . فأتى التابعُ صاحبه ، وهو مما به فأخبره ، فقال : قد نهيتك . قال وكان ابو خارجة يصلي من الليل في مسجدٍ استضافه أهله ، فبينما هو يصلي ، نظر في ركن المسجد ، وأراه بعد غلقه الى شيخ قائم يصلي ، فلما سلم ابو خارجة استل[٤] سيفه فهزه وقصده ويقول : أعلي تجسر ، فاستمع منه وذهب ! وكان يقول : لا تذهب الأيام والليالي حتى تمحى[٥] كتب أبي حنيفة . فكان كذلك أيام سحنون ومن حكمه قوله : ثلاثة من اعلام الاحسان كظم الغيظ ، وحفظ الغيب ، وستر

---

(١) بالاصل نهيناه .
(٢) بالاصل فلم ينته وكذا في – أ .
(٣) بالاصل رواح .
(٤) بالاصل استغل .
(٥) في – أ – تحيا .

العيب . وثلاثة من اعلام المعرفة : الإقبال على الله ، والانقطاع الى الله ، والافتخار بالله . وثلاثة من اعلام الفكرة : سرعة الأفكار ، وادمان[1] الاعتبار ، وكثرة الاستغفار . وكان يقول عند افطاره : الحمد لله الذي هداني فصمت ، والحمد لله الذي رزقني فأفطرت ، ان تعذبني فأنا اهل لذلك ، وان تغفر لي فأنت اهل لذلك . وكان يقول : ثلاث من أعطيهن فقد اغتبط : علم نافع ، ورزق طيب ، وعمل متقبل . وذكروا انه أصاب الناس بصفاقس سبع سنين قحط ، فأتوا أبا خارجة يستسقي لهم ، فقال لهم تأتون غداً بنسائكم وصبيانكم ، وبهائمكم ، وتبيتون الصيام الليلة ، فاذا كان غداً قِفُوا بين يديه ، وتضرّعوا إليه ، فانه يرق لحالكم . ففعلوا ذلك . فخرج ابو خارجة ، فصلى بهم وخطب ودعا ، ثم جلس الى صلاة الظهر ، وقد اشتد الحر ، وبكى الأطفال وصاحت البهائم من الحر ، فصلى بهم الظهر ، ثم بسط يديه وقال : أنت مولانا ما لنا غيرك ولا سواك . بك نالوا الدرجة الرفيعة ، والمواهب العالية ، ولولاك ما نالوها ، وأنت ذو رحمة واسعة ، وأنت العالم بأحوالنا ، وقبيح أعمالنا ، وما لنا غيرك ولا سواك ، وقد قامت آمالنا بك وقد جثونا بين يديك . بهائمنا جائعة ، وأرضنا سوداء يابسة ، وقلوبنا خائفة ، وبيوتنا فارغة ، وسماؤك عامرة ، وخزائنك واسعة ، فاسقنا سقية نافعة تجدد الإيمان في قلوبنا ، ولا نبرح بين يدي كريم حتى يسقينا ، وسيلتنا إليك نبينا الذي جعلته رحمة لنا . ﷺ . وقال : فاذا بريح بيضاء بدت بهم ، ثم اندفعت بالغيث . فمضى ابو خارجة يرفع ثيابه ويقول : بهذا يعرف الكريم ، هذا فعلك فيمن قصدك . وبهذا تعرف وتوصف . وتوفي ابو خارجة في ربيع الأخير سنة عشر ومائتين ، سنّه ست وثمانون سنة . (والله أعلم)[2] .

---

(١) بالاصل ادبار .
(٢) ساقطة — ر .

الحارث بن أسد[١]

من أهل نفطة[٢]. كان ثقة خياراً مستجاباً يختم القرآن في كل ليلة من رمضان . أخذ عن مالك . روى عنه البهلول بن راشد ، وعبدالله بن القاري ، ومحمد بن تميم وغيرهم . قال الحارث لما أردنا وداع مالك دخلت عليه انا وابن القاسم وابن وهب ، فقال له ابن وهب : أوصنا . فقال اتق الله وانظر عمن تنقل . وقال لابن القاسم اتق الله وانشر ما سمعت . وقال لي اتق الله وعليك بتلاوة القرآن . قال الحارث لم يرني أهلًا للعلم . وقال محمد بن حارث رأيت في بعض الروايات انه كان يستفتى فلا يفتي . ويقول لم يرني مالك اهلًا للعلم .

محمد بن معاوية الحضرمي طرابلسي

من أصحاب مالك ، وله عنه سماع ، ثلاثة اجزاء . وله غيرها عن الليث رواها عنه محمد بن وضاح . قال أبو العرب التميمي : سمع من ابي معمر ومالك بن انس موطأه ، ومن الليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم ، مشهور ثقة . وكان له سن وادراك . سمع من ابي معمر صاحب انس بن مالك. سمع منه بكر بن حماد ، وفرات بن محمد . وحكى بكر ان سحنوناً قال فيه شيئاً . قال ابو علي بن البصري : هو أعلم من محمد بن ربيعة الحضرمي الطرابلسي . وكان ايضاً ابن ربيعة ممن روى عن مالك ، وابن لهيعة ، وأبي معمر وابن ابي حازم ، وابراهيم بن ابي يحيى . قال أبو العرب : قال

---

(١) ترجمته من الأصل . ترجمة ساقطة من — ر .
(٢) في — أ — قفصة .

محمد بن معاوية : كان بقي عليه شيء من الموطأ ، من كتاب الصلاة ، فأتيت الى مالك وقد دخل الناس ، فقال لي من يقرأ لك ؟ قلت : حبيب . وكنت قاطعته بخمسة دراهم[١] ، ويضم[٢] الكتاب خمساً وعشرين ورقة . فقرأها لي حبيب في مجلس واحد . قال لي حبيب : لم تفتني دراهمك يا مغربي . وفي روايته في الموطأ ، جامع الجامع . وليس ذلك عند غيره ، من أصحاب مالك . ذكر (ذلك)[٣] أبو بكر بن محمد المالكي في كتاب الرياض ذلك .

زكريا بن محمد بن الحكم اللخمي أبو يحيى

قال ابو العرب : كان ثقة مأموناً صالحاً . وكان من اهل العلم . سمع من مالك وحيوة بن شريح . وكان يستفتي بالقيروان مع أسد وأبي محرز وطبقتهم . وكان في عداد المدنيين منهم . ذكر انه كان مع جماعة (من العلماء)[٤] عند زيادة الله بن الأغلب ، فأتى بجراب فيه حلي من حلي النساء ، ودنانير . فأعطى منه لمن حضر وأخذوا غير زكريا فأبى ، ثم انصرف فلما ولي جعل زيادة الله يقول وهو ينظر اليه : لله درك يا ابن الحكم . وذكر ابو العرب ايضاً في رواة مالك من اهل افريقية : محمد بن عبد[٥] الحكم اللخمي ، وانه مأمون ثقة ، وانه توفي سنة ست ومائتين ، ويحيى بن زكريا بن محمد ابن الحكم ابن التجيبي[٦] . قال أبو العرب : هو ثقة صالح . قال ابن فهري

---

(١) ساقطة بالأصل .
(٢) في الأصل يقرأ .
(٣) ساقطة من — أ — واثبتت بالاصل في آخر العبارة .
(٤) ساقط من — ر .
(٥) ساقط من الأصل ،
(٦) في — أ — اللخمي .

روى عن مالك . قال ابن وضاح : لقيت يحيى بن زكريا بن الحكم بالقيروان وهو شيخ .

ومن اهل الأندلس
قرعوس بن العباس بن قرعوس بن حميد

ويقال : عبيد[١] بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي . قال القاضي أبو الوليد ابن الفرضي[٢] : من اهل قرطبة . يكنى ابا الفضل . ويقال أبا محمد . رحل فسمع من مالك والثوري ، وابن جريج والليث وابن ابي حازم وغيرهم . وكان رجلاً متديناً فاضلاً ورعاً ، كان علمه المسائل على مذهب مالك وأصحابه . ولا علم له بالحديث . وقيل : انه سمع من مالك الموطأ . وغير شيء من مسائله . وقال يحيى بن يحيى وذكره : وهو رجل من اهل العلم كثير الفقه . لقي مالكاً وحمل عنه . وقال غيره : لم أرَ بالأندلس مرءة[٣] مثل قرعوس. قال القاضى ابو الوليد : وكان ممن اتهم في امر البهج[١] . فوفاه الله . يعني الذي هلك فيه اصحابه . وذكرنا عنه طرفاً في خبر يحيى بن مضر في الطبقة الأولى . روى عنه اصبغ بن خليل ، وابن حبيب ، وعثمان بن ايوب . وسأل قرعوس مالكاً عن الضرب الذي كان يضرب ابوه الناس ، وكان ابوه ولي السوق ، وكان رجلاً صالحاً شديداً على اهل الريب ، يضرب ضرباً شديداً . فقال له مالك : ان كان فعل ذلك غضباً لله وذباً عن محارمه فأرجو ان يكون خفيفاً . وكان ممن اتهم بالهيج والقيام بالربض[٥] على

---

(١) يعني بدلاً من حميد .
(٢) بالأصل القرطي وفي — أ — القوطي .
(٣) كذا في — أ — وهي غير واضحة ولعلها : مرءًا وهي الانسان .
(٤) في — أ — الشيخ .
(٥) بالأصل : النهض .

السلطان ، فسيق فيمن سيق ملبّباً . ووقف به تحت النطع ، وكلمه فتى على لسان الأمير ، وقال له : مثلك من اهل الديانة والأمانة في العلم ، يتابع السفلة . فلو نفذ لهم امركم كان يهتك[١] من الستور ويستحل من الفروج ، الى ان يقوم إمام يُريح الناس . فقال معاذ الله ان افعل وان اقع في مثل هذا . بيَدٍ او لسان ، فقد سمعت مالكاً والثوري يقولان : سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار . فقال له الحكم انت سمعت هذا منهما ؟ قال لقد سمعته منهما . فخلّى سبيله . وتوفي قرعوس سنة عشرين ومائتين . وقد اعترض على ما ذكر من روايته عن سفيان وابن جريج . فقال علي بن حزم : من المحال ان يروي قرعوس عن ابن جريج ، اذ مات ابن جريج سنة خمسين ومائة ، وقرعوس مات سنة عشرين ومائتين . ولم يطل عمر قرعوس طولاً يحتمل هذا . وكذلك وفاة سفيان سنة إحدى وستين.

محمد بن بشير القاضي

قال الفقيه ابو عبدالله بن حارث : هو ابو عبدالله ، محمد بن سعيد بن بشير ابن شراحيل . ويقال ، اسرافيل المعافري ، اصله من جُندِ باجة ، وعداده في عرب مصر . كتب في حداثته للقاضي المصعب بن عمران . ثم رحل الى المشرق ، فلقي مالكاً وجالسه ، وسمع منه ، واقتبس ايضاً بمصر ، ثم انصرف الى الأندلس ، فلزم ضيعته بباجة الى ان استدعي للقضاء بقرطبة . (قال غيره : وروى عن مالك الموطأ قال احمد بن خالد : طلب ابن بشير العلم بقرطبة)[٢] عند مشيختها ، فأخذ منه بحظٍّ وافر ، ثم كتب لوالي باجة

---

(١) بالاصل يهلك .

(٢) ساقط من — ر .

ليعتصم به من مظلمة نالته ، ثم انقبض وخرج حاجاً ، فقضى الفريضة وأشبع في المعرفة . قال ابن القوطية : كتب اولاً لوالي بلده ، ثم رغب عن ذلك ومال الى العلم ، وقال : ان المصعب القاضي[١] إنما استكتبه بعد صدوره من المشرق . وحكى عن مالك انه كان يقول : انظروا في هذه الكتب ولا تخلطوها بغيرها . يعني الموطأ . وكان يحيى بن يحيى كثيراً ما يحكي عنه ، عن مالك . من ذلك انه سأل مالكاً عن (لبن الأتن)[٢] فلم ير به بأساً .

الثناء عليه

قال : كان يحيى بن يحيى ، أشدّ الناس تعظيماً لمحمد بن بشير ، وأحسنهم ثناء عليه . في حياته ، وبعد وفاته . ولقد سئل عن لباس العمائم فقال : هي لباس الناس بالمشرق ، وعليه كان أمرهم في القديم . فقيل له لو لبستها ، لتبعك الناس . فقال قد لبس محمد بن بشير الخزّ ، فلم يتبع فيه ، وكان (ابن بشير)[٣] أهلا ان يقتدى بـه . وذكره ابن القوطية فقال فيه : خير القضاة بالأندلس ، وأفضلهم وأعدلهم . وقال عبد الملك بن حبيب : كان ابن بشير ، من خيار المسلمين . ووصف عدله وفضله ، قـال : وكان يصلي بنا الجمعة ، وعليه قلنسوة خز . قال ابن حارث : من مستفيض الأخبار التي لا يتواطأ على مثلها ، لسعة الاجتماع عليها ، أنّه كان من عيون القضاة الهداة ، ومن أولي السداد والمذاهب الجميلة ، وأصالة الرأي والسيرة العادلة ، والذكر

---

(١) ساقط بالأصل .
(٢) كذا بالأصل ، وفي — أ — ابن الابن .
(٣) ساقطة من — أ .

الجميل الخالد، وكان شديد الشكيمة ماضي العزيمة، صلباً في الحق، مؤيداً لا هوادة عنده لأحد. (ولا مداهنة لديه لأحد)[١]. من اصحاب السلطان، لا يؤثر غير الحق في أحكامه. جيّد الفطنة حسن الإنبساط صادق الحسّ قوي الإدراك.

ولايته القضاء وسيرته

قال ابن القوطية: لما توفي المصعب بن عمران القاضي، استشار الأمير الحكم فيمن يستقضيه، فأجمع له وزراؤه واعلام الناس، على محمد بن بشير كاتب المصعب، وكان قد شهر عفافه واستقلاله بعهد المصعب، فولاه القضاء. فأثر على المصعب، وبعد في الفضل والعدل صيته، وخلدت آثاره بعد. فلم يزل قاضياً الى ان توفي فولي ابنه سعيد مكانه، قال ابن حارث: رأيت في بعض الكتب، ان ابن بشير لما وجه فيه، عدل في بعض طريقه الى صديق له عابد، فنزل عليه، وتحدث معه في شأن نفسه، وتوقعه انه وجه إليه في الكتابة التي قد تخلى عنها، فقال له صديقه: ما أرى بُعث فيك إلا للقضاء. فقد مات قاضي قرطبة. فقال له ابن بشير: فاذا قبلتها فما ترى، فانصح لي وأشر علي. قال له العابد: أسألك عن ثلاثة أشياء فاصدقني فيها. كيف حبك لأكل الطيب، ولباس اللين، وركوب الغاره؟ فقال ابن بشير: والله ما أبالي ما رددت به جوعي، وسترت به عورتي، وحملت به رجلي[٢]، فقال هذه واحدة. فكيف حبك للوجوه الحسان وشبه هذا من الشهوات. فقال ابن بشير هذه حالة والله ما استشرفت نفسي إليها قط، ولا خطرت

(١) ساقطة من – ر.
(٢) في – أ – رحلتي.

يبالي . قال : هذه ثانية . فكيف حبك للمدح والثناء وكراهتك للعزل ، وحب الولاية . قال والله ما أبالي في الحق من مدحني او ذمني وما أسرّ بالولاية ولا استوحش للعزل . فقال له : أقبل القضاء ، ولا بأس عليك . وذكر ان ابن بشير ولي القضاء بقرطبة مرتين ، وكان بعض اخوانه يعتبه في صلابته في الحكومة ، ويقول : أخشى عليك العزل . فكان يقول : ليته رأى الشقراء[١] تقطع الطريق الى ماردة ، فما قضى إلا يسير حتى حدثت حادثة أظهر ابن بشير صلابته ، فكانت سبباً لعزله . فانصرف لبلده كما تمنى . فما لبث[٢] إلا يسيراً حتى أتى فيه بريد من قبل الأمير ، فرفعه الى قرطبة ، فعدل في بعض الطريق الى صديق له زاهد ، فاجتمع معه ، وقال له قد أرسل فيّ الأمير ، وأظنه انه يردني على القضاء ثانية . فما ترى ؟ فقال له صديقه : ان كنت تعلم انك تُنَفِّذُ الحق على القريب ، والبعيد ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فلست أرى لك ان تحرم الناس خيرك ، وان كنت تخاف ان لا تعدل فترْكُ الولاية أفضل لك . قال ابن بشير : اما الحق فلست أبالي على من أمررته ، إذا ظهر لي . فقال له : لست أرى ان تمنع الناس خيرك . فورد قرطبة وولي القضاء ثانية . وقال بعضهم : ان سبب عزله ، ان يده قصرت عن بعض الخاصّة ، ومنع من الحكم عليها ، فحلف بطلاق زوجته ثلاثاً وعتق مماليكه وبصدقة ما يملك على المساكين ان حكم بين اثنين ، فعزل . فلما أراد رده ، اعتذر إليه ، بتلك الأيمان ، فعزم الأمير عليه ، واعتق وطلق وتصدق وأخرج إليه الأمير جارية من جواريه ومالاً عوضاً من ماله ، ومماليكاً عوضاً من مماليكه . قال ابو عبد الملك بن عبد البر : كان محمد بن بشير ، قد اشترط على الأمير الحكم عندما تولى له القضاء ،

(١) يعني دابته . وعبارة صاحب النفح : تقطع الطريق جادّة نحو باجة .
(٢) بالاصل لم يلبث .

ثلاثة شروط مضمونة ان التزمتها لي تقدمت ، وإلا فلا أقبل البتة ، نفاذَ الحكم على « كل » احد)[١] ما بينك وبين حارس السوق ، وان ظهر لي من نفسي عجز ، أستعفيتك ، فأعفني . وان يكون رزقي من الفيء . فضمنها له . قال ابن الحارث : وكان محمد بن بشير فيما قاله لي عنه بعض العلماء : انه كان ربما قبل الشاهد عنده على التوهم[٢] والفراسة . وربما عول على تزكية السر من اهل الثقة . قال : وكان يقضي في سقيفة مغلقة بقبلي مسجد أبي عثمان ، بأول الربض الغربي ، فكان إذا قعد للقضاء هناك ، جلس وحده وخريطته بين يديه . فتولى تقليبها بيده ، ويتقدم إليه الخصوم على كتبته ، مرتبة . فيقف الخصمان على أقدامهما ، بين يديه . ويدليان بحجتهما من غير صخب ، فيفصل بينهما . وكان رسمه القعود للخصوم من غدوة الى وقت الزوال . ثم يعود للقعود بعد صلاة الظهر ، الى العصر ، فـلا ينظر غير اسماعه[٣] من البيّنات ، ويقيد الشهادات ، لا يسمع ذلك في غير ذلك الوقت ، ولا يخلو به احد في مجلس نظره ، ولا داره . ولا يقرأ كتاباً لأحد في سبب خصومه ، ولا يرخص[٤] إليه . قال ابن وضاح : تولى محمد بن بشير القضاء ، طبع عشر طوابع يرفع بها الناس إليه . ثم لم تزل في خريطته بعينها ، الى ان مات . فاذا سأله رجل طابعاً لرفع خصم كشفه له ، عما يريده له . فان كان قريباً بقرطبة أعطاه إياه ، وأمر كاتبه يَزِمُ[٥] اسمه ومسكنه ، واسم من أخذ الطابع فيه ، ويعهد إليه بصرف الطابع إليه ،

---

(١) ناقصة بالاصل . و « كل » زيادة من رواية صاحب المغرب .
(٢) في الاصل توسم وكذا في — أ .
(٣) بالاصل السماع .
(٤) بالاصل يدخل وكذا في — أ .
(٥) بالاصل يزمّ — و أ — قوم .

إذا حضر خصمه ، ويعنفه ويدعوه[١] ان كان أخذه مبطلاً ، فان كان بعيداً أجل له بقدر بعده . قال يحيى بن يحيى لمحمد بن بشير : ان الحالات بالناس تتغير ، ولا تثبت . فاذا عدل عندك الرجل فحكمت بشهادته عن صحة نظر ، حتى تطاول العهد وعادت الشهادة عندك ، فأعد فيه نظرك ، وكلفه التعديل ، ان رابك ، واستأنف الكشف عنه ، فعمل بذلك وأخذ الشهود وحذرهم منه . وكان ابن بشير يشاور في قضائه عبد الملك بن الحسن زونان والغازي بن قيس ، والحارث ابن أبي سعد ، وإسماعيل ابن البشير التجيبي ، ومحمد بن سعيد السبائي . قال ابن حارث : وكانوا إذا اختلفوا عليه ، كتب الى مصر الى عبد الرحمان بن القاسم ، وعبد الله بن وهب ، قال القاضي أسلم عبد العزيز بن بقي بن مخلد ؛ قال : كانت لمحمد بن بشير في قضائه مسالك رقاق ، ومذاهب لطاف لم تكن لقاض قبله بالأندلس . ولا يقارن إلا بمن تقدم في صدر هذه الأمة . ورأيت له غير سجل فوجدتها مختصرة جداً ، محتوية على فص المعنى ، من غير إكثار . انما هي أسطار قليلة . خلاف ما يختلف الآن في زماننا من الكلام . ذكر بعضهم ان ابن سماعة[٢] صاحب الخيل ، شكا الى الأمير ، ان ابن بشير يحيف عليه . فقال : أنا امتحن قولك (الساعة)[٣] بواحدة . اخرج من فورك فاقصده ، واستأذن عليه . فان إذن لك صدقت قولك وعزلته . وان لم يأذن لك دون خصمك ازددت بصيرة فيه . فخرج[٤] نحوه ، فلما استأذن عليه خرج الاذن له ان كانت لك حاجة فاقتصد لذكرها مجلس القضاء . إذا جلس القاضي فيه ، فلا سبيل الى

---

(١) أ — ويوعده .
(٢) هو موسى بن سماعة احد خواص الامير الحكم .
(٣) زائدة من — أ .
(٤) ساقطة — ر .

لقائه . واعلم الأمير بذلك ، فوافقه . قال قاسم بن هلال : شهد عند ابن بشير رجل من اهل البادية في معارفه ، فاحتاج الى تعديله ، فدخلت أنا وابن مرتيل وثالث معنا . فقال : ما جاء بكم ؟ قلت لأُعَدّلَ هذا الرجل . فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وبها كان يستفتح[1] حكومته . قال قاسم : فلما سمعته قهقرت ، فحوّل وجهه نحونا . وقال لنا : الله الذي لا إلاه إلا هو انه عندكم رضى . فقلنا له : بيمين اصلحك الله . قال والله لا أكتب له اسماً إلا ان تحلفوا بها ، أنه كذلك . فتورعنا وانصرفنا . وشهد عنده رجل ، رافقه من الحج ، له مِنْهُ مكانة ، فلم يقبل شهادته . فقال له الخصم : عرفني بن لم تقبل ، لأنظر في تعديله . فقال له محمد[2] : فلان صاحبي . ولن ينفعك تعديله عندي . فبلغ ذلك الرجل ، فجاءه في مجلسه على رؤوس الناس وسأله عن سبب ذلك ، وقال له : جمعنا واياك المنشأ والحضر ، وطلب العلم وطريق الحج ، وعلمت من باطني ما علمت من باطنك فعرفني بالسبب أمام الناس ، لأعرفه وأعرف بخطئي فيه أمام الجماعة . فقال ابن بشير : صدقت . وما عثرت لك في كل ذلك على جرحة في دينك ، ولكن صدرنا من الحج فنزلنا مصر ، وأخذنا في السماع من شيوخنا ، والمقام بها ، وشكوت لي الغربة ونظرت في شراء خادم ، فقلت لي : وجدت خادماً تساوي على وجهها كذا وكذا ، وبيدها صنعة . فقلت لك : لا حاجة لك بصناعتها . وانما تشتريها للمتعة . فدعها فلا معنى للزيادة فيها . فعصيتني واشتريتها . فلما رأيت الشهوة قد غلبتك في اتلاف ذلك في المغالاة فيها ، خشيتُ ان تكون مثلها ، قادتك الى مثل هذه الشهادة . وشهد عنده صديق له يكنى بأبي اليسع ، فرد شهادته ، فعتبه في ذلك وقال : على محبتي فيك

---

(١) بالاصل يستفتح و – أ – يستفقي .
(٢) بالاصل هو .

وخاصتي بك . فقال له الورع : يا أبا اليسع الورع يا أبا اليسع . فلم يزده على ذلك . وشهد عنده رجلان ممن يُظنُّ بهما خيراً لمملوكٍ لمتوفى ، ان مولاه أعتقه وزوّجه ابنته ، وأوصى إليه بماله ، وقضى بشهادتهما ، فلم يلبث احد الشاهدين ان حضرته الوفاة ، فأوصى الى القاضي أنه يريده[1] . فدخل عليه ، فلما أبصر به الشاهد ، وهو في كربة ، جثا على ركبتيه ، وجعل ينجر إليه ، فقال له القاضي : ما شأنك ؟ فقال إني في النار ان لم تنقذني منها . الشهادة التي شهدت بها عندك بفلان لم يكن منها شيء فاتق الله وافسخ الحكم . فلم يزد محمد بن بشير على ان وضع يديه على ركبتيه ، ثم قام وجعل يقول قضي الحكم ، وأنت الى النار . وخرج عنه . قال الفقيه القاضي ابو الفضل عياض رضي الله تعالى عنه : ما فعله ابن بشير من امضاء الحكم صواب ، وقوله وأنت في النار دون استثناء . لعله قصد بـه الإغلاظَ لأمثاله من شهداء السوء . وإلا فحتمية[2] الله في العفو عنه ، من وراء هذا بفضله ، بقبول توبة مثله ، ومحو سيئته بها ، موعود به .

ذكر زيّه

وكان ابن بشير ، قبل استقضائه يفرّق شعره الى شحمة اذنيه ، ويلتحف رداءاً معصفراً على الرسم الأقدم ، وكان حسن الزي جميل الخلق ، فتمادى على زيه في قضائه . قال ابن وضاح : اخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلًا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة ، وعليه رداء معصفر ، في رجليه حذاء صرّار[3] . وعليه جمة مفروقة . ثم يقوم يخطب ويصلي في زيه

(١) في الاصل يراه وكذا في — أ .
(٢) بالاصل بشيئة وكذا في — أ .
(٣) يسمع له صوت عند المشي .

وكذا كان يجلس للقضاء بين الناس ، وان العيون لتغضي عنه مهابة ، فان رام واحد نيل شيء من (دينه)[١] ، وجده أبعد منالاً من الثريا . ولقد أتى رجلٌ طاريٌ[٢] مجلسه لحاجة عنّت له ، فسأل عنه بعض من جلس الى قربه ، فأرشده اليه ، فلما رآه في زيه ذلك ، وآثار الزينة في أطرافه من الخضاب والكحل والسواك ، بمحياه ، رابه امره ، واتهم من ارشده ، وقال يا هؤلاء : رجل غريب سألكم عن قاضيكم فسخرتم بي ، أسألكم عن قاض فتدلوني عن زامر . فأسكتوه . فقالوا : ما كذبناك . وزجر من كل ناحية . فقال له ابن بشير : تقدم واذكر حاجتك . ففعل الرجل . فوجد عنده فوق ما ظنه . قال زونان : عاينت محمد بن بشير في ارساله اللمة ولبسه الخز والمعصفر ، فقال اني على بينة من ربي ، حدّثني مالك ، ان محمد بن المنكدر كان سيد القراء ، وكانت له لمة . وان هشام بن عروة كان فقيه هذا البلد ، يعني المدينة . وكان يلبس المعصفر ، وان القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق ، كان يلبس الخز . فماذا تعيب من هؤلاء . ألا انهم إسوة . وكان محمد بن عيسى الأعشى يعرض بالقاضي محمد لزيه هـذا ، ويسميه في جميع ذكره بعشر الدلأل – اسم مخنث كان بالمدينة – حتى بلغ ذلك ابن بشير . (فجمعه والأعشى مجلس امكنه فيه القول ، فانعطف ابن بشير)[٣] وقال : يا أباعبد الله . ان الشر لا يعجز عنه احد ، وان الخير لا يناله إلا اهل الصبر الجميل ، ومن يقدم على نفسه بالرياضة المحمودة ، فاقصر عما بلغني عنك ، فانه اجمل بك ، واستحياه ، واقتصر فيما بعد . ومن المبسوطة قال يحيى بن يحيى : لا تجد من يعقل ، يلزم ما يعاب عليه ، ولقد رأيت

---

(١) ساقطة من – أ .
(٢) الطاريءُ هو الغريب الآتي من مكان بعيد .
(٣) ساقط من – أ .

محمد بن بشير لبس ما لا يعرف ببلده ، يعني الخزّ فما لبسه إلا أربعين يوماً ، ثم ترك ذلك لاستبشاعه ، لا لغير ذلك .

ذكر شيء من أعيان اقضيته التي دلت على ثبات قدمه في الحق وبقية خبره

قال احمد بن خالد : كان اول ما انفـذه ابن بشير من نافـذ احكامه ، التسجيل على الأمير الحكم ، في أرْحِي[١] القنطرة بباب قرطبة ، إذ ثبت عنده حق مدعيها ، ولم يكن عند الامير مدفع . فسجل فيها ، واشهد على نفسه . فما مضت مديدة [حتى] ابتاعها ابتياعاً صحيحاً ، فسر بذلك الحاكم[٢] ، بعد مسألة وجعل يقول : رحم الله ابن بشير فقد احسن فيما فعل بنا على كره منا ، اذ كان في ايدينا شيء مشتبه فصحح ملكه لنا . قال ابن وضاح : حكم ابن بشير على ابن فطيس الوزير في حق ثبت عنده ، دون ان يعرّفه بالشهود عليه . فشكا ابن فطيس ذلك الى الأمير ، وتظلم منه . وأومأ الى ابن بشير بذلك، وذكر شكوى ابن فطيس من امضائه الحكم عليه، دون اعذار، وهو حق له باجماع اهل العلم . فكتب اليه ابن بشير : ليس ابن فطيس ممن يُعرّف بن شهد عليه ، لانه [إن][٣] لم يجد سبيلاً الى تجريحهم لم يتحرج عن اذاهم، فيدعون الشهادة هم ومن ائتسى[٤] بهم ويضيع امر الناس . وقال ابن وضاح: وكان سعيد الخير، عم الامير الحكم ، [وكلّ][٥] وكيلاً يخاصم له عند محمد بن

---

(١) الأرحي : جمع رحى .
(٢) بالأصل الحكم .
(٣) زيادة من رواية صاحب النفح .
(٤) في — ر — التبس .
(٥) زيادة من رواية صاحب النفح .

بشير في مطلب، فهم[١] به عنده عليه، وكانت في يد سعيد وثيقة فيها شهادات جماعة من العدول ، اتى الموت عليهم ما عدا شاهد واحد ، من اهل القبول ، مع شهادة الأمير الحكم ابن أخيه ، فاضطر عمّه[٢] اليها في خصومته لما قبل القاضي شهادة الاخير ، وضرب الآجال لوكيله في شاهد ثان . فدخل سعيد على الأمير وعرفه حاجته ، الى شهادته ، وكان الحكم معظماً لعمه ، فقال له : يا عم ، اعفني من هذه الكلفة . فقد تعلم انا لسنا من أهل الشهادة عند حكامنا . إذ التبسنا من فتن هذه الدنيا بما لا نرضى به عن أنفسنا ، ولا نلومهم على مثل ذلك فينا . ونخشى ان توقفنا مع هذا القاضي موقف خزي نفديه بملكنا . فصر في خصامك حيث ظهر[٣] لي الحق ، وعلينا خلف ما ينقصك وأضعافه ، فهمّ سعيد في ذلك وعزم عليه ، الى ان وجه شهادته مع فقيهين يؤدياها الى القاضي ، فأدّياها اليه . فقال لهما : قد سمعت منكما فقوما راشدين ، وجاءت دولة وكيل[٤] سعيد الخير ، فتقدم مدلاً واثقاً ، فقال ايها القاضي : قد نقلت اليك شهادة الأمير ، فما تقول ؟ فأخذ كتاب الشهادة وعاد النظر فيها . ثم قال : هذه شهادة لا تعمل عندي ، فجئني بغيرها . فمضى الوكيل الى سعيد فأعلمه ، فركب من فوره الى الحكم ، فقال ذهب سلطاننا وأهينت عزتنا بتجري[٥] قاضيك الحروري على ردّ شهادتك ! هذا ما لا يجب ان نتحمله عليه . وأكثر من هذا وأغرى بابن بشير ، والأمير مطرق . فلما فرغ من كلامه ، قال له : يا عم هذا ما قد ظننته ، وقد آن لك ان تقصر عنه بالحق ، فالحق أولى بك . والقاضي قد اخلص

---

(١) بالأصل قيم .
(٢) في – ر – محمد .
(٣) ما صيرك لي بالأصل . وعبارة صاحب النفح : صيّرك الحق اليه .
(٤) ساقطة من الأصل .
(٥) بالأصل يجترىء .

يقينه لله ، وفعل ما يجب عليه ويلزمه[١] . ولو لم يفعل ما فعله ، لأجال الله بصيرتنا فيه ، فأحسن الله جزاءه عنا ، وعن نفسه ، ولست والله اعترض للقاضي بعد فيما احتاط لنفسه . فذكر ان بعض أقران[٢] ابن بشير اعتبه فيما أتاه في ذلك . فقال له : يا عاجز ألا تعلم انه لا بد من الإعذار في الشهادات ، فمن كان يجترىء على الدفع في شهادة الأمير لو قبلتها . و[لو][٣] لم اعذر لبخست المشهود عليه حقه . وحكي انه كانت لمحمد بن بشير ، أيام نزوله بقرطبة خادم سوداء ، اسمها بلاغ ، تخدمه . ويستمتع بها عند حاجته . فكان إذا غشيها وقضى وطره منها ، دفع في صدرها بيده وقال : بلاغ ان فيك لبلاغاً الى حين . قال ابن حارث : ان حظية للأمير الحكم بات عندها في بعض الليالي[٤] فافتقدته في بعض الليل ، ولم تصبه ، فهاجت غيرتها وقامت تقفو أثره ، فأصابته قائماً تحت شجرة في الحائط يصلي ويدعو ويجتهد فلما انصرف الى مرقده ألحت عليه في السبب الموجب لذلك ، وظنت ان امرأ طرقه . فقال : ما ذاك إلا ان محمد بن بشير القاضي ، لما به فأشفقت من نقده ، وأعجزني الاعتياض منه ، فقد كنت جعلته فيما[٥] بيني وبين الله في أحكام الناس ، فأسندت منه الى ثقة إذ كانت نفسي مستريحة الى عدله ، فناجيت الله تعالى ودعوته (دعوة)[٦] مضطر الى إجابته ، في ان يحسن عزائي عنه ، ويجعل عوضي منه . وكانت وفاة ابن بشير سنة ثمان وتسعين

---

(١) ساقط من — ر .
(٢) بالأصل اخوان .
(٣) زيادة من رواية صاحب النفح .
(٤) في الأصل لياليه وكذا في — أ .
(٥) ساقطة من الأصل .
(٦) زائدة في — أ .

ومائة . فاستقضى الحكم بعده ابنه سعيد بن محمد . وقيل ، الفرج ابن كنانة، وسيأتي ذكرهما في طبقتهما إن شاء الله تعالى .

طالوت بن عبدالجبار المعافري

من اهل قرطبة . قال أبو بكر بن القوطية : كان أحد ممن أخذ عن مالك بن أنس ونظرائه ، من أهل العلم . وشهر بالصلاح والفضل . واليه ينسب المسجد والحفرة ، بداخل مدينة قرطبة . وهناك كان مسكنه . وكان (هذا المتخفي)[١] من أعلام فقهاء قرطبة ، في ثورة أهل قرطبة على أميرهم الحكم[٢] بن هشام . وظفر بهم ، وهو صاحب القصة المشهورة المضروب بها المثل في الوفاء بالذمة . وكان طالوت قد استخفى خوفاً على نفسه ، عند رجل من اليهود من جيرانه ، وثق به . فتقبله احسن قبول . ومكث عنده بأفضل حال ، حولاً . حتى طفيت الثائرة وظن الفتية انه اهل اليهودي . وكانت بينه وبين أبي البسّام[٣] الوزير ، وصلة جذبها[٤] اليه رجاء (الاخذ)[٥] له الأمان . فساء اليهودي تحوّله عنه ، ونصحه . فلج وقصد الوزير خفية بين العشائين فأظهر القبول به ، وسأله اين كان (قبل)[٦] . فأخبره فصوّب رأيه في انتقاله اليه ، ووعده الشفاعة له ، وبادر بالركوب في وقته ، وقد وكل به من يحرسه، فقال للأمير ما رأيك في عجل سمين عاكف على مذودة

(١) كذا في – ر – وفي الأصل ممن استخفى .
(٢) ساقطة من – ر .
(٣) في – ر – الوسام .
(٤) في الأصل جرّبها .
(٥) في الأصل ان يأخذ .
(٦) ساقطة من – ر .

منذ سنة يلذ مطعمه ، هذا طالوت رأس المنافقين عندي . قد اظفرك الله به . قال : قم فعجّل به ، ووثب فجلس على كرمي بباب مجلسه ، يتوقد غيظاً عليه . فلم يلبث ان ادخل طالوت عليه ، فجعل يتقرعه بذنوبه ، ويقول : طالوت الحمد لله (الذي)[١] أظفرني بك ، ويحك اخبرني لو ان أباك أو ابنك قعد مقعدي بهذا القصر ، أكانا يزيدانك من البر والاكرام على ما فعلته أنا بك ؟ هل رددت قط حاجة لك أو لغيرك ؟ ألم أشاركك في حلوك ومرّك ؟ ألم أعدك مرات في محلاتك[٢] ؟ ألم أشاركك في حزنك على زوجتك ؟ ومشيت في جنازتها راجلاً الى مقبرة الربض ؟ وانصرفت معك كذلك الى منزلك ؟ وغير شيء من التوقير فعلته بك ؟ ما حملك على ما قابلت به اجمالي ؟ ولم ترضَ مني إلا بخلع سلطاني ، وسعي لسفك دمي ، واستباحة حرمتي ؟ فقال له[٣] طالوت : ما أجد لي في هذا الوقت مقالاً أنجى من صدقك (به)[٤] . أبغضتك لله وحده . فلم ينفعك عندي كل ما صنعته ، عوض دنياك . فسري عن الأمير وسكن غيظه ، وملىء عليه رقة. فقال : والله لقد أحضرتك ، وما في الدنيا عذاب إلا وقد عرضته اختار بعضه لك ، وقد حيل بيني وبينك ، فأنا اعلمك ان الذي ابغضتني له ، صرفني عنك ، فانصرف في أمان الله تعالى ، وانصرف[٥] حيث شئت ، وارفع إليّ حاجتك ، فلن تعدم فيّ براً . فيا ليت الذي كان لم يكن . (فقال له طالوت صدقت فلو لم يكن كان)[٦] خيراً لك ، ولا مرد لأمر

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالأصل علاتك .
(٣) له ساقطة من — ر .
(٤) ساقطة بالأصل .
(٥) في الاصل وتصرّف .
(٦) ساقط من — ر .

الله . فلم يزل طالوت لديه (بعد)[١] مبروراً ، الى ان توفي عن قريب ، فأنبىء له الحكم ، وحضر جنازته وأثنى عليه بصدقه . وسأل الحكم طالوتاً بعد ان أمنه في ذلك المجلس ، كيف ظفر بك صاحبك الوزير ؟ قال أنا أظفرته بنفسي عن ثقة ، لوصلة بيني وبينه ، ليشفع لي عندك ، فكان منه ما رأيت . فقال له : فأين كان مثواك قبل ؟ فأخبره بخبر اليهودي ، فقال الحكم للوزير : سوءة لك رجل في أعداء الملة حفظ لهذا الشيخ محله في الدين والعلم ، فأخطر بنفسه فيه ، وناقضت انت ذلك وهو من خيار اهل ملّتك ، وأردت ان تزيدنا فيما نحن (قائمون)[٢] عليه ، في سوء الانتقام . اخرج عني قبّحك الله . ولا ترني وجهاً ووفر أرزاقه ، وطويت[٣] في بيت الوزارة فراشه . فسقط آخر الدهر ، وذهب عقبه وما زالوا في ارتكاس وخمول ، وقد قيل إن إعلامه إياه بهذا القضية ، وتباين ما بين الرجلين ، كان (سبب)[٤] عفو الأمير عن طالوت ، وانقلاب حقده على الوزير الواشي به . فالله أعلم .

عبد الرحمان بن موسى ، الهوّاري أبو موسى
(من أهل استجه)[٥]

ذكر ابن حارث ، انه استقضي على بلده ، أيام الأمير عبد الرحمان في (الحكم قال القاضي أبو الوليد : رحل أول خلافة الامام عبد الرحمان بن)[٦]

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالأصل نادمون وكذا في — أ .
(٣) في الاصل طوي .
(٤) ساقطة من — ر .
(٥) ساقطة من — ر .
(٦) ساقطة من — ر .

معاوية ، فلقي مالك بن أنس ، وابن عيينة ، ونظرائهما من الأئمة . ولقي الأصمعي وأبا زيد ، وغيرهما من رواة الغريب . وداخل العرب وتردد في محالها ، وصدر الى الأندلس ، من سفره ، فعطب ببحر تدمير فذهبت كتبه ، فلما قدم استجة أتاه اهلها يهنئونه بقدومه ، ويعزونه بذهاب كتبه فقال لهم : ذهب الخُرج وبقيت الدرج . يعني ما في صدره . وكان فصيحاً (ضرباً[1] من الاعراب ، حافظاً للفقه والتفسير والقراءة . وله كتاب في تفسير القرآن قد رأيت بعضه . رواه عنه محمد بن احمد العتبي ، ومسيب بن سليمان الاستجي، وروى عنه أيضاً اصبغ بن خليل ، وهو كان القائم بالقضاء أيام الحكم بن هشام بعد صعصة بن سلام ووفاته . قال القعنبي وكان أبو موسى إذا قدم قرطبة لم يفت (عيسى ، ولا)[2] سعيد بن حسان ، حتى يتحل عنها ، توقيراً له . وكان يسكن بعض قرى موررور ، ثم انتقل الى استجة .

عبد الرحمان بن عبيد الله

من أهل الأُشبونة . قال ابن الفرضي : قال خالد : كان متردداً الى قرطبة . وكان قد سمع من مالك ابن أنس ، وكان له مكرماً . ذكر هذا غير واحد . ويقال انه من روى الموطأ عنه . روى عنه عبد الملك زونان ، وغيره . قال عبد الرحمان : كنت يوماً جالساً الى جنب مالك ابن أنس ، فنظر الى ابن وهب وقال : سبحان الله أيا فتى ، لولا الإكثار .

---

(١) زيادة من — أ .
(٢) ساقطة من — ر .

حسان وحفص ابنا عبد السلام السلمي[١]

من أهل سرقسطة، ذكر (غير) واحد. رحلتهما الى مالك، وسماعهما منه. قال ابن أبي دليم: ورويا عنه الموطأ. قال ابن الفرضي: وكان جميعاً فاضلين، ورحلا معاً الى مالك. وكان حسان أسَنّ من حفص. وكان من اهل العلم والتديّن. وكان (حفص)[٢] متفنناً في العلوم بليغاً حاذقاً. كنيته ابو عمر. ويحكى انه لزم مالك (مدة)[٣] سبعة أعوام. وكان مالك يُدني منزلته. وسرد الصيام أربعين سنة. وكان الأمير الحكم يستقدمه كل عام يؤم به في رمضان.

شبطون بن عبد الله الانصاري

الطليطلي. ولي القضاء ببلده، وذكره ابو سعيد وابن مفرج وابن أبي دليم، وغيرهم[٤]. في الرواة عن مالك. وذكر ابن أبي دليم انه سمع منه الموطأ، وقيل انه سمع منه كثيراً. وكان يسمع منه حتى مات. وتوفي سنة اثنتي عشرة ومائتين.

محمد بن يحيى السبائي من اهل قرطبة

يكنى أبا عبد الله. كان يعرف بفطيس[٥] بن أم غازية. روى عن مالك ابن أنس الموطأ، فيما ذكره ابن دليم. وسمع منه مسائل معروفة. روى عنه قاسم بن هلال. قال ابن الفرضي: وفي كتاب احمد بن محمد بن

---

(١) عنوان بالاصل.
(٢) ساقطة من — ر.
(٣) ساقطة من الاصل.
(٤) في — ر — غيرهما.
(٥) بالأصل: بقسطيني.

سعيد السبائي ، وفي رواية ابن لبابة : محمد بن يحيى . فلا أدري أهما رجلان أم واحد . اختلف في اسم أبيه . وفي كتاب أبي سعيد المصري ، في موضع محمد ابن يحيى السبائي قرطبي . سمع من مالك ابن أنس . وقال في موضع آخر : محمد بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن سالم بن خشخاش بن أبي وعلة السبائي . أندلسي قديم . كان المفتي في أيامه ، فجعلهما رجلين . وقال احمد : هو جد السبائين بقرطبة . قال : ولا أعلم له رحلة . وتوفي في صدر أيام الأمير عبد الرحمان بن الحكم ، بعد ست ومائتين . وقال ابن حارث : كان ابن بشير القاضي يشاور في قضائه ، محمد بن سعيد السبائي . قال الأمير : لعلّ هذا هو المعروف بابن الملون ؟ ووهم فابن الملون متأخر عن هذه الطبقة . وقال ابن حارث : محمد بن سعيد بن عبد الله السبائي . ذكره عبد الملك في كتابه . (سمع يحيى بن يحيى)[1] وعيسى بن دينار وأمثالهم ، وكان من أهل الورع (والسمت) الحسن . يروي عن يحيى بن يحيى . توفي نحو الثمانين ومائتين .

داود بن جعفر بن الصُّغَيِّر

ويقال ابن الصّغير ، مولى بني تيم ، قرطبي . سمع عن مالك والدراوردي ومعاوية بن صالح ، وابن عيينة ، وزكريا بن منظور . وقال ابن الفرضي : وقد روى عن ابن وهب ، وابن القاسم ، ومن الأندلسيين حسين بن عاصم ، والأعشى ومطرف بن عبد الرحمان بن قيس ، ومحمد بن وضاح . قال ابن وضاح : وروى هو عني . وكان ولي قضاء قلنبريه . قال ابن أبي دُليم ، وذكره في المالكية : كان يميل الى الحديث ، ولم يذكر له سماعاً عن مالك . وذكر سماعه أبن الفرضي عن أبي لبابة . وذكره ايضاً غيره . وسماعه في

---

(١) زيادة من — أ .

المدينة كثير، مشهور . وقال داود : رأيت ابن عيينة يطوف بالبيت متكئاً على رجل يسأله عن حديث . فنحى يده عنه وقال له : نكراً[١]. فانضممت إليه . واتكأ علي، حتى فرغ من (طوافه)[٢] ثم تحول إليّ فقال : بارك الله عليك، قال علي ابن أبي طالب : المؤمن حسن المعونة قليل المؤونة . قال مطرف بن قيس : كان داود بن جعفر لبيباً فاضلًا . كتب عنه نحواً من ثلاثة آلاف حديث، وأكثر . قال ابن وضاح : هو جدّ بني الصغير، عندنا بالأندلس .

الطبقة الصغرى من اصحاب مالك

فمن أهل المدينة

أبو مصعب أحمد بن أبي بكر

واسم أبي بكر القاسم بن الحارث[٣] بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمان ابن عون الزبيري[٤] . روى عن مالك الموطأ وغيره من قوله، وتفقه بأصحابه : المغيرة وابن دينار وغيرهما . وله كتاب مختصر في قول مالك مشهور . قال الزبير بن بكار : كان على شرط عبيد الله بن الحسن بالمدينة. ثم ولاه[٥] قضاءها . قال مصعب بن عبدالله : ويعرف بكنيته : أبو مصعب (وهو فقيه أهل المدينة . قال الزبيري : ومات وهو فقيه أهل المدينة)[٦] .

---

(١) لفظ ابن الفرضي : وكذاً .
(٢) صوافه بالاصل .
(٣) بالأصل الحرث .
(٤) بالأصل الزهيري وفي — أ — الزهري .
(٥) بالاصل ولي .
(٦) ساقط من — ر — وكذا في — أ .

غير مدافع . قال أبو اسحاق الشيرازي : كان من أعلم أهل المدينة . روي انه قال لأهل[1] المدينة : لا تزالون ظاهرين على أهل العراق : ما دمت لكم حياً . روى عن مالك والمغيرة ، وابن دينار وابراهيم بن سعد ، وابن أبي حاتم ، وصالح بن قدامة والدراوردي والعطاف بن خالد ، وغيرهم . روى عنه البخاري ومسلم والذهلي واسماعيل القاضي ، وأخوه حمّاد والرازيان وابن نمير ، ومحمد بن رزين وغيرهم . واخرج البخاري ومسلم عنه في صحيحيهما قال ابن أبي حاتم : روى عنه أبي وأبو زرعة وقالا : هو صدوق . وقال القاضي وكيع في كتاب طبقات القضاة : هو من أهل الثقة في الحديث . قال أبو بكر بن ابي خيثمة : خرجت في سنة تسع عشرة ومائتين الى مكة، فقلت لأبي (محمد)[2] أكتب ؟ فقال : لا تكتب عن أبي مصعب ، واكتب عمن شئت . قال القاضي المؤلف : وإنما قال ذلك ، لأن أبا مصعب كان يميل الى الرأي ، وأبو خيثمة من أهل الحديث ، وممن ينافي ذلك ، فلذلك نهى عنه . وإلا فهو ثقة لا نعلم أحداً ذكره إلا بخير . قال ابن أبي خيثمة : وأبو مصعب ممن حمل العلم ، وولاّه عبيد الله بن الحسن قضاء الكوفة . ثم ذكر انه ولي قضاء المدينة . قال ابن نمير : سمعت أبا مصعب يقول : سمعت مالكاً يقول : كلام الله غير مخلوق . وقال ابو مصعب : فمن شك او وقف فهو كافر . وقال حبيب : قال ابو مصعب : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص . فمن قال غير هذا فهو كافر . قال ابو مصعب : وحدثني عبد العزيز ابن أبي حازم قال . قلت لمالك ابن أنس من خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قال ابو بكر وعمر قال ابن أبي حازم ، وهو رأيي . قال ابو مصعب : وهو رأيي . ولو كان المحاباة لحابيت جدي عبد الرحمان بن عون . قال البخاري :

---

(١) بالاصل يا أهل وكذا في – أ .
(٢) بالاصل عمّن وكذا في – أ .

ومات سنة اثنتين وأربعين ومائتين بالمدينة . وقال ابن عبد البرّ وغيره : سنة احدى واربعين . قال ابن الجزّار : في آخرها . قال الشيرازي وعاش تسعين سنة .

ابو محمد الحكم – مدني –

ذكره ابن شعبان في جملة رواة مالك . وهو مشهور بمجبة محمد بن مسلمة ، وعبد الملك بن الماجشون . يروي عنه اسماعيل القاضي ، وأخوه حماد ، ومحمد ابن عبد الحكم .

يعقوب بن حميد بن كاسب

أبو يوسف ، مدني ، سكن مكة . روى عنه مالك وابراهيم بن سعيد[١] والدراوردي وابن أبي حازم ، والمغيرة وأنس بن عياض وعبد المالك بن الماجشون . روى عنه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان والزبير بن بكار ، وعبدالله ابن شهاب وصعصعة بن معين ، لعله قال : وهو في سماعه ثقة . وإنما ضعّفه لأن الطالبين حدّوه . قال ابو داود : فناظرت ابن معين في خبره وتحامل اولئك عليه ، فأمسك عنه . قال ابن وضاح : ما رأيت بالحجاز أعلم بقول أهل المدينة منه . قال سحنون : كان حافظاً ، وكان يعرف بابن القسام ، وضعّفه أبو حاتم وأبو زرعة . قال البخاري : مات أول سنة إحدى واربعين أو آخر أربعين ومائة .

---

(١) بالأصل سعد وكذا في – أ .

أبو عبد الله محمد بن صدقة الفدكي

كان يسكن ناحية المدينة . قال البخاري : سمع مالكاً ومحمد بن يحيى ابن سهل . سمع منه ابراهيم بن المنذر ، وله عن مالك مسائل كثيرة وحديث . قال محمد بن صدقة : سئل مالك ، عن الرجل يبتاع العبد ، فيشبح عنده موضحة ، فيأخذ لها عقلاً ، ثم يردّه بعيبه ، فيطلب سيده أرش الموضحة أنه لا شيء له منها ، لأن الموضحة لا تشينه وإن كان جرحاً يشينه لم يرده إلا بما أخذ . وقال ابن القاسم : وكذلك الجائفة ، والمأمومة . وقال عيسى ابن دينار : إذا شانه كان بالخيار إن يُرَد ، وما نقص الشين ليس العقلُ الذي أخذه . وإن شاء حبَس وأخذ قيمة العيب ، وإن لم يُشِن . وكل ما أخذ أو أمسك فلا شيء له .

الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب

ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوّام . مدني يروي عن مالك وأبي ضمرة ، وأبيه ومحمد . يكنى بأبي عبدالله . قال ابن أبي خيثمة : هو من أهل العلم . سمعت عمه مصعب بن عبد الله غير مرة يقول : لي بالمدينة ابن أخ إن بلغ أحدٌ منا فسيبلغ ، يعنيه ، كان الزبير علامة قريش في وقته . الحديث والفقه والأدب ، والشعر والخبر والنسب ، وهذا الباب هو الغالب عليه ، وله فيه كتاب : جمهرة أنساب قريش ، وغير ذلك . ولي قضاء مكة وبها توفي في ذي الحجة سنة ست وخمسين ومائتين .

ومن المكيين ممن عداده في البغداديين
هارون بن عبد الله الزهري[1] أبو يحيى

قال المصعب الزبيري : هو هارون بن عبدالله بن محمد بن معن بن عبد الرحمان ابن عوف . وأمه سهلة ابنة معن بن خنجر بن عمر بن معن بن عبد الرحمان. مكي نزل بغداد ، وذكره أبو اسحاق الشيرازي في الطبقة الأولى من الاتباع ، وقد ذكر أبو اسحاق ابن القرطبي وأبو مفرج القرطبي : انه ممن روى عن مالك وأسندوا له عنه أحاديث ، وحكاية تشهد بسماعه . قال الشيرازي : تفقه بأبي مصعب الزبيري . قال القاضي : وسمع من ابن وهب وابن أبي حازم والقاضي هارون أيضاً ، رواية عن المغيرة وعبد الملك والواقدي . روى عنه يحيي بن عمر ويونس بن عبد الأعلى والوليد بن مسافر والعداس ، وأبو جعفر ابن هارون الإيلي ، وجعفر بن يزيد ، والقاضي أبو المغيرة محمد بن اسحاق المخزومي ومطرّف بن قيس . قال الشيرازي : هو أعلم من صنّف الكتب في مختلف قول مالك . قال الزبير في جمهرته : كان من الفقهاء وكان يقوم بنصرة أهل المدينة فيحسن . قال مطرف بن قيس : سمعت منه بمكة وكان ألزمها ، وكان عظيم القدر وله رواية عن مالك . وقال لي محمد بن عبد الحكم: إن لقيته فاحمل عنه . وقال القاضي وكيع : كان هارون الزهري[1] من الفقهاء لمذهب أهل المدينة من أصحاب مالك . ومن أهل الأدب الواسع . قال هو والجيزي : كان في قضائه محموداً عفيفاً عدلاً ذا قدر .

---

(١) ذكر في النسخ «الزبيري» محرفاً ، واسمه في كتاب القاضي وكيع (أخبار القضاة) – تصحيح عبد العزيز المراغي – هارون بن عبدالله الزهري ج ٣ ص ٢٧٤ ، وكذلك في تاريخ الحافظ البغدادي ج ١٤ ص ١٣ . وسيذكر اسمه صحيحاً في مواضع اخرى .

ولايته القضاء وسيرته ومحنته

قال المصعب[١] الزبيري : ولاه المأمون قضاء المصيصة ثم صرخد ، ثم قضاء الرقة ، ثم صرفه . ثم قضاء عسكر المهدي ببغداد . ثم صرفه . ثم قضاء مصر ، فلم يزل على قضائها الى ان صرف (آخر)[٢] أيام المعتصم . قال الحميدي في قضاة مصر . قال : بقيت مصر بعد ابن المنكدر دون قاضٍ ، إلى أن ولّى المأمون قضاءها هارون بن عبد الله الزهري[٣] . قال هارون : دعاني المأمون فقال : يا هارون قد وليتك بلداً يقولون بقولك ، مصر . قال ابو عمر الكندي في كتابه في قضاة مصر : قدم هارون الزهري مصر ، في رمضان سنة سبع عشرة ومائتين من قبل المأمون ، وجلس في المسجد الجامع ولم يُبْقِ شيئاً في أمور القضاء إلا شاهده ، بنفسه . وحضره مع اهل مصر . وتقصّى الاحباس وأموال الأيتام ، ووقف على وجوهها بنفسه ، وحاسب عليه ، وضرب رجلًا على حال رآه منه في مال يتيم ، كان ينظر له ، وأطافه . وأورد أموال الغيّبِ ومن لا وارث له بيت المال ، وسجل بجميع ذلك وكتب إليه المعتصم يأمره بأخذ الفقهاء بالمحنة (فاستعفى من ذلك[٤]) . فكتب ابن أبي دؤاد الى أبي بكر الأصم يأمره بأخذهم بذلك . فكان رأساً في ذلك يحمل الناس فيها ، فكان هارون يقول : الحمد لله على (معافاتي)[٥] مما ابتلى به غيري . فذكر أنه نال علماء مصر في ذلك محنة عظيمة . وان ابن عبد الحكم الكبير ضرب بالسياط ، وضرب بنو عبد الحكم كلهم ، وامتحنوا .

(١) ساقطة من — ر .
(٢) زيادة من — أ .
(٣) كذا بالاصل وفي — أ .
(٤) ساقطة من الاصل .
(٥) ساقطة من الاصل .

وامتحن الأصم ايضاً أبا الطاهر وأبا جعفر الايلي ، ويحيى بن بكير وأبا اسحاق الفريقي ، وأبا راشد ، وضرب ظهره بالسياط . وجعل على حمار وجهه الى ذنبه ، وطيف بـه . وضرب ابن كاسب ، وعبد الله ابن زيد بن ظبيان ، وقابوس ابن أبي ظبيان وغيرهم . وأجابه بعضهم تقية . وكل من أجابه تركه ، ومن أبى عليه ، بعثـه الى العراق ، الى ابن أبي دُؤاد ، وفرّ جماعة على وجوههم ، منهم ابن المواز . واختفى آخرون . منهم أصبغ بن الفرج ، فلزم داره . وذكر الكندي : ان المأمون لما أخذ الناس بالمحنة في القرآن ، كتب الى أمير مصر ، يأخذ به القاضي هارون ، فزعم انه أجابه وانه (كان)[1] لا يقبل من الشهود إلا من أقرّ به . وذلك تقية ، والله أعلم ، وامتثالاً لما أمر به ، ويدل على انه تقية استعفاؤه من الأمر بعد ذلك (وامتحانه على يد هذا الأصم المذكور ، وما تذكره بعد)[2] قال ابو عمر والجيزي وثقل مكانه على ابن أبي دؤاد ، فصرفه عن قضاء مصر ، سنة ست وعشرين ، ولم يجد سبيلاً الى عزله . لان المعتصم كان وقع اختياره عليه . حتى قرّر عند المعتصم ، انـه استعمل اصحاب ابن المنكدر ، الذي كان يشابه المعتصم كما ذكرنا في أخباره ، وأنه صيرهم بطانة فعزله ، وولى أبا بكر ابن أبي الليث الأصم ، فأقام رجلاً فرفع على هارون باستهلاك مال من بيت المال . وكان هارون يدفع مفتاح التابوت الى غير ثقة . فأتى عليه منه . فأمر الأصم ، باحضار هارون ومناظرته ، مرة بعد أخرى ، فامتهنه ، وأمر بحبسه ، فورد كتاب المعتصم برفع ذلك عنه . فأخذ الله عما قريب من الأصم ، ما فعل بهارون وزيادة ، على يد الحارث[3] بن مسكين ، لما ولي قضاء مصر . أقام

---

(١) ساقطة بالاصل .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) بالاصل الحرث .

الأصم أياماً يضربه كل يوم عشرين سوطاً في رد مال بيت المال ، ثم أمر المتوكل لما ولي بعد ذلك بحلق لحية الأصم وضربه ، وطوافه في مصر على حمار ، وسجنه وحمله (على حمار)[١] وأصحابه . واستصفى ماله ولعنه على المنبر ، فنفذ ذلك كله . وكان الأصم مبتدعاً معتزلياً خبيثاً . وكانت وفاة القاضي هارون سنة ثمان وعشرين ومائتين .

ذكر ملح وحكم من شعره

أنشد له القاضي وكيع في طبقات القضاة ، ما قاله عند انصرافه عن ابن أبي دؤاد :

ايام معروفك ما لم تكن[٢] بالصبر أحوال وأحوال
فاصبر لها واصبر لمكروهها فللذي يدبر إقبال
ورب أمر مرتج بابه عليه ان يفتح اقفال
ضاق بذي الحيلة في فتحه حيلته والمرء محتال
حتى تلقته مفاتحه من حيث لم يخطر به البال
والرزق فاطلبه على انه آت له وقت وآجال
وليس يبطىء عنك في وقته ولا له عن ذاك إعجال
فلا تقم عبداً على مطمع فربما أخلفك الحال
فالفقر خير فاعلمن من غنى يكون كل فيه اذلال
والمال للمكثر شين إذا لم يك منه فيه افضال
والحرّ حرّ حيث أمسى ولا يمنعه من ذاك إقلال

وأنشد الزبير بن بكار له :

هل الشوق إلا أن يحن غريب وأن يستطيل العهد وهو قريب

---

(١) ساقطة من الاصل .
(٢) بالاصل تفن وكذا في — أ . وفي اخبار القضاة : يُعِين .

أرى الشوق يدعوني الى من اوده   وللشوق داع مسمع ومجيب
سقى الله اكناف المدينة انه   يحل به شخص إليّ حبيب
واني وإن شطت بيَ الدار عنهم   اليهم لمشتاق الفؤاد طروب
وقائلة ما بال جسمك شاحباً   وأهون ما بي أن يكون شحوب
فقلت لها في الصدر مني حرارة   تقطع أنفاسي لها وتنوب
اذا ما تذكرت الحجاز وأهله   فللعين من فيض الدموع غروب

وأنشد له أبو عمر الكندي :

ولما رأيت البين منها فجاءة   وأهون للمكروه أن يتوقعا
ولم يبق إلا أن يُشيِّع ظاعنا   مقيم وتذري عبرة أن تودعا[١]
نظرت إليها نظرة فرأيتها   وقد أبرزت من جانب الخدر اصبعا

وذكر عن هارون انه قال : أنشدتها لعبد الملك ابن الماجشون ونسبتها[٢] الى رجل من بني قيس ، فقال : احسن والله . فقلت أنا والله قلتها في طريقي إليك . (فقال قد عرفت فيها)[٣] اللين حين أنشدتها . وأنشد له القاضي وكيع قصيدة كثيرة الحكم والوصايا ، أولها :

أمسى مشيبك في المفارق شائعا   ورددت من عهد الشباب ودائعا
وتركت وصل الغانيات وطالما   عاصيت فيهن العواذل طائعا
ولقد لبست مِنَ الشباب غضارة   ونضارة لو كان ذلك رايعا[٤]
أزمان تصغي للصبا وحديثه   سمعاً يميل الى الغواية سامعا
فدع الغواني والشباب وذكره   كم موضع في الغي اصبح نازعا

---

(١) انشده في كتاب القاضي وكيع – الطبعة المشار اليها – :
ولم يبق الا ان يودع ظاعنٌ   مقيماً وتذري غيره او مودعا
(٢) في الاصل أنسبتها وكذا في – أ .
(٣) ساقطة من – أ .
(٤) في كتاب القاضي وكيع : راجعاً.

والله فاخشَ وخف ذنوبك عنده ... يوم الحساب وكن لنفسك وازعا[1]
لا تعطِ نفسك ما تريد ولا تكن ... فيما يضرّك ان دعيت مسارعا
لا تمس عبداً للمطامع ولتكن ... للفضل متبوعاً ولا تكُ تابعا
كن للعشيرة في الأمور إذا عدت ... كهفاً وعنها في الأمور مدافعا
لا تحسدن نبيهها واخضع له ... خير منَ أن تبقى لآخر خاضعا
سهل له فيما يريد طريقه ... حتى يكون برفعة لك رافعا
فمتى ينل حظاً يكن لك حظه ... وتكون فيه مفارقا ومجامعا
فاذا نشا لك ناشئ فانهض له ... وامنعه من ضيم يكن لك مانعا
حافظ عليه واتخذه عدة ... سيفاً إذا لقي الكريهة قاطعا
أكثر صديقك ما استطعت فما به ... ضرٌ إذا [ما][2] لم يكن لك نافعا
داوِ العداوة من عدوّ بالتّقى ... واحذر عدوّك دانيا او شاسعا
وإذا دعاك الى الرجوع مجاملا ... فارجع له وليلفَ سِربُكَ واسعا
إلا الحسود فان تلك عداوة ... تبدي الرضا وتكون سُمّاً ناقِعا
فاصبر عليه فليس فيه حيلة ... وليطلعنّ طوالعا وطوالعا

وينشد أيضاً :

ماذا على الحي يوم البين لو رفعوا ... أو وصلوا من حبال البين ما قطعوا[3]
بل لم ينالوا أسيراً في الديار ولو ... نالوه لم يصنعوا في ذاك ما صنعوا[4]
لما رأيت حمول الحي باكرة ... يحثها جذل بالبين مندفع
ناديت ليلّا[5] ولا ليلا[5] يودعني ... منها السلام فكاد القلب ينصدع

---

(١) في اخبار القضاة : رادعاً .
(٢) زيادة من رواية اخبار القضاة .
(٣) بالاصل قطع .
(٤) بالاصل ما صنع . ورواية اخبار القضاة : لم ينالوا أسيراً ... ولو نالوه
(٥) في – ر – ليلى وكذلك في رواية اخبار القضاة .

يا ليل[١] أهلك أحموني زيارتكم والدار واحــدة والشمل مجتمع
فالآن مرّ عليّ العيش بعــدكم فلست بالعيش بعد اليوم انتفع
هل الزمان الذي قد مر مرتجع أم هل يرد على ذي الصولة[٢] الجزع
قالت سليمى علاك الشيب من كبر والشيب أهون ما لم يأتك الطمع[٣]
يا سلم إني وإن "شيَبتُ"[٤] يفزّعني رحب اليدين بما حملت مضطلع
ولن أرى أطير[٥] يوماً لمفرحه ولا أرى لصروف الدهر يختشع[٦]
قد جربتني صروف الدهر فاعترفت صلب القناة صبوراً كيفما يقع
نزه الخلائق لا يقتادني طمع إنّ اللئيم الذي يقتاده الطمع
هذا وخائن قوم ظــل يشتمني كالكلب ينبح حيناً ثم ينقمع
تركته معرضاً لي واستهنت به اذا[٧] لم يكن لي فيه ريّ ولا شبع
لا واضعاً غضبي في غير موضعه ولا انتظاري[٨] إذا ما نالني الفزع
ولا ألين لقوم خاضعــاً لهم ولا أكافيهم بالشر إن جمعوا
حلماً بحلم وجهلاً إن هم جهلوا إني كذلك ما آتي ومــا أدع

ومن أهل المشرق قتيبة بن سعيد

ابن جميل بن طريف بن عبدالله الثقفي ، البلخي البغلاني . وبغلان قرية بخراسان . مولى ثقيف . كنيته أبو رجاء . عداده في أهل بلخ . وكان

---

(١) في – ر – يا ليلى .
(٢) في « اخبار القضاة » : الغولة
(٣) في « اخبار القضاة » : الصلع
(٤) في – أ – أمسيت
(٥) كذا في –ر– وفي الاصل بطرا . ورواية اخبار القضاة : لا يطرأ الشرّ لي إني لمفرجه
(٦) بالاصل : اختشع . وكذلك في اخبار القضاة
(٧) بالاصل إذ .
(٨) في اخبار القضاة : انتصاري

طريف أبو جده مولى الحجاج، وخبّازه. قال أبو أحمد بن عدي وغيره[١]: قتيبة لقب، واسمه يحيى[٢]. قال ابن شعبان له عن مالك الكثير من جيد الحديث والمسائل. سمع من مالك والليث، وابن لهيعة. وهو آخر من روى عنه، وبكر بن مضر، ويعقوب الاسكندراني، وحماد بن زيد، وأبي عوانة، وعبد الواحد بن زياد، واسماعيل بن جعفر. روى عنه عبدالله ابن الزبير الحميدي، وابن حنبل وابن معين، وأبو خيثمة، وأبو بكر ابن أبي شيبة، وابن نمير، والحسن بن عرفة، وسيف بن موسى القطان، وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وأبو داود، والترمذي والنسائي والبخاري ومسلم. وأخرجا عنه في الصحيح، فأكثروا. وأثنى عليه أحمد بن حنبل، وقال يحيى: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة. قال عبد الرحمان: سمعت أبي يقول: حضرت قتيبة بن سعيد ببغداد، وجاء ابن حنبل فسأله عن أحاديث فحدثه بها. ثم جاء ابن أبي شيبة، وابن نمير بالكوفة. فلم يزالا ينتجان، عليه، وأنتج معهما الى الصبح. وذكر أبو القاسم البلخي في مقالاته: ان حمزة بن محمد الحافظ، قال: اجتمع قوم من الطلبة بباب قتيبة بن سعيد، فسأله أحدهم ان يسمعه الحديث وبعضهم يسأله ان يسمعه الفقه[٣]. وأتى[٤] عليه الرحالون، وكان روى كثيراً، ولقي رجالاً (فتبسم)[٥] ثم قال:

تسألني أم صبي جملا   يمشي رويداً ويكون أولا
مهلًا خليلي فكلانا مبتلى

(١) ساقطة من — ر.
(٢) ساقطة من الأصل.
(٣) ساقطة بالأصل.
(٤) بالأصل ألحّ وكذا في — أ.
(٥) ساقطة من — ر.

قال القاضي وكيع : ولي قتيبة القضاء ببغداد ، واستتاب بشراً المريسي فأقامه على صندوق من صناديق المصاحف ، فقال بشر : معاذ الله ، لست بتائب . فكثر الناس عليه حتى كادوا يقتلونه[١]. قال أبو داود : سمعت قتيبة ابن سعيد ، وقيل له : الواقفة يعني في القرآن . فقال له : الواقفة شر منهم يعني ممن قال بالمخلوق . وذكر ان اسحاق بن راهويه كتب الى قتيبة مرة وثانية ، فلم يجبه . فكتب اليه الثالثة :

إذا الاخوان فاتهم التلاقي فلا شيء أسَرُّ من الكتاب
وان كتب الصديق الى أخيه فحق كتابه ردّ الجواب

(وذكر ابو القاسم البلخي في مقالاته ، قال ابو عبد الله البخاري : وتوفي قتيبة غرة شعبان ، سنة أربعين ومائتين ، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة ، ومولده ببلخ في رجب ، سنة ثمان وأربعين ومائة)[٢] .

ومن اهل مصر
عبدالله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث

مولى عميرة . امرأة من موالي عثمان بن عفان . قال ابن شعبان : يكنى أبا محمد ، سمع مالكاً والليث وبكر بن مضر وعبد الرزاق ، والقعنبي وابن لهيعة ، وابن علية واسماعيل بن أبي عياش ، ويعقوب بن عبد الرحمان الزهري. والعطاف بن خالد ، وابن عيينة . روى عنه ابن نمير ، وهارون بن اسحاق وبنوه ، والمقدام بن داود ، وأبو يزيد القراطيسي والربيع بن سليمان ، وابن

---

(١) نقل القاضي وكيع الحادثة عن قتيبة بن زياد قاضي الجانب الشرقي ببغداد أيام فتنة ابراهيم بن المهدي ، وهو غير قتيبة بن سعيد صاحب الترجمة (راجع اخبار القضاة ج ٣ ص ٢٦٩ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٦٣) .

(٢) ما بين الحاصرتين بهامش الورقه بنسخة — أ .

المواز ، والعداس واحمد بن ركبان وابن حبيب ، واحمد بن صالح ومحمد ابن مسلم ، وغير واحد . قال ابو عمر بن عبد البر : كان ابن عبد الحكم رجلًا صالحاً ، ثقة متحققاً بمذهب مالك .

قال الكندي : كان فقيهاً . قال ابو زرعة الرازي : هو صدوق ثقة (قال محمد بن مسلم ، كتبت عنه وهو شيخ مصر . وقال مثله احمد بن صالح . قال ابو حاتم الرازي : هو صدوق)[١] قال احمد بن عبد الله الكوفي : عاقل ، حليم ، ثقة ، كتبت عنه . قال الشيرازي : وإليه أفضت الرئاسة بمصر بعد أشهب . وكان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله . ولابن عبد الحكم سماع من مالك الموطأ ، ونحو ثلاثة أجزاء . وروى عن ابن وهب وابن القاسم ، وأشهب كثيراً . وصنف كتاباً اختصر فيه أسمعته ، ثم اختصر منه كتاباً صغيراً وعلى هذين الكتابين مع غيرهما نقول[٢] المالكيين من البغداديين ، في المدارسة « وإيّاهما شرح ابو بكر الأبهري وغيرهما[٣] » ، بل وغير واحد من العراقيين واهل المشرق ، قال بشر بن بكر : رأيت مالكاً في النوم بعد الممات[٤] بأيام ، فقال : لي ببلدكم رجل ، يقال له ابن عبد الحكم ، فخذوا عنه فإنه ثقة .

جملة من اخباره وفضائله وتواليفه

قال ابو عمر الكندي : ولـّي ابن عبد الحكم بعد ابن برد ، مسائل عيسى ابن المنكدر ، قاضي مصر . فأدخل في العدول من استحق ذلك عنده ، وان

---

(١) ساقطة من ـ أ .
(٢) بالاصل معول وايضاً بـ ـ أ .
(٣) ساقطة من الاصل .
(٤) بالاصل انه مات .

لم يكن له قدم . وقبل شهادته ، فاضغن ذلك عليه بعض مشيخة المصريين . فقال له يوماً ابو خليفة الرعيني : كان هذا الأمر مستوراً فكشفته . وأدخلت في الشهادة من هو يسمى[١] باهل لها . فقال له ابن عبد الحكم : هذا الأمر دين ، وقد فعلت ما يجب علي . فقال : وبلغ بنو عبد الحكم بمصر من الجاه والتقدم ، ما لم يلقه[٢] أحد . قال ابن عبد البر : وكان عبد الله صديقاً للشافعي ، وعليه نزل أن جاء من بغداد ، فأكرم مثواه وبالغ الغاية في بره ، وعنده مات . قال الشيرازي : يقال انه دفع للشافعي الف دينار ، وأخذ له من أصحابه ألفاً ، ومن رجلين آخرين ألفاً . قال ابن عبد البر : وقد روى عبد الله عن الشافعي وكتب كتبه بنفسه ، وابنيه . وضم ابنه محمد إليه . وكانت بين عبد الله بن عبد الحكم وبين اصبغ منازعة ، ومباعدة . حتى كاد يرمي كل واحد منهما صاحبه بالبهتان فقيل لابن عبد الحكم : ان هذا الرجل قد وجب لك عليه حد ، فحدّه فأبى . وقال ان جلد صرنا حديثاً . يقال جلد[٣] فلان ، بسبب فلان . ومن تواليف عبد الله بن عبد الحكم : المختصر الكبير . يقال انه (نحا به)[٤] اختصار كتب أشهب ، والمختصر الأوسط والمختصر الأصغر[٥] ، قصره على علم الموطأ . والمختصر الأوسط ، صنفان . فالذي في رواية القراطيسي[٦] فيه ، زيادة الآثار ، خلاف الذي في رواية محمد ابنه ، وسعيد بن حسان . وله ايضاً كتاب الأهوال . وكتاب القضاء في البنيان . وكتاب فضائل عمر بن عبد العزيز . وكتاب المناسك . وقد اعتنى

---

(١) بالاصل ليس .
(٢) بالاصل يبلغه .
(٣) بالاصل حد وكذا في — أ .
(٤) ساقطة من — أ .
(٥) بالاصل الصغير .
(٦) بالاصل القراطيسي ، ساقطة من — أ .

الناس بمختصراته ، ما لم يعتن بكتاب من كتب المذهب بعد الموطأ والمدوّنة . فشرح المختصر الكبير الشيخ ابو بكر الأبهري ، وللخفاف فيه شرح ايضاً . ولأبي جعفر بن الجصاص عليه تعليق . نحو مائتي جزء فيما ذكر وقد رأيت بعضه . وشرح ايضاً الشيخ ابو بكر الأبهري المختصر الصغير ، ولأبي بكر ابن الجهم فيه ، شرح ايضاً كبير ، غير انه[١] اختصره محمد ابن أبي زيد ، وآخر من شرحه من طبقة شيوخنا ابن باخي البصري[٢] ؟ ولمحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم[٣] في الصغير زيادة خلاف الشافعي ، وأبي حنيفة . وفيه عمل على هذا لأبي عبد الله بن عبد الرحيم البرقي . زاد على هذا قول سفيان ، وابن راهويه والأوزاعي والنخعي ، وبعضهم جعله لابنه ، أبي القاسم عبيد الله بن محمد البرقي ، ولأبي الحسن علي بن يعقوب الزيات المعروف بابن رمضان ، على هذا زيادة أقوال بعض الفقهاء ، ممن لم يذكره البرقي ، ثم لعبيد الله بن عمر البغدادي الشافعي ، من اهل قرطبة المعروف بعبيد ، على ما ذكر ابن رمضان ، زيادة مذهب داود ابن علية ، والليث والطبري ، ذكر بعضهم ان مسائل المختصر الكبير ثمانية عشر الف مسألة . وفي الأوسط أربعة آلاف مسألة . وفي الصغير الف ومائتا مسألة ، وذكر بعضهم ان مسائل المدوّنة ستة وثلاثون (الف)[٤] مسألة ، والف ايضاً كتاب الأهوال[٥] .

ذكر خبره مع ابن معين ومحنته ووفاته

ذكر الباجي ، في كتابه خبره مع ابن معين ، فاختصرته على المعنى ،

---

(١) زائدة في — أ .
(٢) لعله : أبو الوليد الباجي القرطبي .
(٣) ساقطة من الاصل .
(٤) ساقطة من — ر .
(٥) ساقطة من — ر .

وذكر انه كان صديقاً له ، واعلمه انه يحضر مجلسه في الغد ، وأمره بالتحفظ ، فغدا عليه يحيى من الغد ، وهو يحدث بكتاب الاهوال ، من تأليفه . فقال حدثنا فلان وفلان وذكر عدة من شيوخه بما في هذا الكتاب ، فقال له يحيى : كلهم حدثك بجميع ما فيه ، او بعضهم ببعضه ، فجمعت حديثهم . فهاب كلامه ابن عبد الحكم ، ودهش ، وقال : كلهم حدثني به . فقام يحيي وقال : الشيخ يكذب . وذكر أبو العرب التميمي ، في كتاب المحن ، عن عبد الله بن عبد الحكم ، انه امتحن في القرآن على يد الاصم ، وضرب بالسياط في مسجد مصر ، أقل من ثلاثين سوطاً أيام المأمون وابن أبي دؤاد على قضائه . وترجم أبو العرب في الترجمة عبد الله بن عبد الحكم . وذكر في الحكاية ان الذي فعل به هذا هو ابن عبد الحكم الكبير ، واراه ابنه . فان محنة الاصم كانت بعد موت عبدالله على ما ذكرناه ، في أخبار القاضي الزهري[1] ، قبل . قال أبو عمرو[2] الكندي : وكان القاضي عيسى بن المنكدر قد كتب الى المأمون كتاباً في شأن المعتصم اخيه ، لما ولاه مصر . فعرضه المأمون على المعتصم . فلما ورد المعتصم مصر عزل ابن المنكدر ، وسجنه الى ان مات في سجنه ببغداد ، رحمه الله تعالى . وسجن عبد الله بن عبد[3] الحكم بالتهمة ، في هذا الكتاب إذ كان الغالب على ابن المنكدر وصاحب مسائله ، وكان أشار على ابن المنكدر ألاّ يفعل ، فعصاه . فمرض عبد الله فمات لإحدى وعشرين ليلة خلت من رمضان ، سنة أربع عشرة ومائتين ، وهو ابن ستين سنة . قيل مولده بمصر سنة خمس وخمسين . وقيل سنة ست في السنة التي ولد فيها الحارث بن مسكين ، وعبد الله اكبر منه بشهرين .

---

(١) راجع التعليق ١ ص ٥١٥
(٢) في الاصل عمر وكذا في – أ .
(٣) زائدة في – أ .

وقيل سنة خمسين ومائة . وإليه أوصى ابن القاسم وابن وهب وأشهب . وأبو عبد الحكم يكنى أبا عثمان ، كذلك[١] له عن مالك مسائل في المدبّر وغيرها . وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائة . وأما بنوه فسيأتي ذكرهم بعد هذا ان شاء الله تعالى .

يحيى بن عبد الله بن بكير بن زكريا المخزومي - مولاهم -

قال الكندي : هو مولى عمرة مولاة ام حجر ابنة ابي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وقال ابن وزير : ثلاثة من أهل مصر لا يعرف لهم ولاء صحيح : ابن بُكَيْر ، وأصبغ ، وابن عفير . قال الكندي : كان ابن بكير ، فقيه الفقهاء بمصر في زمانه . ولاه القاضي العمري مسائله مع أشهب . سمع من مالك موطأه ، وغير ذلك . ومن الليث بن سعد والعطاف ابن خالد ، وابن لهيعة وبكر بن مضر ، ومفضل بن فضالة ، والمغيرة بن عبد الرحمان ، وابن وهب . روى عنه البخاري وخرج عنه في صحيحه ، وابن[٢] ابراهيم والزبيري[٣] ، واسحق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل ، وأبو داود السجستاني ، وعلي بن عمر التميمي ، والرمادي وأبو زرعة ويونس بن عبد الأعلى والذهلي . قال احمد بن عبيد الله الكوفي : كنت آتي ابن عبد الحكم فيمر به ابن بكير ، ويسلم عليه ، ويقول : شيخنا ابن بكير ، ومحدث بلدنا . ويتبعه ثناء حسناً . ذكر عن يحيى بن معين (انه)[٤] قال : شر العرضات عرضة ابن بكير . كان حبيب يصافح[٥] له ورقتين في ورقة ، وعنده[٦]

---

(١) ساقطة من الاصل .
(٢) في الاصل أبو وكذا في - أ .
(٣) في الاصل الزهري وكذا في - أ .
(٤) ساقطة من - ر .
(٥) بالاصل يصفح وفي - أ - يفصح .
(٦) بالاصل وهذه .

الحكاية باطلة الاصل والله أعلم ، لأن مالكاً رحمه الله تعالى[١] ومن حضره، لم يصح جواز مثل هذا عليهم لحفظ حديث الموطأ . وقد أنكر هذا بعض أصحاب مالك الجلة ، وقال : انما كانت عرضتنا على مالك ورقتين ، من الموطأ . فكيف يصح هذا . قال الباجي : تكلم بعض أهل الحديث في سماعه للموطأ وانه إنما سمعه بقراءة حبيب وهو ثبت في الليث ، وقد روى عنه من طريق بقي بن مخلد وغيره انه سمعه من مالك سبع عشرة مرة وان بعضها بقراءة مالك . قال أبو أحمد بن عديّ : هو أثبت الناس في الليث . قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . كان يفهم هذا الشأن . ذكر ليحيى بن معين ، يحيى بن بكير فقال : ثقة إلا ان حديثه عن ابن وهب لم يكن بالجيد القراءة له . وضعّفه[٢] النسائي ، وذكر ليحيى بن معين أيضاً فقال : لا صلى الله عليه . دخلت عليه بمسجده[٣] فلما رآني سجد . وقال ما (كنت)[٤] ارى انك تأتيني . وأراه لم يحدث عنه بغير هذه القصة . وذكر ابن باز : قرأ لنا يحيى بن بكير بمصر كتاباً كان يرويه عن عبد الله ابن لهيعة من حديثه . فلما فرغ من قراءته قال للناس : اسمعوا هذا الكتاب سمعته من ابن لهيعة بعدما اختلط . روى عنه من أهل الأندلس وافريقية والغرب جماعة ، منهم : يحيى بن عمر ، وفرات بن محمد ، وابراهيم بن باز . توفي في مصر[٥] سنة إحدى ويقال اثنتين وثلاثين ومائتين . مولده سنة ثلاث وخمسين .

(١) ساقطة من الاصل .
(٢) أ – صدّقه .
(٣) أ – سحرة .
(٤) ساقط من – ر .
(٥) بالاصل صفر وكذا في – أ .

عبد الملك بن مسلمة بن يزيد مولى بني أمية

أصله من نوبية ، يكنى أبا مروان . قال أبو عمر الكندي : وكان فقيهاً من أصحاب مالك . مولده سنة أربعين ومائة . وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين.

يونس بن تميم بن يونس

مولى زوف بن مراد ، أبو معاد . قال الكندي : كان فقيهاً ، وذكر ابن شعبان وابن مفرج روايته ، عن مالك . توفي سنة خمس عشرة ومائتين .

هاني بن المتوكل بن اسحاق بن ابراهيم بن حرملة

مولى بني شبابة ، من فهم . نزل الاسكندرية . وذكر له رواية عن مالك . قال الكندي : كان فقيهاً[١] سنياً . توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين . مولده سنة ثمان وثلاثين ومائة .

سعيد بن الحكم بن محمد ابن أبي مريم الجمحي

قال الكندي : مولى أبي فطيمة ، مولى بني جمح . كنيته ابو محمد . كذا نسبه الكندي ، وكذا قال البخاري ، وابو حاتم . وحكى الالكاني عن غيرهما : سعيد بن محمد بن عبد الحكم[٢] ، يروي عن مالك وعبد الله العمري وابن عيينة ، والليث وابن وهب وسليمان بن بلال وغيرهم . روى عنه ابن معين

(١) بالاصل مفتياً وكذا في ـ أ .
(٢) ساقطة من الاصل وكذا في ـ أ .

والذهلي وابو عبيد ، ومحمد بن اسحق الصاغاني ، والبخـــاري وابو هاشم[١] . ويعقوب بن سفيان . واخرج عنه البخاري ومسلم . ويقال انه سمع الموطأ من مالك ، وله عنه حديث كثير وغير ذلك . قال الكندي : كان فقيهاً من اهل الفضل والدّين . قال ابن معين فيه : ثقة . وقال ابو حاتم : مثله . وقال يحيي ايضاً : هو ثقة الثقات . وسئل احمد بن حنبل عمن يكتب بمصر ، فقال : عن ابن أبي مريم . وقـال احمد بن عبد الله[٢] الكوفي : هو ثقة ، وأثنى عليه ابن أيمن ، والاعناقي ، وذكره ابن وضاح ، فذكر من فضله وثقته ، فأطنب فيه . وقال : هو ثقة الثقات ، كتبت عنه بمصر مسألتين لا غير . قال ابن وضاح : وسمعت ابن أبي مريم يقول : كان لديه[٣] طوماران يكتب في احدهما شهادته ، وفي الآخر إيمانه . قال بعضهم كنا عند سعيد بمصر ، فأتاه رجل فسأله كتاباً ينظر فيه ، او سأله ان يحدثه فامتنع عليه ، وسأله رجل آخر فأجابه . فكلمه الأول في ذلك ، وقال : ليس هـذا من الحق او نحوه . فقال ابن أبي مريم : ان كنت تعرف الشيباني من الشبائي وأبا حمزة من أبي جمرة[٤] ، وكلاهما عن ابن عباس ، حدثناك وخصصناك كما خصصنا هذا . قال الكوفي : كان له دهليز طويل ، يقف الرجل فيسلم عليه ، فيقول (سلم الله عليك ، وفعل وصنع ويظن الآخر انه يردّ عليه ، فيقول)[٥] ما هذا : فيقول قدري خبيث . ثم يأتي آخر ، فيفعل بـــه مثله . فيسأله ، فيقول : جهمي خبيث ، او رافضي خبيث . وكان عاقلاً لم أرَ بمصر أعقل

---

(١) بالاصل حاتم كذا في – أ .
(٢) لفظ الجلالة ساقط من – ر .
(٣) بالاصل لابي وكذا في – أ .
(٤) بالاصل حجرة .
(٥) ناقص من – ر .

منه ، ومن ابن عبد الحكم . قال البخاري : توفي سنة أربع وعشرين ومائتين . مولده سنة أربع وأربعين ومائة .

عبد الرحمان ابن أبي جعفر الدمياطي

قال ابو اسحق ابن شعبان : روى عن مالك ، واسند عنه . قال ابن أبي دليم ، وابن حارث : سمع من أعالي[١] اصحاب مالك ، كابن وهب وابن القاسم ، وأشهب . وله عنهم سماع مختصر ، مؤلف حسن . رواه عنه يحيى ابن محمد[٢] ، وغيره . وهذه الكتب معروفة باسمه ، تسمى بالدمياطية . قال الشيرازي : تفقه بأشهب وابن وهب وابن القاسم ، ومطرف وعبد الملك وابن نافع ، وقد روى عن الفضيل بن عياض . قال الدمياطي : أتينا الفضيل نسمع منه ، فلم يخرج إلينا . فقلنا للرجل كان معنا ، حسن الصوت بالقرآن . اقرأ : فخرج إلينا ، وان الدموع على لحيته يبكي . فقال مالي ولكم ؟ آذيتموني . العلم تريدون ؟ تتركونه والله ، كتاب الله . وروى عنه يحيى بن عمر والوليد ابن معاوية . وعبيد بن عبد الرحمان وغيرهم . توفي سنة ست وعشرين ومائتين .

عبد الله بن محمد بن إسحق البيطاري

نسب الى ذلك ، لأنه كان ينزل عنده[٣] بلال البيطار ، مولى لقيس . كنيته ابو محمد . قال ابو عمر الكندي : كان فقيهاً ، ولقي مالكاً . توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين .

---

(١) بالاصل أكابر وكذا بـ – أ .
(٢) بالاصل عمر .
(٣) بالاصل عند ، وكذا في – أ .

بلال بن يحيى بن هارون الأسواني

من بني أمية . قال الكندي : من أصحاب مالك ، وذكره فيهم . وكان مقبولاً عند قضاة مصر . وغمصه ابن عفير بما يقال في أهل اسوان .

محمد بن رمح بن المهاجر ابن المحرز بن سلام(١)

التجيبي ، مولاهم ، ابو عبد الله . ويقال ابو بكر . صحب مالكاً وسمع الليث والفضيل وابن لهيعة . حدث عنه مسلم ، وعلي بن الحسن بن المنذر ، وحازم بن يحيى الحلواني ، وابن وضاح ، والحسن بن سفيان وابن ريان ، وغلبت عليه الرواية . وهو ثقة مأمون . قال الكندي : خرج له مسلم في صحيحه كثيراً . قال ابن الجيري : وكان رجلاً صالحاً ، أوثق من ابن أبي زرعة . قال ابن ريان : هو ثقة . قال ابن وضاح : هو نعم الشيخ . قال الكندي : كان فقيهاً ، قال ، ابن رمح . واختلف عندنا في مالك والليث ، فذكر من اختلافهم شيئاً غاظه . حتى كانوا أحزاباً . فرأيت النبي ﷺ ، في النوم . فقلت يا رسول الله : اختلف عندنا في مالك والليث . فما ترى ؟ فقال : مالك ورث جدي . قال الحسن ابن علي الاشناني : قال قائلون : جدي يعني ابراهيم الخليل ﷺ . وقال آخرون : الولي(٢) وقال آخرون : السنة . وقال ابو عمر الكندي ، في كتاب القضاة : كان ابو بكر الأصم قاضي مصر ، قد أخذ أهلها ، بترك لباس القلاسي الطوال ، وكانت ترى (على) شيوخهم ، وفقهائهم وعدولهم . وقال لهم : لا تشبهوا بلباس القاضي فلم ينتهوا . فاجتمعوا

---

(١) أ — سالم .
(٢) بالاصل الدين وكذا في — أ .

مرة عنده ، في الجامع . فأمر الاعوان بضرب رؤوسهم ، حتى ألقوها . فكان الصبيان يلعبون بها ، ولم يلبسوها في مدته ، إلا ابن رمح فانه ثبت على لباسها فلم يعارض . توفي في شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين . وقال الكندي : ثمان وأربعين . مولده سنة اثنتين وخمسين .

ومن اهل الأندلس يحيى بن يحيى الليثي

قال القاضي أبو الوليد ، ابن الفرضي : يحيى بن يحيى بن بكير(١) بن وسلاس بن شملل بن صيغا(٢) . يكنى أبا محمد . قال الاصيلي : ويحيى أبوه هو المكنى بأبي عيسى ، وهو من مصمودة طنجة وينتمي(٣) الى بني ليث . ولا يعلم على الصحة سبب ذلك . قال الرازي في كتاب الاستيعاب : هو من مصمودة من مضارة قبيلة منها . دخل يحيى بن وسلاس ، مع ابن اخيه نصر بن عيسى(٤) في جيش طارق ، وأسلم وسلاس جدهم ، على يدي يزيد ابن عامر الليثي ، ليث كنانة . فهذا - والله أعلم - سبب انتمائهم الى ليث . قال الرازي : ثم دخل بعدهما كثير بن وسلاس ، وهو جد يحيى . وولي ابنه يحيى الجزيرة ، وشذونه . وطلب يحيى ابنه العلم . وقال أبو عمر بن عبد البر ، وكثير : هو المكنى بأبي عيسى . وهو الداخل الى الأندلس ، وكانوا يعرفون بأبي(٥) عيسى ، والعلم عند الله .

---

(١) بالاصل كثير ، وكذلك في تاريخ ابن الفرضي . نشر عزت العطار الحسيني .
(٢) في تاريخ ابن الفرضي « منقايا » ، وفي تاريخ ابن خلكان : « وسلاسن بن شمّال بن منغايا
(٣) بالاصل يتولى بني ليث .
(٤) بالاصل عليس .
(٥) بالاصل بذي .

ذكر ابتداء طلبه العلم ورحلته

قال الرازي : كان سبب طلب يحيى بن يحيى العلم ، انه كان يمر بزياد[١] وهو يقول على أصحابه . فيميـل اليه ويقعد عنده ، فأعجبه ذلـك زياداً ، وأدناه يوماً ، وقال له : يا بني إن كنت عازماً على التعلم فخذ من شعرك واصلح زيك . وكان يرى[٢] الخدمة ، ففعل ذلك يحيى . فسُرّ به زياد واجتهد في تعليمه ، حتى برع تلاميذه . ثم قال له زياد بعـد مـدة : ان الرجال الذين حملنا العلم عنهم ، يدفنون[٣] . وعجز بك ان تروي عمن دونهم . فخرج يحيى ، بعد ان استسلف زياد له مالاً . إذ رغب عن مـال أبيه ، فحج وسمع مالكاً ، والليث . وكان لقاؤه لمالك سنة تسع وسبعين . السنة التي مات فيها مالك . وانصرف الى الأندلس ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى هلك أبوه بمحله بالجزيرة . فأخذ ما طاب من مال أبيه ، ثم عاد ، فحج ولقي جملة[٤] أصحاب مالك ، ثم انصرف . وذكر مثل هذا ابن حارث : انه كانت ليحيى رحلتان من الاندلس . سمع في أولها من مالك والليث وابن وهب ، واقتصر في الاخرى على ابن القاسم وبـه تفقه . وقـال ابن الفرضي وابو عمر بن عبد البر وغيرهما ، وبعضهم يزيد على بعض : سمع يحيي لأول نشأته من زياد ، موطأ مالك بن أنس ، وسمع من يحيى بن مضر . ثم رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة . فسمع من مالك الموطأ ، غير أبواب في كتاب الاعتكاف ، شك فيها ، فبقي يحدث بهـا عن زياد . وسمع من

---

(١) هو زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون

(٢) بالاصل بزي .

(٣) بالاصل باقون وكذا في ـ أ .

(٤) بالاصل جلة .

نافع بن أبي نعيم القارىء ، والقاسم بن عبد الله العمري ، وحسين بن ضميرة ، وعبد الله بن نافع ، وسمع بمكة من سفيان بن عيينة ، وبمصر من الليث بن سعد ، وعبد الله بن وهب ، موطأه وجامعه . وسمع من ابن القاسم مسائل ، وحمل عنه عشرة كتب . فكتب سماعه . قال أبو عمر : ثم انصرف الى المدينة ، ليسمعه من مالك . فوجده عليلاً . فأقام بالمدينة الى أن توفي مالك رحمه الله تعالى ، وحضر جنازته . وقدم الأندلس بعلم كثير ، فعادت فتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار الى رأيه ، وقوله . وأخذ عليه في روايته في الموطأ ، وفي حديث الليث وغيره أوهام نُقلَت وكُلِّم فيها ، فلم يغير ما في كتابه ، واتبعه الرواة عنه . وقد عرفها الناس ، وبينوا صوابها . وأما ابن وضاح ، فانه أصلحها ورواها الناس عنه على الاصلاح . وكان يفتي برأي مالك ، لا يدع ذلك إلا في مسائل نذكرها بعد . قال الشيرازي : رحل يحيى بن يحيى الى مالك ، وهو صغير ، وتفقه بالمدنيين والمصريين من أصحابه قال أبو عبد الملك بن عبد البر : وبه وبعيسى بن دينار ، انتشر مذهب مالك ، وانتمى الناس الى سماع الموطأ ، من يحيى . وأعجبوا بتقليده[1] ، فقلّدوه ، وتبعوه . قال ابن الفرضي : وسمع منه رجال الأندلس في وقته . وكان آخر من حدث عنه ابنه عبيد الله .

ذكر شيء من فضائله وأخباره

قال أحمد بن خالد : لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلت الاسلام من الحظوة ، وعظم القدر وجلالة الذكر ، ما أعطيه يحيى بن يحيى .

---

(١) بالاصل تقييده وكذا في – أ .

وكان الأمير عبد الرحمان بن الحكم يبجله ، بتبجيله الأدب[١] ، ولا يرجع عن قوله ، ويستشيره في جميع أمره ، وفيمن يوليه ويعزله ، فلذلك كثر القضاة في مدته . وكان يفضل بالعقل على علمه ، وألح عليه (الأمير)[٢] عبد الرحمان في ولايته القضاء ، فأبى عليه . فوكل عليه من يقعده في الجامع ، وقال للناس : هذا قاضيكم . فأبى على الحكم . فقال له يحيى : ان المكان الذي انا فيه أنفع وخير لكم مما تريدون . إنّما إذا تظلّم الناس من قاض أجلستموني ، فنظرت لكم في أحكامه . وإن كنت قاضياً فتظلم مني كما يتظلم من القضاة من تقعدون ينظر في أحكامي ؟ فكفوا عنه . قال ابن لبابة : فقيه الأندلس عيسى (بن دينار)[٣] ، وعالمها ابن حبيب ، وعاقلها يحيى بن يحيى . قال الشيرازي : اليه انتهت الرئاسة بالأندلس في العلم . وكان مالك يعجبه سمت يحيى وعقله . روي عنه انه كان عنده يوماً جالساً في جملة أصحاب مالك ، (اذ)[٤] قال قائل : قد حضر الفيل . فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا اليه . فقال له مالك (لِمَ) لم تخرج فتراه ، إذ ليس بأرض الأندلس . فقال له يحيى : إنما[٥] جئت من بلدي ، لأنظر اليك ، وأتعلم من هديك وعلمك ، لا الى ان انظر الى الفيل . فأعجب به مالك وسماه العاقل . قال أبو عمر بن عبد البر : كان يحيى إمام بلده المقتدى به ، المنظور اليه ، المعول عليه . وكان ثقة عاقلًا ، حسن الهدي والسمت يشَبّه سمته بسمت مالك . ولم يكن له تبصر بالحديث . قال ابراهيم بن باز :

---

(١) أ – الأب .
(٢) ساقطة من – ر .
(٣) ساقطة من – ر – وكذا من – أ .
(٤) ساقطة من – ر .
(٥) بالأصل أنا .

والله الذي لا إله إلا هو ، ما رأيت أوقر من يحيى (بن يحيى)[١] قط . ما رأيته يبصق ، ولا يسعل في مجلسه ، ولا يتحرك عن حاله ، وكان أخذ بزي مالك وسمته . قال يحيى : لما ودعت مالكاً سألته ان يوصيني . فقال لي : عليك بالنصيحة لله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ثم قدمت على الليث ، فلما حان فراقي إياه ، قلت له مثل مقالتي لمالك . فقال لي مثل قوله سواء . قال ابن حارث : كان يحيى لا يرى القنوت في الصبح ، ولا غيرها ، اقتداء بالليث أيضاً[٢] . وخالف أيضاً مالكاً بالأخذ باليمين مع الشاهد ، فلم ير القضاء به . وأخذ بقول الليث أيضاً فيه . وقضى برأي أمينين اذا لم يوجد من أهل الزوجين حكمان . ورأى كراء الأرض بما يخرج منها ، على مذهب الليث . وذكر أبو عبد الملك بن عبد البر ، ان يحيى كان لا يرى الحكمين ، وأن ذلك مما انكر عليه . وكان يأتي الجمعة معتماً راجلًا . وحكى عبيد الله بن يحيى عن أبيه ، قال : كنت مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث في الغزو يوم اربونة ، ومعي صاحبي سعيد بن محمد ابن بشير ، وكان يكرمنا ويرسل الينا ، ويستشيرنا . وربما استخصني ، بالارسال ، حتى قلت له : لا تفعل ، فربما احفظ ذلك صاحبي . ووجّه إلي يوماً بصلة ، مائة دينار . والى سعيد بمثلها . فصرفتها اليه ، وقلت له : أما أنا فمستغنٍ عنها ، بحمد الله . ولكن اجمعها لصاحبي ، لحاجته اليها . فلما فتح الله على المسلمين ، وقفلنا ، قال لي (يوماً)[٣] : يا أبا محمد ، أردت ان اكرمك أنت وصاحبك ، فأمكن بكما الأندلس . قلت وبما ذاك ؟ قال

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) ناقصة من — ر .

بأن اسمعكما سماعاً حسناً عندي . قلت : انت والله تريد إساءتنا[١] ، لا إكرامنا . فقال لي يا أبا محمد : لا تظن إلا خيراً . فما كان رأي من قبلك، اذا تبالغ في تكريمهم حتى نفعل ذلك بهم . فقلت لا جزاهم الله خيراً عن أنفسهم ، ولا عنك ، فقد والله خانوا الله ورسوله . فخجل واعتذر . وذكر أحمد بن عبد البر ، ان قاضياً من قضاة قرطبة سماه ، جميل المذهب ، كان أشار به يحيى بن يحيى ، فكان طاعة له في قضائه ، لا يعدل[٢] عن رأيه، إذا اختلف الفقهاء عليه ، فاتفق ان وقعت قصة تفرد فيها يحيى وخالف جميعهم ، فأرجأ القاضي القضاء فيها ، حياء من جماعتهم ، وردفته قصة أخرى، فشاورهم فيها أيضاً . فلما أتى كتاب[٣] يحيى وقد أحضره[٤] توقفه على إنفاذ الأولى[٥] ، صرفه على رسوله ، وقال : ما أفك له ختاماً ، ولا أشير عليه بشيء ، إذ قد توقف عن القضاء لفلان بما أشرت عليه به ، وعابه . فلما انصرف اليه رسوله ، وعرفه بقوله ، قلق منه وركب من فوره الى يحيى معتذراً وقال له : لم أظن الأمر وقع منك هذا الموقع . وسوف أقضي له غداً يومي إن شاء الله . فقال له يحيى : وتفعل ذلك صدقاً . قال : نعم . قال له : فالآن هيجت غيظي ، فاني ظننت إذ خالفني أصحابك[٦] ، انك توقفت مستخيراً الله ، متخيراً في الأقوال . فأما إذا صرت تتبع الهوى وتقضي برضى مخلوق ضعيف ، فلا خير فيما تجيء به ، ولا فيّ إن رضيته منك . فاستعف من ذلك ، فانه أستر لك وإلا رفعت في عزلك ، فرجع ليستعفي،

---

(١) بالاصل إهانتنا .
(٢) في – أ – لا يعول .
(٣) بالاصل كتابه وكذا في – أ .
(٤) بالاصل أحقده .
(٥) الاول كما بالاصل .
(٦) أ – أصحابي .

فعزل . قال عبيدالله بن يحيى : قال لي أبي : لما قام الناس على قاضي قرطبة يحيى بن معمر[١] ؟ وتساعدوا فيا كتب عليه ، أتاني سعيد بن حسان فقال لي : ما ترى في الشهادة عليه . فقلت له لا تفعل . وانتظر ان تكون مشاوراً في شهادة غيرك . فتكون فتواك أنفذ من شهادتك . فغلبته الشهوة ، وخالفني ، فشهد فجاءني كتاب الأمير يقول : تصفحت الشهادة على فلان فلم أرَ لك فيه شهادة . وقد وجهت إليك بكتاب الشهادات عليه ، فتصفحها وأكتب إلينا برأيك[٢] ان شاء الله . فأجابه يحيى : ما عندي من أخبار الرجل علم ، لأنه لم يكن يحضرني مجلسه ، ولا يشاورني في أحكامه ، فأما الشهادة الواقعة عليه ، فقد تصفحتها ولو شهد على مالك والليث رحمها الله تعالى بمثلها ما رفعا بعدها رأساً . فعزل لحينه . قال يحيى : وأخبرني الليث انه أخذ بركاب ربيعة . فقال له ربيعة : يا ليث : خدمك العلم . قال يحيى[٣] وانما أراد ربيعة ان يبلغ مبلغ الكرامة ، فما خرج يعني الليث من الدنيا حتى رأى ذلك . قال يحيى : وأخذت أنا بركاب الليث . فقال لي : أقول لك ما قال لي ربيعة : خدمك العلم يا يحيى . قال يحيى بن اسحق : ذكر يحيى ابن يحيى حديثاً يرويه عن يحيى بن (أبي)[٤] كثير ، قال : لا يستطاع[٥] العلم براحة الجسم . قال وان رجلاً ممن بلغه هذا الحديث من طلبة العلم ، ذكره وهو على بطن امرأته ، قبل ان يفضي إليها . فأخذ دفتراً من العلم ينظر فيه . قال يحيى : ولقد طلبت هذا الأمر يوم طلبته ولا أريد إلا

---

(١) أ — يعمر .
(٢) بالاصل برائك وكذا في — أ .
(٣) ساقطة من الاصل .
(٤) ساقطة بـ — ر .
(٥) بالاصل يستطيع .

نفسي . حتى هيّأ الله ما هيأ . فعلمت ان الناس يحتاجون إلي ، ولقد تقت الى النساء في[١] أيامي ، مع ابن القاسم بمصر ، فاشتريت جارية بها . فوالله ما رأيت لها وجهاً نهاراً ، طول ما قامت عندي ، حتى بعتها اشتغالاً بابن القاسم وعلمه . وكان ابن القاسم موضع ذلك وأهله ، في ورعه وأمانته . وقيل لي يا أبا محمد فتمني هذا الأمر ، مما يفسد النيّة . فقال : لا والله . وما عقل من لم يتمن ذلك ؟ قال الله تعالى وجعلنا للمتقين إماماً . قال يحيى : كنت آتي عبد الرحمان بن القاسم ، فيقول لي من أين يا أبا محمد ؟ فأقول له : من عند عبد الله بن وهب . فيقول لي : اتق الله ، فان أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل . ثم آتي عبد الله بن وهب ، فيقول لي من أين ؟ فأقول له : من عند ابن القاسم ، فيقول لي اتق الله ، فان أكثر هذه المسائل رأي ، ثم يرجع يحيى فيقول : رحمهما الله فكلاهما قد أصاب في مقالته . نهاني ابن القاسم عن اتباع ما ليس عليه العمل من الحديث ، وأصاب . ونهاني ابن وهب عن كلفة الرأي ، وكثرته ، وأمرني بالاتباع وأصاب . ثم يقول يحيى : اتباع ابن القاسم في رأيه رشد . واتباع ابن وهب في أثره هدى . وكان يحيى جمع مسائل ، سأل عنها أشهب وابن نافع وغيرهما من أصحاب مالك ، وكتبها عنهم . فعرضها على ابن القاسم ، ليرى فيها مذهبه ، فجعل ابن القاسم ينتقص عليهم ، فلما رأى يحيى ذلك طوى كتابه ، وادخله في كمه . فقال له ابن القاسم ما بالك . فقال ان هؤلاء لهم علي حق كحقك ، وقد كتبت عنهم ولم أرد ان اعرّض بهم ، الى[٢] الوقوع فيهم . فاذا كان هذا ، فلا حاجة لي بذلك ، ومثله له معه في سماع زياد . وقد

---

(١) ساقطة من الاصل .
(٢) ساقطة من الاصل وكذا في — أ .

ذكرناه ، في خبره . ووقع الأمير عبد الرحمان على جارية له في يوم من رمضان ثم ندم[١] ، وبعث في يحيى وأصحابه ، فسألهم . فبادر يحيى وقال : يصوم الأمير ، أكرمه الله شهرين متتابعين . فلما قال ذلك يحيى : سكت القوم . فلما خرجوا سألوه لم خصه بذلك دون غيره مما هو فيه ، تخير من الطعام والعتق ؟ فقال لو فتحنا له هذا الباب وطىء كل يوم وأعتق . فحمل على الأصعب عليه لئلا يعود .

ذكر فصول من كلامه ، وحكمه وأخبار ، من تنزهه[٢] وعقله وزيه

وكتب الى يحيى رجل من قريش ، يسأله عن حنث شك فيه ، وانه لم يرض مسألة غيره . فكتب إليه : أرى لك ان تتورع عنها ، ولا يهونّ الناس عليك ، فتكون عليهم أهون ، والسلام . وقال لآخر سأله عن مسألة حنث وقعت في مجلسه : لا ينبغي لك ان تسأل العلماء عن كل ما يحضر مجلسك ، مما لا ينبغي ان يخرج دينك ، فإنه أزين لك والسلام . وجمع بعض اصحاب يحيى (وفوده) عن ابن القاسم ، فأراد ان يقرأها عليه ، فتعاظم ذلك وأبى منه ، فقيل له : أو ليست حسنة ؟ وقال : إنا لا نحبّ كل حسن أكون فيه مخالفاً لمالك وابن القاسم . ثم لم يمكن من عرضها عليه . وكان يحيى يقول : تعاونوا على قطع المعانقة . وأول من أحدثها عنّا النساء والصبيان والخصيان . وقيل ليحيى : قال الحسن : لولا الحمقى ما عمرت الدنيا . فقال ، يحيى : لكني أقول : لولا الحلماء ما عمرت الدنيا . وقيل له ، قال

(١) أ – بالاصل : قام .
(٢) بالاصل ترمته .

سفيان الثوري : ما أخاف على (دمي)[١] إلا القراء والفقهاء . أما أنا قلت قاله ابراهيم النخعي . فجعل يحيى يتعوذ ويقول اللهم (لا تخف بنا)[٢] أحداً من خلقك، مراراً . ثم قال : ان رجلاً (يخيفه)[٣] الله خيارُ خلقه ، رجلُ سوءٍ . وكان يحيى يقول : ادخل الحشمة بينك وبين الناس . فانه أوقر لحرمتك . وسأله رجل في غير مجلسه عن مسألة فأنكر ذلك ، وقال : إذا جلست مجلس السائل من المجيب ، أجبناك . وقيل له : لم لا تنبسط في الملا ، كانبساطك في الخلا . فقال : لو فعلت ذلك لتلوعب بين يدي ، وأنا أحب ان يقتدى بي كما اقتديت بغيري . وأراد ان يجاوب في مسألة ، فاستمد فلم يجد المداد ، ثم تكرر فلم يمكنه . فقال له رجل الى جنبه : عنده[٤] الدواة . يا أبا محمد . فقال : لو كان ، لكان . فضم الفتى الدفتر الى وجهه ، وتبسم ، ولحظه يحيى[٥] لحظة ، فقال : لو جلست في بيتك كان أستر لك . وقال : من أراد ان يعمل بما يقول ، اقتصد . ومن لم يرد ذلك لم يسأل[٦] ما يقول . وكان يحيى يعجب بكلمة حكمة قالها له الحاجب عبد الكريم بن مغيث . وقال له يحيى مرة إني أريد أن أكلمك بشيء يرق وجهي عندك رقة[٧] ، شديدة . فقال له يا أبا محمد : كل شيء تبلغ الحشمة منك فيه هذا ، فضعه عن نفسك . وكان يحيى يعجبه ويقول : ما أزين الحلم بالرجال . وسمع يحيى بن يحيى يقول في قول الله تبارك وتعالى : يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا

---

(١) بياض بالاصل – و ر – زيادة من – أ .
(٢) بياض بالاصل ايضاً زيادة من – أ .
(٣) بياض بالاصل – و ر – زيادة من – أ .
(٤) بالاصل هذه .
(٥) ساقطة من – ر .
(٦) بالاصل يبال .
(٧) بالاصل عنك .

عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوآتِكُمْ وريشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى[١]. قال : لباس التقوى ، السكينة والوقار وحسن السّمت . ثم رجع يحيى يقول : مع العمل بما يشبه ذلك . وسئل عن الزهد في الدنيا ، فقال : من لم يرض منها إلا بالحلال فهو فيها زاهد ، وان كان عليها مكباً حريصاً . وقال : من جاءه الموت وهو يطلب العلم ، لم يكن بينه وبين الأنبياء (في الجنة)[٢] إلا درجة . وذكر يحيى اصحاب الاعراف فترجع واسترجع ، وقال : قوم أرادوا وجهاً من الخير ، فلم يصيبوه . فقيل له أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب ؟ فقال : ليس في خلاف السنة رجاء الثواب . وقال قوم ليحيى (يا أبا محمد)[٣] . لو توكلنا على الله حق توكله ، لأتانا بالرّزق الى بيوتاً ، كما يأتي الطير . قال : والله ما كان يأتي عيسى بن مريم البقل البري حيث هو جالس ، حتى يخرج إليه الى الصحراء يلتمسه . وقيل ليحيى ان من مضى كان يتمنى الفقر ، فأنكر ذلك ، وقال : لا ينبغي لمن يعقل[٤] ان يتمنى ما تعوذ منه نبيه ﷺ . وكان يحيى يلبس الوشي الرفيع ، يريد القطني ، ثمنه المال العظيم في الأعياد والدخول على الأمراء . وقال الأمير محمد : ركبت يوماً في حياة أبي ، فلقيت يحيى بن يحيى ، فراكبني ثم ضرب على يدي ، وقال لي : (ان)[٥] هذا الأمر صائر إليك ، فاتق الله في عباد الله . فكانت في نفسي حتى صرت إليه ، ووليت الأمر بعده .

---

(١) سورة الاعراف ٢٦
(٢) ساقطة من – ر .
(٣) ساقطة من – ر .
(٤) بالاصل يفعل .
(٥) ساقطة من الاصل .

محنة يحيى بن يحيى رحمه الله تعالى

كان يحيى ممن اتهم بالاجلاب بالهيج بقرطبة، على الأمير الحكم بن هشام. فلما أظفره الله بالقائمين عليه، واستباحهم، ثم أجلى بقيتهم، كان ممن فر عنه: عيسى بن دينار، ويحيى بن يحيى. فذكر ان يحيى بن يحيى خرج مع أخيه، فتم وكان رأساً في أهل الخلاف، متنكرين على باب اليهود بقرطبة، يريدان الفرار، وقد أنذر الأمير أهل الأبواب ان يقتلوا كل من اجتاز بهم، ممن ينكرونه، فعدل أخو يحيى الى كبير أولئك البوابين، لصداقة كانت بينه وبينه. وثق بها (منه)[١] ليودعه، ويوصيه بمن يخليه[٢]. وقد نهاه أخوه يحيى عن ذلك، فلما دنا منه، كشف له عن وجهه وطلب خلوته. فساعة وقعت عينه عليه قبض عليه، وأمر بضرب عنقه، ويحيى ينظر بناحيته فتزايد ذعره، وبالغ في تنكر نفسه، ولزم[٣] بقوم من مصمودة قومه[٤] في طريقه. فراموا الفتك به، لأخذ ما كان على بطنه من المال. فأنذرته ابنة احدهم بذلك. فلما اجتمعوا معه للعشاء قام كأنه يريد حاجة، وركب رمكة وجدها في الدار سائبة، عرياً، فنجي عليها. فلما أبطأ عليهم خرجوا فوجدوه قد فات وسار الى ان نجا. فلحق بطليلة[٥] وردّ رمكتهم، فتقبله أهلها، وأجاروه. وكان يحيى المعروف (بأبزي) وطالبهم الأمير الحكم، باسلامه اليه. فلم يفعلوا ومنعوه بعزة أنفسهم.

---

(١) ساقطة من — ر.
(٢) بالاصل يخلفه.
(٣) بالاصل نزل.
(٤) زائدة من — أ.
(٥) بالاصل طليطلة.

فأتاه كتاب الأمير أخيراً في الرجوع الى وطنه ، وبذل له الأمان ، ويرد عليه متاعه وماله ، وكان يحيى قد كتب اليه في ذلك فاستجاب له ، وعاد الى قرطبة أخريات أيام الحكم ، فلم يزل تحت كرامته بقية أيامه ، وأيام ولده ، وعرض جاهه وشهر فضله وعلمه . ولما انصرف الى قرطبة باع جميع عبيده ، واستبدل بهم . فقيل له في ذلك ، فقال : نكره ان يصحبنا من عرف ما دار علينا ، من الهرب والذل . وامتدت أيامه ، الى ان توفي ، لثمان بقين في رجب ، سنة أربع وثلاثين ومائتين ، فيما قاله ابن الفرضي . وقال الرازي عشية يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة . وقيل إنما توفي سنة ثلاث وثلاثين . حكاه أبو عمر الحافظ ، وكان سنّه يوم توفي : سنتين[1] وثمانين سنة . وترك ابنين يأتي ذكرهما . ولما مات يحيى ، أسند وصيته الى القاضي محمد بن زياد بن ربيع ، أجل خاصته . وهو الذي صلى عليه بعد موته ، فذكر ان ابنه الاصغر عبيد الله كان قدّمه ، وأن ابنه الأكبر ، اسحاق ، تقدم بتقدمه للصلاة عليه ، يكبر بتكبير ابن زياد ، ويسلّم بتسليمه. فلما وري يحيى ، أنكر ابن الزياد على اسحاق ما فعله ، ووبخه ، وقال له : ما أقدمك عليّ بهذا ؟ فقال له اسحاق : ومن أقدمك أنت على أبي ؟ فقال ابن زياد : أمرُ الصلاة إليّ ، ومع هذا ، فان أخاك عبيد الله قدمني ، وهو أرشد منك على شبابه . وكان سن عبيد الله إذ ذاك سبع عشرة سنة . والله لولا حفظي لصاحب الحفرة ، لأدبتك . فكان ثناء ابن زياد يومئذ على عبيد الله ، أول أسباب سؤدده . قال يحيى بن اسحاق بن يحيى ، في كتابه المبسوطة : قال لي أبي : دخلت أنا وعبد الملك بن زونان على ابي يحيى ، وهو مريض ، فسأله عن علته ، فقال له يا أبا الحسن انه ليخفف عني ما أنا

---

(١) بالاصل ثنتين .

فيه ، تفكري في عظيم ما له خُلقتُ . فكان زونان يردد هذا ، في كلامه ويعجب به . وقال له مرة (اخرى)[١] : يا أبا الحسن ليتني ان ازحزح عن النار ، على ان لا اسمع بذكر الجنة . وليحيى بن يحيى وصية لطلبة العلم مشهورة .

(بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما)[٢] .

قال القاضي الامام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رضي الله تعالى عنه . قد انتهى بنا القول في الطبقات الثلاث من اصحاب مالك ، الذين أخذوا عنه ، وسمعوا منه منتهاه ، وبلغ بنا الذكر بعون الله تعالى تعيين ما نصحنا عليه مداه ، واستوفينا من أخبارهم ومختلف أحوالهم ، ما شرطناه . فلنعج على من بعدهم من أتباعهم ، ورواتهم الملتزمين مذهبهم ، الناهجين (في التفقه)[٣] على مذهب مالك ، نهجهم . وان كان منهم من قارن الطبقة الوسطى والصغرى من اصحاب مالك ، ومن تقدم بعضهم من الزمان ، ولكن قدمنا اولئك لمرتبتهم لصحبة إمامهم ، وجئنا بهؤلاء . ثم بمن جاء بعدهم ، الى زماننا . مرتباً لهم على طبقاتهم ، في تقدم الزمان ، وتأخره ذاكراً لكل واحد ما بلغني علمه ، من مفيد شمائله ، وخبره . والله المعين لا رب غيره .

(١) ساقطة من — ر .
(٢) ساقطة من — ر .
(٣) ساقطة من — ر .

الطبقة الاولى الذين انتهى اليهم فقه مالك والتزموا مذهبه
ممن لم يره ولم يسمع منه

فمن أهل المدينة ، أبو ثابت محمد بن عبد الله بن محمد بن زيد

مولى عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه . روى عن ابن وهب وابن القاسم وابن نافع .

قال الشيرازي : وبهم تفقه . روى عن أشهب ، وعن ابراهيم بن سعد، وابراهيم بن علي الرافقي وابن أبي حازم وحاتم بن اسماعيل وحماد بن زيد وغيرهم . روى عنه اسماعيل القاضي وأخوه حماد والبخاري ومحمد بن ابراهيم وخرج البخاري عنه في الصحيح . قال أبو حاتم : صدوق . وقال القاضي اسماعيل : كان الاجماع ونحن بالمدينة ، انه ليس بها افضل من أبي ثابت (وكان شريك والقعنبي ، فكان أبو ثابت بالبصرة . فسمع من حماد بن زيد ، وكان القعنبي بالمدينة ، ولم يسمع منه أبو ثابت . قال أبو ثابت)[١] : رآني ابن وهب عند أشهب بعد موت ابن القاسم ، فقال لي : انت (كما قال القائل)[٢] : كما تبدّلت بعد الخيزران ، جريدة ... البيت[٣].

ابو بكر بن ثابت[٤] المدني

من اصحاب محمد بن مسلمة ، وعبد الملك بن الماجشون . يحكي عنه القاضي[٥] اسماعيل بن اسحاق في مبسوطه . نسبه ولم يُسَمِّه ، وكناه القاضي

---

(١) زيادة من — أ .
(٢) زائدة في — أ .
(٣) البيت : تبدلتْ بعد الخيزران جريدة   وبعد ثيـــاب الخز أحلام نائم
(٤) أ — وثاب .
(٥) زائدة من — أ .

ابو عبد الله التستري . وقرأت بخط الفقيه أبي عبد الله بن عتاب ، ان الكتب الثمانية التي ادخل ابو زيد القرطبي من سماعه ، عن عبد الملك ومطرف واصبغ ، أن ابن ثابت[١] أيضاً رواها عنهم ، إلا ما منها لاصبغ ، وقد روى ابن ثابت عن ابن بابين[٢] (ابو شاكر محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام بن اسماعيل ، بن الوليد بن المغيرة ، بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم . يروي عن أبيه . روى عنه القاضي اسماعيل بن اسحاق وأخوه حماد) .

يعقوب بن عيسى بن عبد الملك بن حميد ابن عبد الرحمان بن عوف الزهري المدني (أبو يوسف)

ذكر الخطيب ابو بكر ، عن محمد بن سعد ان أبا يوسف هذا ، كان كثير العلم والسماع للحديث حافظاً له . قال[٣] : ولم يجالس مالكاً . لكنه جالس من كان بعده من فقهاء المدينة ، ورجالهم ، واهل العلم منهم . وكذا نسبه الخطيب في اصل النسخة التي وقعت إلي . ورأيت أنا في كتاب محمد ابن سعد فيه ، يعقوب بن محمد بن عيسى . قال الخطيب : وقدم بغداد فحدث بها عن عبد العزيز الدّراوردي وابن أبي حازم ، وابراهيم بن سعد ، ومحمد بن فليح ، وصالح بن قدامه ، وسفيان بن حمزة ، وحاتم بن إسماعيل ، وابن أبي فديك . روى عنه الحارث ابن أبي أسامة . وعباس الدوري ، وحجاج بن الشاعر ، وحاتم ابن الليث الجوهري ، واحمد بن زياد[٤] السحار[٥] ،

---

(١) بالاصل وثاب وكذا بـ – أ .
(٢) ما بين القوسين ساقط من – ر .
(٣) ساقطة من – ر .
(٤) بالاصل زيد .
(٥) بالاصل وفي تاريخ الخطيب البغدادي : السمسار ، كذا في – أ .

واسحاق الجزلي[١] ، وابو العباس الكرسي[٢] ، قال يعقوب : مررت ببغداد فعرض لي رجلان قاما من مجلس ، فأخذا بعنان دابتي ، ثم قالا : اختلفنا في شيء فأردنا أن نعرف فيه قول اهل بلدك ، فقلت : ما هو . فقال احدهما : قلت القرآن مخلوق ، وقال الآخر (قلت)[٣] ليس بمخلوق . فقلت لهما : قول اهل بلدي ، لو أخذوكما لأوجعوكما ضرباً . وضعفه ابن حنبل ، وقال : ليس بشيء . وسئل عنه ابن معين ، فقال : إذا حدث عن الثقات[٤] . وقال ايضاً : هو صدوق ، ولكن لا يبالي عمّن حدّثك . وقال ايضاً : أحاديثه تشبه أحاديث الواقدي . وقال مثله صالح بن محمد ، وابو زرعة الرّازي . قال ابن نافع : توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين . وكان أبوه محمد من سراة المدنيين ، واهل المروءة منهم .

ومن اهل العراق احمد بن المعذّل

هو : احمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم ، بن المختار بن ذهل ، بن عجل ابن عمر ، بن وديعة بن بكير بن أفصى بن عبد القيس ، الفهدي[٥] . يكنى أبا الفضل ، بصري ، وأصله من الكوفة ، وأبوه المعذل بن غيلان ، بذال معجمة مفتوحة ، مشدّدة . كذا ضبطه الدارقطني وغيره . على ان أبا الحسن الدارقطني ، ذكر اسمين في هذا الباب . المعذل بن غيلان واحمد ابن المعذل . ولم يقل انه ابنه ، وهو ابنه كما قدمنا . وكان المعذل سريانياً

(١) في تاريخ الخطيب البغدادي : الحربي .
(٢) زيادة من — أ . وفي تاريخ الخطيب البغدادي : الكديمي .
(٣) ساقطة من — ر .
(٤) بالاصل ثقة .
(٥) بالاصل العبدي .

شاعراً . قال الدارقطني : روى المعذل بن غيلان البصري ، عن فضيل بن مرزوق روى عنه محمد بن شعبة[١] . قال واحمد بن المعذل بن غيلان البصري الفقيه المتكلم . قال الشيرازي : هو من اصحاب عبد الملك بن الماجشون . ومحمد بن مسلمة[٢] . وكان مفوهاً[٣] ورعاً ، متبعاً للسنة . وله مصنفات وكتاب في الحجة ، وكتاب الرسالة . قال الإمام ابو الفضل رضي الله تعالى عنه : وسمع ايضاً من اسماعيل ابن أبي أويس ، وبشير بن عمر والسندي ، (ابن أبي هارون وغيره ، وعليه تفقه جماعة من كبار المالكية ، كإسماعيل ابن اسحق القاضي ، وأخيه حماد ويعقوب ابن شيبة)[٤] . وسمع منه ابنه محمد بن احمد وعبد العزيز بن عمر البصري .

ذكر الثناء عليه وفضائله

قال أبو عمر الصدفي : هو ثقة . كان أبو حاتم يثني عليه . قال أبو سليمان الخطابي : أحمد بن المعذل ، مالكي المذهب ، يعد في زهاد البصرة وعلمائها . وكان أبو خليفة الفضل بن الحباب الجعفي[٥] القاضي يثني على ابن المعذل . قال أبو بكر النقاش : قال لنا أبو خليفة : أحمدنا يعني ابن المعذل : أفضل من أحمدكم ، يعني ابن حنبل . والله اعلم . قال أبو القاسم الشافعي المعروف بعبيد : كان ابن المعذل من العلماء الأدباء الفصحاء النظار . قال ابن حارث: كان فقيهاً بمذهب مالك . ذا فضل وورع ودين وعبادة . ذكر الدينوري

(١) شبة .
(٢) بالاصل سلمة .
(٣) زيادة من — أ .
(٤) ساقطة من الاصل .
(٥) بالاصل الجمحي وكذا في — أ .

في كتاب المجالسة . وجّه المتوكل الى احمد بن المعذل وغيره من العلماء ، يجمعهم في داره . ثم خرج عليهم فقام الناس كافة غير أحمد . فقال المتوكل لعبيد الله : هذا لا يرى بيعتنا ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن في بصره سوء . يريد : العذر عنه . فقال أحمد : يا أمير المؤمنين ، ما في بصري سوء . ولكن نزهتك من عذاب الله . قال النبي ﷺ : من أراد[١] ان يتمثل له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعده من النـار . فجاء المتوكل فجلس الى جنبه . وقال الحسن بن عبد الرحمان بن عبيد البصري في كتابه : وممن كان يقرض الشعر من الفقهاء النساك : احمد بن المعذل . وكان من أفصح الناس وأبلغهم وأنسكهم وأصمتهم ، حتى نسب بذلك الى الكبر . وله مواعظ وأخبار حسان . وكان أهل البصرة يسمونه لفقهه ونسكه الراهب . وكان فقيهاً بقول مالك ، لم يكن لمالك بالعراق أرفع منه ، ولا أعلى درجة ولا أبصر بمذهب[٢] أهل الحجاز ، منه . وعنه أخذ اسماعيل بن اسحاق ، وهو فقهه . وذكر الحسن بن عبد الرحمان عنه ، وذكر [ابن] الجراح أيضاً ، وأحدهما يزيد على الآخر : انه كان سكن مع أخيه عبد الصمد في دار واحدة . وكان عبد الصمد منهمكاً في الشراب ، فكان أحمد يبكر الى صلاة الصبح ، وكان إمام المسجد ، فيمر سحراً بأخيه وهو سكران ، ويحركه ويقول: أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ... الآيات[٣] . وفي الرواية الأخرى : أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ[٤] .

---

(١) أ – أحب .
(٢) في الاصل مذاهب وكذا في – أ .
(٣) سورة النحل ٤٥
(٤) سورة الاعراف ٩٧

فيرفع عبد الصمد رأسه، ويقول: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ.. الآية[١]. قال أحمد : دخلت المدينة ، فتحملت على عبد الملك بن الماجشون ، برجل يخصني ، ويعني بي ، فلما فاتحني ، قال : ما تحتاج أنت الى شفيع . معك من الحذاء والسِّقاء ما تأكل به لبّ الشجر، وتشرب به صفو الماء . وكان أحمد يذهب الى البادية ، ويكتب عن الأعراب . قال المبرد : رأيت أحمد بعرفات مضحياً للشمس لا يستظل، فقلت : ما هذا يا أبا الفضل؟ فقال :

ضحيت لكي[٢] استظل بظله إذ الظل أضحى في القيامة قالصا
فيا أسفاً إن كان اجرك حافظاً[٣] ويا حزناً إن كان اجرك[٤] ناقصا

وحكى الدينوري ، قال : كان أحمد بن المعذل إذا حج لا يستظل ، فلقيه بعض أصحابه بين مكة والمدينة ، في يوم صائف شديد الحر ، ليس له مظلة وقد أحرقته الشمس ، فقال له : لو سترت نفسك من الحر ؟ فأنشأ يقول :

ضحيت له كي استظل بظله إذا الظل أضحى في القيامة قالصا
وعادت نفوس الناس[٥] عند حلوقهم يريقون زيفاً غابر الماء شاخصا
وما كنت ترجو أن ينالك حرها وقد كنت في حر الظهيرة حائصا
لعمري لقد ضاعت أمور لأهلها ليغتبطن بالصدق[٦] من كان خالصا

---

(١) الانفال ٣٣
(٢) في الأصل لكيا .
(٣) بالاصل حابطاً وكذا في – أ .
(٤) أ – حجك .
(٥) بالاصل الناس وكذا في – أ – وفي – ر – النفوس .
(٦) بالاصل السوق وفي – أ – السبق .

قال : وكان أحمد بن المعذل ، إذا أحزنه أمر ، قام في الليل يصلي ، ويأمر أهله بذلك . ويتلو : وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ ... الآية وينشد :

أشكو اليــك حوادثاً أقلقنني فتركنني متواصــل الأحزان
لولا رجاؤك والذي عودتني من حسن صنعك لاستطار جناني
من لي سواك يكون عند شدائدي إن أنت لم تكلأ فمن يكلاني

وأنشد أبو عبيد الله له :

التمس الأرزاق من عند الذي ما دونه ان سئل من حاجب
ومن يغمر التاركَ تسآله جوداً ومن يرضى عن الطالب
ومن اذا قال جرى قوله من غير توقيع ولا كاتب

وله قصيدة مشهورة في صفة النخلة ، ولأخيه أرجوزة مشهورة فيها .

وأنشد له الحصري و [ابن] الجراح :

أخو دنف رمته فأقعدته سهام من لحاظك لا تطيش
قواتل لا قداح سوى احورار بهن ولا سوى اللحظات ريش
أصبن سواد مهجته فأضحى سقيماً لا يموت ولا يعيش
كئيب ان تحمل عنه جيش من البلوى ألم به جيوش[١]

وكان[٢] القاضي أحمد بن ابراهيم بن حماد ، قال : خرج أحمد بن المعذل من البصرة الى طرسوس فأطال بها المكث فكتب اليه ابنه : يا ابتي وحشت بقاعك ، وفقدك إخوانك . فكتب اليه أحمد :

أتامن[٣] بالنفس النفيسة ما بها وليس لها في الناس كلهم ثمن

---

(١) ساقطة من – ر .
(٢) أ – ذكر .
(٣) كذا بالاصل . وفي – أ – الا من

بها أملك الدنيـا فان انا بعتها ... بشيء من الدنيـا فذلكم الغبن
اذا ذهبت نفسي بدنيا تنالها[١] ... فقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن
فبعها بها فمن اليه مصيرهـا ... فانك فيهـا للمنيـة مرتهن
ودع لذة الدنيـا لنعم[٢] خالد ... لدى جنة لا خوف فيها ولا حزن
فتبذل شيئاً لست تملك نفعه[٣] ... فيجزيك بالاحسان ذو الفضل والمنن

وأنشد له القاضي وكيع :

وقالت سل المعروف يحيى بن اكثم ... فقلت سلي رب يحيى بن أكثم

وقال ابن الجراح في كتاب الورقة : كان ابن المعذل فقيهاً نبيلاً . له أشعار ملاح .

قال لي القاضي اسماعيل بن اسحاق : وكان احمد استاذه إلا انه كان ورعاً حرجاً .

بقية أخباره وفضائله وآدابه وشعره

قال ابو اسحاق الحضرمي وغيره : كان احمد بن المعذل من الفقه والنسك والأدب ، والحلاوة في غاية . وكان أخوه[٤] عبد الصمد يؤذيه ويهجوه . فكتب اليه احمد : أمـا بعد ، فإن أعظم المكروه ما جاء من حيث[٥] يرتجى المحبوب ، ولقد كنتَ مرجواً حتى أشمل شرُّك وعمّ أذاك ، فصرت

(١) في – ر – تنبيها . بالاصل تنالها وكذا في – أ .
(٢) بالاصل لنعلم – أ – لتنعم .
(٣) بالاصل منعه .
(٤) ذكر أبو علي القالي في أماليه أن عبد الصمد هذا كان يهجو أبن اخيه أحمد . وانشد له ابياتاً في هجائه . الامالي ج ١ ص ٢٧٥ . مطبعة السعادة ، القاهرة .
(٥) حديث كما بالاصل .

فينا[١] كالابن العاق ، إن عاش نغّص وان مــات نقّص ، واعلم أنك حشَنْتَ صدر أخٍ ناصح . والسلام . وكان يقول له : انت كالاصبع الزائدة ، ان تركت شانت وان قطعت ألَّمَتْ . وذكر ابو علي القالي الكلام الاول بقريب من هذا اللفظ ، فأجابه عبد الصمد :

أطــاع الفريضة والسنة فتاه على الإنس والجنــة
كأن لنا النــار من دونه وافــرده الله بالجنــة
وينظر نحوي اذا زرتـــه بعين حمــاةٍ إلى كَنَّة

قال ابو العباس . كان احمد بن المعذل ، من الأبهة والتمسك بالمنهاج ، والتجنُّب للعيب والتعرض (له)[٢] في ايـدي الناس ، واضمار الزهد فيه على غاية ، فلما حمل الى بغداد في جملة فقهــاء البصرة ، وقبل الصلة ، نقم عليه . فتسبب به أخوه الى أذاه ، ووجد سبيلًا . فذكر له في ذلك اشعاراً تركناها . قال الحضرمي ، و [ابن] الجراح : عن القاضي اسماعيل . وكانت أم عبد الصمد طباخة . فكان احمد يقول اذا بلغه هجاؤه له : ما عسيت أن أقول فيمن القح بين قدر وتنور . ونشأ بين زقٍ وطنبور . ابو العباس !؟ وذكر الدلائي في كتاب نزهة الاسرار : أن ابن المعذل قالت له أهله ، حين ورد القاضي يحيى بن اكثم البصرة : لو أتيت يحيى فسألته ، لضرّ أصابهم . فلم يجبها . ثم قال هذين البيتين :

تكلفني اذلال نفسي لعزهـــا وكان عليها أنْ أذِلَّ فَتَكْرُما[٣]
تقول: سل المعروف يحي بن اكثم فقلت سلي رب يحي بن اكثما

---

(١) ساقطة من الاصل . وعبارة الأمالي : وصرت فيـك كأبي الابن العاق ، ان عاش نغّصه ، وان مات نقصه .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) رواية القالي : لتكرما

وذكر الدّينوري ، عن محمد بن موسى البصري ، كنا عند احمد بن المعذل بالبصرة يوم مات ابنه ، فاسترجع ثم أنشأ يقول :

تؤمل[١] جنة لا موت فيها ودنيا لا يكدرها البلاء

وأنشد [ابن] الجراح له :

ألا أبلغ أبا سوار عني رسالة كاتب اهدي سلاما
أفي حق الأخوة أن أقفّي ذمامكم ولا تقفّوا ذماما
وقد قال الحكيم مقال صدق رآه الأولون لهم إماما
إذا أكرمتكم واهنتموني ولم أغضب فذلكم فداما

وأنشد له في وصف الرطب :

انشق جيب قميصها فالدمع عنها واكف
يُلْغَى بقاع إنائها حيث استعرنا[٢] خاطف
ومن الغرائب انها بكر عوان ناصف

قال القاضي اسماعيل : عرضت على احمد بن المعذل هذه الأبيات بكمالها ، فقال : هي هكذا ، إلا البيت الاخير ، فإني لم أقلها[٣] ، وينبغي ان يكون عبد الصمد قاله . قال القاضي : فانظر توقيه في هذا المقدار الشعري ، وذكر ابو علي القالي[٤] عن المعذل والد احمد ، انه ركب الى الأمير عيسى بن جعفر ، فوقف ينتظره ، فلما أبطأ عليه ، أقبل يصلي ، فخرج . وكان المعذل لا يقطع الصلاة . فناداه عيسى : يا معذل ، يا أبا عمر ، وهو مقبل على صلاته ، فغضب عيسى ومضى ، فلما أنهى الصلاة لحق عيسى ، وأنشد شعراً منه :

(١) كذا بالاصل وما بالنص من — ر .
(٢) أ — استقرت .
(٣) بالاصل أقله .
(٤) بالاصل البصري . والتصويب من أمالي القالي ، ج ٢ ص ١٣٩ .

قد قلت إذ هتف الأمير يا أيها القمر المنير
حرُم الكلام فلم أجب وأجاب دعوتك الضمير

وأنشد له ابنه احمد ، في كتاب الورقة :

ولست[١] بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لذو صبر على ما ينوبني وحسبك ان الله أثنى على الصبر

وأنشد له ابن الجراح ايضاً :

الى الله أشكو لا إلى الناس إنني أرى صالح الاعمال لا استطيعها
أرى خلة في اخوة وقرابة وذي رحم ما كنت ممن أضيعها

وذكر ابن الحارث عنه ، انه كان يقف في القرآن . ولعل ذلك تقية . ولعله في وقت المحنة ، او كراهة للكلام فيما لم يتكلم فيه السلف ، كما ذكرنا عن غيره . وأما أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الكبير ، فنحله[٢] ما لا يقوله ، ولا يعرف له بوجه . وجدت في بعض الكتب انه توفي وقد قارب الاربعين سنة .

اسحاق بن اسماعيل بن حماد

ابن زيد بن بابك البصري ، ابو يعقوب الازدي الجهني مولاهم ، لآل جرير بن حازم ، والد اسماعيل القاضي ، ولي المظالم بمصر ، أيام المأمون والخطابة والاشراف على المعتصم ، وولي مظالم البصرة .

ولم يكن بالحافظ . لكن ولده وآله تجردوا لمذهب مالك في أيامه ،

---

(١) بالاصل ولسنا ، ولست في – أ . و – ر .
(٢) كذا في – ر – وبالاصل فنحله خطأ .

وتفقهوا فيه . مولده سنة ست وسبعين ومائة . وتوفي بالبصرة سنة ثلاثين ومائتين . نقلت هذا كله من الأوراق المؤلفة ، للحكم بن عبد الرحمان في ذكر المالكية ، من أهل العراق . ومن كتاب ابن الحارث . وذكر ابو بكر الخطيب عن حماد بن اسحاق عن أبيه ، قال : دخلت على ابن شَكلة في بقايا غَضَبِ المأمون عليه . فقلت :

هي المقادير تجري في اعنتهـــا فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك[١] خسيس الحال ترفعه الى السماء ويوما تُخفض العالي

فاطرق ساعة ثم قال :

عَيب الإناءة إن[٢] سرْت عواقبها ان لا خلود وان ليس الفتى حجرا

قال : فقمنا[٣]. فما مضى ذلك اليوم حتى بعث اليه المأمون بالرضا ، ودعاه الى مجالسته[٤] . قال : فالتقيت معه ، في مجلسه . فقلت : لِيَهْنَكَ الرضا . فقال : ليهنك مثله من متيّم – جارية أهواها – فحسن (موقع)[٥] كلامه عندي . فقلت :

ومن لي بأن ترضى وقد صحّ عندها وُلـُوعي بأخرى من بنات الأعاجم

وجده ، حماد بن زيد امام البصرة ، مشهور ، كان اولاً بزازاً ، فلزم العلم ، فانتَفع وانتُفع به . وارتفع ولده به . قـــال الفرغاني : فلا نعلم احداً من أهل الدنيا بلغ مبلغ آل حماد .

---

(١) في تاريخ الخطيب البغدادي : تريش
(٢) في تاريخ الخطيب البغدادي : غيب الاناة وان
(٣) ساقطة من الاصل .
(٤) بالأصل للمجالسة .
(٥) (موقع) ساقطة من – ر .

يعقوب بن اسماعيل بن حماد ـ أخوه ـ أبو يوسف

قال محمد بن خلف القاضي ، في كتاب طبقات القضاة : كان يعقوب هذا من حملة العلم . أخذ عن يحيى بن سعيد ، وابن مهدي وغيرهما ، وسمع أيضاً من ابن وهب بن جرير ، وجرير بن صخرة[١] ، وحدث عنه ابنه يوسف، ومحمد بن هارون ، وذكر أبو بكر بن ثابت البغدادي : ان ابنه[٢] القاضي أبو عمر، روى عنه ، حديثاً أيضاً واحداً . لقنه اياه وهو ابن أربع سنين . قال الخطيب : ولي القضاء بمدينة النبي ﷺ ، وقدم بغداد ، فحدث بها عن سفيان ابن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وابن مهدي ، ووهب بن جرير ، وروح ابن عبادة ، وابن عاصم النبيل ، وأبي أحمد الزبيري . وروى عنه اسماعيل القاضي ، وعبد الله بن أبي سعد الوراق ، وابن أبي الدنيا ، وعبد الله بن أحمد ابن حنبل ، وابن ناجيّة ، وقاسم المطرّز وغيرهم . قال ابن أبي حاتم : سألت عنه أبي ، فقال : صدوق . وكتب عنه ، وكان يعقوب في صحابة المعتصم وقدّم الى المعتصم وهو في صحبته للعشاء : هريسة . فقال المعتصم : ليست بطيبة . فقال يعقوب : أنا آكلها ، فأتى عليها . فقال له المعتصم : أنت آكل الناس هريسة رديئة . قال ابنه : كان أبي يقول : أهل البيت [في الشتاء][٣] اذا لم يأكلوا ، ويصطلوا ، فكأنهم غضاب . قال وكيع : ولاه المتوكل قضاء المدينة ، ثم صرفه . قال ابن نافع : وتوفي بفارس وهو يتولى قضاءه سنة ست وأربعين ومائتين .

---

(١) بالاصل ضمدة وكذا في ـ أ .

(٢) الضمير في «ابنه» يعود الى يوسف ، والقاضي ابو عمر هو محمد بن يوسف بن يعقوب (صاحب الترجمة) راجع تاريخ الخطيب البغدادي ، ترجمة محمد بن يوسف بن يعقوب ج ٣ ص ٤٠١ وترجمة يعقوب بن اسماعيل بن حماد ج ١٤ ص ٢٧٥

(٣) زيادة من رواية القاضي وكيع .

ومن أهل مصر أصبغ بن الفرج

ابن سعيد بن نافع . مولى عبد العزيز بن مروان . قال أبو عمر الكندي في موالي مصر : كذا زعم أصبغ ، وكثير من أهل مصر لا يصححون له، ولاء . يكنى أبا عبد الله . يسكن الفسطاط . روى عن الدراوردي ، وابن سمعان ، ويحيى بن سلام وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم . كان قد رحل الى المدينة ليسمع من مالك ، فدخلها يوم مات وصحب ابن القاسم وأشهب وابن وهب ، وسمع منهم وتفقه معهم . قال أبو أحمد الجرجاني : كان كاتب ابن وهب . قال الإلكاني : وكان ورّاقه وأخص الناس به . روى عنه الذهلي والبخاري ويعقوب بن سفيان ومحمد بن أسد الخشني ، وابن رنجويه ، وابن وضاح ، وسعيد بن حسان ، وأخرج عنه البخاري .

ذكر مكانه من العلم والثناء عليه

قال ابن أبي دليم : كان فقيه البدن (كذا) طويل اللسان ، حسن القياس من أفقه هذه الطبقة . قال أبو حاتم الرازي : هو أعلى أصحاب ابن وهب ، صدوق . وقال ابن معين : ثقة . وقال ابن وضاح مثله . قال ابن حبيب : كان أصبغ من أفقه أهل مصر ، وعليه تفقه ابن المواز وابن حبيب وأبو زيد القرطبي ، والصيرفي[١] وابن مزين وعبد الأعلى القرطبي وغيرهم . قال ابن أبي حاتم : روى عنه أبو حاتم الرازي . قال ابن حارث : كان ماهراً في فقهه ، وفقيه البدن طويل اللسان ، حسن القياس ، من أفقه هذه الطبقة ،

(١) بالاصل البرقي وكذا في – أ .

والتبيان[١] والبيان . وتكلم في أصول الفقه . قال ابن حبيب : كان أفقههم بعد ان ذكر ابن القاسم وطبقته ، ثم ذكر أصبغ وعبد الله بن عبد الحكم . قال أحمد بن صالح الكوفي : هو ثقة . صاحب سنة . حكى القاضي[٢] ان أشهب مرض ، فدخل عليه عوّاده وفيهم أصبغ ، فلما خرجوا قالوا له من لنا بعدك ؟ قال : هذا الخارج عنا . قال وكان ابن وهب يقول : لولا ان تكون بدعة لسوّرناك يا أصبغ ، كما تسوّر الملوك فرسانها . قال أبو عمر الكندي : كان أصبغ فقيهاً ، نظاراً . وسأل مطرف بعض المصريين عن عبد الله بن عبد الحكم ، فقال : مات . قال : فما فعل أصبغ ؟ قال : باق. قال مطرف : الحي عندنا أفقه من الميت . قال ابن اللباد : ما انفتح لي طريق الفقه إلا من أصول أصبغ . وقد روي (ان)[٣] ابن القاسم قال : إن قيل أصبغ ، سُرُّوا به . قال عبيد بن سعيد : قدمت على أصبغ بن الفرج ، فلما كان توجهي الى المدينة ، كتب معي الى عبد الملك بن الماجشون يسأله ان[٤] يخير له كتبه . قال : فقدمت على عبد الملك بكتابه ، وهو يومئذ قد[٥] كف بصره ، فقال لي : قل له : اشخص للعلم ان كنت تريده فان العلم لمن شخص له . قال : فذاكرته ، حال أصبغ . قال ما أخرجت مصر مثل أصبغ . قلت له : ولا ابن القاسم ؟ قال : ولا ابن القاسم ، كلفاً منه به . وقال ابن مزين[٦] فلما قدمت على أصبغ سلمت عليه ، وهو محتب

---

(١) أ — للشأن .
(٢) أ — المقامي .
(٣) ساقطة من — ر .
(٤) ساقطة من — ر .
(٥) ساقطة من — ر .
(٦) بالاصل زمزين .

فأخرج يده من تحت حبوته، وكنت أعرف مروءة أصحابنا بالأندلس، فقلت في نفسي: ما يضرك لو أخرجتها عن طوقك. وكان أصبغ بمصر[١] يستفتي مع أشهب وغيره، من شيوخه. قال ابن غالب: خرجت من الأندلس، وأصبغ عندي أكبر أهل زمانه: لما كنا شاهدناه من تعظيم شيوخنا له. وحكى الكندي عن المزني والربيع قال: كنا نأتي أصبغ قبل قدوم الشافعي، فقلنا له: علمنا مما علمك الله. قال ابن معين: كان أصبغ من أعلم خلق الله كلهم، برأي مالك. يعرفها مسألة مسألة. متى قالها مالك ومن خالفه فيها. ولأصبغ تآليف حسان، ككتاب الأصول، له عشرة أجزاء. وتفسير غريب الموطأ. وكتاب أدب الصائم. وكتابه سماعه من ابن القاسم، اثنان وعشرون كتاباً. وكتاب المزارعة، وكتاب أدب القضاة، وكتاب الرد على أهل الأهواء. قال أبو بكر بن أصبغ: قال أبي: أخذ ابن القاسم بيدي يوماً، فقال لي: يا اصبغ، انا وانت اليوم في هذا الأمر سواء، فلا تسألني عن هذه المسائل الصعبة بحضرة الناس ولكن بيني وبينك، حتى انظر وتنظر. قال: وقدم طومار عليه من الأندلس، او من المغرب فيه مسائل، فقال لي أجب فيها، وائتني بجوابك. وقال لعيسى بن دينار مثله فجئنا بذلك. وقرأنا عليه، فأخذ جوابي وطبع عليه، وأعطاه لصاحب المسألة، وقال اخبرهم ان هذا جوابي وما غيّر منه شيئاً.

جمل من أخباره

قال أصبغ: خرجت الى مكة، سنة تسع وسبعين للسماع من مالك.

---

(١) زائدة في – أ.

فدخلت المدينة فلم ألق إلا باكياً ، او مسرجاً او ضارباً يداً على أخرى ، او محددة . فقلت لبعضهم ما شأن الناس لم يكلمني أحد ، وجعلت كل ما لقيت فوجاً أسأله حتى قال لي رجل جالس متقنع يبكي ، وقد رأى حالي غريباً[١] : أراك غريباً ؟ قلت : نعم . الساعة دخلت . قال لي مات اليوم عالم المشرق والمغرب . قلت يرحمك الله ، ومن هو : قال لي أراك جاهلاً أقول لك عالم المشرق والمغرب ، فتقول : ومن هو ؟ فاسكتني . فلما نظر لي وقد وجمت قال : مات مالك بن أنس . قال : فصحت مات مالك ؟ ومضيت مع الناس الى منزله . فاذا بـــه قد مات ذلك اليوم . فحضرت جنازته ، وذكر ابو عمر الكندي في كتاب الموالي : قال كانت بين عبد الله ابن عبد الحكم واصبغ منازعة ، ومباعدة . وقال في طبقات القضاة بمصر إن أبا ضمرة الزّهري ، كان أشار بين يدي[٢] ابن طاهر باصبغ للقضاة . وقال أصبغ ، الفقيه ، العالم لها . لم يوافقه عليها ابن عفير ، وقال : ما بال أبناء الصبّاغين يذكرون هنا ؟ فأشار ابن عبد الحكم ، بعيسى ابن المنكدر ، فولي ، ولم يكن له رأي في أصبغ فبلغ قول ابن عفير أصبغ فقال : من أخبره ان في آبائنا[٣] صباغاً .

محنتــه

قال ابو العرب : قال يحيى بن عمر ، اختفى أصبغ بن الفرج أيام الأصم ، وأخذه الناس بالمحنة في القرآن ، فطلبه الأصمّ فاختفى في داره ، وكان إخوانه

---

(١) ساقطة من الاصل .
(٢) ناقصة من — ر .
(٣) بالاصل آبائي .

يأتونه فيها الواحد بعد الواحد ، حتى مات . وقال ابو عمر الكندي : ان المعتصم كتب في أصبغ ليحمل في المحنة . فهرب الى حلوان ، فاستتر بها . وفي ذلك يقول الجمل المصري ، في مدحه الأصم .

وطويت أصبغ خفيةً في بيته   فسترته جُدُرُ البيوت الستر
أبدلتــه برجاله وجموعــه   خوفاً مقاعدة النساء الخُــدر

وتوفي أصبغ بمصر ، سنة خمس وعشرين ومائتين . قال ابن سحنون وذلك في يوم الاحد لخمس ليال بقين من شوال منها . وقال نحوه الكندي : وقال ابو نصر الكلاباذي : توفي سنة أربع وعشرين ومائتين . قال الكندي مولده بعد الخمسين ومائة .

ابو زيد ابن أبي الغمر

واسمه عبد الرحمان ابن عمر بن أبي الغمر . كذا قال الكندي والدارقطني وغيرهما . مولى بني فهم[١] . يروي عن يعقوب بن عبد الرحمان الاسكندراني ، والمفضل وابن القاسم وأكثرهم عنه ، وحبيب كاتب مالك ، وابن وهب ومعاوية ابن يحيى الطرابلسي . قال ابن أبي دليم : ورأى مالكاً فلم يأخذ عنه شيئاً . وحكي ذلك الكندي عنه . روى عنه ابناه محمد وزيد والبخاري . وأخرج عنه في الصحيح ، وأبو زرعة وأبو الزنباع روح ابن الفرج . واحمد بن رشدين ، ومحمد ابن المواز وابو[٢] اسحاق البرقي . ومحمد بن عامر الالوسي[٣] . وابو الطاهر

(١) في الاصل سهم وكذا في — أ .
(٢) أبو ساقطة من — ر .
(٣) في — ر — الأندلسي .

المصري ، والحارث ويونس بن عمر ، (ومحمد بن عيسى الأعشى)[١] . وهو رواية الأسدية . والذي صححها علي بن القاسم بعد ابن الفرات . وله كتب مؤلفة حسنة ، موعبة لطيفة ، في مختصر الأسدية . وله سماع من ابن القاسم مؤلف، قال ابن وضاح : لقيته بمصر ، وهو شيخ ثقة . قال الكندي : كان فقيهاً مفتياً ، وذكر لسحنون فقال : ان أبا زيد لم يكن من اهل هذا الشأن ، يعني الفقه . قال ابن باز والله (الذي لا إله إلا هو)[٢] ما رأيت أفضل من أبي زيد ابن أبي الغمر . لا أحاشي احداً . وقال ابن أبي دليم : كان رجلاً صالحاً . قال غيره : كان لا يرى مخالفة ابن القاسم . وكتب ابو زيد الى أبي سنان القيرواني : عليك يا أخي بنفسك . فلها فاعمل ، وعلى حظها فاحرص ، وعلى دوام بقائها في النّعيم المقيم فقم لها بذلك . فكأن قد حجبت عن القيام بذلك[٣] . بما ذكرت لك ، فاغتنم ذلك ما كان لك مبذولاً ، واعلم انك لن تقوى على ذلك حتى تترك ما تحب الى ما تكره . فعند ذلك تقوى على ما تريد ، ويهون عليك طلب ذلك . وتقدر عليه ان شاء الله ، وابعد ما تكون منه حين تعطي لنفسك مناها وتدرأ عنها ما تكره ، واعلم ان ذلك بالله ومنه ، فعليك بالاستكانة إليه في ذلك . فلعلك تعطاه إن حسنت فيه نيّتك . قال ابن باز : سألت . أبا زيد ابن أبي الغمر ، عمّن تزوّج وبشرط انه [إن] لم يأت بمهر الى كذا ، فأمرها بيدها . فقال النكاح جائز فقلت له يُرْوى عن مالك ، لا يجوز . فقال لي ومن أعلم بقول مالك ؟ أنا أو أنت ؟ قلت : أنت . ولكن أخبرني سحنون عن ابن القاسم عن مالك : انه لا يجوز : قال إبراهيم ثم وجدتها رواية كما قال محمد بن عيسى .

---

(١) ساقطة من – ر .
(٢) ساقطة من الاصل و – أ .
(٣) ساقطة من الاصل – و أ .

قال ابراهيم : صليت وراء أبي زيد ابن أبي الغمر ، على جنازة . فرفع يده في التكبير كله ، ثم صليت وراءه (على أخرى)[1] فلم يرفع لا في الأولى ولا في غيرها . وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين مولده سنة ستين ومائة .

أبو علي بن مقلاص

واسمه عبدالعزيز بن عمران بن ايوب بن مقلاص ، الخزاعي . وهو ابن ابنة سعيد بن ابي ايوب بن مقلاص[2] ، مولاهم ، من اكابر اصحاب ابن وهب اخذ عنه وعن الشافعي ، وعن لهيعة بن يحيى[3] . روى عنه ابو ابراهيم الزهري ، ويعقوب بن سفيان ، وابن وضاح ، وجماعة من الاندلسيين ، وابن حارث ، وكان فقيهاً زاهداً صوفياً حسناً . ذكره ابن أبي دليم ، والكندي. وتوفي سنة اربع وثلاثين ومائتين . وله ابن اسمه محمد[4] روى عنه ابن جرير قال ابن وضاح : لقيته بمصر ، وكان كثير الرواية ضابطاً للحديث حافظاً له، نعم الشيخ ثقة . وكان جده لأمه سعيد بن ابي ايوب يكنى بأبي يحيى من رواة الحديث . يروي عن عقيل . روى عنه ابن المبارك والمقري ، وأبو مطيع معاوية بن يحيى . قال ابن معين : هو مولى ابي هريرة ، وثّقه هو والنسائي . توفي فيما قاله البخاري ، سنة تسع واربعين . وقال ابن بكير : سنة إحدى وستين ومائة .

---

(١) ساقطة من ــ ر .
(٢) في ــ ر ــ عيسى .
(٣) عيسى كما بالأصل و ــ أ .
(٤) بالاصل عمر وكذا في ــ أ .

سعيد بن عيسى

ابن تليد ، بفتح التـاء ، ابو عثمان القتباني ، ثم الرعيني مولاهم ، وقتبان قبيلة من رعين ، بقاف مكسورة بعدها تاء بائنتين ، من فوق ساكنة ، وباء موحدة[١] مفتوحة[٢] ، وبعدها نون . فقيه مشهور بمصر . قال الكندي : في كتاب الموالي ، وهو عم مقدام بن داود بن عيسى . وكان كاتباً لغير قاض ، بمصر . يروي عن المفضل بن فضالة ، وبكر بن مضر ، وابن عيينة وابن وهب ، وابن القاسم ، والليث بن عاصم ، وغيرهم . روى عنه ابن اخيـه المقدام ، وابو حاتم الرازي ، وعـلي بن محمد[٣] النفيلي ، والبخاري . وخرج عنه في صحيحه . قال ابو حاتم : هو ثقة . قال ابو عمر الكندي ، في قضاة مصر : ولاه لهيعة بن عيسى ، على مسائله . وكان أول شأنه خياطاً وقال الجيزي : ان الفضل بن حاتم قاضي مصر ، استكتبه ، بعد ان أبى عليه ، فحلف له إن لم يفعل ليعاقبنـه . قال الدارقطني : وتوفي سنـة تسع عشرة ومائتين ، وقال الكندي : سنة اربع عشرة .

أبو الزنباع روح بن عبد الجبار بن نصير

مولى مراد . وهو اخو ابي الأسود . يروي عن ابن القاسم ، وكان مقبولاً عند قضاة مصر . ذكره ابن ابي دليم[٤] في المالكية . قال : وتوفي

---

(١) بالاصل « واحدة » .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) بالاصل و — أ — عمر .
(٤) ساقطة من الاصل .

في ذي القعدة سنة إحدى وعشرين ومائتين . وأخوه ابو الأسود : النضر ابن عبد الجبار . كان يكتب للهيعة ، قاضي مصر . ذكره الكندي في علماء موالي مصر ، مولده سنة خمس واربعين ومائة ، وتوفي سنة سبع عشرة ومائتين ، وابن اخيهما محمد بن عبد الله بن عبد الجبار ، يكنى ابي العوام . قال الكندي : كان فقيهاً مقبول الشهادة توفي سنة ثمان وستين .

أبو عمرو الحارث بن مسكين

ابن محمد بن يوسف . مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان . سمع من ابن القاسم ، وأشهب وابن وهب ، ودوّن اسمعتهم وبوّبها . وبهم تفقه وعد في اكابر اصحابهم . وله كتاب فيما اتفق فيه رأيهم الثلاثة ، ورأي الليث ومالك والمفضل بن فضالة . وروى ايضاً عن سفيان بن عيينة ، وسعيد ابن الجهم ، ويوسف بن عمر . وحدث ببغداد وبمصر . وممن روى عنه ابن زبان الحضرمي ، وابو داود وابنه يعقوب بن ابي شيبة ، وابو حاتم الرازي ويحيى ومحمد بن عمر ومحمد بن رمضان والنسائي وابن وضاح وعبد الله بن احمد بن حنبل ، والقاسم بن المغيرة الجوهري ، وحمدان بن علي . سئل احمد بن حنبل عن الحارث بن مسكين ، قبل ان يستقضي فأثنى عليه خيراً وقال : (انه رآه)[١] . وقال : ما بلغني عنه ، الا خير . قال : وكانوا[٢] يتساهلون في الأخذ عن ابن وهب والمصريين ، تساهلاً شديداً . وقال يحيى ابن معين : لا بأس به . قال ابن وضاح : هو ثقة الثقات . قال الكندي : كان مفتياً فقيهاً . قال يحيى بن نصر : عرفت الحارث ايام ابن وهب ، وبعد

---

(١) ساقطة من — أ .

(٢) في الاصل كان .

وفاته على طريقة زهادة وورع ، وصدق لهجة ، حتى مات . قال أبو بكر الخطيب : كان فقيهاً على مذهب مالك ، ثقة في الحديث ثبتاً . وحكى الخطيب عن علي بن الحسين بن حيان ، قال : وجدت في كتاب[١] ابي بخطه . وقال النسائي[٢] : الحارث بن مسكين ، خير من اصبغ وأفضل من عبد الله ابن صالح . وقال النسائي : الحارث بن مسكين ثقة مأمون ، وللحارث بن مسكين كتاب حسن ، دون فيه سماع ابن القاسم وابن وهب . قال أبو حاتم : هو صدوق . قال عبد الله بن محمد القاضي : كان الحارث من علماء هذه الطبقة بمصر ، مع خيره وفضله وثقته في روايته . وكان عدلاً في قضائه ، محموداً في سيرته . قال الكندي : وكان اصحاب الأصم قد أشاروا عليه بامتحان الحارث في القرآن ، (عند قدوم الحارث من العراق)[٣] فقال لهم : السلطان لم يمتحنه هناك ، أنا أمتحنه ، اسكتوا عن هذا . وذلك ان ابن أبي دؤاد كان أوصاه به ، لأن الحارث حضر جنازة له ، فشكر ذلك له . قال الأمير أبو نصر : حمل الى بغداد للفتنة ، فحبس بها الى ان ولي المتوكل فأطلقه . وقال الخطيب مثله . وزعم ان الذي حمله المأمون ، وفيه يقول سعد[٥] بن زيد :

لو تراه وأبا زيد معاً   وهما للدين حصن وعضد
يدرسون العلم في مسجدهم   وإذا جنّهم الليل هُجُد
وإذا ما وردت مغلقة   اسند القوم اليهم ما ورد[٦]
نوّر الله بهم مسجده   فهم للمسجد نور يتقد

---

(١) زيادة من — أ .
(٢) أ — زكريا .
(٣) زيادة من — أ .
(٤) بالاصل سعدان وكذا في — أ — وفي تاريخ الخطيب البغدادي .
(٥) البيت ساقط من — ر .

ذكر ولايته القضاء وسيرته في ذلك

قال الجيزي في كتاب قضاة مصر : ولي الحارث بن مسكين قضاء مصر سنة سبع وثلاثين في جمادى الاولى منها . قال ابو عمر في كتاب قضاة مصر وفي كتاب الموالي : ولي الحارث بن مسكين قضاء مصر من قبل المتوكل ، وأتاه كتاب القضاء وهو بالاسكندرية . فلما قرأه امتنع من الولاية . فأجبره اصحابه على ذلك ، وشرطوا عونهم له . فقدم الفسطاط وجلس للحكم ، وكان مقعداً من رجليه . فكان يحمل الى الجامع في محفة ، ويركب حماراً مبرقعاً ، وطولب بلباس السواد فامتنع ، فخوفه اصحابه سطوة السلطان واتهمه لتولي قيصر[1] أمية . فلبس كساء صوف اسود . قال بعضهم : رأى بعض من بمصر كأن ابن اكثم ذبح الحارث بن مسكين . فلم يكن حتى جاءه قضاء مصر . وكان على يدي ابن اكثم قاضي القضاة حينئذ . قال ابو محمد الضراب في كتابه : روى الحارث عن ابن وهب ، عن مالك في الرجل يدعى للعمل فيكره ان يجيب اليه ، وخاف على دمه او جلد ظهره وهدم داره ، كيف ترى في ذلك ؟ فقال اما هدم داره او جلد ظهره[2] او سجنه فانه يصبر على ذلك ، ويترك العمل خيراً له . واما ان يباح دمه فلا ادري ما حد ذلك ، ولعله في سعة من ذلك ، ان عمل . قال يونس : روى الحارث هذا الخبر وولي . والله لقد سألني حارث : تراني أهلاً للفتيا كما قال مالك ؟ وحكى القاضي يونس : ولي جعفر المتوكل الحارث ، قضاء مصر ، بعد ان سجنه على إبائه ، ذلك زماناً .

---

(١) بالاصل بني وكذا في – أ .
(٢) ساقطة من – ر .

قال محمد بن عبد الوارث : كُنّا عند الحارث فأتاه علي بن القاسم الكوفي ، المدني . فقال له : رأيت في النوم الناس مجتمعين في المسجد الحرام ، فقلت ما اجتماعكم ؟ فقالوا عمر بن الخطاب جاء يقعد الحارث بن مسكين للقضاء . فرأيته أخذه وسمر مقعده في الحائط ، وانصرف . فتبعته ، فلما أحسّ بي ، قال : ما تريد ؟ قلت أنظر إليك . قال : اذهب الى الحارث ، فاقرأه مني السلام ، وقل له يقضي بين الناس بامارة انك كنت في الحبس بالعراق . فقمت في الليل فعثرت بنكبة[1] اصبعك ، ودعوت بذلك الدعاء ، فجئت من الغد ، فقال لي الحارث : صدقت . وهذا شيء ما اطّلع عليه احد إلا الله . فسألته عن الدعاء ، فقال : يا صاحبي . عند كل شيء[2] ، ويا غياثي[3] عند كل كربة ، ويا مؤنسي في كل وحشة ، صل على محمد وعلى آله ، واجعل لي من أمري فرجاً . قال : ودعي إلى لباس السواد ، فأبى من ذلك . فخاطب الوالي المتوكل ، فرد كتابه : ان لم يلبس السواد فاخلعه[4] ، وركبه ، ووجه الوالي وراءه رسلاً ، فأسلمه القريب والبعيد . قال الطحاوي عن محمد ابن سعيد : فلقيته والرسل تزعجه ، وقد وله . فعلمت انه قصد وجهاً من الحق ، فخالف فيه هوى السلطان ، فدنوت منه وقلت له : سر يا شيخ لا يهولنك ما ترى ، فان ابراهيم أسلمه اهل الارض فلم يضره ، لما كان الله له . فاعتنقني وقال : احييتني والله يا أخي بهذا الكلام ، فاحياك الله سعيداً . فلما أتي به الى الوالي ، أمر بكتاب المتوكل فقرأ عليه ، فامتنع من لباس السواد وقال رجل من ناحية المسجد : ان الشيخ رأيته يلبس هذه الثياب العرجية

(١) بالاصل فنكبة .
(٢) بالاصل « شدة » كذا في – أ .
(٣) بالاصل غايتي .
(٤) بالاصل اخلع وكذا في – أ .

(التي تعمل باليمن ، فقال الحارث : بلى . إني ربما لبستها . فقال له الوالي)[١] : فألبسها . فقال اما تلك فنعم . وقنع منه بذلك . وكتب به الى المتوكل ، (وخلي عن الشيخ . قال الكندي : وأمر الحارث باطراح[٢] اصحاب الشافعي وأبي حنيفة)[٣] . ومنع أصحاب أبي حنيفة من الجامع ، وفض مجالسهم ، وأمر بنزع حصورهم بين العـُمـَد . ومنع عامة المؤذنين من الآذان . ومنع قريشا والأنصار من طعمة رمضان . وعمر المساجد ، فبنى سقاية . وحفر خليج الاسكندرية . ونهى عن تقبل َ المصائد ، وأباحها ونهى عن النداء على الجنائز ، وضرب القراء الذين يقرأون بالالحان . وهو أول من ولي على مصاحف الجامع أميناً . وترك تلقي الولاة والسلام عليهم . ولاعَنَ[٤] . وقتل ساحرين نصرانيين وقتل نصرانياً سبّ النبي ﷺ ، بعد ان جلده الحد . ونفى وحد من سبّ عائشة . ولم يكن في ولايته خلل . وهدّم مسجداً ، كان بناه خراساني ، بين القبور ، بناحية القطب ؟ في الصحراء . وكان يجتمع فيه للقراءة والقصص والتعبير ، وبمثل هذا أفتى يحيى بن عمر في كل مسجد بني نائياً عن القرية . حيث لا يصلي فيه اهل القرية . وانما يصلي فيه من ينتابه ، وبذلك أفتى في مسجد السبت بالقيروان ، وبمثله أفتى ابو عمران في المسجد الذي بني (بجبل)[٥] فاس ، وحمله اصحابه على النظر في أمر أبي بكر الأصم القاضي قبله . وكانوا قد لعنوه لما عزل ورموا حصره ، وغسلوا من المسجد موضعه . فكان الحارث يوقف الأصم كل يوم ، فيضربه عشرين سوطاً ،

---

(١) ساقطة من – أ .
(٢) في الاصل بأخراج .
(٣) ساقطة من – أ .
(٤) ساقطة من – ر .
(٥) ساقطة من – ر .

ليخرج ما وجب عليه من الأموال . أقام على ذلك أياماً . فقال بعضهم للحارث : إنه قبيح بالقاضي ان يتولى مثل ذلك . فخلى عنه . والقيت إليه سِحاية فيها مكتوب ميزان حراني ، وصنجة[١] ناقصة . فلما قرأها ، استبدل بكتّابه واعوانه غيرهم . وكان كاتب الحارث ، ابو اسحاق القسطال . وعلى مسائله عمر ويزيد ، أبناء يوسف بن عمر . وقال ابو عمر الكندي : وحكم الحارث في حُبسٍ بمذهبه ، بمذهب مالك باخراج أولاد البنات منه . فشكى أصحابه ذلك الى المتوكل ، فأفتى اهل العراق على مذهبهم وخطأوا الحارث ، ونقضت القضية فاستعفى (الحارث)[٢] ، إذ ذاك . فأعفي . وكان في (كتاب)[٣] استعفائه : انتهى الى أمير المؤمنين ، أن كتاباً وصل باستعفائك فيما تقلدت من القضاء بمصر . فأمر أيده الله بإجابتك الى ذلك واعفائك فيما تقلدت منه ، اسعافاً لك فيما سألت ، وتفضلاً لما أدّى لموافقتك فيه ، فرأيك ابقاك الله في معرفة ذلك والعمل على حَسبه . وذلك سنة خمس وأربعين ومائتين . فكان أمد قضائه سبع سنوات واحد عشر شهراً . وولي بعده بكار ابن قتيبة . فلم يكشف احداً من اصحاب الحارث . وقال : حارث في فضله ودينه ، أعلم بأهل بلده مني ، الى ان يتبين لي جرحه . وذكر ابو عمر الصدفي : ان رجلاً أتى الحارث برجل معه نصرانية ، معها صغير أراد ان يبيعها من نصراني ، فذكر ذلك للحارث . فقال له الحارث : فما أصنع به . فرد عليه الرجل الخبر ، والحارث يقول : ما أصنع به ، حتى اكثر عليه . فقال يزيد بن يوسف : اصلح الله القاضي ، هو رجل صالح . فقال له الحارث : إذا كان صالحاً وأحمق ، فما أصنع . قال بعضهم : حضرت

---

(١) كذا بالاصل وفي — أ — صفحة . والسحاية : قصاصة من الورق صغيرة .
(٢) ساقطة من — ر .
(٣) ساقطة من — ر .

جنازة . فأخذ يونس بن عبد الأعلى في الكلام والرشاد حتى بكى بعض من حضر ، فقال الحارث : يونس[١] ، تحسن هذا كله ، وأنت تصنع ما تصنع . فقال له يونس : أنت قاض ، وقد قال رسول الله ﷺ : من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين . وذكر ان رجلاً تقدم الى حارث في خصومة ، فناداه رجل باسمه . وكان اسمه إسرافيل . فقال له الحارث ما حملك على ان تسمّى بهذا الاسم ؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام : لا تسمّوا بأسماء الملائكة . فقال له : فلمَ سمي مالك بن أنس مالكاً ؟ وقد قال الله تعالى : وَنَادَوْا يَا مَالِكُ . ثم قال : والله لقد تسمي الناس بأسماء الشياطين . فما عيب ذلك . يعني الحارث اسمه . ويقال هو اسم إبليس لعنه الله .

ذكر محنته وبقية خبره

قال الكندي : لما قدم المأمون مصر ، تلقاه الناس يرفعون على عمال مصر ، وجاء متظلم من ابن تميم وابن أسباط ، فجلس الفضل بن الربيع في الجامع ، وحضر مجلسه القاضي ابن اكثم ، والقاضي ابن ابي دؤاد[٢] واسحاق ابن اسماعيل بن حماد ، وكان على مظالم مصر ، وجماعة من فقهاء مصر ومحدثيها . وأحضر الحارث ليولى قضاء مصر ، فدعاه الفضل ، فسأله عن ابن تميم وابن أسباط فقال ظالمين غاشمين . فقال ليس لهذا احضرناك ، واضطرب المسجد فقام الفضل وسار الى المأمون وقال له : لقد خشيت على نفسي ، من قيام الناس مع الحارث . فأرسل فسأله عنهما ، فقال : ظالمين غاشمين . فقال له : هل ظلماك بشيء ؟ قال : لا . قال فعاملتهما ؟ قال لا . قال : فكيف

---

(١) في الاصل ذكر مرتين وكذا في – أ .
(٢) في الاصل داود .

شهدت عليهما ؟ قال كما شهدت انك امير المؤمنين ، ولم أرك إلا الساعة . وكما شهدت انك غزوت ولم احضر غزوتك . قال اخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد ، واجمع[١] قليلك وكثيرك فانك لا تعاينها أبداً . وحبسه في رأس الجبل في خيمة . ثم انحدر لبعض بلاد عاربة مصر ، وأحدره معه. فلما فتحها سال حارثاً عن مسألته الاولى ، فرد عليه جوابه بعينه . قال فما تقول في خروجنا هذا ؟ فقال اخبرني عبد الرحمان بن قاسم عن مالك ، ان الرشيد كتب اليه يسأله عن قتال اهل دهلك . فقال : ان كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان ، فلا يحل قتالهم . وان كانوا إنما شقوا العصا ، فقتالهم حلال . فجاوبه المأمون بجواب قبيح ، سبّه فيه ، وسبّ مالكاً ، وقال له : ارحل عن مصر . فقال : يا أمير المؤمنين ، الى الثغور . قال ، إلحق بمدينة السلام . فقال أبو صالح الحراني : يا امير المؤمنين تغفر زلته . فقال يا شيخ شفعت فارتفع . قال : كان لما حضر قال له المأمون : يا ساعي ، يرددها عليه . فقال له : لست بساعي ، وإن أذن امير المؤمنين في الكلام تكلمت . قال : تكلم . قال : والله يا أمير المؤمنين ما أنا بساعي ، ولكني احضرت ، فسمعت وأطعت حين دعيت . ثم سئلت عن أمر فاستعفيت . فلم اعفَ ثلاثاً . فلما رأيت انه لا بد لي من الكلام ، كان الحق آثر عندي من غيره . قال المأمون هذا رجل اراد ان يرفع له علم في بلده ، خذه اليك . ثم حمله الى العراق . وخرجت اليه امرأته ، وحمل ابنه ابراهيم الى الثغور . فأقام الحارث بالعراق ستة عشر سنة ، حتى مات المأمون ، والمعتصم . وذكره الواثق لابن أبي دؤاد . فقال له : هو حاضر . فقال : ما ظننت انه حي . فأرسل الى الحارث وهو ببغداد ، يقول له : سل حاجتك.

---

(١) بالاصل بع وكذا في — أ .

قال حاجتي الا تحملني الى سُرَّ مَنْ رأى . فقال ابن ابي دؤاد للواثق : هو شيخ ضعيف ، خفت ان احمله فيموت . قال فاكتب له يتوجه حيث شاء فانصرف الى مصر[١] ، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . فلما ولي المتوكل ، ولاه قضاءها . قال محمد بن عبد الحكم : قال لي ابن ابي دؤاد : لقد قام حارثكم مقام الأنبياء . وكان ابن ابي دؤاد يحسن ذكره ، ويعظمه جداً ، ويكتب الى الأصم بالوصاية[٢] له به . وتوفي الحارث سنة خمسين ومائتين . وقيل : سنة ثمان وأربعين . والأول الصواب . وسنّه خمس وتسعون . وصلى عليه امير مصر . مولده سنة أربع وخمسين وقيل سنة ست وخمسين ومائة .

محمد بن أبي ركين

واسمه : يحيى بن أبي إسماعيل ، ابو عبد الله . مولى آل خالد بن يزيد ابن السيد الصدفي ، مولى لهم . هو : أبو مزاحم المحتسب ، قاله الكندي في أعيانه ، موالي مصر . وقيل ، بل اسمه ركيز بضم الراء مصغراً . قاله الأمير والدارقطني . كان فقيهاً ، من أكابر اصحاب ابن وهب ، ويروي عن الشافعي . حدّث عنه (ابو)[٣] ابراهيم الزهري ، وأبو زكريا البرذعي ، والمصريون . قال ابو عمر الصدفي : سألت عنه أبا جعفر العقيلي ، وأبا بكر الحضرمي ، فقالا : ثقة . وابنه مزاحم ، ولي الحسبة . وكان مقبولاً بمصر . توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) في الاصل الوصاة وكذا في — أ .
(٣) ساقطة من — ر .

الوقّار

قال أبو حارث : هو ابو يحيى ، زكريا بن يحيى بن ابراهيم بن عبد الله ، من موالي قريش ، مصري . قال غيره : هو مولى بني عبد الدار . روى عنه ابن وهب ، وابن القاسم ، وأشهب وغيرهم . وكان مختصاً بابن وهب . قال ابو العرب في كتابه ، في علماء افريقية : قدم علينا إفريقية ، سنة خمس ومائتين ، وكان إذا حدث عن ابن وهب (يقول حدثني سيدي ابن وهب)[١] ، قال : وفي حديثه ، لين وانقطاع ، وعن رجال شاميين ، وغير اعلام . وسمع عليه بافريقية . ثم انصرف الى مصر ، وكان يلقب بالبرطنج . قرأ القرآن على نافع المدني ، وعنه أخذ عبد الرحمان المقري ، حرف نافع . قال : وأوطن طرابلس . قال ابو عمر الداني : أبو يحيى ، يلقب بالبرطنج ، مقريء ، روى القراءة عندنا على نافع ابن (أبي)[٢] تميم ، روى عنه القراءة محمد بن رغوث[٣] المقريء . قال : وابو يحيى هذا مجهول . (قال الفقيه القاضي ابو الفضل عياض رضي الله تعالى عنه . وابو يحيى هذا المجهول)[٤] عند أبي عمر ، هو أبو يحيى الوقار[٥] . (ولم يذكر ابو عمر الوقار ، جملة . وأراه لم يبلغه خبره . او لم يعلم ان البرطنج هو الوقار)[٦] وقد بين ابو العرب وابن حارث ذلك بحمد الله . قال ابو عمر والكندي : كان فقيهاً صاحب عجائب ، ولم يكن بالمحمود

---

(١) ساقطة من – ر .
(٢) ساقطة من – ر .
(٣) بالاصل برغوث كذا في – أ .
(٤) ساقطة من – ر – مثبتة في الاصل .
(٥) كذا في – أ – وبالاصل الوراق .
(٦) ناقص من – ر .

في روايته . قال : وكان ممن خرج من مصر أيام أبي بكر الأصم ، وأخذه الناس بمحنة القرآن . قال ابن هلال : كان الوقار[١] بمصر ، يقضي فيجتمع إليه الناس . وكان لا يقعد المزني إلا النفر اليسير ، فقلت في ذلك للوقار او قيل له ، فقال : إنّ كلّ ما ترى حولي ، لو خطرت به دُبّة أو قردة ، افترقوا عني . ولو سقط المسجد على أصحاب المزني ، لوجد[٢] حوله . وسمع منه ، بمصر والقيروان . وكأنه كانت به غفلة . قال سهل الفرياني . لما أراد عبد العزيز بن يحيى المدني ، الخروج عنا استعنّا عليه ، ان يصبر علينا حتى يستوعب الناس سماعهم منه ، فصبر . فقال لنا الوقار : إني أريد الخروج ، فان استعنتم علي ، كما استعنتم على عبد العزيز ، جلست . أو كما قال ابو اسحاق الشيرازي . كان الوقار يغلو في مالك ، ويتعصب له على أبي حنيفة . ويقول : ما مثل أبي حنيفة إلا كما قال جرير :

يعد الناسبون الى معد بيوت المجد أربعة كبارا
يعدون الرباب وآل سعد وعمراً ثم حنظلة الخيارا
ويذهب بيننا المريّ لغواً كما ألغيت في الدية الحوارا

وعدّه أبو اسحاق الشيرازي ، في صغار الآخذين عن مالك ، ولم يذكر ذلك احد . ولا اراه يصح . وتوفي سنة اربع وخمسين ومائتين بمصر . هذا المعروف ، والذي قاله الكندي ، وابن ابي دليم وغيرهم . وقيل سنة ثلاث وستين . وقال الأمير ، أبو نصر ، قتلته اللهجة[٣] ، بالحرس ، سنة سبع ومائتين . وسيأتي ذكر ابنه أبي بكر بعد هذا .

---

(١) كذا بالاصل وفي — أ — الوراق .
(٢) في — أ — جدّوا .
(٣) بالاصل البحة وكذا في — أ .

ابو جعفر احمد بن صالح

يعرف بابن الطهري[١] ، كان أبوه من اصحاب ابن الاشعث ، من عجم الجند ، من اهل طبرستان ، سمع ابن وهب وعنبسة بن خالد . قال أبو محمد المقري : كان حافظاً للحديث وأخذ القراءة عن ورش ، وقالون ، وابني أبي أويس ، وحرمي بن عمارة . كتب عنه احمد بن حنبل والبخاري والذهلي ، وخرّج عنه البخاري ، من الصحيح . وأحمد بن رشدين ، والحسن بن أبي مهران ، وأبو داود السجستاني وغيرهم . (وكان احمد بن حنبل والبخاري وابن نمير وابن المديني ويحيى وأبو حاتم وغيرهم)[٢] ، يوثقونه . قال يحيى : هو ثقة . وقال احمد : ثبت ثقة ، صاحب سنّة . (وقال سلمة بن القاسم : الناس يجمعون على ثقته وخيره ، وفضله . وقال الكوفي : هو ثقة صاحب سنّة)[٣] . قال الكندي : كان فقيهاً نظاراً . قال البخاري فيه : ثقة مأمون ما رأيت احداً تكلم فيه بحجة . وقال يحيى : سلوه فانه ثبت . وقال محمد بن الحسن فيه : أبو جعفر أحد الأئمة . وذكر الرشديني عنه ، انه كان يقول في المخيرة ، انها واحدة . وان اختارت ثلاثاً . وبذلك كان يأخذ . وهو قول عبدالله بن عمر وابن العاصي . قال أبو نعيم : ما قدم علينا فتى أعلم بحديث الحجاز منه . قال احمد : هو يفهم حديث المدينة . قال ابن خلاد : هو ممن جمع الأقطار في رحلته ، اليمن والعراق ومصر . وتكلم فيه النسائي ، فضعّفه . قال : وكان سبب ذلك ان ابن صالح ، كان لا

---

(١) بالاصل الطبري وكذا في — أ .
(٢) ناقص من — ر .
(٣) ساقطة من — ر .

يحدث أحداً حتى يشهد عنده رجلان من المسلمين ، انه من اهل الخير والعدالة . فحينئذ كان يحدثه ويبذل له علمه على مذهب زائدة وغيره . فدخل عليه النسائي دون اذن ولا معرفة ولا تزكية . فأنكره وأمر بإخراجه . قال العقيلي : كان النسائي يصحب قوماً من اهل المدينة ، ليسوا هناك . او كما قال . فأبى احمد ان يأذن له ، فلم يرَه . فجمع النسائي احاديث قد غلط فيها أحمد . فشنّع بها . ولم يضر ذلك أحمد[١] شيئاً . هو إمام ثقة . قال القاضي أبو الوليد الباجي : أحمد بن صالح من أئمة المسلمين الحفاظ المتقنين. لا يؤثّر فيه تجريح . قال ابن نمير : حدثنا احمد بن صالح : وإذا جاوزت الفرات فليس احد مثله . وقال فيه أبو حاتم : ثقة . قال ابن زنجويه : ذاكر احمدُ بن صالح ببغداد احمدَ بن حنبل في حديث الزهري : فما رأيت مذاكرة احسن منها ، وما يطرب[٢] احدهما على الآخر . وذكر خبراً طويلًا. قال ابو داود : قلت لأحمد بن صالح : من قال القرآن كلام الله ، ولم يقل مخلوق ، ولا غير مخلوق . قال[٣] هذا شاك ، والشاك كافر . قال ابن ابي دليم : كان فقيهاً صاحب مناظرة . وألف في الصحابة . وكان يرى في الجنب اذا لم يقدر على طهره بالماء من برد وخوف على نفسه ، انه يتوضأ ويصلي ، ويجزيه على ما جاء في بعض الروايات في حديث عمرو[٤] بن العاص ، فتوضأ وصلى بهم . ولم يقل بهذا الرأي احد من فقهاء الأمصار ، سوى طائفة ممن ينتحل الحديث (لهذا الحديث)[٥] . ولأن الوضوء عندهم فوق التيمم . قال

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالاصل يقرب وكذا في — أ .
(٣) ساقطة من — ر .
(٤) بالاصل عمر .
(٥) ساقطة من — أ .

ابن ابي دليم : وكان فقيهاً صاحب مناظرة ، وتوفي في ذي القعدة سنة ثمان واربعين ومائتين . مولده سنة اثنتين وسبعين ومائة . قاله الكندي وغيره. وقال أبو عمر والمقريء مولده بمصر سنة سبعين ومائة .

عيسى بن المنكدر

ابن محمد بن المنكدر القرشي . قاضي مصر أيام ابن طاهر . أشار به عبد الله بن عبد الحكم ، وأعلمه انه فقير ، فأجرى له سبعة دنانير كل يوم . وأجازه بألف دينار . (وكان رجلًا صالحاً ، وكان قد أشار أبو ضمرة الزهري بأصبغ بن الفرج)[١] فرد عليه سعيد بن عفير ، فأشار عبد الله بن عبد الحكم بعيسى واستكتب أبا الأسود النضر بن عبد الجبار ، وداود بن أبي طيبة ، واستكتب ايضاً فيما حكاه ابن ابي دليم : ابا اسحاق القسطال . وكان القائم بأمره ، سليمان بن برد ، الى ان مات . فولى بعده مسائله عبد الله بن عبد الحكم. قال محمد بن عبد الحكم : أشار والدي على ابن المنكدر بوجوب اليمين للمدعي على المدعى عليه ، بالمال . وان لم يقم بينة بخطله[٢] . وبه أخذ الناس ، وقد فسدوا . وذكر نحوه عن اصبغ في الغرباء الذين يضربون في الارض، وهل يشترون ويبيعون إلا ممن لم يعرفوه ، ويخالطوه[٣] . قال ابن أخي (ابن)[٤] وهب : سمعت القاضي ابن المنكدر يصيح بالشافعي : يا كذا يا كذا ، دخلت هذه البلدة وأمرنا ورأينا واحد ، ففرّقت بيننا ، ودعا

---

(١) ساقطة من — أ .
(٢) بالاصل بخلطه وكذا في — أ .
(٣) ساقطة من — ر .
(٤) ساقطة من — ر .

عليه . وكانت له طائفة من أصحابه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فلما ولي كانت تلاقيه[١] ، فتعرّفه بما حدث ، فيترك الحكم ويصير[٢] معهم لتغييره ، فكان إذا عذله احد في هذا ، يقول : لا بد من القيام بأمر الله. وكان يتنكر بالليل ، فيستخبر أحوال الشهود ، ويسأل عنهم . فولي نحو السنتين . وعزله المعتصم عند قدومه مصر ، وأقامه للناس ، وسجنه ، وأخرجه معه الى بغداد ، فمات بها مسجوناً . وكان سبب حقده عليه ، ما ذكرناه في خبر عبد الله بن عبد الحكم ، قبل هذا . ذكر هذا كله أبو عمرو الكندي. وقال الجيزي : قال ابن عبد الحكم : قال لي ابن طاهر حين طلبت منه لابن المنكدر : كم ترى انه يعطيه ؟ فخشيت ان اقول ما يريد اكثر منه . فقلت يقول الأمير . فقال : امرنا له بألف دينار . فكرهت ان اعظمها عنده ، او اصغرها ، وليست بصغيرة . فقلت : في الف[٣] ما أغناه . فأمر له بها ، وأجرى عليه اربعة آلاف درهم في الشهر . وكان اول قاض بها عليه . قال سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم : لما ولي ابن المنكدر ، وكانت حاشيته الصوفية ، فكان اذا بلغ ابي ، انه كان منه ما ينكره الناس ، بعث له[٤] اخي عبد الحكم ينهاه عن ذلك ، ويأمره بما يراه . فبعث اليه مرة ، فالتفت الى اخي وقال : ما يظن ابوك إلا أنه أعتق المنكدر . فأمسك عبد الله ان ينهاه عن شيء . وغلبت عليه الصوفية . فقالوا له : اكتب الى امير المؤمنين تشتكي عمال الخراج[٥] . فكتب ودفع المأمون كتابه الى

(١) بالاصل تأتيه وكذا في – أ .
(٢) ساقطة من – ر .
(٣) ساقطة من – أ .
(٤) بالاصل اليه .
(٥) في – ر – خوارج .

المعتصم ، وكانوا عماله . فأغاظه . ولما قدم مصر عزله وأوقفه للناس ، فجعلوا يثنون عليه ، ويصيحون . فبعث الى اخوانه ، وذلك بعد موت ابن عبد الحكم في السجن بسبب التهمة معه ، فاستشارهم فيما نزل به . فقالوا : كم تحتج ، انت ، تحفظ كلما قضيت . اذا ناظرك غداً ابن ابي دؤاد فقلت له : لم أقض لأحد ولا عليه ، إلا وقد كتبت قضيته في الديوان ، فانظروها . فان كان ما اختلف فيه العلماء ، فللقاضي ان يختار . وان كان انما خرج عن أقاويل المسلمين ، لزمني غرمه . فلما أصبح ووقف على ذلك . قال ابن أبي دؤاد لأصحابه : علم هذا الرجل خلاف ما كنا فيه . فأعلموا المعتصم ، فقال يفتش الديوان . حنقاً عليه . فأرسل عيسى الى اخوانه في ذلك ، فقالوا له: اذا سألوك ان تحضر الديوان : فقل هو ديوان امير المؤمنين ، فان كان امركم بذلك ، فهو بين ايديكم ، وأما انا فلا ادخل فيه . فكره المعتصم هذا ، وخاف المأمون وأمر بإشخاصه ، وذلك سنة أربع عشرة ومائتين .

أبو الازهر عبد الصمد وابو هارون موسى

أبناء عبد الرحمان بن القاسم ، كانا فاضلين عابدين ورعين سمعا من أبيهما . وغلب على عبد الصمد علم القرآن . وله في ذلك كتاب . وغلب على موسى العبادة . وروى عنهما ابن وضّاح . وروى عبد الصمد عن ورش ، وهو من جلة أصحابه المتصدرين . ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش . وروى ايضاً عن داود ابن أبي طيبة وسمع سفيان بن عيينة . وروى عنه الفضل ابن يعقوب ، والمحاربي ، ومحمد ابن سعيد الأنماطي ، وإسماعيل بن عبد الله النحاس . وبكر بن سعيد الدمياطي ، وحبيب بن اسحاق القرشي (وابن باز ، وابن وضاح ، وغيرهم . قد روى الحارث ابن مسكين على احد ابني عبد الرحمان

ابن القاسم)[١] . قال ابن اللباد : كان لابن القاسم ثلاثة من الولد ، موسى وعبد الصمد وابنة . فأما عبد الصمد ، فكان يقرأ مقرأ نافع . وأما موسى ، فكان يروي موطأ مالك ، وكان لموسى مع أخيه سدة مقابل سدته في بيت واحد . حتى ماتا شيخين . ولم يتزوج واحد منهما . قال الكندي : كانا يشهدان ثم امتنعا من الشهادة ، بعد . وكانا من أفضل الناس . ذكر محمد ابن عبد الحكم عن عبد الصمد بن عبد الرحمان بن القاسم : حلف أخي بالمشي الى مكة في شيء . فسألت أبي عن ذلك وأخبرته بيمينه ، فاشتد عليه ، وأمره ان يكفر يمينه ، ولا يعود . قال ابن يونس الصدفي : توفي عبد الصمد ابن عبد الرحمان في رجب سنة احدى وثلاثين[٢] . وقال الكندي : سنة خمس . قالا : ومات موسى أخوه في جمادى الآخرة سنه (تسع)[٣] ، وأربعين . وقرأت أنا بخط بعض الشيوخ عن ابن القرطبي : ان موت (موسى)[٤] سنة ثمان وأربعين و (مائتين)[٥] .

ومن اهل افريقية واقصى المغرب

ابو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي

صليبة من المغرب . أصله شامي من حمص ، وقدم أبوه سعيد في جند حمص . قال محمد ابنه : قلت يا أبت أنحن صليبة من تنوخ ؟ فقال لي : وما تحتاج الى ذلك . فلم أزل به ، حتى قال لي : نعم . وما يغني عنك

---

(١) ساقطة من – ر .
(٢) ساقطة من – ر .
(٣) ساقطة من – ر .
(٤) ساقطة من – ر .
(٥) ساقطة من – أ .

ذلك من الله شيئاً ، ان لم تتقه . قال المهدي : قدم رجل من أهل الشام على سحنون ، (فقال له)[١] : لو رأيت اهـل بلدك بالشام ، فرأيت علماء يؤخذ بأنوفهم . فانتهره سحنون ، وقال له : اسكت أتحاضر العلماء بهذا في مجلسكم[٢] . وسحنون ، لقب له . واسمه عبد السلام . سمعت بعض مشائخ أهل الحديث يحكي عن بعض شيوخ افريقية ، أنه قال : سمي سحنون باسم طائر (حديد)[٣] لحدّته في المسائل . قـال ابو العرب التميمي : وله أخ ، يقال له حبيب أسن منه . سمع من ابن الأصم وابن فروخ ، وكان ثقة صالحاً ، روى عنه أخوه . وقد جمع الناس أخبار سحنون مفردة ، ومضافة . وممن الف فيهـا تأليفاً معروفاً : (وقال)[٤] ابو العرب التميمي ، ومحمد بن حارث القروي .

ذكر طلبه ورحلته

أخذ سحنون العلم بالقيروان عن مشائخها : أبي خارجة وبهلول ، وعلي بن زياد وابن أبي حسان ، وابن غانم ، وابن أشرس ، وابن أبي كريمة وأخيه ، حبيب . ومعاوية الصمادحي وأبي زياد الرعيني . ورحل في طلب العلم أول سنة ثمان وثمانين ومائة ، فيما قاله ابو العرب ، وابن حارث . قال ابنه : خرج الى مصر أول سنة ثمان وسبعين في حياة مالك ، ومات مالك وهو ابن ثمانية عشر عاماً او تسعة عشر . وكانت رحلته الى زياد بتونس ، وقت رحلة ابن بكير الى مالك . قـال سحنون : كنت عند ابن القاسم ، وجوابات مالك

---

(١) ناقصة من — ر .
(٢) في الاصل مجالسهم .
(٣) ناقصة من — ر .
(٤) زائدة من — أ .

ترد عليه . فقيل له : فما منعك من السماع منه . قال قلة[١] الدراهم . وقال مرة أخرى لَـحَى (الله)[٢] الفقر ، فلولاه لأدركت مالكاً . فان صحّ هذا ، فله رحلتان . وإلا فما قال ابنه أصح . فانه سمع ممن مات قبل ثمان وثمانين من المدنيين بها ، كابن نافع . توفي سنة ست وثمانين . فسمع سحنون في رحلته الى مصر والحجاز[٣] ، من ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب ، وطليب ابن كامل ، وعبيد الله بن عبد الحكم ، وشعيب بن الليث ، ويوسف بن محمد ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع وعبد الرحمان ابن مهدي ، وحفص بن غياث ، وأبي داود الطيالسي ، ويزيد بن هارون ، والوليد بن مسلم ، وابن نافع الصائغ ، ومعن بن عيسى ، وأبي ضمرة وابن الماجشون ، ومطرف وغيرهم . وانصرف إلى إفريقية ، (سنة احدى وتسعين ومائة . قال سحنون : سمع مني أهل جدابية[٤])[٥] سنة احدى وتسعين . وفيها مات ابن القاسم . قال : وخرجت الى ابن القاسم ، ابن خمس وعشرين . وقَدِمْتُ افريقية ابن ثلاثين سنة . وأول من قرأ على عبد الملك زونان . ذكر أن البهلول بن راشد ، كتب الى علي بن زياد ، أن يُسمع سحنون ، وقال له : انما كتبت إليك في رجل يطلب لله . وقد روي انه إنما كتب البهلول في عهد[٦] المتعالي الجدري ، فسأله علي عن موضعه ، ثم أخذ علي الموطأ . فأتاه ليسمعه في موضعه . وقال له : إن بهلول كتب إلي يعلمني انك ممن تطلب لله .

---

(١) بالأصل قلت .
(٢) ساقطة من – ر .
(٣) في – أ – المجازيين .
(٤) بالاصل إجدابية .
(٥) ساقط من – أ .
(٦) بالأصل عبد وكذا في – أ .

قال فُرات[١] : سمعت سحنون يقول : انقفلت عليّ مسألة حتى أردت الرجوع فيها الى المدينة ، حتى اتضحت لي . قال سحنون : لما حججت كنت أزامل ابن وهب ، وكان أشهب يزامله يتيمه . وابن القاسم يزامله ابنه موسى . وكنت إذا نزلت سألت ابن القاسم ، وكنا نمشي بالنهار ، ونلقى المسائل ، فاذا كان الليل قام كل احد إلى حزبه من الصلاة . فهو يقول ابن وهب : ألا ترون هذا المغربي يلقي بالنهار ، ولا يدرس بالليل . فيقول ابن القاسم هو نور يجعله الله في القلوب .

ذكر مكانه من العلم والثناء عليه

قال محمد بن احمد بن تميم في كتابه قال[٢] : كان سحنون ثقة حافظاً للعلم فقيه البدن . اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره . الفقه (البارع)[٣] والورع الصادق ، والصرامة في الحق ، والزهادة في الدنيا ، والتخشن في الملبس ، والمطعم ، والسماحة . وكان لا يقبل من السلاطين شيئاً . وربما وصل أصحابه بالثلاثين ديناراً او نحوها ، ومناقبه كثيرة . قال ابو بكر المالكي : وكان مع هذا رقيق القلب ، غزير الدمعة ، ظاهر الخشوع متواضعاً ، قليل التصنع ، كريم الاخلاق ، حسن الادب ، سالم الصدر ، شديداً على اهل البدع ، لا يخاف في الله لومة لائم . انتشرت إمامته في المشرق والمغرب . وسلم له الإمامة اهل عصره ، واجتمعوا على فضله وتقديمه . ومناقبه كثيرة قد ألف فيها ابو العرب التميمي كتاباً مفرداً . وسئل أشهب

---

(١) كذا بـ – ر – وبالاصل برات .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) ساقطة من الاصل .

من قدم اليكم من المغرب[١] ؟ قال : سحنون . قيل : فأسد ؟ قال : سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة . وقال أشهب : ما قدم الينا من المغرب مثله ولقد حثه ابن القاسم على ان يقيم عنده يطلب العلم، ويدع الخروج الى الغزو ، لما استفرس فيه . وقال ابن القاسم لابن رشيد : قل لصاحبك يعني سحنون يقعد . فالعلم أولى به من الجهاد ، وأكثر ثواباً . ويعطي هذه الخيل التي قدم بها هو ، في مثل حاله ، يؤديها عنه . فما قدم الينا من افريقية مثل سحنون ، ولا ابن غانم . قال حمديس : رأيت أبا مصعب بالمدينة ، وغيره . وبمصر اصحاب ابن القاسم . وبمكة علماء من اهل بغداد . والله ما رأيت فيهم مثل ابن سحنون ولا رأيته بعده . وقال محمود[٢] بن يزيد : اول ما تعلمت مسائل الصلاة من سحنون . وان قلت ان سحنون افقه من اصحاب مالك كلهم ، اني لصادق . قال ابو العرب : وكل ما لقيت من اصحاب سحنون الذين سمعوا (منه)[٣] وسمعنا منهم عشرات من مشاهير الفقهاء والشيوخ ، منهم : يحيى بن عمر ، وحبيب ، وابن مسكين ، وابن ابي سليمان ، وابن سالم ، وابن الحداد ، وحمديس ، وجبلة ، وابن معتب ، وغيرهم . قال : ومنهم من سمع ، وهو أسنّ من سحنون . ولقي أصحاب مالك وسفيان الثوري، ورأى الناس في الآفاق كلهم يقولون ما رأيت احداً مثل سحنون في ورعه وفقهه وزهده . وكان يزيد[٤] بن بشير يبجل سحنون ويعظمه . وقال : كنت بتونس ، فبلغني مقامه من الاسلام وبركته ويقدم إلي الرجل من أصحابه فأعرف فيه الأدب ، وربما قدم الي الرجل من عند

---

(١) بالاصل الغرب .
(٢) بالاصل عمر وكذا في — أ .
(٣) ساقطة من — ر .
(٤) أ — زيد .

حرملة فأعرف فيه قلة الادب ، فأقول له : فهلا كنت مثل من يؤدبه سحنون . قال أبو زيد بن ابي الغمر : لم يقدم علينا احد افقه من سحنون ، إلا أنه قدم علينا من هو اطول لساناً منه . يعني ابن حبيب . وقال يونس بن عبد الأعلى : هو سيد اهل المغرب . فقال له حمديس (القطان)[1] : أو لم يكن سيد أهل المشرق والمغرب ؟ قال : قد كان رجلًا نبيلًا فاضلًا خيّراً، من شأنه ومن شأنه . فأثنى عليه ورفع به . اخذ من ابن وهب مغازيه ، إجازة . يعني سحنون . قال سليمان بن عمران : اذا سألت أسداً عن مسألة أجابني من بحر عميق ، ومعنى جوابه لا تزد . واذا سألت سحنون اجابني من بحر عميق ومعنى جوابه زدْ في سؤالك . وكان العلم في صدر سحنون كسورة في القرآن من حفظه . وكان سحنون رجلًا صالحاً . وقال سحنون اني حفظت هذه الكتب حتى صارت في صدري كأم القرآن . وكان ابو عياش بن عيشون يقول اذا ذكره : قال الإمام ابو سعيد . وكان ابن طالب وغيره لا يسميه ، ويكنيه إجلالاً له . وكان ابن عبد الحكم يقول لبعض من يحضر مجلسه : ما يقول ابو سعيد في هذه المسألة ؟ قال بكر بن حماد : سمعت سحنون يقول : عندي في البيت سماع سنتين لسفيان بن عيينة وقال غيره : كنا عند ابن القاسم ، فقال : ان يكن يسعد احد بهذه الكتب ، فسحنون . ثم التفت الى ابن عبد الحكم ، فقال وان قبل ، ابي محمد العلم . والتفت الى اصبغ فقال : وان قبله لرواية ، قال برأت[2] . وقد روى اصبغ أولاً عن سحنون ثم ترك ذلك . قال : برأت . قال سحنون: عندي ستة ، او اربعة واربعون كتاباً ، من البيوع ، منها كتابان او ثلاثة

---

(١) ساقطة من – ر – وفي – أ – القصار .
(٢) أ – قرأت .

اصلها اربع مسائل في الموطأ . قـــال ابن وضاح : كان سحنون يروي تسعة وعشرين سماعاً ، وما رأيت في الفقه مثل سحنون في المشرق . قال سعيد بن الحارث : كان ابو سعيد عاقلاً برة ، ورعاً برة ، عالماً بمذاهب المدنيين برة . وقال : جالست الناس بهـذه البلد ، منذ بلغته ، ما رأيت أجود غريزة من سحنون . قال محمد بن حارث : كانت افريقية قبل رحلة سحنون ، قد غمرها مذهب مالك بن انس ، لأنه رحل اليها اكثر من ثلاثين رجلاً ، كلهم لقي مالك بن انس ، وسمع منه . (ان)[١] كان الفقه والفتيا انما كان في قليل منهم ، كما ذلك في علماء البلاد ، ثم قدم سحنون بذلك المذهب ، واجتمع له مع ذلـك فضـل الدين ، والعقـل والورع والعفـاف والانقباض . فبارك الله فيه للمسلمين . فمالت اليه الوجوه ، وأحبّته القلوب وصار زمانه كأنه مبتدئاً قد امّحى ما قبله . فكان اصحابه سرج اهل القيروان ، (فرأيته)[٢] عالمها وأكثرهم تأليفاً وابن عبدوس فقيهها وابن غانم[٣] عاقلها وابن عمرو حافظها وجبلة زاهدها وحمديس أصلبهم في السنة وأعذلهم للبدعة وسعيد بن حداد لسانها وفصيحها وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث وأشهدهم للوقار وتصاوناً لكل هذه الصفات مقصورة على وقتهم . قال محمد ابن سحنون : قال لي أبي : اذا اردت تقدم اطرابلس . وكان فيها رجال مدنيون ومصر وبها[٤] الرواة . والمدينة عسير مالك ومكة فاجتهد جهدك ، فان قدمت علي بلفظة خرجت من دماغ مالـك ليس عند شيخك اصلهـا ، فاعلم ان شيخك كان مفرطاً . قال سليمان بن سلام في مجالسه : دخلت مصر

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالاصل « وكان هو » .
(٣) بالاصل غافق .
(٤) بالاصل وفيها .

فرأيت فيها العلماء متوافرين بين عبد الحكم والحارث بن مسكين وأبا الطاهر وأبا اسحاق البرقي وغيرهم . ودخلت المدينة ، وبها ابو المصعب والقروي . ودخلت مكة وبها ثلاثة عشر محدثاً . ودخلت غيرها من البلدان ، ولقيت علماءها ومحدثيها . فما رأيت بعيني مثل سحنون وابنه بعده . وقال عيسى ابن مسكين : سحنون راهب هذه الأمة . ولم يكن بين مالك وسحنون افقه من سحنون . وقال ابو الحسن القابسي : اني لأجد في نفسي ، من خلاف سحنون لمالك ، ما لا اجده في خلاف ابن القاسم لمالك . وكان يشق عليه مخالفة مالك ، وسحنون ، ويقول : لا اقدر على مخالفتها ، وأهاب ذلك هيبة عظيمة . وقال سعيد بن الحداد : جالست المتكلمين ، فكل من لقيت من اهل العلم ، فما رأيت منهم اصح غريزة من سحنون . وكان وقوراً فيها[١] . وقال بعضهم : دخلت على الملوك وكلّمتهم ، فما رأيت احداً أهيب في قلبي من سحنون . قال الشيرازي : اليه انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب . وعلى قوله الموصل[٢] به . وصنّف المدونة . وعليها يعتمد اهل القيروان . وحصل له من الأصحاب ما لم يحصل لأحد من اصحاب مالك، وعنه انتشر علم مالك في المغرب . قال ابو علي البصري : سحنون فقيه اهل زمانه وشيخ عصره وعالم وقته . قال بعضهم صحبت أسداً وابن فروخ ، فلم أرَ أنفع من هذا الشاب . يعنيه . قال عبد الرحيم الزاهد : لما خرج أسَد إلى العراق ، شاورته فيمن اقصد بعده ، أسمع منه . فقال : عليك بهذا الشيخ . يعني[٣] سحنون ، فما أعرف احداً يشبهه . قال ابن حارث :

---

(١) بالأصل مهيباً وكذا في – أ .
(٢) بالاصل المعول وكذا في – أ .
(٣) ساقطة بالاصل .

سحنون امام الناس في علم مالك . وكان فاضلاً عادلاً[١] ، مباركاً . أظهر السنة ، وأخمد البدعة ، وثقف رسوم القضاء بعقله وعلمه .

ذكر بقية شمائله

قال ابو العرب : كان سحنون ربع القامة ، بين البياض والسمرة . حسن اللحية كثير الشعر . أعين ، بعيد ما بين المنكبين . كثير الصّمت ، قليل الكلام ، يتكلم كثيراً بالحكمة ، مهيباً جداً . يأخذ من شاربه على المشط ، حسن اللباس ، وكان به فتق في جوفه . فكان يعصبه بلبد . وكان له برْذون يركبه ، وقلما رئي متطوعاً في المسجد . قال ابن بسطام : كانت لسحنون قلنسوة طويلة ، ربما لبسها وساجاً ، وربما حَملَ في يده ، وقد لبسها حِزَمَ البَصَلِ ، وغير ذلك (الى داره)[٢] ، تواضعاً . قال سليمان بن سالم : رأيت لسحنون ساجاً كحلياً ، وساجاً أزرق ، ورداء وقلنسوة حبرة ، وقلنسوة زرقاء ، وشيا ، وقلنسوة تشبه الأغلب . فاذا قعد للسماع لبس الرداء ، وقلنسوة الأغلب ، وإذا شهد الجمعة لبس الساج ، (وقلنسوة الحبر ، وإذا حضر الجنازة لبس)[٣] الأزرق ، والقلنسوة الزرقاء . هذا كان أكثر فعله . وقال ابو العرب : وكان عريض[٤] الطوق ، نحو الأصبعين . قال سليمان بن سالم : أخذ سحنون بمذهب اهل المدينة . في كلّ شيء . حتى في العيش . كان يقول : ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا على قدر ذات يده . ولا

(١) بالاصل عدلا .
(٢) ساقطة من — ر .
(٣) ساقطة من — ر .
(٤) بالأصل عرض .

يتكلف أكثر مما في يـده . وان احتاج امرأة طلبها على قدر ذات يده ، في مؤونتها ، وقناعتها ، حتى يبقى في يده ما استغنى به . فان كان له مال حلال ، اعتمد عليه ، وتفرغ للعبادة . وان لم يكن عنده فعليه بكسب يده . فذلك أولى به من مسألة الناس . وان كان مستغنياً عن الزوجة ، فتركها أحب إلي ، وأكل أموال الناس بالمسكنة والصّدقة ، خير من أكله بالعلم والقرآن . قال سليمان : كان سحنون يركب بلجام حديد ، ليس فيه فضة . وكان له برنس أسود ، يلبسه في المطر والبرد . قال غيره : كان سحنون يجلس للسماع على باب داره ، ونحن نجلس على الأرض ، إلا من أتى منّا بحصير . فاذا تممنا ، قال : قوموا قومة رجل واحد . فنفترق . قال عبد الجبار ، بن خالد : كنا نسمع من سحنون جالساً[١] بمنزله ، بالساحل . فخرج علينا يوماً وعلى كتفه المحراث ، وبين يديه الزوج[٢] . فقال لنا : إن الغلام حُمّ البارحة ، فاذا فرغت أسمعتكم . فقلت له : أنا أذهب وأحرث وأنت تسمع أصحابنا ، فاذا جئت قرأت عليك ما فاتني ، ففعل . فلما جئته . قرّب إليّ غداءه ، خبز شعير وزيتاً قديماً . قال حبيب : خرج سحنون علينا يوماً وعليه برنس ، وكان يلبس الشاشية ، والطويلة . قال عيسى : كان سحنون صمته لله ، وكلامه لله ، إذا أعجبه الكلام صمت ، وإذا أعجبه الصمت تكلم . قال ابن بسطام : دخلنا عليه في مرضه الذي مات فيه ، وعند رأسه حقيبة ، وما في بيته إلا الحصير . قال غيره : قيل له : يا أبا سعيد ، كيف يسعك ان تترك الطلبة ، وحاجتهم اليك ، وتخرج إلى البادية فتغيب بهـا الشهور الكثيرة ؟ قال أتريدون أن تروا كتبي بهذا الغدير ؟! قال : احتاج الى دراهم

---

(١) ساقطة من الاصل .
(٢) أي الثوران .

هؤلاء ، يعني السّلاطين ، فأخذها ، فتطرح كتبي . قال ابن معتب : كان يشتري سحنون كل يوم ربع رطل لحماً ، يفطر عليه . ثم تركه اقتداء بالصالحين في مطعمهم ، ما عمل سحنون قط شيئاً إلا لله . ولا تكلم بشيء إلا لله . فلذلك عظم خطره . قال بعض العلماء : كان سحنون أعقل الناس صاحبا ، وأفضل الناس صاحبا . وأفقه الناس صاحبا . قال ابن الحارث : كانت هذه الصفات صفات سحنون . فتخلق بها اصحابه . قال إبراهيم ابن شعيب : كان سحنون يخرج علينا ، ونحن ننتظره في مجلسه ، فوالله ما علمته يسلم في مجلسه علينا قط . وفي خلال ذلك يمشي بالأسواق ، فلا يمر بأحدٍ إلا التفت اليه وسلم عليه ، توقيراً للعلم وهيبة له ، عند طالبيه .

ذكر ولايته القضاء

ولي سحنون قضاء افريقية ، سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وسنهُ إذ ذاك أربع وسبعون سنة . فلم يزل قاضياً الى ان مات . قال ابو العرب : لما عزل ابن أبي الجواد ، قال سحنون : اللهم ولّ هذه الأمة خيرها ، وأعدلها . فكان هو الذي (ولي)[1] بعده . وذكر عريب الكاتب[2] في تاريخه : ان سحنون مرّ يوماً بابن أبي الجواد ، فدار منه . فقال : اللهم لا تمتني ، حتى أراه بين يدي قاض عدل يحكم فيه بالحق . فعزل وولي سحنون ، فامتحنه . فقال الناس : أجيبت دعوته . ولما أراد محمد بن الأغلب ان يولي سحنون ، جمع الفقهاء للمشاورة . فأشار سحنون بسليمان بن عمران ، وأشار سليمان

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالاصل الكتاب .

بسحنون ، وأشار غيرهم بسليمان ، فادخلوا فرادى ، فقالوا : كقولهم الاول . وذلك ان أكثر الفقهاء كانوا إذ ذاك على رأي الكوفيين . وكان سليمان يرى رأيهم . وقال سليمان : ما ظننت انه يشاور في سحنون . حججت فرأيت اهل مصر يتمنون كونه بين أظهرهم . وما يستحق احد[١] القضاء وسحنون حيّ . وبعث ابن الأغلب الى سحنون يقول له : إني أريد ان استكفيك قضاء رعيتي ، فاعلمه . فقال : اصلح الله الأمير ، لا أقوى عليه . أدلك على من هو أقوى . سليمان بن عمران .

قال محمد بن سحنون : ولي سحنون القضاء بعد ان ادير عليه حولاً ، وأغلظ عليه أشد الغلظة . وحلف عليه محمد بن الأغلب بأشد الإيمان ، فولي يوم الاثنين الثالث من رمضان سنة اربع وثلاثين ومائتين . فأقام أياماً ينظر في القضاء ، يلتمس أعواناً . ثم قعد للناس يوم الأحد بعده ، في المسجد الجامع ، بعد ان ركع ودعا بدعاء كثير . وقال سحنون : لم اكن ارى قبول هذا الامر ، حتى كان من الأمير ضمينان : احدهما اعطاني كل ما طلبت ، وأطلق يدي في كل ما رغبت ، حتى اني قلت له : ابدأ بأهل بيتك ، وقرابتك ، وأعوانك ، فان قبلهم ظلمات الناس ، وأموال لهم ، منذ زمان طويل . اذ لم يجترىء عليهم من كان قبلي . فقال لي : نعم لا تبدأ إلا بهم ، وأجْرِ الحق على مفرق رأسي . فقلت له : الله ، قال لي : الله ، ثلاث مرات[٢] . وجاءني من عزمه مع هذا ، ما يخاف المرء على نفسه ، وفكرت فلم اجد احداً يستحق هذا الامر ، ولم أجد لنفسي سعة في رده . قال سليمان بن سالم : لما تمت ولاية سحنون ، تلقّاه الناس ، فرأيته راكباً

(١) ساقطة من — ر .
(٢) ساقطة من الاصل ومن — أ .

على دابة ، ما عليه كسوة ولا قلنسوة ، والكآبة في وجهه ، ما يتجرأ احد يهنّيه . فسار حتى دخل على ابنته خديجة ، وكانت من خيار الناس[١] ، فقال لها : اليوم ذبح ابوك بغير سكين . وعلم الناس قبوله للقضاء ، ولما ولي ، جاءه عون بن يوسف ، فقال له : نهنئك او نعزيك . ثم سكت . ثم قال : إنه بلغني أنه من أتاها من غير مسألة ، أُعين عليها . ومن أتاها عن مسألة لم يعن عليها . فقال (له)[٢] سحنون : من ولته الشفاعة عزلته الشفاعة . ومن ولته الشفاعة ، حكم بالشفاعة . فقال له رجل من الاندلس : إنا لله وإنا اليه راجعون ، وددنا أنا رأيناك اليوم على أعواد نعشك ، ولم نرك في هذا المجلس قاعداً . وكتب عبد الرحيم الزاهد الى سحنون ، لما ولي القضاء : أمّا بعد فاني عهدتك ، وشأن نفسك عليك مهم ، تعلم الخير وتؤدب عليه ، وأصبحت وقد وليت امر هذه الأمة ، تؤدبهم على دنياهم ، يذلّ الشريف بين يديك والوضيع . قد اشترك فيك العدو والصديق ولكلٍّ حظه من العدل . فأي حالتيك افضل : الحالة الأولى ام الثانية ؟ والسلام . فكتب اليه سحنون : أما بعد فانه جاءني كتابك فهمت ما ذكرت فيه ، واني اجيب انه لا حول ولا قوة في شيء من الأمور إلا بالله تعالى ، عليه توكلت وإليه أنيب . فأما ما كتبت انك عهدتني وشأن نفسي عليّ مهم ، اعلم الخير وأؤدب عليه ، وأصبحت وقد وليت امر هذه الأمة ، أؤدبهم على دنياهم ، ولعمري انه من لم تصلح له دنياه ، فسدت له اخراه . وفي صلاح الدنيا اذا صح المطعم والمشرب ، صلاح الآخرة . فكلا الأمرين متصل بالآخرة . أؤدبهم في معاملتهم[٣] ، ودفع ظالمهم عن مظلومهم ، وأخذهم الأمور

---

(١) بالاصل النساء وكذا في – أ .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) بالاصل معائشهم وكذا في – أ .

من وجوهها ، ادب لآخرتهم . لأن بصلاح دنياهم تصلح لهم آخرتهم . وبفساد الدنيا تفسد الآخرة . وقد حدثني ابن وهب ، ورفع (سحنون)[١] سنده الى النبي ﷺ ، قال : نعم المطية الدنيا ، فارتحلوها ، فانها تبلغكم الآخرة . ولن تبلغ الدنيا الآخرة من عمل في الدنيا بغير الواجب من حق الله . وأما قولك وليت امر هذه الأمة ، فاني لم ازل مبتلي ينفذ قولي ، منذ اربعين سنة ، في أشعار المسلمين وأبشارهم . حدثني ابن وهب : ان عبيد الله بن ابي جعفر (قال : لن تزالوا بخير ما تعلمتم . فاذا احتيج اليكم فانظروا كيف تكونوا . قال ابن ابي جعفر)[٢] فرأيت في المنام ، إنما المفتي قاض يجوز قوله ، في أبشار المسلمين وأموالهم . فعليك بالدعاء . فألزم ذلك نفسك والسلام . قال سليمان بن عمران : لما ولي سحنون قال لي : اذا ولي القاضي السعي[٣] كيف يكتب كذا . فكتبت له ذلك . وكان سليمان يكتب لسحنون في قضائه ، الى ان ولاه بجاية وباجة والأُربُس . فلما مات سحنون ولي سليمان مكانه . قال سليمان : قال لي سحنون : ابتليتني . فوالله لأبتلينّك فولاني القضاء وقال لي : عليك يا أبا الربيع بالحجازية (الحجازية)[٤] . فقلت : القاضي مفتي ، بما كنت افتي به ، فبه اقضي . فسكت عني وكان سليمان عراقي المذهب . قال : فلما ولي سليمان[٥] القضاء دخل عليه من الغد ، فقال له سحنون : عزمت يا أبا الربيع . فقال له : ان قلت لا كذبتك ، انا اريد . فقال سحنون لمن عنده : انظروا ان كان دخله رياء او اظهر

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) مثبت في الاصل ساقط من — ر .
(٣) أ — الشقي .
(٤) كذا بالاصل .
(٥) أ — سحنون .

تمنعاً . مثلك يا أبا الربيـع يكون ناظراً للمسلمين . قال جبلة : كان سحنون لا يأخذ لنفسه رزقاً ، ولا صلة من السلطان في قضائه كله . ويأخذ لأعوانه وكتابه وقضاته من جزية اهل الكتاب . قال ابن سحنون : وسمعته يقول للأمير : والله لو أعطيتني ما في بيت مالك ، وقال له لو ملأت مجلسك هذا لي دراهم ودنانير ، ما سألني الله ان اقبل منك ذلك . ولا آخذ منك شيئاً ويقول لو أخذته لجاز لي . ولكنه تورع . وسمعته يقول للأمير : حبست ارزاق اعواني وهم أجراؤك . وقد وفوك عملك ولا يحل لك ذلك . وقال الرسول ﷺ : اعط الأجير حقه قبل ان يجف عرقه .

قال ابن مسكين : كان سحنون قبل ان يلي اشرف منه بعد ما ولي . ولقد امتنع من النظر وجلس في بيته (مدة)[١] . حتى حضر جنازة فرأى منكراً فأمر بتغييره ، وانصرف ، فنظر بـين الناس . قال ابن سحنون : يُضربُ الخصوم إذا آذى بعضهم بعضاً بكلام . او تعرضوا للشهود . ويقول : إذا تعرض للشهود كيف يشهدون . ويؤدب الخصوم[٢] إن طعن على الشاهد بعيب ، او تجريح ، او يقول سل لي عن البينة . فانهم كذا ، حتى يسأله هو عن تجريحه . ويقول للخصم : أنا اعني بذلك منك ، وهو علي دونك . وكان إذا دخل عليه الشاهد ، ورُعِبَ منه ، أعرض عنه ، حتى يستأنس ، ويذهب روعه . فان طال ذلك به هون عليه . وقال له : ليس معي سوط ولا عصا ، فلا عليك بأس . أدِّ ما علمت ودع ما لم تعلم . قال جبلة : كان سحنون يؤدب الناس على الأيمان التي لا تجوز في الطلاق ، والعتق . حتى لا يحلفوا بغير الله . ويؤدبهم على سوء الحال ، في لباسهم ، وما نهي

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالأصل الخصم .

عنه ، ويأمرهم بحسن السيرة ، والقسط . قال ابنه محمد : وتخاصم اليه رجلان صالحان من أصحابه ، ممن نظر في العلم ، فأقامهما ، وأبى ان يسمع منهما . وقال استرا عني ما ستر الله عليكما . قال غير واحد : أول ما نظر سحنون في الأسواق ، وإنما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة . فنظر فيما يصلح من المعاش ، وما يغش من السلع ، ويجعل الأمناء على ذلك ، ويؤدب على الغشّ ، وينفي من الأسواق من يستحق ذلك ، وهو أول من نظر في الحسبة من القضاة ، وأمر الناس بتغيير المنكر ، وأول القضاة فرّقَ حِلَقَ أهل البدع ، وشرد أهل الاهواء منه . وكانوا فيه حلقاً . (من الصفرية والإباضية المغيرية ، وكانوا فيه حلقاً)[1] . يتناظرون فيه . ويظهرون زيفهم . وعزلهم ان يكونوا أئمة للناس ، او معلمين لصبيانهم . او مؤذنين . وأمرهم ان لا يجتمعوا . وأدب جماعة منهم بعد هذا ، خالفوا أمره ، وأطافهم ، وتوب جماعة منهم ، فكان يقيم من أظهر التوبة ، منهم علي البوا (كذا ...) وغيره ، فيعلن بتوبته عن بدعته . وهو أول القضاة جعل في الجامع إماماً يصلي بالناس . وكان ذلك للأمراء . وأولهم جعل الودائع عند الأمناء . وكانت قبل في بيوت القضاة . وأول من قدّم الأمناء في البوادي ، فكان يكتب إليهم ، وكان من قبله يكتب الى جماعة من الصالحين ، منهم . فأخذت القضاة هذه السيرة بعده ، وكان يجلس في بيت الجامع ، بناه لنفسه . إذ رأى كثرة الناس وكثرة كلامهم . فكان لا يحضر عنده غير[2] الخصمين . ومن يشهد بينهما في دعواهما . وسائر الناس عنه بمعزل لا يراهم ولا يسمع لغطهم ، ولا يشغل باله أمرهم فصار الجلوس في ذلك البيت سنة لقضاة المالكية . فاذا ولي

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) ساقطة من الأصل .

عراقي ، هدمه . وإذا ولي مدني ، بناه ، وحكم فيه . وكان سحنون يكتب للناس اسماءهم في رقاع ، تجعل بين يديه ، ويدعو بهم واحداً واحداً الى ان يأتي مضطر او ملهوف . وكان يضرب بالدرة ، وما خف من الأدب في الجامع ، فاذا أقام الحدود ، أخرجهم عن الجامع . وكان كثيراً ما يؤدب بلطم القفا . وقيد امرأة كانت تتهم بسوء ، حتى شهد عنده انها تابت . وضربت أخرى كانت تتهم بالجمع بين الرجال والنساء بالسوط ، في قفة ! وبني باب دارها ، ونقلها بين قوم صالحين . وجاءت اليه امرأة من القصر ، غاب عنها زوجها ، فأرادت ان تقطع بشرطها فأبى . ثم قال لها : إياك ان تشهدي احداً من اهل القصر ، لا أكتب[١] شهادتهم . وكتب مراراً يأمر بقتل الكلاب ، وسيب الاعوان وراءها بالحراب . ويعطي الطابع لأهل العدوى ، فاذا جاءه المستعدي بصاحبه ، أخذ منه الطابع لئلا يعبث به الناس ، ويضرب على اللدد ، قال عيسى بن مسكين : فحصل الناس بولايته على شريعة من الحق[٢] ، ولم يلِ قضاء افريقية مثله . قال سعيد بن اسحاق : كل من ولي قضاء افريقية اكتسب ، إلا سحنون . وكان سحنون أيام قضاء ابن أبي الجواد ، يقول : إنّ لأَمْرِه لآخِراً ... ولكني أخشى ان الوالي بعده لا يحسن ، ان يقتص منه . فكان هو الوالي بعده . وخاصم ابن أبي الجواد رجل بين يدي سحنون ، فحكم له على ابن أبي الجواد ، وحبسه . وقال له : ان لم تؤد ضربتك بالسوط . وقال : ما عندي مال ، فيقول[٣] إنه أخرجه . وضربه في جمعة بالسياط مائة سوط . (وقيل أكثر من ذلك)[٤] .

---

(١) بالأصل لا أقبل .
(٢) ساقطة من بالاصل .
(٣) بالاصل (يقال) وكذا في – أ .
(٤) ساقطة من – أ .

حتى أسال دمه على كعبه ، فمر في طريقه على صبّاغ فصب عليه قصرية مصاره . وقال : اقتلوا الزنديق . ورد الى السجن فمات فيه . وقيل كان سبب ضربه انه شهد عليه ، بقبض وديعة فأنكرها . فضربه ثمانية عشر سوطاً مجرداً من الاسماط يضربه ، سبعة بعد سبعة . وهو متماد . وقيل ، انها وجدت بخطه ، فأنكره ، وشهد على خطه ، فحبسه أياماً وضربه عشرة أسواط . وكان يخرجه في كل جمعة فيضربه (عشرة)[١] . كلّ جمعة الى ان مرض . وقيل بل فعل ذلك به لما كان عليه من البدعة . وكانت اسماء بنت أسد ابن الفرات زوج ابن أبي الجواد ، قالت : لسحنون : أنا أهبه هذا المال ، يقضيه عن نفسه . فلم يقبل ذلك سحنون . وقال لها : حتى يقول : أؤدي ما لزمني . وقيل فعل ذلك به ، لان مالكاً لا يلزم قبول الهبة ، ولو قالت أنا اقضي عنه ، ما طُلب منه . لما رد ذلك سحنون . والله أعلم . وقيل بل قالت له افدي به زوجي . فقال لها : إن أقرّ ذلك ، هو المال ، او بدل منه ، اطلقته . فامتنع وأبى سحنون من قبول المال ، إلا بإقراره .

ذكر اخباره مع الملوك وثبوته في الحق

قال ابو العرب : وكان لا يهاب سلطاناً ، في الحق يقيمه عليه . ولما اكثر من ردّ الظلامات في رجال ابن الأغلب وأبى ان يقبل منهم الوكلاء على الخصومة إلا بأنفسهم : وجه اليه الأمير وقد شكوه اليه ، بأنه يغلظ عليهم . فأرسل اليه ابن الأغلب وقال انهم فيهم غلاظة وقد شكوك ، ورأيت مما فاتك من شرّهم[١] فلا تنظر في أمرهم . فقال سحنون للرسول : ليس

(١) ساقطة من – أ .
(٢) كذا في – ر – وبالاصل تتهرهم وكذا في – أ .

هذا الذي بيني وبينه . قل له : خذلتني خذلك الله . فلما أنهى الرسول الرسالة الى الأمير ، قال له : ما نعمل به . انما اراد الله . فقال ابن ابي سليمان وغيره : ان المحتسبين لم يكونوا يُعرفون بافريقية ، حتى كان سحنون جالساً على باب داره ، إذ مر به حاتم الجراوي[١] ومعه سبي من سبي تونس . فقال سحنون لأصحابه : قوموا فأتوا بهم ، حتى خلوصهم من حاتم . وأتوا بهم وهرب حاتم على برذونه وخرق ثيابه ودخل على الامير فشكا امره . فأرسل الأمير الى سحنون ، أن رُدّ الى حاتم السبي . فقال سحنون : انهم احرار ولا سبي عليهم وقد اطلقتهم . فرد الأمير الى سحنون لا بد من ردهم . فأبى سحنون ، وقال للرسول : قل للأمير جعل الله حاتماً شفيعك يوم القيامة . وأقسم عليه ليبلغن ذلك الى الأمير . ثم قال سحنون : هذا الأسود ، يعني حاتماً ، يمضي هكذا . وأمر بسجنه ، فطرحت عمامته في عنقه ، وحُمل الى الحبس . فلحقه معتب ، وقال له : يا حاتم لا تلق الشر بين الأمير والقاضي . وأعطاه معتب من عنده سبعة دنانير . فخلى حاتم عن السبي ، وأخبر معتب سحنون بذلك ، فأمر بإطلاق حاتم من السجن . وحكى ابن اللباد : ان رجلين اختصما الى سحنون ، حلف احدهما بالطلاق (على صاحبه)[٢] ليستوفي حقه في حائط بينهما . فأمر[٣] سحنون بصفع قفاه ثم قال له : (لا)[٤] تحلف بالطلاق . فأرسل الى رجل يقال له عبد الله البناء ، فسأله هل من يمينه مخرج في الاستقصاء ؟ فقال : نعم ، بالخاتم والشعرة قال ابن الحداد : كنت يوماً عند سحنون ، إذ جاءه رسول الامير محمد بن

(١) بالاصل الجزري وكذا في — أ .
(٢) ساقطة من — ر .
(٣) مشيته بالاصل ولا معنى لها .
(٤) ساقطة من الأصل ومن — أ .

الأغلب ، يأمره برد النسوة على حاتم . فانهن له . قال سحنون إن كنّ (إماء)[١] فمثل حاتم لا يؤتمن على الفروج . فانصرف ثم رجع . فقال : يقول لك : لا تعبث . ارددهن ، كما أمرتك . فقام سحنون على قدميه ، وقال : (انما يعبث)[٢] هو ، والله الذي لا إله إلا هو ، يعبث . ثلاثاً . والله لا افعل ، حتى يفرق بين رأسي وجسدي . وجاء محمد ابنه ، وقال له: لا تفعل يا أبت . اكتب اليه ولاطفه : فكتب اليه وابنه يقول : دون ذا . حتى فرغ من طبع كتابه . وبعث اليه . فأخذه ابن الاغلب وضرب به الارض ، ثم قال : ما أدري هو علينا ام نحن عليه . واسود وجهه ولم يدخل عليه[٣] احد ، الى بعد العصر . فأذن لأصحابه بالدخول ، وقال لهم : ما اظن هذا الرجل يريد بنا إلا خيراً ، ونحن لا نعلم . ارسلوا اليه ، يرسل الينا المحتسبة ، لنكتب لهم السجلات ، حتى يذهبوا بها الى اقصى عملي ، ليأخذوا من يجدوه من الحرائر . فكان ذلك . ولم يرض سحنون حتى فض الكتب التي كتبها[٤] لهم ، وقرأها ، ورضيها . وكتب سحنون الى أبي زكي البربري : ان يفتش الرفاق فاعترضها ، وكشف البراقع . فمن زعم انه من سبي تونس ، رفعه الى سحنون فأطلق منهم عدة . ولما ثار القُوَيْع على محمد ابن الأغلب ، قال بعض القواد : اليوم نستمكن من سحنون ، إما يخسر دينه ، او دنياه . فقالوا للأمير : سحنون داعية مطاع ، فأمره بنصرك على هذا الخارجي . فبعث فيه الأمير ، وأعلمه بالأمر واستشاره في قتاله ، وان يعلم الناس بعرض ذلك عليهم . فقال له سحنون : غشك من دلك على هذا .

---

(١) مبنية في الاصل .
(٢) بالاصل انا اعبث .
(٣) بالاصل اليه .
(٤) بالاصل كتب .

متى كانت القضاة تشاورها الملوك في صلاح سلطانها . ونهض من عنده . وقال ابن اللباد ، عن ابيه : رأيت ابن ابي الجواد بين يدي سحنون ، وعليه كساء قرمسي[١] وعمامة . فقال : اصلحك الله بأي قول اخذتني . قاض ينظر منذ ثمانية عشر عاماً . فقال له : من اين ، وأين . وقد اخبرني اسد بن الفرات عن مالك ، في القاضي يعزل ثم يلي آخر : هل ينظر فيما ينظر فيه . فقال: (لأن)[٢] له في نفسه ما يشغله . وفي رواية فان الناس اختلفوا . فلو كان للمتولي ان ينظر ، لما استقر قضاء ولا صح لأحد . فرد عليه سحنون كلاماً ، رده عليه ابن ابي الجواد . فقال سحنون : الدرة . فنزعت عمامته. فقال ابن أبي الجواد : سألتك بالله ان تفعل . فتركه . قال ابن طالب : اشغلني معنى قول سحنون لابن ابي الجواد اضربك حتى تقول أؤدي . قال وسألت عنها ابنه وابن عبدوس ، فكلهم وقف ، حتى بان لي ان معناه : انه كان اظهر العدم . وكان عند سحنون ذلك . فضربه ليرجع الى الحق ، ولم يقبل منه ما جاد اليه ، من اداء زوجته عنه . إذ لو كان كما زعم عديماً ، ما لزمه اداء شيء ولا أدى غيره عنه . هـذا معنى قول ابن طالب . وعندي أنا : أن امتناعه لقول زوجته : افديه . وقوله : حتى يقر أنه المال أو بدل منه ، واباء ابن أبي الجواد من هذا ، فقه حسن دقيق ، وحجة بينة لسحنون . إذ مضمون فعله وفعل زوجته ، فداء له ، من مظلمة نزلت به . وانه بحكم المضغوط الذي لا يلزمه ما بذله . فلم ير اطلاقه ، بهذا الوجه . وذكر انه لما مات من ضربه في السجن ، توسوس سحنون ، وحفظ عنه ، انه كان يردد : ما انا قتلته . الحق قتله . ولو كان على ما ذهب اليه ،

---

(١) أ -- فرقسي .
(٢) بالاصل لا .

ابن طالب ، لكان من أدى عنه كمال وهب له . يقضي به دينه ، فلا يكون حكمه بحكم العديم . وقد جاء في كتاب سحنون الى محمد بن زياد ، قاضي قرطبة ، يأمره بالشد والمعاقبة لمن تفالس ، وتكرار الادب والضرب عليه ، حتى يؤدي او يموت . قال أبي : وبذلك أخذتُ في ابن أبي الجواد ، ضربته اربعاً وعشرين ، ومائة درة . وأوقفته يوم الجمعة للناس في صحن الجامع . وسوف اضربه أبداً ، حتى يؤدي تحت الدرة او يموت . وقال ابن أبي الحارث قيل لسحنون : هذا منصور دخل من تونس بالحرائر . فركب وانتزع منه ما بيده ، فدخل منصور على ابن الأغلب وقد شق ثوبه ، وذكر اليه ما نزل به ، فأرسل ابن الأغلب الى سحنون ، ان تصرفهم على منصور مرة وثانية وثالثة . فقال : لا افعل . وأقبل ابن الأغلب حتى دنا من موضع سحنون ، وضربت له قبة ، نزل فيها ، وقد استشاط غيظاً لمصارمته إياه ، على منصور ، ودعا فتى قال له : اذهب الى سحنون فقل له : فاردد السبي على منصور ، وإلا فأتني برأسه . فجاء الفتى الى سحنون يبكي ويتضرع ويقول له : أمرت فيك بعظيم . فأخذ سحنون ورقاً فكتب فيه[1] بعد الاسم: وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ..الآية[2]. ودفع الكتاب للفتى ، ثم قال : ادفعه لابن الأغلب . فلما قرأه أمره برفع مضربه ، واحتجب ثلاثاً . ثم قال لمنصور : سلني عما شئت من حوائجك ، واعرض عن خبر سحنون . وكان ابن الاغلب يقول في قضيته مع سحنون ان سحنون لم يركب لنا دابة ولا عقل كمه بصرة . فهو لا يخافنا . وذكر بعضهم ، ان بعض قواد بني الأغلب ، انصرف من بعض الحروب بعدد حرائر . فأرسل سحنون الى جميع البوادي ، في الصوفية ، فاجتمع اليه نحو

---

(١) ساقطة من الاصل ومن ــ أ .

(٢) سورة غافر ٤١

من الف رجل . فقالوا : مرنا بما شئت . فقال : تخيروا منكم مائة رجل ، فكونوا[١] عنده الى المغرب . ولا يعلمون غرضه . فلما صلى بهم ، قال لهم : تمضوا الى دار فلان ، فتضربوها عليه ، فاذا فتح ابلغوه سلامي ، وان يخرج الحرائر اللواتي اتى بهن من الجزيرة الساعة . ولا تجعلوا له الى غلق الباب سبيلاً لئلا يخرج[٢] هو ، ومن معه ، فيدافعكم ويفضي الامر الى إراقة الدماء . وإن هو لاطفكم ومانعكم ، فاشغلوه حتى يلج سبع مشائخ منكم ، حتى تنتهوا الباب الأوسط ، وتنادوا ... بهن ، أين الحرائر المسبيات بالجزيرة يخرجن الى القاضي . فاذا خرج جميعهن اتيتم بهن ، وتركتموه . ففعلوا ما أمرهم به . فلما أبى عليهم قبضوا عليه ، حتى أخرجهن الشيوخ كما حده سحنون لهم ، وحملوهن الى سحنون . فركب القائد الى القصر ، فوجد الأبواب مغلقة . فبات هناك حتى أصبح ودخل على ابن الأغلب ، وقد شق ثيابه ونتف لحيته ، وأخذ في البكاء . فسأله ، فأخبره ، فأنكر ذلك ، ووجّه فتى الى سحنون يأمره بردهن له . فقال له سحنون : قل له والله الذي لا إله إلا هو إن اخرجتهن من داري ، حتى تعزلني عن القضاء ، ويعلم الله انه لا نظر لي على رجلين من المسلمين . ثم وجه ابنه محمد بسجله مع الفتى الى الأمير ، وقال : قل له هذا سجلك ، وجعل الله فلاناً شفيعك يوم القيامة . فوصلا اليه ، وأبلغاه ما قال . فقال محمد : هذا سجلك بعث به لتولي أمور المسلمين من تراه . فقال أبو العباس : اقرأ على أبيك السلام ، وقل له : جزاك الله عن نفسك وعنا وعن المسلمين[٣] خيراً . فقد أحسنت أولاً وآخراً . ونحن نرضي قائدنا من أموالنا . وامض على أحسن نظرك . فبلغ ذلك سحنون

---

(١) بالاصل فكانوا .
(٢) أ — يجتمع .
(٣) بالاسلام كما بالاصل وكذا في — أ .

واجتمع اليه وجوه الناس وأهل الخير، وشكروا فعله. فقال لهم: إن الله قد أحب الشكر من عباده، فتقدموا الى باب الأمير واشكروه على تأييد الحق، ففي ذلك صلاح الخاصة والعامة. ففعلوا ذلك. قال سليمان بن عمران: ودخل سحنون على (محمد)[1] بن الأغلب يشكو اليه، رفع الخصوم عن بابه الى باب الطبني شريكه في القضاء. وذلك، ان ابن الأغلب لما لم يمكنه عزل سحنون، لمكانه من قلوب الناس، وقصده من تحامل رجاله، وضيق عليهم، ولي الحكم معه الطبني، رجلاً جافياً جاهلاً. مضادة لسحنون. فكان يرفع الخصوم عن بابه، الى الطبني، فلما ذكر ذلك لمحمد بن الأغلب قال له محمد: ما عندي من هذا علم. ثم التفت الى بعض جلسائه، فقال أعندك من هذا علم؟ قال: لا. (فضرب سحنون بيده على لحيته)[2] وقال يتلعب بي وأنا إمام في العلم منذ ستين سنة. وهذا يشهد لي. يريد بن عمران. فقلت: وما حاجتك الى ذلك؟ أدركت الناس بمصر يتمنون ان لو كنت فيه. وأسمعه يعقوب بن المضار! كلاماً غليظاً فيما ينفذه من الحق عليهم، بحضرة ابن الأغلب، فقال له سحنون: أين أنت من هذا القول، إذ جيء بك، وفي عنق يعقوب حبل كالكلب، ثم خرج سحنون، فقال يعقوب، للامير: شيخ من مشائخك وعم من أعمامك يفعل بي سحنون بين يديك مثل هذا؟ ولا يرى[3] لمجلسك حرمة! فقال الامير لأصحاب الأعمدة: لو قتلتموه ما كنت أصنع بكم؟ فعافاه الله. ولما رأى سحنون حال الطبني، وفهم المراد، لزم داره مدة. وترك الجامع. وكان الطبني يحكم في الجامع، وحبيب ايضاً صاحب مظالم سحنون ينظر. الى ان

---

(١) مثبتة بالاصل ساقطة من — ر.
(٢) ساقطة من — ر.
(٣) ن — وأدى لمجلسك.

بلغه ان الطبني مد يده الى بعض أصحابه . فخرج سحنون الى الجامع ، وسمع بذلك الناس ، فأتوا اليه من كل جهة . فخرج الطبني من الجامع الى داره . فكان ينظر في داره ، وسحنون في الجامع على عادته ، نحوا من أربعين يوماً ، الى ان توفي رحمه الله تعالى . وكتب زيادة الله ابن الأغلب الى علماء افريقية ، يسألهم عن مسألة ، فأخبروه ، إلا سحنون . فعوتب في ذلك . فقال : اكره ان أجيبه ، فيكتب إلي ثانية ، اشتغال[1] لمعرفة الأمراء . فقال له ابراهيم بن عبدوس ، في مثلها : اخرج من بلد القوم ، أمس لا تصلي خلف قاضيهم . واليوم لا تجيب في مسألتهم . فقال سحنون : أجيب رجلاً يتفكه بالدين ، ولو علمت أنه يقصد الحق ، أجبته . وذلك قبل قضائه .

ذكر محنته

قال غير واحد من العلماء بالأثر : كان سحنون قد حضر جنازة . فتقدّم ابن أبي الجواد ، الذي كان قاضياً قبله . وكان يذهب الى رأي الكوفيين ، ويقول بالمخلوق . فصلى عليها . فرجع سحنون ولم يصل خلفه ، فبلغ ذلك الامير زيادة الله . فأمر بأن يوجه الى عامل القيروان ، يضرب سحنون خمسمائة سوط . ويحلق رأسه ولحيته . فبلغ ذلك وزيره علي بن حميد . فأمر الوزير ان يتوقف ، ولطف حتى دخل على الامير وقت القائلة ، وقد نام . فقال له ما شيء بلغني في كذا . قال : لا تفعل . فان العكي إنما هلك في ضربه للبهلول بن راشد . فقال : وهذا مثل البهلول . قال : نعم . وقد حبست البريد شفقة على الامير . فشكره ، ولم ينفذ أمره . وبينا

---

(١) بالاصل استثقال كذا في – أ .

سحنون يقرأ للناس ، إذ أتاه الخبر بما أزاح الله عنه . وقيل : لو ذهبت الى علي بن حميد فشكرته . قال : لا افعل . قيل له : لو وجهت ابنك (لذلك)[١] ، فأبى . قيل : فاكتب اليه . فأبى . قال : ولكني أحمد الله الذي حرك علي بن حميد ، لهذا . فهو أولى بالشكر ، وأقبل على اسماعه . فقال له قوم من أصحابه : لهذا والله كتب اسمك بالحبر على الرقوق . قال ابن وضاح : كنت عند سحنون ، فجاءه إنسان ، فساره بشيء ، فتغير لونه ، ثم جاءه آخر فساره ، فرجعت اليه نفسه . ثم قال : لم أبلغ أنا مبلغ من ضرب . إنما يضرب مثل مالك ، وابن المسيّب . ولما ولي احمد بن الأغلب الامارة ، وأخذ الناس بالمحنة بالقرآن ، وخطب به بالقيروان ، توجه سحنون إلى عبد الرحيم الزاهد بقصر زياد ، فاراً . فكان عنده . فوجه في طلبه الى هناك رجل ، يقال له ، ابن سلطان ، وكان مبغضاً في سحنون ، فظاً غليظاً . أختاره في ذلك في خيل ، وجهها معه . فلما وصل الى سحنون ، قال له ابن سلطان : وجهني الأمير اليك ، وقصدني (فيك)[٢] لبغضي فيك ، لأبلغ منك ، وقد حالت بغيتي[٣] عن ذلك . وأنا أبذل دمي دون دمك ، فاذهب حيث شئت من البلاد ، او أقم . فأنا معك . فشكره سحنون ، وقال له : ما كنت أعرضك لهذا . بل اذهب معك ، وخرج ، فشيعه أصحابه . فقال عبد الرحيم للرسول : قل للأمير أوحشتنا من صاحبنا وأخينا في هذا الشهر العظيم . وكان شهر رمضان ، سلبك الله أنت (فيه)[٤] وأوحشك منه ، وفي رواية : عرضتني في ضيفي ، فوالله لأعرضنك على رب العالمين . فلما وصل

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) ساقطة من الاصل .
(٣) نيتي كذا في — أ .
(٤) ساقطة من — أ .

الأمير جمع له قواده ، وقاضيه ابن أبي الجواد وغيره . وسأله عن القرآن ، فقال سحنون : اما شيء أبتديه في نفسي فلا . ولكني سمعت من تعلمت منهم ، وأخذت عنهم ، كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق . فقال ابن أبي الجواد : كفى فاقتله ، ودمه في عنقي . وقال غيره : مثله . ممن يرى رأيه . وقال بعضهم : يقطع أرباعاً ، ويجعل كل ربع بموضع في المدينة . ويقال هذا جزاء من لم يقل بكذا . فقال الأمير لداود بن حمزة : ما تقول أنت ؟ قال : قتله بالسيف راحة . ويقال قائل هذا ، علي بن حميد والحضرمي . ورجال اهل[1] السنة من اصحاب السلطان ، ولكن ، قتل الحياة . نأخذ عليه الضمناء ، وينادي عليه بسماط القيروان : لا يفتي . ولا يسمع احداً ، ويلزم داره . ففعل ذلك . وأخذ عليه عشرة حملاء . ويقال ان ابن أبي الجواد : هو الذي أمر بأخذ الحملاء عليه . حتى يتبين عليه ، فرجع ، ففعل ذلك وأمر الحرس ان يأخذوا ثياب من دخل عليه . قال سهل : فدخلت عليه ، ومعي دراهم اشتري بها ثيابي من الحرس ، إن يأخذوا[2] . فعافاني الله . فقلت : البدعة فاشية ، وأهلها أعزاء . فقال : أما علمت ان الله إذا أراد قطع بدعة أظهرها . قال جبلة : ولما قرب سحنون في قصته هذه من القصر ، لقيه في الموالي رجل سكران ، على برذون ، بيده قناة فأدخلها بين رجلي برذون سحنون ، ليثب بسحنون ليقتله . فتحامل برذون السكران به ، وقفز[3] . فدخل زج القناة في صدر المولى . فمات وسلم سحنون . وقيل : بل الأمير أوصى إنساناً بركوب بغل شموس ، وقال له اصدم به سحنون بعد ان تحميه ، فلعل الله يريحنا منه . فلما قرب سحنون من القصر ، فعل الرجل ما أمر

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالاصل ان أخذوني كذا في — أ
(٣) بالاصل نفر ساقطة من — ر .

به ، فطرحه البغل الشموس فمات . وكان في طريقه نزل تحت شجرة ، والرسول الذي جاء به تحت أخرى ، فأتى رجل الى سحنون بقصعة ثريد ، عليها دجاجة ، فأكل سحنون ولم يدع الرسول . فعاتبه في ذلك ، وقال له : أحسنت صحبتك ، وتفعل هذا معي . فقال له سحنون : ليس في السنة ان ادعوك الى طعام غيري ، ولو كان لي لفعلت . قال القاضي ابو الفضل عياض رضي الله تعالى عنه : ما قال سحنون صواب . ولكن لا أدري لِمَ لم يستأذن . ربّ الطعام في أكله معه ، كما فعل عليه الصلاة والسلام . ولعله فعل ذلك ، ولم يأذن له . (والله أعلم)[1] وفي هذا (الخبر)[2] قال : كان سحنون يقول في طريقه : الذينَ قالَ لهُمُ النّاسُ إنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لكُمْ ... الآية . وحكى ، أنه لما دخل سحنون على ابن الأغلب ، قال له سحنون : قد كنت خائفاً ، حتى دخلت عليك . (فأمنت بالله)[3] . وكان ابنه محمد ، قد توارى معه . فلما أتى باب القصر ، نفر الشرط الى انتهابه ، فأخذ لجام دابته ، فلما دخل على الأمير قال له : تكلم . فقال : إنما يتكلم من معه عقله ، وأما أنا فقد ذهب . فسأله ، فأعلمه بما جرى عليه . فأمنه . وأمر بصرف لجامه . قال ابن وضاح : دخلت مصر ، فلقيت الحارث بن مسكين ، فسألني عن سحنون ، فقلت له : إنه مغموم من قبل الأمير . فقال الحارث : قال الأوزاعي : قال رسول الله ﷺ : إذا أحب الله عبداً سلط عليه من يؤذيه .

---

(١) زيادة من — أ .
(٢) مثبتة في الاصل .
(٣) بالاصل فأمنه كذا في — أ .

ذكر بقايا فضائل سحنون وتقاه وخوفه وزهده وتحريه في الفتيا وعبادته وفقر من كلامه ووصاياه وأخباره

قال محمد بن أحمد بن تميم : كان الذين يحضرون مجلس سحنون من العباد اكثر من يحضره من طلبة العلم ، كانوا يأتونه من أقطار الأرض . قال بعض أصحابه : عرست فدعوت ليلة عرسي جماعة من (اصحاب)[1] أصحابنا وفيهم رجل من اهل المشرق ، من اصحاب ابن حنبل ، قدم علينا . وكنا نسمع منه . فكان أصحابنا في أول الليلة في قراءة وبكاء ، وتعبد وخشوع ثم أخذوا بعد ذلك في مسائل من العلم ، ثم ابتدروا بعد ذلك الى زوايا بالدار ، يصلون أحزابهم . فقال الشيخ : أصحاب مَنْ هؤلاء ، ومن معلمهم ؟ فوالله ما رأيت قط أقبل منهم ، وما صحبوا رجلًا إلا نبلوه . فقال : أصحاب سحنون . فقال : والله لقد رأيت العلماء عندنا بالمشرق ، فوالله ما رأيت مثل هؤلاء . قال ابن عجلان الأندلسي : ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله ﷺ ، ما بورك لسحنون في أصحابه ، انهم في كل بلد أئمة . قال ابن حارث : سمعتهم يقولون : كان سحنون من أيمن العلماء ؟ دخل المغرب ، كأن أصحابه مصابيح ، في كل بلدة ، عُدّ له نحو سبعمائة رجل ، ظهروا بصحبته وانتفعوا بمجالسه ، وسمعتهم يقولون : كان سحنون أعقل الناس صاحباً (وأفضل الناس في باب الدين صاحباً ، وأفقه الناس صاحباً)[2] . وقام سحنون بقصر زياد مرابطاً ، خمسة عشر يوماً من رمضان . وحكى ابن اللباد ، ان سحنون قال لابنه محمد : يا بني ، سلم على الناس ، فان ذلك يزرع المودة . وسلم

---

(١) ساقطة من — أ .
(٢) ساقطة من الاصل .

على عدوك وداره ، فان رأس الايمان بالله المداراة بالناس . وحكى المالكي انه نقب بيت سحنون وهو قائم في تهجده ، وأخذ ما كان في البيت ، وهو لا يشعر ، ثم اخذت القلنسوة من رأسه ، فلم يلتفت لشغله بما كان فيه ، وجيء اليه للصلاة على مقتول ، فقال لم تحضرني نية . فأتى آخرون فقالوا له : فلان اصلحك الله ، قتل وطرح في بئر ، وقد أخرجناه ، فصلّ عليه . فقال : ومن قتله ؟ قالوا : هذا المقتول الذي سئلت قبل الصلاة عليه . فصلى سحنون على (هذا)[١] . وكانت منه فراسة . قال سليمان بن سالم : أتى رجل من صطفورة فسأل سحنون عن مسألة ، وتردد عليه . فقال له : أصلحك الله مسألتي في ثلاثة أيام . فقال له : وما أصنع لك ؟ ما حيلتي في مسألتك ؟ نازلة معضلة ، وفيها أقاويل ، وأنا أتخير في ذلك . فقال الرجل[٢] الصطفوري : وأنت أصلحك الله لكل معضلة . فقال : هيهات ، ليس يا ابن أخي . فقولك ابذل لك لحمي ودمي الى النار ، ما أكثر ما لا أعرف ، إن صبرت رجوت ان تنقلب بمسألتك ، وان أردت غيري فامضِ ، تجاب عن ساعة . فقال : إنما جئت اليك ولا أبتغي غيرك . قال : فاصبر عافاك الله . ثم أجابه بعد ذلك . وأرسل أسد بن الفرات وهو قاض الى سحنون ، وعون وابن رشيد وموسى الصمادحي ، فسألهم عن مسألة في الأحكام ، فأجاب فيها ابن رشيد وعون ، وأبى فيها سحنون عن الجواب . فلما اخرجوا عذلاه في تركه . فقال لهما : منعني انكما بدرتما بالجواب فأخطأتما ، وكرهت ان أخالفكما فندخل عليه اخواناً ونخرج أعداء ، وبيّن لهما وجه خطأهما . فجزياه خيراً ، واعترفا . ورجع الى أسد ، فأخبراه برجوعهما . قال القاضي : لعل

---

(١) في – أ – قاتله . والجملة غير واضحة المعنى إلا انه يخيّل انهما اثنان تقاتلا ، وكان أحدهما السارق لدار سحنون .

(٢) ساقطة من الاصل .

سحنون عدل على ما عرف من فضلهما ، من انهما اذا بين لهما وجه خطأهما رجعا ، فأعلم أسداً برجوعهما كما فعلا . وان الحكم ، كان[١] بعد لم يحن وقت نفوذه . وإلا فهو في فضله وورعه كان لا يسكت على مثل هذا ، إلا رجاء أن يستبين الحق بلا تعلة ، ولا مخالفة . قال سحنون : أجرأ الناس على الفتيا ، أقلّهم علماً . يكون عند الرجل باب واحد من العلم ، فيظن ان الحق كله فيه . قال سحنون : إني لأسأل عن المسألة ، فأعرف في أي كتاب وورقة وصفحة وسطر ، فما يمنعني عن الجواب فيها إلا كراهة الجرأة بعدي على الفتيا . قال سحنون : وأنا أحفظ مسائل ما فيه ثمانية أقاويل من ثمان أئمة . فكيف يسعني ان اعجل بالجواب ، حتى أتخيّر ، وهو الأمر في حبس الجواب ، او كما قال ، عبد الجبار بن خالد ، قال رجل من الطلبة لسحنون : جئت اليوم ولم اسمع منك شيئاً . فقال له : ان كنت في وقت خروجك ممن شيعته الملائكة ، فقد سمعت ، وإن لم تسمع . وإن كنت ممن لم تشيعه ، فلم تسمع ، وإن كنت سمعت . قال عيسى : قلت لسحنون تأتيك المسائل مشهورة مفهومة ، فتأبى الجواب فيها . فقال سحنون : سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال . قال يحيى بن عمر : لما قدمت الى سحنون فسألت عنه ، فقيل لي خرج الى البادية ، فجئته ، فرأيت رجلًا (أشعر)[٢] عليه جبة صوف ومنديل ، وهو متول حرثه وشأنه ، فاستصغرته وندمت على تركي من تركت بالمشرق ، ومجيئي اليه . وقلت ما أراه يحفظ شيئاً من العلم . فرحب بي . فلما جالسته في العلم رأيت بحراً لا تكدره الدلاء ، والله العظيم ، ما رأيت مثله قط . كأنما جمع العلمُ عينيه في صدره .

---

(١) ساقطة من الاصل .
(٢) أ – أسمر .

وقال سحنون : ما أقبح بالعالم[١] ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيه . فيسأل عنه ، فيقال : هو عند الأمير ، هو عند الوزير ، هو عند القاضي ، فان هذا وشبهه شرٌ من علماء بني اسرائيل . وبلغني انهم يحدثونهم من الرخص ما يحبون ، مما ليس عليه العمل ، ويتركون ما عليه العمل ، وفيه النجاة ، لهم ، كراهة ان يشتغلوهم[٢] . ولعمري لو فعلوا ذلك لنجوا ، ووجب أجرهم على الله ، فوالله لقد ابتليت بهذا القضاء ، وبهم . ووالله ما اكلت لهم لقمة ، ولا شربت لهم شربة ، ولا لبست لهم ثوباً ، ولا ركبت لهم دابة ، وما اخذت لهم صلة . واني لأدخل عليهم ، فأكلمهم بالتشديد ، وما عليه العمل وفيه النجاة . ثم أخرج عنهم ، فأحاسب نفسي ، فأجد عليّ الدرك مع ما ألقاهم به في الشدة والغلظة ، وكثرة مخالفتي هواهم ، ووعظي لهم . فوددت[٣] ان انجو مما دخلت فيه كفافاً . وقيل له : ان يعقوب بن المضار لا يحبك فقال : الحمد لله ، الذي لم يجمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب واحد قال سليمان بن سالم : رأيت سحنون اذا قرىء عليه كتاب الجهاد لابن وهب وكتاب الزهري ، يبكي حتى تسيل دموعه على لحيته . وقال مرة لرجل : اقرأ علي : وَيَا قَوْمِ مَا لي أَدْعُوكُم إلى النَّجَاةِ ... فقرأها . فلما بلغ : فَسَتَذْكُرُون مَا أَقُولُ لَكُمْ ... قال : حسبك . وهو يبكي . قال بعضهم : خرج سحنون وابن رشيد وابن الصمادحي الى المنستير ، ومعهم ابن نعيم ، قال : فنظرت الى سحنون تسيل دموعه على لحيته . ثم سكت الفتى فقال سحنون : يرتجي ان يرفع صوته ، لو كان من يقول له ، وأبى ان

(١) بالأصل العلم .
(٢) بالاصل ان « يستثقلوهم » وكذا في — أ .
(٣) بالاصل أوددت .

يقول ، له[١] . قال بعضهم : دخلت على سحنون وفي عنقه تسبيح يسبح به . قال حبيب : قال سحنون يتمثل بهذه الأبيات :

كل شيء قـــد أراه نكرا غير وكز الرمح في ظل الفرس
وقيام في حناديس الدجـــا حارساً للقوم في أقصى الحرس

وحكي الإبياني ، عن سحنون ، انه قال في الحديث : فيمن أخاف اهل المدينة ، قال : ليس هم سكانها ، بل كل من قال بقولهم ، حيث كان . قال المؤلف رحمه الله تعالى . أراه والله أعلم فيمن كان على سنتهم وهديهم . وهم جماعة المسلمين . قال ابن وضاح : وكان إنسان يشرب قريباً من سحنون ويغني ، ولم يغير عليه ، فلما قدمت الأندلس ، ابتليت بمثله ، فأردت رفع أمره ، ثم تذكرت أمر سحنون ، فاقتديت به ، وصبرت . ثم لقيت سحنون بعد ذلك ، فلم أسمع جاره ذلك بعد ، فسألته عنه ، فقال لي : ماذا حملت منه ، ولقد كفانيه الفقر ، وها هو مؤذن في المسجد . وكنت أقدر ان أغير عليه ، وأكلم السلطان فيه ، فخشيت ان يحملني في ديني ما هو أضر مني ، فرأيت ان أصبر حتى لا يكون للسلطان علي منة . قال ابراهيم بن محمد بن باز : كنت اقرأ كتاب الهبات ، من النذور على سحنون . فمرت مسألة في الكتاب كان في جانب كتابي فيهـــا كلام لأصبغ ، فقرأته على سحنون . فقال : ايه . فظننت انه استفادني . فقلت له : قال : أصبغ . فقال : ايه . فأعدت ، فنظر إليّ ، وقال : من جرأك علي ؟ قلت أصلحك الله ، كذا هو في حاشية كتابي . وحدثني بها سعيد بن حسان عن أصبغ . فقال لي : تكذب . سعيد بن حسان أعلم بالله . يا أهل الأندلس ، ما تبالوا

---

(١) إشارة الى الآية الكريمة السابقة فستذكرون ما أقول لكم .

عمن تأخذون دينكم . ثم والله لا قرأت لكم حرفاً منها . فلما كان بعد أيام ، لم نشعر إلا وسحنون واقف على بيتي ، عليه فروة[١] وبيده عصا ، فقال : السلام عليكم ، أي شيء تكتب ؟ فرددت عليه السلام وقلت له : أكتب كتاباً من المدونة . فقال لي يا أهل الأندلس : أنا أحبكم لأنكم قوم سنة ، وخير . ثم مضى ، فجئناه يوماً ثانياً ، وكنت أنا القارىء عليه ، وأخذتني زكمة فربطت رأسي ، وجلست ناحية ، فلما اجتمعنا قال : أين ذا ؟ قال : اقرأ . فقلت : عرض لي شيء ، قال اقرأ كما أقول لك . قال واستأذنه رجل ان يبني قنطرة ، يجوز عليها الناس الى دار سحنون ، فأبى سحنون ، لان كسبه كان من بلدان السودان . وكان لا يشرب من المواجل التي يبنيها السلاطين تورعاً . ويفتي بجواز ذلك . ويقول : انما هي حجارة جمعوها ، ساق الله اليها الماء . وقال بعض أصحابه : خرج سحنون يوماً على أصحابه للسماع ، مغضباً ، على وجهه كآبة . إذ جاءه رجل بدوي ، وفي رواية غلام له ، فساره بشيء ، فضحك سحنون . وأمر بالقرآن . ثم قال لأصحابه : إنا أصبنا في عامنا هذا ثمرة كثيرة ، وزرعاً ، ولم أصب بمصيبة . فخفت ان أكون سقطت من عين الله تعالى . وان هذا جاء فأخبرني ان أجود جمالي مات ؟ فسررت بذلك وعرفت ان الله ذكرني . (ويخلف ما ذهب . وفي رواية أخرى ان الغلام أخبره بموت زوجه ، وخادم)[٢] . وأهلك الريح مائة وخمسين شجرة . قال احمد بن أبي سليمان : كان العلماء يأكلون طعام علي بن حميد الوزير ، خلا سحنون وولده . فلم يكن يأتيهم ، ولا يأكل طعامهم . ورغبوا اليه في تحرك ولده ، فقال أخشى ان أعوّدهم عادة .

---

(١) بالاصل فرو .
(٢) مثبت في الاصل .

قال احمد بن سليمان : كنا يوماً جلوساً عنده ، إذ جاء غلام بدرهم ونصف فضة ، باع له به زيتوناً . فقال : احمد الله زيتوننا ، وغلامنا ودابتنا . ثم رمى بها ، وقال انفسه : يا شقيّه ، تدري ممن باعها لك . قال ابن معتب : كان سحنون يتصدق على الرجل الواحد ، بالمال الذي تجب فيه الزكاة . الثلاثين ديناراً ، او أكثر . قال عبد الله بن سعيد الصائغ : دفع سحنون يوماً لرجل صرّة دنانير ، وهو في بيته . ثم قال له : إذهب ، فأول من تلقاه ادفعها اليه . فجعل الرجل يتخلل الأزقة إذ برجل عليه ثوب أبيض وتحته شيء يحمله ، فدفع اليه الصرّة ، فلما أخذها ألقى الذي بيده . وقال : هي ميتة ، كانت لنا حلّا فحرمت الآن علينا . فكانت فراسة من سحنون . قال حمديس : دخلت عليه يوماً ، وهو يأكل خبزاً ، يبله في الماء ويغطسه في الملح ، فقال : أما أني لم أكله زهادة في الدنيا ، ولكن لئلا أحتاج الى هؤلاء ، فأهون عليهم . ثم صاح بجارية ، فأتت بصرة فيها عشرون ديناراً . فقال : ادفعه لثلاثة رجال صالحين ، ممن يسكن عندكم ، فان لم تجد ثلاثة ، فالى اثنين فان لم تجدهما ، فالى واحد . قال العنبري : كانت غلة سحنون في زيتونه ، خمسمائة دينار في السنة . فما تنقضي السنة إلا والديون عليه لكثرة صدقته ومعروفه .

فصول في حكمه وكلامه

كان سحنون ، يقول : ليس للأمور بصاحب ، من لم ينظر لهـا في العواقب ، وكان يقول : (ترك الحلال لله أفضل من أخذه)[1]. وترك الحلال

---

(١) مثبت بالاصل .

لله ، أفضل من أخذه وانفاقه ، في طاعة الله . وقال : ترك دانق مما حرم الله ، أفضل من سبعين الف حجة ، تتبعها سبعون الف عمرة ، مبرورة متقبلة ، وأفضل من سبعين الف فرس ، في سبيل الله ، بزادها وسلاحها . ومن سبعين الف بدنة يهديها الى بيت الله العتيق ، وأفضل من عتق الف رقبة مؤمنة من ولد اسماعيل . فبلغ كلامه هذا لعبد الجبار بن خالد ، فقال : نعم . وأفضل من ملء الارض الى عنان السماء ذهباً او فضة ، كسبت وانفقت في سبيل الله . لا يراد بها إلا وجه الله . وكان سحنون يقول : مثل العلم القليل ، في الرجل الصالح ، مثل العين العذبة في الارض العذبة ، يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به . وكان يقول : انظر أبداً الأمرين، يكون فيها الثواب ، فأثقلهما عليك ، هو أفضل . وكان يقول : كلّ دابة ، تعمل على الشبع إلا ابن آدم ، إذا شبع رقد . وقد قال مالك : ألا أدلكم على درّ ، بلا ثمن ؟ قيل : وما هو ؟ قال : هو صر الجوع في كمك . وكان سحنون إذا ضاق عليه أمر ، يقول : ضيقي تنفرجي يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين . وكان سحنون يقول : من لم يعمل بعلمه ، لم ينفعه العلم . وروى عنه عيسى ابن أيوب ، أنه قال : إذ تردد على القاضي ثلاث مرار بلا حاجة ، فلا تجوز شهادته . وكان سحنون يقول : من لم يعمل بعلمه ، لم ينفعه العلم ، بل يضره . وانما العلم نور يضعه الله تعالى في القلوب . فاذا عمل به نوّر الله قلبه . وإن لم يعمل به ، وأحب الدنيا ، أعمى حبُّ الدنيا عليه . ولم ينوّره العلم ، وكان سحنون إذا رأى إعراض الجهال عن العلماء يقول :

لمنزِلَةُ الفقيه من السفيه   كمنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد في رأي هذا   وهذا فيه أزهد منه فيه

باب ذكر كرمه وجوده

قال محمد بن عبد الله الرعيني : (لما سرت الى الغزو الى صفاقس مع سحنون)[١] فتح لنا مطمورة شعير ، لعلف دوابنا . فما كنا نأخذ منها بكيل ، سماحة منه في ذات الله . قال غيره : وفدى سحنون يومئذ أسارى المسلمين ، وظن ان الأمير يعطيه ما فداهم به . وأخذ سحنون الأموال التي فداهم بها سلفاً . فلما قدم على الأمير أبى ان يعطيه الفدى ، فألزم سحنون الأسارى[٢] . فأمروا[٣] به . وقال لهم : قد كنتم عبيداً للعدو ، ولا تملكون من أموالكم ولا تأمنون الفتنة على دينكم ، فمن أعطى تركته ، ومن أبى حبسته . قال أبو داود القطان : باع سحنون زيتوناً له ، بنحو ثلاثمائة دينار ، ودفع ذلك إليّ ، فكان يبعث إليّ البطائق يتصدق من ذلك المال، الى ان نفد ، فأتيته بتلك البطائق ليحاسبني عليها ، فقال لي : بقي من المال شيء ؟ فقلت : لا . فرمى البطائق ، ولم يحاسبني . وقال : اذا فرغ المال فلم أحاسبك ؟ قال حمديس : ماتت لأبي خادم ثمنها ثمانية وعشرون ديناراً، فعرض علي سحنون ثمنها لأشتري لأبي منه خادماً ، فقلت : أنا عن هذا غني. وحكى المالكي عن الجزري ، قال : بينما انا عند سحنون ، إذ أتاه رجل ، فسأله عن مسألتين او ثلاثة ، ثم قال : ما اليوم وما غد وما بعد غد . فقال له سحنون مجيباً : اليوم عمل وغداً حساب وما بعد غد جزاء . فلما ولّى تبعته ، حتى دخل المقبرة . فلما خفت فواته ، قلت له : بالله قف لي.

---

(١) ساقطة من — ر .
(٢) بالاصل الأسرى وكذا في — أ .
(٣) أ — ما قدروا .

فقال : ما تريد ، انا رجل من الجان ، كنت أغشى مجلس أبي سعيد أسأله عن مسائل ، فقد حرمتني المسائل ، ثم غاب عني ، فخطر لي الخروج الى الحج ، فبينا أنا في الطواف إذ جبن بثوبي من ورائي ، فالتفت فاذا بالجني ، فسلم عليّ وأخبرني بخبر من خلفته . ثم قال لي: رأيت الطلبة ، يختلفون الى شيخ ، فمضيت الى الرجل معه ، فلما أشرفنا على الجماعة ، جبنني الجني بثوبي ، وقد تغير لونه وقال لي : هذا إبليس ، والله لو رآني لقتلني. قلت له : فما العمل ؟ قال : ارجع فالطمه للرأس ، وقل له : يا لعين ، يا ملعون . إيش أتى بك ها هنا ؟ ففعلت . فاضمحل حتى صار مثل الدخان وأخبرت الطلبة بالقصة ، فعجبوا وخرقوا ما كتبوا عنه . وحكى ابن اللباد هذه الحكاية وزاد في أولها : كان فتى يغشى مجلس سحنون ، ذا سكينة وصمت ، لا يتكلم . فاذا كان آخر المجلس ، سأله عن ثلاث مسائل أو أربعة أو نحوها . ويستغرب لا يعرفه احد من الطلبة ، فشغل احد الطلبة نفسه به ، وأتبعه حتى خرج ، وذكر الحكاية ، وفيها زيادة ألفاظ ، وفيها : وها هنا قوم من صالحي الجن فهم[1] يرسلونني أسأل عنهم ، عن دينهم وما يحتاجون اليه . فقد قطعت حظهم من ذلك . (وفيها انه أخبره حين لقيه في الطواف بحال اهله ، وولده . وقال له : عهدي بهم بالأمس)[2] . فقال له : ها هنا شيطان قد تمثل في صورة شيخ ، وحوله جمع يكتبون عنه ، فاذا جئته فلا تهبه ، وارفع العصا عليه . وذكر تمام الخبر بمعناه . قال القاضي ابو الفضل عياض رضي الله تعالى عنه : وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود : ان الشيطان يتمثل في صورة الرجل ، فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من

---

(١) ساقطة من الاصل .

(٢) ساقطة من — ر .

الكذب ، فينصرفون عنه ، فيقول الرجل منهم ، سمعت رجلًا اعرف وجهه، ولا أدري من هو ، وفيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : ان في البحر شياطين مسجونة ، أوثقها سليمان عليه السلام . يوشك ان تخرج فتقرأ على الناس قرآناً . وحكى أبو الحسن القابسي قال : أتى رجل الى سحنون فجلس ، حتى انصرف الناس ، فأخذ في البكاء . فسأله سحنون عن سبب ذلك ، فذكر له : انه رأى أمراً استعظمه ، فلم يزل به حتى ذكر له ، انه رأى كأن القيامة قد قامت ، وحشر الناس ، وأتى سحنون فرأى انه القي في النار ، بعد ان لقي من الأغلال والنكال أمراً عظيماً ، فصبّره سحنون، فأرسل في رؤساء كنيسة النصارى ، فجاء اليه منهم اثنان ، فسألهم هل مات لكم ميت ممن تعظمونه ؟ قالوا : نعم . قال : أفرأيتم له شيئاً ؟ قالوا : نعم رؤى كثيرة ، ووصفوا فيها من الخير والترفيع ، (ثم)[١] صرفهما وقال للرجل : هل تشك ان هؤلاء وميتهم من أهل النار ؟ قال : لا . فقال له: ان الشيطان يأتي للمؤمن ، بما يثبّطه عن الخير ، ويمقت له أهله ، ويأتي[٢] الى الكفار بما يغبط اليه حاله ، ويثبته على كفره ، وقد رآك تختلف الينا فأراد ان يضرك . ورأى سحنون الناس يقبّلون يد ابن الأغلب ، فقال له: لا تعطيهم يدك . لو كان هذا يقرّبك من الجنة ما سبقونا اليه . وستأتي (مثل)[٣] هذه الحكاية في اخبار ابن وضاح ان شاء الله تعالى .

---

(١) ساقطة من – أ .
(٢) بالاصل الى .
(٣) زائدة في – أ .

ذكر وفاة سحنون رحمه الله تعالى (ومراثي رؤيت له)[١]

لم يختلف ان سحنون توفي في رجب، سنة أربعين ومائتين. قال ابو علي: يوم الاحد قبيل نصف النهار، لثلاث خلون منه. وقال غيره: لسبع خلون منه، ودفن في يومه وصلى عليه الأمير محمد بن الأغلب، ووجه اليه بكفن وحنوط، فاحتال ابنه محمد حتى كفّن في غيره. وتصدق بذلك، واستعفى رجال ابن الأغلب من الصلاة عليه. وقالوا: قد علمت ما بيننا وبينه، وأنه يكفرنا ونكفره، لأن أكثرهم كانوا معتزلة، وإنما خرجنا طاعة لك، فان صلينا عليه رأى الناس أنا رضينا حاله، فأعفاهم. فتقدم فصلى في عبيد، وعامة اهل السنة، وجماعة المسلمين، وكان سنه يوم مات ثمانون سنة.

مولده

سنة ستين ومائة. ويقال احدى وستين. وقال له رجل: يا أبا سعيد، الناس يقولون انك دعوت الله ان لا يبلغك سنة أربعين ومائتين. فقال: ما فعلت، ولكن الناس يقولونه. وما أرى أجلي إلا فيها. قال ابو بكر المالكي: لما مات سحنون، رجّت القيروان لموته، وحزن له الناس. قال سليمان بن سالم: لقد رأيت يوم مات سحنون، مشائخ من أهل الأندلس يبكون ويضربون خدودهم، كالنساء. يقولون يا أبا سعيد، ليتنا تزوّدنا منك نظرة، نرجع بها الى بلدنا. قال بعضهم لأبي بكر الحضرمي[٢]: رأيت في

---

(١) في – أ – مراثي رثيت.
(٢) أ – الحصري.

نومي[١] رجلاً صعد الى سماء الدنيا ، ثم من سماء الى سماء ، حتى صار تحت العرش . فقال ينبغي ان يكون هذا سحنون . فقال الرائي : هو ذاك . وقيل : إنّ الرائي رأى الحضرمي[٢] في النوم ، فسأله عنها . ففسرها له بمثل ما ذكرنا . وفي أولها : رأيت باباً فُتح في السماء ، ونودي بسحنون فأتي به ، فصعد . وقال ، آخر : رأيت النبي ﷺ مقبوراً ، والناس يجعلون على قبره التراب ، وسحنون ينبشه . فقال : قل لسحنون هم يدفنون سنة رسول الله ﷺ ، وأنت تحييها . قال عيسى بن مسكين : رأينا في المنام كان سحنون يبني الكعبة ، فغدوت عليه فوجدته يقرأ للناس كتاب مختصر المناسك ، له . قال عبد الله بن الخشّاب الأندلسي ، وكان ثقة : رأيت في المنام النبي ﷺ ، يمشي[٣] في طريق ، وابو بكر خلفه ، وعمر خلف أبي بكر ، ومالك خلف عمر ، وسحنون خلف مالك ، قال ابن وضاح : فذكرتها لسحنون فسر بذلك . وقال غيره : رأيت سحنون في النوم بيده لواء قد بلغ السماء وقد امتلأ الفضاء فراشاً ، فكنت أسأل بعض الحضور ، فيقال لي : هذا لواء محمد ، وهذا الفراش ملائكة . وذكر ابن الحارث : ان رجلاً من أهل طرابلس ، كان على بدعة ، وفي رواية كان يقرأ كتب أهل العراق ، فرأى في النوم كأنه في ماء قد غرق فيه الى الذقن ، ويكاد مع ذلك ان يموت عطشاً ، ولا يقدر على الشرب . وفي رواية فاذا شرب صار فيه دماً . فأتاه في تلك الحال ، رجل ، فسقاه حتى روى . قال فانتبهت وبقيت صورة ذلك الرجل في نفسي ، فجعلت أمشي في البلدان وأتأمل في وجوه الناس ، لعلي

(١) بالاصل منامي .
(٢) أ — الحصري .
(٣) ساقطة من — ر .

أرى تلك الصفة ، حتى رأيت سحنون فعرفته بتلك الصفة ، فصحبته وتركت مذهبي ، وصرت الى مذهبه . قال ابن حارث : أقام سؤدد العلم في دار سحنون ، نحو مائة عام وثلاثين عاماً ، من ابتداء طلب سحنون وأخيه ، الى موت ابن ابنه محمد بن محمد بن سحنون . قال أبو الأحوص المتعبد : رأيته في المنام وقد تهيأ للخروج الى المصلى مع ابنه محمد ، فأتيته بثوب أبيض ، فقال لي : أما علمت أنا لا نقبل الهدية . فقلت : ليس بهدية ، ولكن هذا رسول الله ﷺ أمرني أن أدفعه اليك . قال لي وأين رسول الله ؟ فقلت له : ها هنا ، حابس . فما قام سحنون إلا يسيراً ، حتى مات . ورأى بعض المتعبدين قائلاً يقول : من أراد ان يشرب من ماء الحيوان فليسمع من سحنون . قال ابن أبي سليمان : رأيت في شأن سحنون ، قبل موته ، رؤيا فقصصتها على معبر يقال له ابن عياض ، فقال : هذا رجل يموت على السنّة . ورثاه عبد الملك الهذلي (بقوله كذا)[1] ورثاه أيضاً عبد الملك بن فطر ، بقصيدة أولها :

من يبصر البرق فوق الافق قد لمعا   لمّا تسربل ثوب الليل وادّرعا
ولّى لعمري بأرض الغرب قاطبة   ميت له البدو والحضار قد خشعا
لله أنت إذا ما هاب فاصلة   من القضاء بكيل الحد فارتدعا
هناك بُرِّزْتَ يا سحنون منفرداً   كسابق الخيل لما بان فانقطعا
فاذهب فقيداً حباك الله جنته   واحصد من الخير ما قد كنت مزدرعا

(١) ساقط من الاصل .

عون بن يوسف الخزاعي أبو محمد

من أهل القيروان . قال أبو العرب : كان أسن من سحنون بعشر سنين . قال : وقدمت المدينة سنة ثمان ومائة بعد موت مالك بسنة . فأدركت بها أربعين رجلاً من معلمي ابن وهب منهم عبد الرحمان بن زيد بن أسلم وسمع من المفضل بن فضالة وابن وهب وابن غانم والبهلول وغيرهم . سمع منه ابنه ، وبكر بن حماد ، وابن طالب ، وسليمان بن سالم ، وجماعة من أصحاب سحنون وغيرهم . وقال الشيرازي : وبابن وهب تفقه . قال أبو بكر ابن حماد : لما فرغت بقراءة كتب ابن وهب ، على عون ، قلت يا أبا محمد : كيف كان سماعك من ابن وهب ؟ فقال : يا ابني ، أقال فيها أحد شيئاً ؟ ثم قال لي : والله ما أحب ان يعذب الله أحداً من أمة محمد ﷺ بالنار . أبطل الله سعيه وصومه وصلاته ، وسائر عمله ، إن كنت أخذتها من ابن وهب شيئاً إلا قراءة (قرأتها)[1] عليه . وقرأ هو عليّ ، ولو كانت اجازة، نقلت إجازة . ولقد حضرت ابن وهب ، فأتاه رجل يلتمس[2] ، فقال : يا أبا محمد ، هذه كتبك . فقال له ابن وهب : صحت[3] وقوبلت[4] ؟ فقال له : اذهب فحدث بها . فقد أجزتها لك . فاني حضرت مالكاً فعل ذلك . قلت يا أبا محمد ، وكتاب الأهوال سمعته منه ؟ قال : لا . حدثني به رجل عنه . وكان عون يفرق بين السماع والاجازة . فيقول في السماع حدثنا وفي الاجازة أخبرنا .

---

(١) ساقطة من – ر .
(٢) أ – بتليس .
(٣) بالاصل صححت وكذا في – أ .
(٤) بالاصل قابلت وكذا في – أ .

ذكر فضله وثناء العلماء عليه

كان ابراهيم بن محمد بن بان ، يفضل عون بن يوسف ويذكر دينه ، وكان ابن وضاح يفضله . وكان سحنون يقع فيه ، ويعيف الأخذ عنه ، ويقول : لم يسمع من ابن وهب ، وإنما أخذ عنه إجازة . قال ابن وضاح : كان عون والله خيراً منه ، وأتقى لله . قال أبو العرب : كان عون ، رجلاً صالحاً ، ثقة مأموناً . وكان أحمد بن خالد يعجب به . وكان يبيع الكتان في حانوت ومعه حبة شعير ، إذا أعطى الدراهم ، جعلها مع المثقال ، وإذا أخذها جعلها مع الدراهم . حتى يعطي زائداً بحبة ويأخذ ناقصاً بحبة . وكانت عنده قفة تين ، إذا جاءه السائل أعطاه تينتين ، لا يزيد عليهما ولا يرد سائلاً . وحكى أبو مروان بن مالك الفقيه عنه ، انه قال : كنت أجهر بالقراءة في الليل ، فسمعت قراءة جار لي من الجن يقرأ معي في سورة الرعد ، وكان ما بينه وبين سحنون فاسداً . وكان الوالي يكره سحنون ويدس من يرفع عليه ، فقيل له ما بينه وبين عون ، وقد اضرّ به سحنون ، فطمع ان يجد السبيل بشهادة عون عليه ، فأرسل في عون ، فسأله عن سحنون وما يتردد عليه من الشكاية به . فقال عون : سبحان الله ، مثلي (يكشف او يسأل عن سحنون . والله إن سحنون لأفضل أو أخير من أن يسأل مثلي)[١] عنه . فزاده ذلك شرفاً . فاندفعوا عنه . قال ابن وضاح لو لم يكن له غير هذه ، وكان يقول : والله إني لأحب أن ألقى الله وأنا طالب ، ويقول الخلائق كلهم أعداء بني آدم ، والخلائق وبنو آدم كلهم أعداء المسلمين ، وجميعهم أعداء أهل السنة . وكان يعود الأصدقاء ، ويتعاهدهم ،

---

(١) ساقطة من — ر .

ويعود المرضى . قال ابن حارث : نزلت نازلة أحضر لها ابن الأغلب فقهاء القيروان ، فتقدم عون فقال له ابن الأغلب : تقدم يا أبا محمد ، فلك السبق والجلالة . ألم يقل مالك كذا ؟ ألم يقل ؟ وهو يقول : نعم . وحكى عون عن أبي محمد الضرير ، قال لي جار من الجن جزاه الله عني خيراً : إني لا أقوم من الليل أقرأ فيساريني بالقراءة . قال سحنون : وأنا أجد ذلك آخر الليل . قال بعضهم : كان عون شديداً على أهل البدع ، قائماً بالسنّة . قال سليمان بن سالم : كنت جالساً عنده إذ جاءه ثلاثة رجال فأخبره ان رجلاً مات عندهم ، يقول بخلق القرآن . فقال : إن وجدتم من يكفيكم مؤونته ، فلا تقربوه . فسكتوا . ثم سألوه ثلاثاً . قال[1] ذلك ، يجيبهم بمثله ، فقالوا لا نجد . قال اذهبوا فواروه من اجل التوحيد .

وفاته

ومات يوم الأحد ثاني جمادى الأولى ، سنة تسع وثلاثين ومائتين ، قبل وفاة سحنون بنحو عام ، على ما قاله أبو العرب . وذكر ابن الجزار وابن يونس ، ان وفاته كانت سنة أربعين . قال أبو العرب : ومولده سنة سبع وأربعين ومائة . وقال الآخر سنة خمسين . وأوصى عون ابنه يحيى ان يصلي عليه ، فان سحنون يزعم أني كذاب لم أسمع من ابن وهب . فلما قدم للصلاة ، تقدم سحنون ليصلي عليه ، فتقدم ابنه يحيى ، وقال له أوصى ان لا يصلي عليه غيري ، فضرب سحنون رأسه بالسوط وصلى عليه ظهراً . قال سليمان بن سالم : ابتدأنا القراءة على سحنون يوم مات عون بيسير . فقال

(١) بالاصل كل وكذا في – أ .

سحنون للقارىء : ما أفهم عنك ما تقرأ (انصرفوا)[١] . وظهر عليه الحزن، ورأت امرأة بيسير من موته كأن القيامة قامت ، وحشر الناس ، وقد جيء بثلاثة أفراس بسُرجها ولُجمها ، مكللة بأنواع الجوهر . ويقال : هذه لسليمان المؤذن المقتول غدا ، شهيداً . ثم يؤتى بخمسة وصفها بأحسن من الاولى ، فيقال هذه لعون . فأقول : هذا شهيد له ثلاثة ، ولعون خمسة ، فيقال فضل عليه بالعلم . وأعلمت بذلك عوناً . فبكى وقال : لو ان لي دنيا ، تصدقت بها شكراً لله تعالى ، لهذه الرؤيا . وما أملك إلا هذين الثوبين اللذين علي .

انتهى النصف الأول من المدارك بعون الله تعالى وهو حسبي ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) زيادة من — أ .

محتويات الكتاب

صفحة

الاهداء ٥

مقدمة ٧

القاضي عياض ١٨

كتاب المدارك والدافع على تأليفه ٢٦

الكتب التي اعتمد عليها القاضي ٣١

اختصارات المدارك ٣٢

النسخ التي اعتمدناها في نشر هذا النص ٣٤

مراجع ومصادر استعملت في المقدمة ٣٧

المدارك ٣٩

باب ما ورد من الآثار في فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ ٥٨

باب الآثار في اختصاص المدينة بفضل العلم والسنة والقرآن ٦٠

باب فضل علم أهل المدينة وترجيحه على علم غيرهم واقتداء السلف بهم ٦١

رسالة مالك الى الليث بن سعد ٦٤

باب ما جاء عن السلف والعلماء في وجوب الرجوع الى عمل أهل المدينة ٦٦

باب بيان الحجة بإجماع أهل المدينة فيما هو وتحقيق مذهب مالك ٦٧

صفحة

باب ترجيح مذهب مالك والحجة في وجوب تقليده وتقديمه على غيره من الأئمة ٧٥
الفصل الأول ٨٢
الفصل الثاني ٨٩
في ترجيحه من طريق الاعتبار والنظر وفيه ثلاثة اعتبارات ٨٩
باب في نسب مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله ١٠٢
باب في انتماء مالك وآله الى تيم بن مرة من قريش وذكر نسب أمه ١٠٦
باب في ذكر آل مالك وبيته وبنيه ١٠٧
باب في مولد مالك والحمل به وحياته ووفاته ١١٠
باب في صفته وخلقه ١١٢
باب في ملبسه وطيبه وحليته ومسكنه ومطعمه ومشربه ١١٣
باب في عقله وسمته وأدبه وحسن معاشرته وذكر شيء من شمائله ١١٦
باب في ابتداء طلبه وسيرته في ذلك وصبره عليه وتحريه فيمن يأخذ عنه ١١٩
باب في ابتداء ظهوره في العلم وقعوده للفتوى والتعليم وحاجة الناس اليه ١٢٥
باب شهادة السلف الصالح وأهل العلم له بالإمامة في العلم ١٢٩
بقية شهادتهم له بالصدق والثبات في الأثر والقول في مراسيله وتوقيعه ١٣٥
باب في إجماع الناس عليه واقتداء الأكابر به وحاجتهم اليه ١٣٧
باب تحريه في العلم والفتيا والحديث وورعه فيه وإنصافه ١٤٤
باب صفة مجلس مالك للعلم ونشره له وصيانته إياه وتوقيره لحديث النبي ﷺ ١٥٣
بات في ذكر ما كان رزقه مالك في العلم من نباهة القدر والهيبة والجد ١٦٦
باب اتباعه السنن وكراهيته المحدثات وبعض ما روي عنه في العقائد ١٦٩

صفحة

باب في ذكر عبادة مالك وورعه وعزلته وإجابة دعائه ١٧٧
باب شدة مالك في إقامة حدود الله تعالى ١٨٣
باب في حكمه ووصاياه وآدابه ١٨٤
باب ذكر الموطأ وتأليف مالك إياه ١٩١
ذكر ما قيل في الموطأ من الشعر ١٩٦
باب في اعتناء الناس بكتاب الموطأ وتهممهم به ١٩٨
باب في ذكر من روى الموطأ من الجلة والأئمة المشاهير والثقات عن مالك رحمه الله تعالى ٢٠٢
باب ذكر تآليفه غير الموطأ ٢٠٤
باب في أخبار مالك مع الملوك ووعظه إياهم وحسن مقامه عند الولاة ٢٠٧
باب من أخبار مالك رحمه الله تعالى مع العلماء ومناظرته معهم ٢٢٠
باب ذكر محنته رضي الله تعالى عنه ٢٢٨
باب في صدق فراسته وركنه رحمه الله تعالى ٢٣٢
باب في نوادر وملح من أخبار مالك رحمه الله تعالى ٢٣٣
باب ذكر وفاة مالك رحمه الله واحتضاره ومرائي دلت على فضله عند الله تعالى ٢٣٧
باب في رؤيا أهل العلم الدالة على علمه وإمامته ٢٤٠
باب في تركة مالك بن أنس رحمه الله تعالى ٢٤٥
باب ما قيل في مالك من الشعر في حياته وبعد وفاته ٢٤٦
باب مشاهير الرواة عن مالك من شيوخه وأقرانه ممن مات قبله بمدة وتقارب موته ٢٥٤
باب من روى عن مالك من شيوخه وأقرانه الذين تعلم منهم وروى عنهم ٢٥٤

صفحة

من أهل العراق والمشرق ٢٥٨
ومن أهل الحجاز واليمن ٢٥٩
ومن أهل القيروان ٢٥٩
ومن أهل الأندلس ٢٥٩
ومن أهل الشام ٢٥٩
ابتداء الطبقات ٢٨١
الطبقة الأولى من أصحاب مالك : المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي ٢٨٢
ذكر مكانته من العلم والثناء عليه ٢٨٢
ذكر نوادره وأخباره ٢٨٤
عبد العزيز بن أبي حازم ٢٨٦
عبد العزيز بن الدراوردي ٢٨٨
زكريا بن منظور بن ثعلبة ٢٩٠
محمد بن دينار ٢٩١
عثمان بن عيسى بن كنانة ٢٩٢
عثمان بن الضحاك وبنوه ٢٩٣
سعيد بن سليمان المساحقي ٢٩٥
سليمان بن بلال ٢٩٧
محمد بن مطرف ٢٩٨
يحيى بن كثير بن درهم ٢٩٩
ومن أهل اليمن يحيى بن ثابت ٢٩٩

صفحة

ومن أهل المشرق عبد الله بن المبارك	٣٠٠
ذكر مكانته في العلم والثناء عليه	٣٠٠
ابتداء طلبه وسبب زهده وجمل من فضائله وعلمه	٣٠١
ذكر قطع من حكمه وشعره وملحه	٣٠٥
ذكر مذهبه في الرواية والحديث	٣٠٩
ومن أهل مصر عثمان بن عبد الحكم الجذامي من بني نصر	٣٠٩
عبد الرحيم بن خالد بن يزيد مولى الجمحيين	٣١٠
سعد بن عبد الله بن سعد المعافري	٣١١
زين بن شعيب بن كريب المعافري ثم الحامري	٣١٢
عبد الحكيم بن أعين بن الليث القرشي مولاهم	٣١٣
طليب بن كامل اللخمي	٣١٤
أبو السمح عبد الله بن السمح	٣١٤
خالد بن حميد بن أبي ثعلبة	٣١٥
يحيى بن أزهر أبو عبد الله مولى قريش	٣١٥
موسى بن مسلمة بن أبي مريم مولى أبي الضبيع	٣١٥
ومن اهل افريقيا عبد الله بن غانم القاضي	٣١٦
ذكر ولايته القضاء وسيرته	٣١٨
بقية أخباره وكرمه وحلمه	٣٢٢
علي بن زياد التونسي العبسي	٣٢٦
ذكر فضائله ومناقبه	٣٢٨

صفحة

عبد الرحيم بن أشرس ٣٢٩
البهلول بن راشد ٣٣٠
ذكر فضائل البهلول وعبادته وورعه وتواضعه وشمائله وبقية أخباره ٣٣١
ذكر تسننه ومجانبته أهل الأهواء وموالاته ومعاداته في الله ٣٣٦
ذكر محنته ووفاته ٣٣٧
أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي فقيه القيروان في وقته ٣٣٩
الثناء عليه بالعلم والعقل والدين ٣٤٠
ذكر زهده وعبادته وورعه وقيامه بالحق ٣٤٢
ذكر رحلته وطلبه ٣٤٤
ذكر تسننه واتباعه وبقية أخباره ٣٤٥
وفاته ٣٤٦
ومن أهل الأندلس سعيد بن عبدوس ٣٤٧
الغازي بن قيس ٣٤٧
زياد بن عبد الرحمان يلقب بشبطون ٣٤٩
ذكر فضائله وخبره ٣٥٠
سعيد بن أبي هند أبو عثمان ٣٥٣
اسماعيل بن أبي أويس ٣٦٩
أخوه أبو بكر عبد الحميد بن أبي أويس المعروف بالأعمش ٣٧١
داود بن سعيد بن أبي زنبر ٣٧٢
يحيى بن عبد الله المديري ويكنى أبا زكريا ٣٧٢

	صفحة
سعيد بن عمر بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي	٣٧٣
أخوه الوليد بن عمر	٣٧٤
ابراهيم بن هارون بن محمد بن الياس بن أبي الليثي	٣٧٥
زيد بن داود	٣٧٥
أبو زيد الأنصاري	٣٧٥
عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي	٣٧٦
حبيب اللئّال	٣٧٧
حبيب بن أبي حبيب	٣٧٨
محمد بن الضحاك بن عثمان الخزاعي	٣٧٩
أبو غزية محمد بن موسى بن مسكين الأنصاري	٣٧٩
مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام أبو عبد الله القرشي الأسدى	٣٧٩
ذكر جمل من أخباره	٣٨٠
ذكر جمل من ملحه	٣٨١
عتيق بن يعقوب	٣٨١
محمد بن إدريس الشافعي	٣٨٢
ابتداء طلبه وحفظه	٣٨٣
اقتداؤه بمالك واعترافه له	٣٨٥
ذكر ثناء العلماء عليه بسعة العلم والفضل	٣٨٦
ذكر الأثر المتأول فيه وتسننه واتباعه ومذهبه فيما اختلف فيه	٣٩٠

صفحة

ذكر جوده وبقية أخباره وفضائله ٣٩١
جمل من حكمه وآدابه رحمه الله تعالى ٣٩٣
ذكر محنته ووفاته رحمه الله تعالى ٣٩٥
ومن أهل اليمن أبو قرة موسى بن طارق السكسكي ٣٩٦
محمد بن حميد بن عبد الرحيم بن شروس ٣٩٧
ومن أهل البصرة والعراق وما وراءهما من بلاد المشرق عبدالله بن مسلمة ٣٩٧
ذكر فضائله والثناء عليه ٣٩٨
عبد الرحمان بن مهدي بن حسان العنبري ٣٩٩
ثناء العلماء عليه وذكر فضله ٤٠٠
بقية أخباره ووفاته ٤٠٣
محمد بن عمر بن واقد الواقدي مولى بني سهم بن أسلم ٤٠٤
ذكر جمل من أخباره وكرمه وذكر وفاته ٤٠٥
يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمان التميمي الحنظلي مولاهم ٤٠٧

الجزء الثاني

ومن أهل الشام الوليد بن مسلم بن السائب ٤١٥
أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي ٤١٦
فصل في أخباره ونوادره وحديثه ٤١٧
ذكر محنته ٤١٨
مروان بن محمد بن حسان الأسدي ٤١٩

صفحة

اسحاق بن عيسى بن نجيح أبو يعقوب المعروف بابن الطباع	٤٢٠
ومن أهل مصر عبد الله بن وهب بن مسلم القريشي مولاهم	٤٢١
ذكر مكانته في العلم والفقه والحديث وسماع الأجلاء عنه	٤٢٢
ذكر مذهبه في الرواية	٤٢٦
في غير شيء من أخباره	٤٢٨
ذكر عبادته وزهده وخوفه ووفاته	٤٣١
عبد الرحمان بن القاسم العتقي	٤٣٣
ثناء الأجلاء عليه	٤٣٤
ذكر ابتداء طلبه وسيرته في ذلك	٤٣٦
ذكر فضله وعبادته وزهده وورعه وكرامته وشيء من خبره	٤٣٩
ذكر وفاته	٤٤٦
أبو عمرو أشهب	٤٤٧
ذكر شيء من فضائله – وجوده وأخباره	٤٥٠
ذكر مولده ووفاته	٤٥٢
سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم	٤٥٤
أبو عمرو إدريس بن يحيى	٤٥٥
المفضل بن فضالة	٤٥٥
سيرته وأخباره	٤٥٦
فتيان بن أبي السمح	٤٥٧
اسحاق بن الفرات بن الجعد بن سليم	٤٥٩

صفحة

سليمان بن برد بن نجيح التجيبي مولاهم ٤٦٠
يوسف بن عمرو بن يزيد بن يوسف بن خرخسن الفارسي ٤٦١
سعيد بن هشام بن صالح المخزومي ٤٦٢
سعيد بن الجهم بن قاسم ٤٦٣
أبو مسعود الماضي بن محمد بن مسعود ٤٦٤
أبو الحسن علي بن زياد الاسكندراني ٤٦٤
ومن أهل افريقية أسد بن الفرات بن سنان ٤٦٥
ذكر أخباره في رحلته ٤٦٦
ذكر الكتب الأسدية والمدونة ٤٦٩
ذكر مكان أسد من العلم والفضل والسنّة ٤٧٣
ولاية أسد القضاء والامارة ٤٧٦
بقية أخباره ووفاته ٤٧٨
عبد الله بن أبي حسان اليحصبي ٤٨٠
ذكر علمه وفضله وبقية أخباره ٤٨٢
أبو عثمان وأخوه حاتم وأخوه أبو طالب أبناء عثمان المعافري ٤٨٥
أبو خارجة ٤٨٦
ذكر عجائب أخباره وبراهينه ووفاته ٤٨٧
الحارث بن أسد ٤٩٠
محمد بن معاوية الحضرمي طرابلسي ٤٩٠
زكريا بن محمد بن الحكم اللخمي أبو يحيى ٤٩١

صفحة

ومن أهل الأندلس قرعوس بن العباس بن قرعوس بن حميد ٤٩٢
محمد بن بشير القاضي ٤٩٣
الثناء عليه ٤٩٤
ولايته القضاء وسيرته ٤٩٥
ذكر زيّه ٥٠٠
ذكر شيء من أعيان أقضيته التي دلت على ثبات قدمه في الحق وبقية خبره ٥٠٢
طالوت بن عبد الجبار المعافري ٥٠٥
عبد الرحمن بن موسى الهواري أبو موسى ٥٠٧
عبد الرحمان بن عبيد الله ٥٠٨
حسان وحفص ابنا عبد السلام السلمي ٥٠٩
شبطون بن عبد الله الأنصاري ٥٠٩
محمد بن يحيى السبائي من أهل قرطبة ٥٠٩
داود بن جعفر بن الصغيّر ٥١٠

الطبقة الصغرى من أصحاب مالك

من أهل المدينة أبو مصعب أحمد بن أبي بكر ٥١١
أبو محمد الحكم ٥١٣
يعقوب بن حميد بن كاسب ٥١٣
أبو عبدالله محمد بن صدقة الفدكي ٥١٤
الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب ٥١٤
ومن المكيين ممن عداده في البغداديين هارون بن عبدالله الزهري أبو يحيى ٥١٥

صفحة

ولايته القضاء وسيرته ومحنته	٥١٦
ذكر ملح وحكم من شعره	٥١٨
ومن أهل المشرق قتيبة بن سعيد	٥٢١
ومن أهل مصر عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث	٥٢٣
جملة من أخباره وفضائله وتواليفه	٥٢٤
ذكر خبره مع ابن معين ومحنته ووفاته	٥٢٦
يحيى بن عبد الله بن بكير بن زكريا المخزومي (مولاهم)	٥٢٨
عبد الملك بن مسلمة بن يزيد مولى بني أمية	٥٣٠
يونس بن تميم بن يونس	٥٣٠
هاني بن المتوكل بن اسحاق بن ابراهيم بن حرملة	٥٣٠
سعيد بن الحكم بن محمد بن أبي مريم الجمحي	٥٣٠
عبد الرحمان بن أبي جعفر الدمياطي	٥٣٢
عبد الله بن محمد بن اسحق البيطاري	٥٣٢
بلال بن يحيى بن هارون الأسواني	٥٣٣
محمد بن رمح بن المهاجر بن المحرز بن سلام	٥٣٣
ومن أهل الأندلس يحيى بن يحيى الليثي	٥٣٤
ذكر ابتداء طلبه العلم ورحلته	٥٣٥
ذكر شيء من فضائله وأخباره	٥٣٦
ذكر فصول من كلامه وحكمه وأخبار من تنزهه وعقله وزيه	٥٤٢
محنة يحيى بن يحيى رحمه الله تعالى	٥٤٥

صفحة

الطبقة الاولى الذين انتهى اليهم فقه مالك والتزموا مذهبه ممن لم يره ولم يسمع منه

فمن اهل المدينة ابو ثابت محمد بن عبد الله بن محمد بن زيد ٥٤٨
ابو بكر بن ثابت المدني ٥٤٨
يعقوب بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني (ابو يوسف) ٥٤٩
ومن اهل العراق احمد بن المعذّل ٥٥٠
ذكر الثناء عليه وفضائله ٥٥١
بقية اخباره وفضائله وآدابه وشعره ٥٥٥
اسحق بن اسماعيل بن حماد ٥٥٨
يعقوب بن اسماعيل بن حماد ـ أخوه ـ ابو يوسف ٥٦٠
ومن اهل مصر اصبغ بن الفرج ٥٦١
ذكر مكانه من العلم والثناء عليه ٥٦١
جمل من اخباره ٥٦٣
محنته ٥٦٤
ابو زيد بن ابي الغمر ٥٦٥
ابو علي بن مقلاص ٥٦٧
سعيد بن عيسى ٥٦٨
ابو عمرو الحارث بن مسكين ٥٦٩
ذكر ولايته القضاء وسيرته في ذلك ٥٧١
ذكر محنته وبقية خبره ٥٧٥

	صفحة
محمد بن أبي ركين	٥٧٧
الوقار	٥٧٨
أبو جعفر أحمد بن صالح	٥٨٠
عيسى بن المنكدر	٥٨٢
أبو الأزهر عبد الصمد وأبو هارون موسى	٥٨٤
ومن اهل افريقية وأقصى المغرب أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي	٥٨٥
ذكر طلبه ورحلته	٥٨٦
ذكر مكانه من العلم والثناء عليه	٥٨٨
ذكر بقية شمائله	٥٩٣
ذكر ولايته القضاء	٥٩٥
ذكر اخباره مع الملوك وثبوته في الحق	٦٠٢
ذكر محنته	٦٠٩
ذكر بقايا فضائل سحنون وتقاه وخوفه وزهده وتحريه في الفتيا وعبادته وفقَر من كلامه ووصاياه وأخباره	٦١٣
فصول في حكمه وكلامه	٦١٩
باب ذكر كرمه وجوده	٦٢١
ذكر وفاة سحنون رحمه الله تعالى (ومراثي رويت له)	٦٢٤
مولده	٦٢٤
عون بن يوسف الخزاعي ابو محمد	٦٢٧
ذكر فضله وثناء العلماء عليه	٦٢٨
وفاته	٦٢٩

« المطبعة »
فؤاد بيبان وشركاؤه ـ جونيه (الشير) لبنان
تلفون ٩٣٠٤٤٣